الزَّنْدَقَةُ وَالزَّنَادِقَةُ

مُنْذُ صَدْرِ الإِسْلاَمِ إِلَى الْيَوْم

تأليف:

خلدون بن سليمان العسَّال

دار الإنتصار براني طباعت، اشاعت أور تقسيم

كراتشي-2025م

الطبعة الثانية

الزَّنْدَقَةُ وَالزَّنَادِقَةُ

مُنْذُ صَدْرِ الإِسْلاَمِ إِلَى الْيَوْمِ

تأليف:

خلدون بن سليمان العسَّال

دار الانصار برائے طباعت، اشاعت اور تقسيم

كراتشي-**2024**م.

e-mail: khaldounassal@gmail.com

المحتويات

توضيح هام

قبل البدء في قراءة هذا الكتاب

سيكون من المفيد جداً لكم قراءة هذا التوضيح. في الواقع، ستكتسبون من خلاله المعرفة اللازمة للتمييز بين مفهومين ــــ أو بالأحرى بين دينين مختلفين ــــ اختلط الأمر فيهما والتبس على الناس منذ قرون.

كما هو معروف، يطلِق المجتمع التركي على دين الإسلام اسم «Müslümanlık» (الْمُسْلُمَانِية). غير أن هاتين الديانتين متمايزتان تماماً عن بعضهما البعض؛ إذ لا تربط «الْمُسْلُمَانِيةَ» بالإسلام أي صلة. فالإسلام هو الدين الإلهي الوحيد والحقيقي الذي نُقل إلى البشرية عبر جميع الأنبياء. أما «الْمُسْلُمَانِية»، فهي دين توفيقي وُضع حوالي عام 1230 ميلادي في مدينة "بخارى" من قبل شخصين، ثم فُرض على المجتمع بواسطة عصابةٍ متخصصة. لقد ظلت هذه الحقيقة مخفيةً لقرون من قبل منظمات صوفية باطنية سرية، قُدمت للمجتمع على أنها هي الإسلام. وقد تم كشف هذا المخطط خلال الخمسين عاماً الماضية من قبل عدد من العلماء المتميزين بالشجاعة وعلو الكعب في العلوم.

وفي عهد السلطان سليم الثالث، ونتيجة لتطور العلاقات بين الدولة العثمانية وفرنسا، أثر هذا الخطأ أيضاً على المجتمع الفرنسي. وبناءً عليه (وعلى عكس الأوروبيين الآخرين)، اكتشف الفرنسيون الإسلام للأسف تحت مسمى «الْمُسْلُمَانِية»، تماماً كما فعل الأتراك. ونتيجة لهذا الخلط، يطلِق الفرنسيون على أتباع الإسلام صفة «musulman» (مسلم بالصيغة الفرنسية المشتقة)، تماماً كما يفعل الأتراك.

في هذا الكتاب الذي بين أيديكم، تم تسليط الضوء على هذا الخطأ ووضعت تحذيرات متكررة بشأنه. ذلك لأنه في المصدرين الأساسيين للإسلام، وهما القرآن الكريم والأحاديث النبوية، لا يرد هذان المصطلحان ولا لمرة واحدة!

إنَّ معتنق الإسلام ليس «musulman»، بل هو "مسلم" (Mouslim). لأن «الْمُسْلُمَانِية» ليست هي الإسلام إطلاقًا!

***

توطئة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفي، والصلاة والسلام على النبي المصطفي

وآله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفي...

وبعد؛ هدى لي أحد أصدقائي كتابًا في الماضي القريب، وقد نَدَبَ الإسلامُ إلى التهادي، فشكرتُ صنيعَهُ، لكنِّي ظننتُ أنَّ هذا الكتابَ كأيّ كتابٍ تَصَفَّحْتُهُ أو قرأتُهُ للهواية من قبلُ. فلما باشرتُ متابعةَ عباراته وكأنه يجذبني ويأخذ بِلُبِّي، ازددتُ تَعَلُّقًا به وإمْعَانًا فيما تلقَّيْتُ عَبْرَ سطوره من تفاصيلَ دقيقةٍ عن مفهوم "الزندقةِ". فَهَالَنِي ما ورد فيه ما ليس من السهل ضبطُهُ وتعداده من مؤامراتٍ خطيرةٍ، وجناياتٍ شَنِيعةٍ، وخيانات رهيبةٍ ارْتَكَبَهَا أفرادٌ وعصاباتٌ لإفْسَادِ تَعَالِيمِ الإسلامِ، وتحريفِ إرشاداتهِ العالميةِ، وتشويهِ قِيَمِهِ المقدَّسَةِ، وإثارةِ الْفِتَنِ بين المسلمين لتشتيتِ شملِهِمْ وتفريقِ صفوفِهم...

ذلك الكتابُ، هو هذا الذي بين يديكَ أيها القارئُ الكريم. ولا أشكُّ أنَّك إذا صَبَّرْتَ نفسَكَ على قراءةِ قِسطٍ من مُسْتَهَلِّهِ بتركيزٍ وتأمُّلٍ، سَيَجْذِبُكَ بقوةٍ ويُلِحُّ عليك المتابعةَ إلى آخرِ كلمةٍ منه كما جَذَبَنِي، فلن تنفكَّ عن التوغّلِ في قراءته، والانشغالِ بما فيهِ من العِبَرِ وعجائب الأخبارِ وأنت تمرُّ عَبْرَ سطورِهِ بأشكالٍ من مَكَائِدَ قد حَاكَهَا أعداءُ الإسلامِ (في الداخل) لاستئصال جذوره وطمس معالمه وإزالة آثاره... فستعلم عندئذٍ أنَّ النكبات التي تعرَّض لها الدين الإسلامِيُّ منذ أكثر من ألف سنةٍ على أيدي الأعداءِ من الخارجِ، إنما كان للزنادقةِ دورٌ كبير في تمهيد الطريق لهم من الداخل، وهم يمارسون نشاطاتِهِمْ بين صفوفِ الأمةِ إلى اليوم!

عنَّ لي أنْ أتَعَرَّفَ على شخصية المؤَلِّفِ وأنا أبحث عنه في بعضِ مجالسِ أهل العلمِ، وإذا بصديقٍ له من سكّان تلمسان (الجزائر)، لقيتُهُ في إحدى الجلسات، فزوّدني بمعلوماتٍ دقيقةٍ عنه أيام إقامته بـ"شَنقيط". أفادَ بأن بينهما علاقةٌ ودِّيَّةٌ. وهذه نبذة من حديثه، فقال:

"إن الشيخ خلدون شخصِيَّةٌ ماجد شريفٌ، غزير العلم والثقافة، له حظٌّ وافرٌ من شتى المعارفِ، وله إلمام بالبحث في التاريخ والديانات والمذاهب الفكريةِ بخاصَّةٍ، يمتاز ببلاغةٍ فائقةٍ، وكلامُهُ سَلِسٌ، وفصيحٌ، لا يشقُّ فهمُهُ على القارئِ السطحي.. له حضورٌ ومكانةٌ بين جموع الموحّدين الذين يكافحون البِدعَ والأباطيلَ..

إنَّ الشيخ خلدون بن سليمان العسَّال مغربيٌّ، وهو من أصلٍ أمازيغي من سكان مدينة (إيموزار) المشهورة بعسلها. أكمل دراسته كلَّها في المغرب، وحظيَ مستوىً عالِيًا في العلوم الشرعية من عقيدةٍ، وفقهٍ، وحديثٍ وأصولٍ، وعلوم القرآن... ثم سافر إلى فرنسا وأقام فيها قرابةَ خمس سنين، وتابع في هذه المدةِ محاضرات العلامَةِ الأستاذة الدكتور إيرانيه ملكوف **Irène Mélikoff** المشهورة ببحوثها حول نشأة الْفِرَقِ الصوفية والعلويةِ وتاريخهما وعقائدهما.. فتمكّن بذلك من الوقوفِ على كنه التيارات الدينية الباطلةِ والفجوة السحيقة بينها وبين الإسلام، كما تعلَّمَ اللغةَ التركيةَ أثناء دراسته في "معهد الدراسات التركية بجامعة ستراسبورغ"[1] ومن حسن حظه أنه أقام في ثكنات الطلبة الأتراك واحتكَّ بهم وشاطرهم في محاوراتهم في مختلف القضايا، فطور مستواه في اللغة التركية وأتقنها بجانب اللغة الفرنسية.

فلمّا عاد إلى بلده أخذ يبحث عن أعمال العلماءِ الذين انبروا للدعوة إلى التوحيدِ الخالص من شوائب الإشراك، ونذروا حياتهم لأجل صحوة الناشئة، وإرشادِ الناسِ إلى الإخلاصِ في الدين، ونَبْذِ البِدَعِ، وعدمِ الانخداعِ بالدجاجلةِ والصوفيةِ والمشعوذين. فاسْتَقْطَبَ اهتمامُ الشيخ خلدون على كُتُبِ ثُلَّةٍ من الأعلامِ الإصلاحيين كالشيخ بشير الإبراهيمي (1889–1965م.)، والشيخ عبد الحميد بن باديس (1889–1940م.)، والشيخ طاهر الجزائري (1852–1920م.)، والشيخ محب الدين الخطيب (1886–1969م.)، والشيخ أبي بكر جابر بن موسى الجزائري (1921–2018م.) وأمثالهم. وبينما هو منشغلٌ بمؤلّفات هؤلاء

[1] اسم المعهد باللغة الفرنسية: **Département d'études turques Universi de Strasbourg**"

الأعلام، عثر على أعمالٍ شخصيةٍ من علماء الأتراك من خلال تباحثه في المواقع الألكترونية، فاندهش لما في طياتها من معلوماتٍ نادرةٍ لم يُوَفَّقْ باحثٌ غيرُهُ لاستكشافِهَا. فظل يبحثُ عنه لِيَتَّصِلَ به في أقرب فرصةٍ، بعد أنْ تَعَرَّفَ على اسمه المسجَّلِ على مؤلَّفاته أنه: فريد الدين آيدن **Feriduddin AYDIN**، المعروفِ في الأوساط العربية باسم (فريد صلاح الهاشمي)، فعزم على مقابلتِهِ وسافر إلى إسطنبول عام 2017م. لأوَّل مرةٍ، فالتقى بالشيخ الهاشمي، ثم عاد إلى تونس، وتفرَّغَ لدراسة مؤلّفاته بعد اقتنائها من الشبكة العنكبوتية، وأكبَّ على دراستها فترةً إلى أنْ قام بتأليف هذا الكتاب اعتمادًا على حصيلته منها، فسماه: "الزندقة والزنادقة".

يعترفُ المؤلفُ الشيخ خلدون أنه إنما استطاعَ أنْ يجمعَ هذا القدرَ الوافرَ حولَ مفهومِ "الزندقةِ" وأخبارِ الزنادقةِ بعد أنْ درسَ كُتُبَ الشيخ فريد الهاشمي، وحظيَ من مكنوناتها التي لم يتمكّنْ من استكشافها أحد من الباحثينَ قبله. فلمّا فرغتُ من قراءته واستوعبتُ قسطًا وافرًا من معاني "الزندقةِ" وآثارِها على عقائد المسلمين ومكائد الزنادقةِ (النقشبنديّين بخاصّةٍ)، أثارني ذلك أنْ أقومَ بنقلهِ إلى اللغة الفرنسيةِ، عسى أنْ يعمَّ نفعُهُ بازديادِ قُرَّائهِ ممن لا يُتْقِنُونَ اللغةَ العربيةَ من أبناء الإسلام، ويكونَ في الوقتِ ذاتِهِ وسيلةً لانتباهِ الكُفَّارِ الذين يكرهون الإسلام لاعتقادِهم أنَّ "الزندقة" من طبائعهِ، والإسلامُ في الواقع براءٌ منها.. فتيسر لي بعون الله نقله إلى اللغة الفرنسيةِ في مدّةٍ وجيزةٍ، لكنّي لن أقومَ بنشره إلاَّ بعد الحصولِ على موافقةِ المؤلّفِ، (ولم أتمكن من الاتصال به حتى الآن)، لعل الله جلَّ وعلا أن يتجلى بتيسير أمري، وتحقيق هذه الأمنيةِ التي أسعى لها. وما عليَّ إلاَّ أن أترك الكتابَ بعد هذا التعريف به وبمؤلّفه للقراء الكرام، ليستفيضوا مما فيه من الْعِبَرِ، ويروا فيه رأيهم. ونرجو التوفيق للجميع.

هشام ولد صفوان الشنقيطِي

16 جمادى الآخرة 1446هـ.

17 ديسمبر 2024م.

مقدِّمةُ الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. والصلاة والسلام على الهادي البشير والسراج المنير محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فلمّا ازدادتْ نشاطاتُ الدجاجلةِ وغطرسةُ الزنادقةِ في السنين الأخيرةِ وتنامتْ مُحَاوَلاَتُهُمْ في إضلالِ الناسِ بأساليبَ ماكرةٍ، وَأَخَذَ أَبْنَاءُ الجهل يَتَحَدَّوْنَ العلماءَ، وَيَتَجَرَّئُونَ على تحريف تعاليم الإسلامِ وتمييع قِيَمِهِ مع انتشار الفتن التي مَهَّدتْ لهم الفرصةَ في أيَّامِنَا، دَفَعَتْنِي الحميَّةُ أنْ أتناولَ مفهومَ الزندقةِ على نطاقٍ واسِعٍ، وأفضحَ الزنادقةَ بكشفِ مساويهم، لتنبيه العقول على مخاطرهم، ودفاعًا عن العقيدة الحنيفةِ على وجه الخصوص.

استوقفتْني كثرةُ الدعاياتِ لنشر الطريقة النقشبنديةِ وترسيخها في نفوس الناسِ منذ غلبة الصوفية على العلمانيّين في تركيا، مع بداية القرن الحادي والعشرين الميلادي، فانتشرت الزندقةُ في أنحاء البلاد بصورةٍ غيرِ معتادةٍ، واستقوتْ الديانةُ الْمُسْلُمَانِيَّةُ (Müslümanlik)، وزادتْ قسوتُهَا في وجه الدين الحنيفِ، وهي دين الأتراك الذي اعتنقوه منذ قرونٍ لِرَدْعِ الإسلام، ولِكَيْلاَ يطغى على معتقداتهم فيَتَعَرَّبُوا ويخسروا لُغَتَهُمْ وَقَوْمِيَّتَهُمْ!

كنتُ قد حصلتُ على عددٍ من أعمال الشيخ فريد صلاح الهاشمي (المعروف باسمه المحلّيّ Feriduddin AYDIN في تركيا) منذ سنوات، فكان ذلك نقطة تحولٍ في حياتي الفكرية، لأنها لفتت انتباهي إلى التيَّارات المنحرفة والمنبثقة عن التصوف في تركيا بخاصَّة. ومما أثار انتباهي أنَّ هذه النشاطات كانت أكثر انتشارًا في المجتمع التركي. فحملني ذلك على أن أقومَ باستيعاب المسألةِ من خلال دراسةٍ شاملةٍ حول هذه

الظاهرة، فعقدتُ العزم على زيارة تركيا. وبالفعل زرتها في عام 2011م. كما زرت الشيخ فور وصولي إلى إسطنبول. فأدهشني بما أفاض عليَّ من معارفه الواسعة. وأيقنتُ بعد ذلك أنَّ نشاطات الصوفيةَ قد غيّرت وجهة الناسِ بصورةٍ جذرية في المعتقدات والتديُّنِ والتعبُّدِ وأثرت في حياتهم الاجتماعية بسلبياتها على مدى قرون. وعليه شمرتُ عن ساعد الجدِّ وأجريت بحثًا مكثفًا لسنوات.

فجمعتُ همّي أولاً للبحثِ عن المصادر التي لها علاقةٌ بالموضوع، فحصلتُ بعون الله على عددٍ كبيرٍ منها، كما هو مرتَّبٌ في قائمةِ المراجع تمهيدًا لإِعْدادِ الكتاب، وهذه المصادر بعضُها مقالاتٌ وجيزةٌ، وبعضُها عُجالاتٌ، وبعضُها، مؤَلَّفَاتٌ ضخمةٌ تختلفُ من حيثُ مضامينُها وأحجامُها بين دراساتٍ في التاريخِ، وبحوثٍ في الطبقاتِ والتراجُمِ، والعقيدةِ، والفلسفةِ... وأمَّا كُتُبُ التصوفِ منها، فأكثرُها قد صدر بأقلامِ الصوفيةِ وأغْلَبُهُمْ (من الأتراك والأكراد بخاصَّةٍ) مُعتَنِقون للطريقة النقشبندية، فلا يستطيع أحدٌ أن يُنْكِرَ نسبَتَها إلى مؤلِّفِيها مما يؤَكِّدُ على صحَّةِ الاستدلالِ بها. ساعدَتْني هذه المؤَلَّفَاتُ في البسطِ والتفصيل على نطاقٍ واسعٍ يستوعبُ أكبرَ قدرٍ من المعلومات عن مفهوم الزندقةِ. ولا أظنُّ أنَّ باحثًا غيري قد تمكّنَ مِنْ جمعِ هذا القدرِ من المصادرِ لإثباتِ أسماءِ الزنادقة الذين ظهروا منذ صدر الإسلام إلى اليوم. فَتَيَسَّرَ لي ذلك بتوفيقٍ من الله جلَّ وعلا، فَذَكَرْتُهُمْ مع شيءٍ من تراجمهم، وعددتُ من مثالبهم على سبيل التنبيه لألاَّ يَنْخَدِعَ القارئُ بهم فيقع في حبالهم!

هذا، فإني لم أكتفِ بمراجعةِ المصادرِ والبحثِ فيها فحسب، بل اهتممتُ في الوقتِ ذاتِهِ بحصيلةِ أهل العلم عن الزندقة والزنادقة، فقمتُ بجولةٍ إلى عديد من المُدُنِ والقرى في أنحاء تركيا، فيمَّمْتُ بوجهي نحو شرقها على ضوءِ ما زعم البعضُ أنَّ المنطقةَ الكرديةَ أكثر إيواءً للعلماء، لكنِّي اصْطَدَمْتُ بخيبةِ الأملِ كلَّما لقيتُ شخصًا يزعم أهلُ بِيئَتِهِ أنه "عَالِمٌ" وَجَدْتُهُ عاجزًا عن النطقِ بالعربية وهو يَتَلَعْسَمُ، ويُتَمْتِمُ بكلماتٍ كُلُّهَا لَحْنٌ، ثم علمتُ أنَّ المدارسَ الإسلاميةَ على الساحة التركية جميعَهَا تقتصرُ على تحفيظِ قواعدِ الصرفِ والنحوِ فحسبُ. أما الكتابةُ والمحادثةُ بالعربية فمُهْمَلَةٌ ومُعَطَّلَةٌ، لأنَّ الأتراكَ والأكرادَ يخشون أنْ يَنْسَوْا لُغَتَهُمْ، وَيَخْسَرُوا قَوْمِيَّتَهُمْ فَيَسْتَعْرِبُوا وَيَنْصَهِرُوا في بوتقة العربِ إنْ هُمْ تحدّثوا بالعربيةِ واعتادوها! وهذا الاعتقادُ، لا شكَّ يُعَدُّ ضربًا من ضروبِ الزندقة.

وَاصَلْتُ المسيرةَ فترةً من الزمن، فزرتُ عددًا من أهل الخبرة منهم، وقليلٌ ما هم!، فَنَهَلْتُ من رصيدهم وَتَجَارُبِهِمْ. غير أني لقيتُ دعِيًّا يستغل صفة العلم وهو من غير أهله، يُدعَى (مُلاَّ برهان) في ضاحيةٍ اسمها (تِلُّو) وهي من ضواحي مدينة سِعِرْد[2]، فاقشعرَّ جلدِي إذْ هو يقصُّ عَلَيَّ ألوانًا من الأباطِيلِ والخرافاتِ في تهَيُّجٍ وارتعاشٍ، فصَبَّرْتُ نفسِي عسى أنْ أحظى بأكبر قدرٍ من العبرةِ خلال حديثه (وقد طبع الله على قلبه وأعماه عن درك الحقِّ) وهو يُؤَلِّهُ شيوخَ النقشبندية، ويذكرُ ألوانًا من كراماتهم المزعومَةِ، ويعدُّهُمْ من كبار أولياء اللهِ (فحاشا لله أن يكون الزنادقة من أوليائه!)، هكذا لقيتُ زنديقًا وأنا في بدايةِ بحثي عن الزنادقةِ، فأخذتُ منه العبرةَ وتركتُهُ على حاله. ثم جمع الله بيني وبين عَدَدٍ قليلٍ من علماء الأكرادِ في ولايةِ (شَرْنَخْ)، ومدينةِ (تَطْوَان) و(نُورشين) التابعتين لولايةِ (بَدْلِيس)، فأفادوني بما لم أسمع قبلُ من خُزَعْبَلاَتِهِمْ وتُرَّهاتِهِمْ، ولهم الشكر الجزيل (وقد عَاهَدْتُهُمْ على أن لا أذكرَ أسماءهم أبدًا، بناءً على طلبهم). ومن حُسْنِ حَظِّي أنَّ أحدَهم أوصاني بمراجعةِ عالمٍ اشتهر بِسَعَةِ معارفهِ، وَغزارةِ ثقافتهِ، وكثرةِ تآليفهِ في مسائل التصوف والطرق الصوفية، وَبُحُوثِهِ بخاصةٍ حول الطريقةِ النقشبنديةِ. ألاَ وهو العلاَّمةُ الشيخ فريد بن الشيخ صلاح بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد الحزين الهاشمي الأسْعِرْدِي. كنتُ في الحقيقةِ على علمٍ بفضيلةِ الشيخ منذ سنين، وخاصّةً بعد أن حصلتُ على عددٍ من تآليفه ومقالاته في الفترة التي كنت أجمع المصادر لإعداد هذا الكتاب. ثم جمع الله بيني وبينه، فأفادني من معلوماته الواسعةِ، وأهداني عددًا من كُتُبِهِ. لكنِّي استغربتُ رأيَهُ في الزنادقةِ حين لمستُ منه كأنّه يحتاطُ في تكفيرهم سامحه الله، أو ربما فاتني الوقوف على حقيقة موقفه منهم والله أعلم.

أجريتُ مُعظمَ هذا البحثِ في تركيا لأسبابٍ، أهمُّها أني أقمتُ في هذا البلد منذ عام **2011**م. وصحبتُ جماعةً من المثقفين السوريّين الذين يُتقنون اللغةَ التركِيَّةَ ويمتازون باطلاَّعٍ واسعٍ ومعرفةٍ دقيقةٍ عن أحوالِ المجتمعِ التركيّ وظروفِ البلد، كما التقيتُ ببعضِ علمائِهم، فحصلتُ على معلوماتٍ مفيدةٍ، وتعرَّفتُ بفضلِهم على جوانبَ مهمةٍ من الحياة الاجتماعية والمعتقدات الدينيةِ، والقضايا السياسيةِ، كما اتصلتُ بعددٍ من قادة السلفيّين وهم مختلفون في الوجهات السياسيةِ وإن كانوا مُتَّفِقِينَ في أغلب مسائل العقيدة، فأفادوني أيضًا من حصيلة بحوثهم وتجارُبِهم. ولا يفوتني أن أذكرَ بهذه المناسبةِ أني حظيتُ بالحضورِ في بعضِ

[2] قد ورد اسمُ هذه المدينة في المصادر القديمة على شكل (أَسْعِرْدَ)

نوادي الصوفيةِ، واتصلتُ ببعضِ الزنادقةِ منهم، فَكَلَّمْتُهُمْ بكلِّ حيطةٍ، فحصلتُ على معلوماتٍ تؤيّدُ ما وجدتُها في كتبهم ومقالاتهم كما سيأتي شرحها في فصولها من هذا البحث.

لقد كَلَّفَنِي القيامُ بهذا العملِ الهامّ، فأفنيتُ فيه رِدحاً من عمري، وأرَّقني وأنا أطارد من وراء المصادر من جانبٍ، وأتصل من جانب آخر بشخصياتٍ يحسبُ لهم الناسُ ألف حساب ويحذرون لعنتهم، إلى أن فرغتُ بوضع آخر كلمةٍ منه، فشكرتُ الله على ما عافاني ووقاني من كلِّ ما اعترض سبيلي من المخاطر أيامَ تأليفي لهذا الكتاب. فقد أودعتُهُ في ذمةِ علماءِ أُمَّتِنَا أنْ يَتَلَقَّوْهُ باهتمامٍ، ويحفظوهُ من عسفِ الزنادقةِ وَجَوْرِهِمْ. عسى الله أن يجعل له أثرًا طيبًّا في نفوس الدعاةِ والمرشدينَ في الذبِّ عن الدين الحنيفِ، وتنبيه الناسِ على مهالك الزندقةِ.

وأخيرًا، أتقدم بالشكر الجزيل للصديق الكريم السيد بختيار محبوب زرابادي على قيامه بتنقيح المتن وتهذيبه، كما أشكر مدير دار الأنصار الأخ إبراهيم نياز وفريق عمله، على جهودهم وتعاونهم في طباعة الكتاب وإخراجه، وأسأل الرَّبَّ العظيمَ أنْ يشمل بغفرانه كل من ساهم في نشر هذا العملِ وقام بتنبيه العباد على خطورةِ الزندقة والزنادقة الذين تآمروا على الدين الحنيف وعملوا على إفساد عقيدة المسلمين، خزلهم الله وسلّطَ بعضهم على بعضٍ، ونصر أهل التوحيد عليهم، ولله الحمد أولاً وآخرًا.

خلدون بن سليمان العسَّال

باكستان–كراتشي؛ 05 محرم 1445هـ.

22 يوليو 2023م.

تعريفٌ بمفهومِ الزندقةِ:

إنَّ كَلِمَةَ "الزَّنْدَقَةِ" دَخِيلَةٌ، لاَ نَجِدُ لَهَا ذِكْرًا فِي كِتَابِ اللهِ وَلاَ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ. يَغْلِبُ أنَّ مَفْهُومَ الْكُفْرِ لَمَّا ازْدَادَ غُمُوضًا، وَتَطَوَّرَتْ مَقَاصِدُ الإلْحَادِ فِي الْمُجْتَمَعِ الجَدِيدِ، وَتَنَوَّعَتْ أشكالُ الإشراكِ بالله بَعْدَ عَصْرِ السَّلَفِ الصَّالِحِ وعقب الْفُتُوحَاتِ التي أسفرتْ عن دُخُولِ كثير من الْفِئَاتِ الْكَافِرَةِ إِلَىَ حَظِيرَةِ الإسْلاَمِ، لَجَأَ الْعُلَمَاءُ إِلَىَ اسْتِعْمَالِ هَذِهِ التَّسْمِيَةِ فِي التَّعْبِيرِ عَنْ بَعْضِ أَنْوَاعِ الْكُفْرِ[3] لِغُمُوضِهِ وَالْتِبَاسِهِ عَلى غَيْرِ أَهْلِ الاخْتِصَاصِ وَالْمَعْرِفَةِ. وَلَمَّا كَانَ قصدُ الْعُلَمَاءِ مِنْ إطْلاَقِ هَذَا الْمُصْطَلَحِ عَلىَ بَعْضِ أنْوَاعِ الْكُفْرِ – عَلىَ سَبِيلِ التَّمْييزِ بَيْنَ دَقَائِقِ مَسَائِلِ الإلْحَادِ، حَتىَّ لاَ يَتَعَرَّضَ الْمُؤْمِنُ الجَاهِلُ لِخَطَرِ مَا يَنْزَعُ الإيمانَ من صدرِهِ ويُقْصِيهِ مِنْ ساحةِ الإسْلاَمِ –، جَازَتْ هَذِهِ التَّسْمِيَةُ بَلْ حَسُنَتْ لِمَا فِيهَا مِنَ التَّحْذِيرِ عَمَّا يُؤَدِّي إِلىَ سُوءِ الْخَاتِمَةِ. وَلاَ يَخْفَى أنَّ التّطَوُّرَ مِنْ طَبِيعَةِ الْعُلُومِ. فَقَدْ تَتَأَكَّدُ الْحَاجَةُ إِلىَ اسْتِعْمَالِ مُصْطَلَحَاتٍ جَدِيدَةٍ بِاخْتِلاَفِ الظُّرُوفِ وَالْمَفَاهِيمِ وَالْعَقْلِيَّاتِ وَالأَحْدَاثِ مِنْ مَرْحَلَةٍ إِلىَ أُخْرَى، وَذَلِكَ لِتَقْرِيبِ الْحَقَائِقِ إِلىَ الْعُقُولِ. فَقَدْ وَرَدَتْ مُصْطَلَحَاتٌ جَدِيدَةٌ فِي مَصَادِرِ الْفِقْهِ وِالْحَدِيثِ وَالتَّفْسِيرِ، لاَ نَجِدُ لَهَا ذِكْرًا بَيْنَ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ. مِثْلَ كَلِمَةِ »الْمُبَاحِ«، وَهِيَ مِنْ مُصْطَلَحَاتِ الْفِقْهِ؛ وَكَلِمَةِ »الرِّوَايَةِ«، وَهِيَ مِنْ مُصْطَلَحَاتِ الْحَدِيثِ؛ وَكَلِمَةِ »الإِدْغَامِ«، وَهِيَ مِنْ مُصْطَلَحَاتِ عُلُومِ الْقُرْآنِ. وَيُرَجَّحُ أنَّ »الزَّنْدَقَةَ« كَلِمَةٌ مَأْخُوذَةٌ مِنَ اللُّغَةِ الفَارِسِيَّةِ، ومُحَرَّفَةٌ مِنْ تَعْبِيرِ »زَنْدَه كَرْدْ«، كَانَ مُصْطَلَحًا فِي اللُّغة الفَارِسِيَّةِ القَدِيمَةِ. قِيلَ إِنَّ الزَّرَادَشْتِيِّينَ الْفُرْسَ لَمَّا اصْطَدَمُوا بِأَعْمَالِ التَّحْرِيفِ وَالتَّأْوِيلِ فِي كِتَابِهِمْ الَّذِي كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِهِ قَبْلَ الإِسْلاَمِ، وَهُوَ

[3] إنَّ الْكُفْرَ خَمْسُ شُعَبٍ وَفْقَ مَا ظَهَرَ لَنَا بِالاِسْتِقْرَاءِ مِنَ الْكِتَابِ والسُّنَّةِ، وَالْمَصَادِرِ الْمُؤَلَّفَةِ فِي ضَوْئِهِمَا. وَهَذَا تَرْتِيبُهَا بِاخْتِصَارٍ شَدِيدٍ:

1) الشِّرْكُ (أو الإِشْرَاكُ بِاللهِ)، وله أشكالٌ مختلفةٌ لا يَسَعُ المقامُ لِتَفَاصِيلِهَا: وَمَنْ كان على هذا الاعتقاد يُطْلَقُ عليه صفةُ (الْمُشْرِكِ)

2) الإِلْحَادُ: ومن كان على هذا الاعتقاد يُطْلَقُ عليه صفة (الْمُلْحِدِ)

3) النِّفَاقُ: ومن كان على هذا الاعتقاد يُطْلَقُ عليه صفة (المُنَافِقِ)

4) الزَّنْدَقَةُ: ومن كان على هذا الاعتقاد يُطْلَقُ عليه صفة (الزِّنْدِيق)

5) الرِّدَّةُ (أو الارْتِدَادُ): ومن ارتدَّ عن الاسلام –عياذًا بالله!– يُطْلَقُ عليه صفة (الْمُرْتَدِّ)

الْكِتَابُ الْمُسَمىَّ (آوَسْتَا)، أَطْلَقُوا عَلَى مُحَرِّفِيهِ صِفَةَ »زَنْدَه كَرْدْ«، تَشْنِيعًا لَهُمْ وَتَعْبِيرًا عَنْ كُفْرِهِمْ بِقِيَامِ السَّاعَةِ، كَمَا أَعْلَنُوا أَنَّ الْمَانَوِيِّينَ وَالْمَزْدَكِيِّينَ زَنَادِقَةٌ، خَارِجُونَ عَلَى الدِّيَانَةِ الزَّرَادَشْتِيَّةِ. ثُمَّ اصْطَلَحَ عُلَمَاءُ الإِسْلاَمِ هَذِهِ الْكَلِمَةَ وَأَطْلَقُوهَا عَلَى كُلِّ مَنْ يُفْسِدُ الدِّينَ الْحَنِيفَ وَيَدُسُّ فِي تَعَالِيمِهِ مَا يَتَعَارَضُ مَعَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. وَيَغْلِبُ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بِنَ الْمُقَفَّعِ هُوَ مِنْ أَوَائِلِ الَّذِينَ اتَّهَمَهُمُ الْعُلَمَاءُ بِالزَّنْدَقَةِ، وَقُتِلَ عَلَى أَنَّهُ زِندِيقٌ يُظْهِرُ الإِسْلاَمَ وَيُبْطِنُ الْكُفْرَ. فَتَكُونُ الزَّنْدَقَةُ بِهَذَا الْمَعْنَى تَسْمِيَةً أُخْرَى لِلنِّفَاقِ. إلاَّ أنَّ الحُكْمَ الإسلاَمِيَّ لَمَّا أَبَاحَ لِجَمِيعِ فِئَاتِ الْكُفَّارِ مِنَ الْكِتَابيِيّنَ وَالْمَجُوسِ أَنْ يُمَارِسُوا حُرِّيَتَهُمُ الدِّينِيَّةَ بِتَمَامِهَا فِي الْوَطَنِ الإِسْلاَمِيِّ، وَلَمْ يُؤَاخِذِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا يُبطِنُونَ مِنَ الْكُفْرِ فِي اعْتِقَادِهِمْ، وَالْمَكْرِ فِي أَعْمَالِهِمْ، بَلْ نَظَرَ دَائِمًا إِلَى ظَاهِرِهِمْ، وَجَعَلَهُمْ فِي عِدَادِ الْمُسْلِمِينَ وفقًا لِقولِهِ صلَى اللهِ عليه وسلم: "إِنِّ لَمْ أُؤْمَرْ أَنْ أُنَقِّبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلاَ أَشُقَّ بُطُونَهُم". وقال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا"[4]. وَقَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: "إِنَّمَا نَحْكُمُ بِالظَّاهِرِ وَاللهُ يَتَوَلَّى السَّرَائِرَ." مُنْطَلِقِينَ مِنَ الْحَدِيثِ: "عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، وَأَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْ؛ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ"[5]. وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، يَقُولُ: "إِنَّ نَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالْوَحْيِ فِي عَهْدِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم، وَإِنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمُ الْآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا أَمَّنَّاهُ وَقَرَّبْنَاهُ، وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ، اللَّهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا شَرًّا لَمْ نَأْمَنْهُ وَلَمْ نُصَدِّقْهُ، وَإِنْ قَالَ: إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ"[6]

إِذًا لاَبُدَّ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ حَافِزٌ مُلِحٌّ آخَرُ دَعى إِلَى مَقْتَلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُقَفّعِ. وَيُرَجَّحُ أَنْ يَكُونَ هَذَا السَّبَبُ، هُوَ قِيَامُهُ بِحِيَاكَةِ الدَّسَائِسِ لِضَرْبِ الإِسْلاَمِ مِنْ قَلْبِهِ؛ أَيْ مُحَاوَلَتُهُ لِتَحْرِيفِ تَعَالِيمِ الدِّينِ الْحَنِيفِ. فَتَكُونُ الزَّنْدَقَةُ بِهَذَا الْمَعْنَى تَسْمِيَةً خَاصَّةً وَجَدِيَدةً اصطلحها العلماءُ للتعبير عن خطَرٍ جَدِيدٍ لَمْ يَعْهَدْهُ الإِسْلاَمُ

---

[4] (النساء/94)

[5] صحيح البخاري» (6/ 167)

[6] خلق أفعال العباد للبخاري (ص93)

فِي عَصْرِ السَّلَفِ الصَّالِحِ. أَلاَ وَهُوَ خَطَرُ التَّحْرِيفِ. وَمِنْ هَذَا الْمُنْطَلَقِ، يُستحسَنُ هنا أَنْ نَقُولَ بِإيجاز؛ إنَّ الزَّنْدَقَةَ هِيَ نَوْعٌ جَدِيدٌ مِنَ الإِلْحَادِ، لَمْ تَكُنِ الظُّرُوفُ مُوَاتِيَةً لِظُهُورِ هَذَا الضَّرْبِ مِنَ الْكُفْرِ فِي عَصْرِ السَّلَفِ الصَّالِحِ إِلاَّ بَعْدَ الْفُتُوحَاتِ وَاعْتِنَاقِ جَمَاعَاتٍ غَفِيرَةٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ دِينَ الإِسْلاَمِ مَكْرًا، فَأَرَادَ صَنَادِيدُهُمْ أَنْ يَعْبَثُوا بِالدِّينِ الْحَنِيفِ ثَأْرًا لِمُعْتَقَدَاتِهِمِ الّتي تظاهروا بِأَنّهم حلُّوا رِبْقَتَهَا من أعناقِهم نفاقًا، وانتقامًا من المسلمين الذين ضموا أَرَاضِيَهُمْ إلى الوطن الإسلامي. وَقَدْ تُطْلَقُ الزَّنْدَقَةُ عَلَى كُلِّ مُحَاوَلَةٍ يَتَغَيَّرُ بِهَا مَفْهُومٌ مِنْ مَفَاهِيمِ الإِيمَانِ، وَيَفْقِدُ بِهَا مِنْ أَصَالَتِهِ وَحَقِيقَتِهِ. وَيَتَحَرَّفُ بِدَوَافِعِهَا لَفْظُهُ أَوْ مَعْنَاهُ، سَوَاءٌ بِالتَّأْوِيلِ الْفَاسِدِ، أو بالتعطيل الخانق، أَوْ بِالتَّزْوِيرِ الْمَاكِرِ، أو بزيادة شيءٍ في تعاليم الإسلامِ، أو بإلغاءِ شيءٍ منه. وَلِهَذَا، تَدْخُلُ جَمِيعُ الْفِرَقِ الضَّالَّةِ فِي عِدَادِ الزَّنَادِقَةِ؛ مِثْلُ الدُّرْزِيَّةِ، وَالنُّصَيْرِيَّةِ، وَالإِسْمَاعِيلِيَّةِ، وَالْبَابِيَّةِ، وَالْبَهَائِيَّةِ، وَالْقَادْيَانِيَّةِ، والْمُسْلُمَانِيَّةِ، وَالأَتَاتُرْكِيَّةِ (وَهِيَ الدِّينُ الْوَطَنِيُّ التُّرْكِيُّ الْجَدِيدُ، الَّذِي أَسَّسَهُ الكماليُّونَ الْيَهُودُ الدُّنْمَا عام 1939م. وَاعْتَنَقَهُ جُمْهُورٌ مِنَ الأَتْرَاكِ، خَلَعُوا بِذَلِكَ رِبقَةَ الإِسْلاَمِ مِنْ أَعْنَاقِهِمْ، على أَنَّهُ دِينُ الْعَرَبِ). وَكَثِيرٌ مِنَ الصُّوفِيَّةِ زَنَادِقَةٌ وَكُفَّارٌ خَارِجُونَ عَنِ الإِسْلاَمِ بِاتِّفَاقِ عُلَمَاءِ الأُمَّةِ..

وهنا، وبهذه المناسبةِ؛ يجب التأكيدُ على التزامِ جانبِ الحيطةِ في انتقادِ أيِّ فكرةٍ أو فلسفةٍ أو عقيدةٍ؛ أنْ لا يُقحِمَ الدارسُ نَفْسَهُ في أيِّ تأويلٍ لِنصٍّ يتناوله، إلاَّ بطريقِ الاستدلالِ الموضوعِيِّ والمنهجِيِّ، وعن رويةٍ وتَثَبُّتٍ بعيدًا عن العاطفيَّةِ، وبشرطِ أنْ يكون هو من أهلِ الاختصاص. وهذا مع الحذرِ من التَّحَامُلِ والطَّعْنِ وَالإِنْكَارِ... لأنّ قواعدَ العلمِ تقومُ على الْحِيَادِ التَّامّ، لاَ مجال فيها للكراهيةِ ولا لِلْمحاباةِ.

وبناءً على هذا الأساسِ فقد انْتَهَجْتُ الاعتمادَ على الأدِلَّةِ في إثباتِ الزندقةِ، وإذا عَزَوْتُهَا إلى أيِّ شَخْصِيَّةٍ بِعَيْنِهِ، قُمْتُ بِالْبَرْهَنَةِ على ذلك إمَّا بنقل قولٍ من أقوالِهِ الذي يَتَعَارَضُ مع نُصُوصِ الكتابِ والسنةِ تَعَارُضًا صَرِيحًا، مع الإشارةِ إلى مصدرِه؛ أو نقلتُ آراءَ بعضِ العلماءِ الثقاةِ المشهورين في أوساطِ الأمةِ، كدليلٍ على ضلالِ الزنديق كائنًا مَنْ كان، وخُرُوجِهِ على تعاليمِ الإسلام. فإذا قلتُ "فلانٌ مُتَّهَمٌ بالزندقةِ" وما أشبه ذلك، فقد وَثَّقْتُهُ بالدلائلِ، وليس بمجردِ ادِّعَاءٍ أو وَهْمٍ أو تَأْثِيمٍ مقصودٍ. مع علمي بحرمة ذلك.

***

الزَّنْدَقَةُ شُعبةٌ من الْكُفرِ، وهو خمسُ شُعَبٍ: الإشراكُ بالله، والإلحادُ، والنفاقُ، والزَّنْدَقَةُ، والردةُ. فقد تناول علماءُ الإسلامِ هذه المفاهيمَ في مؤلَّفاتهم، وشرحوها كلٌّ بأسلوبه الخاصّ، ولكنهم مُتَّفِقُونَ في أصل المسألةِ

ومتقاربون في تعريف الزَّندقةِ، ولا مشاحةَ في اختلافاتهم الطفيفةِ وألفاظهم المتنوّعةِ في بيانها والتنبيه على خطورتها.

تظهرُ الزندقةُ في أشكالٍ مختلفةٍ ولها أسبابٌ مختلفةٍ؛ منها التَّصَوُّفُ، ومنها العنصريةُ، ومنها الفلسفةُ، ومنها الإلحادُ المحضُ، ومنها الانتقامُ، ومنها الحزبيةُ، ومنها الرفضُ المجوسِيُّ واستغلالُ محبة أهلِ بيت النبي صلى الله عليه وسلم، ومنها الانتماءُ إلى السياسات الجائرة، والتَّبَنِّي لِشَكْلٍ من أشكالِهَا الطاغوتيةِ؛كالديمقراطيةِ، والمطلقيةِ، والمشروطية البرلمانية وغيرها.

إن البحوث التاريخيةَ حول تيار الزندقة تشير إلى أن هذا الانحراف نشأ لأوَّل مَرَّةٍ بقصد هدم الدولة الإسلاميةِ. والدلائل على أنَّ كثيرًا من الذين انضموا إلى المجتمع الإسلامي عقب الفتوحات، والذين أعلنوا إسلامهم بحد السيف على وجه الخصوص، كانوا يلجئون إلى هذه الطريقة بغرض الانتقام لأرضهم التي فتحتها الجيوش الإسلامية. وقد كان بعضهم لم يرغبوا في خلع رِبقةِ دياناتهم القديمة من أعناقهم، فظلوا يمارسونها سرًا.

وقد ثبت أنه في الفترة المبكرة من التاريخ الإسلامي كانت الزندقةُ تَدُبُّ في الضمائر بطريقتين مختلفتين. فكانت طائفةٌ تُبطن المعتقدات الزرادشتية والمانوية سرًا، ويُظهِرُ الإسلامَ. وكان الحُكَّامُ العباسيون الأوائل يلاحقون هذه الطائفةَ بصرامة، ويعاقبون مَنْ يتمُّ القبضُ عليه بقتلِهِ. بينما كانت طائفةٌ أخرى تتصرف بأساليب أكثر خبثًا. وقد اشتهر أفرادُ هذه الطائفةِ الثانيةِ باسم "الزُاهَّادِ" في عهد السلف الصالح، فنالوا من العامَّةِ ومن الحُكَّامِ احترامًا بالغًا. وكان مُعظمُ الزنادقةِ من كلَي الطائفتين من أصولٍ فارسيَّةٍ يحاولون الانتقامَ للدولة الساسانية التي تم القضاءُ عليها أيامَ الفتوحات الإسلامية.

ومن أشكال الزندقة (في العقيدة): "الجهميةُ" التي تتمثَّلُ في العقيدةِ الجبرية، ونفيِ الصفاتِ الإلهيةِ وأسمائِهِ تعالى الحُسْنَى. لا تزال جماعاتٌ من الصوفية في عصرِنا تتبنَّى بعضَ أفكارِ الجهميةِ القديمةِ وإن لم تَنْتَمِ إليها اسمًا ولا مذهبًا، وإنما تلتقي معهم في بعض ما كانوا يذهبون إليه فكرًا وعقيدةً، فيلتقون معهم في عقيدةِ "وحدةِ الوجودِ"، فلا يصفون الله سبحانه بالصفات التي جاء ذكرها في القرآن الكريم. ويجب هنا التنبيه على أنَّ عقيدةَ الإرجاءِ لا تُعَدُّ من الزندقةِ وإن كانت مخالفةً للعقيدة القُرآنية، لأن الإيمان عندهم لا يعدو

عن التصديق والقول، ولا يزيد ولا ينقص، ولا دخل للطاعة والمعصية في مسمى الإيمان. فلم يُكَفِّرْ العلماءُ المرجئةَ، بل خَطَّئُوهُمْ وأنكروا عليهم فحسبُ.

ومن أشكال الزندقة في عصرِنا وفي بلدنا (تركيا): "الأتاتُرْكِيَّةُ" أو "الكماليةُ" نسبةً إلى مصطفي كمال، وهي ديانةٌ وَثَنِيَّةٌ خُرافيةٌ اختلقها رهطٌ من يهود سالونيك في أنقره فورَ هلاك مصطفي كمال، فاتخذوه صنمًا ورمزًا لهذه الديانة الشيطانية، وبَنَوْا صرحًا عملاقًا باسمه ووضعوا جثمانَهُ المحَنَّطَ في تابوتٍ وسطَ هذا الصرحِ، يُيَمِّمُون وجوههم نحوه للتعبُّدِ أثناءَ احتفالاتهم.

انتشرت هذه الديانةُ بين أهل العمى من الأتراك على أثر الدعايات والتضليل وسيطروا على الدولة التركية قرابةَ عصرٍ، وكان الحربُ سجالاً بينهم وبين النَّقْشَبَنْدِيِّينَ، فاشتدَّ الصراعُ بين الطرفين في العقد الأخير من القرن المنصرم (1900م.)، إلى أن تمكّن النَّقْشَبَنْدِيّونَ من الوثوب على السلطةِ بقيادةِ رجب طيب أردوغان في مستهل القرن الحادي والعشرين الميلادي، وقبضوا على زمام الحكم بِيَدٍ من الحديدِ. فدخلت تركيا بذلك تحت حُكْمِ طائفةٍ من زنادقةِ الصوفيةِ النَّقْشَبَنْدِيِّينَ بعد أن كانت تسيطر عليها في الماضي القريب طائفةٌ من الزنادقة الكماليّين (الأَتَاتُرْكيّين). لكن الصوفيةَ انشقوا إلى جبهتين متناحرتين: جبهةٍ قَادَهَا رجب طيب أردوغان، والأخرى تَوَلاَّهَا رجلٌ مشعوذٌ يُدْعَى فتح الله گُولَنْ الذي تورط في إثارة إنقلابٍ عسكرِي، أراد أن يُطيح بالنظام الأردغاني، لكنه باء بفشلٍ وهزيمةٍ منكرةٍ، فَقُبِضَ على معظمِ بطانته، وحُكِمَ عليهم بعقوباتٍ شديدةٍ، ومات گُولَنْ في الولايات المتحدةِ يومَ 20 أكتوبر 2024م. وهو يتعذّبُ حزنًا وكمدًا.

***

ومن أشكال الزندقة: تشويهُ المصطلحاتِ الإسلاميةِ، واستعمالُ المصطلحاتِ الكُفْرِيَّةِ للقضاءِ على المفاهيمِ الشرعيةِ بطريقةٍ ماكرةٍ، كإطلاقِ عنوانِ "الدكتور" و"بروفسور" على الأساتذة الجامعيين وهي بدعةٌ منكرةٌ وإجحافٌ ومغالطةٌ أذَاعَتْهَا الزنادقةُ وأكسبوها شهرةً، وزينوها في عقولِ أهل التقليد المحضِ المعتنقين لعادات الغربيّين، والمنبهرين بملة الكفر، وذلك استهانةً بعنوانِ "الْعَالِمِ"، ومحاولةً لِتَغْيِيبِهِ وَإِخْفَائِهِ وَمَحْوِهِ من الأذهانِ، لِلْحَطِّ من شأن العُلَمَاءِ وصَدِّ وجوهِ الناسِ عنهم.

ومن أشكال الزندقة أيضًا: "الإرهابيةُ" تحت غطاءِ الجهادِ، كما حدثت في عصرنا كمشروعٍ أَسَّسَهُ وَدَبَّرَهُ الحلفُ الصهيونيُّ– المسيحِيُّ بالتعاون مع الوهابيّين والزنادقة الخليجيين، لاستخدامِ الجهلاءِ من الشباب

الغُفَّلِ في الحروبِ الطائفيةِ والمذهبيةِ، وتأجيج الخلافِ القديم بين الرافضةِ وأدعياءِ السنةِ، وإشعالِ نيران الفتنةِ بين الوهابيين والإخوانيين والأتراكِ (السُّنِّيَّانيّين)، بهدف إبادة الفلسطينيين واحتلال منطقة الهلال الخصيب.

***

اختلفت الزندقةُ على مرّ التاريخ الإسلاميِّ من حيث محتوياتُها، وفكريَّاتُها، ومقولاتُها، وأهدافُها... فتَبَنَّى الزنادِقَةُ أساليبَ خاصّةً ومناهج خطيرةً في نشرِ كفرياتهم.. تظهر للمتأمّلِ الحاذِقِ من خلالِ البحث في حِيَلِهِمْ وَمُرَاوَغَاتِهِمْ وَمخَادَعَاتِهِمْ وَمُغَالَطَاتِهِمْ، أنهم يتناولون مصطلحات المسلمين ويُمَزِّجُونَهَا بمصطلحات الكفارِ فَيُحَرِّفُونَهَا بتأويلاتٍ ماكرةٍ، ويصوّغونها على حسب أَهْوَائِهِمْ، يُرْبِكُونَ بها عقولَ القطعانِ السُّذَّجِ، ويستميلون الدهماءَ، فتتهافت عليهم حشودٌ من الهمجِ والرعاعِ، يزدادون بها شهرةً وأنصارًا، فَيَتَحَدَّوْنَ القلةَ المؤمنةَ من أهلِ التوحيدِ والإيمانِ الخالصِ، ويُهَدِّدُونَهُمْ، ويضطهدونهم، ويهاجمون علماءَ المسلمين، وأحيانًا يَنْقَضُّون عليهم ويسحقونهم، كما يفعله زنادقةُ الصوفيةِ البُنطُسِيّين من جماعة "مَذْمُومْ أفندي" الذي اتخذته طائفةٌ من النقشبنديين صَنَمًا في تركيا.

***

الزنادقة الأوَّلُون:

وَرَدَ في التُّرَاثِ أنَّ أوَّلَ ظهورِ الزنادقة كان في أيَّامِ الأمويّين، ثم كثر عددهم في أيام العبَّاسيِّين، يقول محمد بن جرير الطبري رحمه الله: إنَّ المهدي قال لموسى (وهو ابنه الهادي) يومًا وقد قُدِّمَ إليه زنديق فاستتابه فأبى أن يتوب، فضرب عنقه وأمر بصلبه: يا بُنَيَّ إنْ صَارَ لَكَ هذا الأمرُ فتجرَّدْ لهذه العِصابةِ (يعني أصحابَ مَانِي)؛ فإنهم فرقةٌ تدعو الناسَ إلى ظاهرٍ حسنٍ كاجتناب الفواحشِ، والزُّهْدِ في الدنيا، والعملِ للآخرةِ، ثم تُخْرِجُهَا إلى تحريمِ اللَّحْمِ، ومسِّ الماءِ الطهورِ، وتركِ قتلِ الهَوامِّ تَحَرُّجًا وَتَحَوُّبًا، ثم تُخْرِجُهَا من هذا إلى عبادة اثنين أحدهما النور، والآخر الظلمةُ، ثم تُبِيحُ بعد هذا نكاحَ الأَخَوَاتِ وَالْبَنَاتِ، والاغتسالَ بالبولِ، وسَرِقَةِ الأطفالِ من الطرق لِتُنْقِذَهُمْ من ضلالِ الظُّلْمَةِ إلى هدايةِ النور، فارفعْ فيها الخَشَبَ، وجَرِّدْ فيها السيفَ، وَتَقَرَّبْ بِأَمْرِهَا إلى اللهِ لا شريك له؛ فإني رأيتُ جَدَّكَ العباسَ في المنامِ قَلَّدَنِي بِسَيْفِي، وأَمَرَنِي بِقَتْلِ أصْحَاب الاثْنِينِ."[7]

أول مَن عُرِفَ بالزندقة في العهد الإسلامِيّ: هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، الذي كان مُنْهَمِكًا في الفسقِ والفجورِ، ولا يعبأ بشيءٍ من تعاليم الإسلام. وفي ذلك أدلةٌ قد أثبتتْها الحقائقُ التاريخيةُ، ومن أشدِّها مُنْكرًا وَغُلُوًّا: أنه كاد أن يطير فرحًا عندما بلغه مَقْتَلُ سبطِ الرسولِ صلى الله عليه وسلم الحسينِ بْنِ عليّ ابْنِ أبي طالبٍ وسبعين رجلاً من أهل بيته وأقاربه. فباح بما في ضميره: "أنه انتقم لأشياخ بدرٍ"؛ يقصد عُتْبَةَ بْنَ ربيعةَ (جدَّ أبيهِ) ومَن قُتِلَ معه، وهم: شيبةُ بْنُ رَبِيعَةَ، والوليدُ بْنُ عُتبةَ بْنُ رَبِيعَةَ، وحَنْظَلَةُ بْنُ أبي سفيان.. سماهم يزيدُ بـ"أشياخِ بدرٍ" على سبيل الشماتة والاستهزاءِ بالبدريّين من أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وسلَّمَ، وذلك تَشَفِّيًا مِنْ غَلِيلِهِ وتعبيرًا عن كراهيته للأبطالِ الذين قتلوهم (وهم بالتحديد علي ابن أبي طالب، وحمزةُ بن عبد المطلب، وعبيدة بن الحارث بن المطلب).

ومن زنادقة الأمويّين أيضًا الوليدُ بْنُ يزيد (الحادي عشر من ملوك بني أمية)، ثم مروان بن محمد (الرابع عشر، وآخر ملوك الأمويين)، أما الوليد فإنه كان زنديقًا، نَكَحَ أمّهاتِ أولاد أبيه. ولَمَّا كَثُرَ فِسْقُهُ خرج

[7] تاريخ الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري (8/ 220)

عليه الناسُ قاطبةً، واجتمع أهلُ دمشقَ على خلعِهِ وقتلِهِ، ففعلوا ونصبوا ابْنَ عَمِّهِ يزيدَ بْنَ الوليدِ بْنِ عبدِ الْمَلِك. وأمَّا مروانُ بْنُ محمدٍ، فإنه تَأَثَّرَ بِمُؤَدِّبِهِ الْجَعْدِ بْنِ دِرْهَم[8] الذي كان زِنْدِيقًا فاسدَ العقيدةِ، مُضْطَرِبَ الرَّأْيِ، وَفاحِشَ اللِّسَانِ، وهو أَوَّلُ مَنْ صَرَّحَ بالإِنْكَارِ على القرآن، والرَّدِّ عَلَيْهِ، وَجَحَدَ أشياءَ مما فيه. وأضافَ إلى القولِ بخلقِهِ: "أنَّ فَصَاحَتَهُ غَيْرُ مُعْجِزَةٍ، وأنَّ الناسَ يقدرون على مِثْلِهَا وعلى أحسنَ مِنْهَا.." ولم يقلْ بذلك أحدٌ قَبْلَهُ، ولاَ فَشَتْ الْمَقَالَةُ بِخَلْقِ القرآنِ إلاَّ مِنْ بَعْدِهِ.

لم تكن الزندقةُ في الواقعِ مُنْحَصِرَةً في هؤلاء الثلاثةِ من ملوك الأمويين فَحَسْبُ، بل إنَّ مُلُوكَ بني أمية (ما عدا عمر بن عبد العزيز رحمه الله) كانوا عمومًا نازعين إلى الانحرافِ والطغيان، فتجاوزوهما إلى حدود الزندقة والإلحادِ.[9] يأتي على رأسهم معاويةُ بْنُ أبي سفيان. والدلائل على ذلك أكثر من أن تُحصى. منها:

* أنه تجاهل ما تَعَرَّضَ له الخليفةُ عثمانُ بْنُ عفانَ رضي الله عنه أيامَ مُعَانَاتِهِ تحت حصار الإرهابيين، فامتنع من نُصْرَتِهِ عمدًا وهو قادرٌ على ذلك إلى أن قُتِلَ الخليفةُ مظلومًا. لأنَّ معاويةَ كان يتربَّصُ بالنظام الراشديّ لِيُلْغِيَهُ (وذلك زندقةٌ من دون أدنى شكٍّ)، لكي يَتَمَكَّنَ من تحقيقِ حُلْمِهِ فَوْرَ مقتلِ الخليفة. وبعد أن نجح في بَغْيِهِ على الخليفة الرابعِ (علي بن أبي طالب)، وقَمَعَ الهاشميين، وَأَمَرَ بِقَتْلِ بعضِ الصحابةِ (مثل: عَمْرِو بْنِ الْحَمِقِ الْخُزَاعِيِّ، وحُجْرِ بْنِ عديٍّ الكنديّ رضي الله عنهما)، وقد رُوِيَ عن عَمْرِو بْنِ الْحَمِقِ حديثٌ وهذا نصُّهُ: "[10] حَدَّثَنَا يُونُسُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبَانَ، عَنِ السُّدِّيِّ، عَنْ رِفَاعَةَ

---

[8] الجَعْدُ بْنُ دِرْهَم: فارسي الأصلِ مِنْ خراسان، سكن دِمَشْقَ، وكانت له بها دارٌ بالقربِ من القلاسيين إلى جانب الكنيسةِ. قال ابن عساكر وغيرُهُ: وقد أخذَ الجعدُ بِدْعَتَهُ عن بَيَانِ بْنِ سَمْعَانَ، وأخذها بيان عن طالوت ابن أخت لبيد بن أعصم، زوج ابنته، وأخذها لبيد بن أعصم الساحر. وأخذ عن الجعدِ الجهمُ بْنُ صفوانَ الترمذي، وأخذ بشر المريسى عن الجهم، وأخذ أحمد بن أبي داود عن بشر. كل هؤلاء كانوا زنادقةً. قبض خالدُ بْنُ عبدِ اللهِ القَسْرِيُّ على الجَعْدِ بْنِ دِرْهَم (وكان خالدٌ أميرَ العراقين لهشام بن عبد الملك)، فقَتَلَ الجعدَ يومَ عِيدِ الأضحَى بالكوفة.. وكان خالدُ بْنُ عبدِ اللهِ القَسْرِيُّ نَفْسُهُ زنديقًا (ذكره النديم في الفهرست). يقول البخاري: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: شَهِدْتُ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيَّ بِوَاسِطَ، فِي يَوْمِ أَضْحَى، وَقَالَ: "ارْجِعُوا فَضَحُّوا تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْكُمْ، فَإِنِّي مُضَحٍّ بِالْجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ، زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَّخِذْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى تَكْلِيمًا، تَعَالَى اللَّهُ عُلُوًّا كَبِيرًا عَمَّا يَقُولُ الجعدُ بْنُ دِرْهَمٍ، ثُمَّ نَزَلَ فَذَبَحَهُ" المصدر: خلق أفعال العباد للبخاري (ص29)

[9] أما الملوك العباسيون فلم يُنسَبْ الزندقةُ إلى أحدٍ منهم غير المأمون بن هارون الرشيد (السابع من ملوك بني العباس 786–833م.)، كان مأمون عالمًا متفتِّحًا ومحبًّا للعلم، لكنه اغتر بالمعتزلة واعتنق مذهبهم. خالط جماعةً منهم بشر بن غياث المريسي، فخدعوه، إذ لم يكن له بصيرة نافذة فيه، فَرَاجَ عنده الباطلُ، ودعا إليه، وحمل الناسَ عليه قهرًا، وذلك في آخر أيامه وانقضاء دولته.

ذكر النديم في الفهرست؛ أنَّ حاشيةَ أبيه هارون الرشيد (يقصد البرامكةَ) جميعَهم، إلاّ محمد بن خالد بن برمك، كانوا زنادقةً، وكان محمد بن عبيد الله كاتب المهدي زنديقاً، واعترف بذلك فقتله المهدي، وأن المأمون أيضًا كان منهم، وكان محمد بن عبد الملك الزيات وزير المتوكل زنديقًا. ومنهم أيضاً كما يقول بشار بن برد، وصالح بن عبد القدوس، واسحق بن خلف، وأبو العباس الناشيء وأبو عيسى الورّاق، وآخرون غيرهم.

[10] مسند أبي داود الطيالسي. (2/ 614)

بْنِ شَدَّادٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَمِقِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِذَا أَمَّنَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ عَلَى نَفْسِهِ ثُمَّ قَتَلَهُ فَأَنَا بَرِيءٌ مِنَ الْقَاتِلِ، وَإِنْ كَانَ الْمَقْتُولُ كَافِرًا." وهذا الحديث يُعدُّ معجزةً عظيمةً للرسول عليه السلام، بما يدلُّ على مقتل الصحابيّ عَمْرِو بْنِ الْحَمِقِ الذي روى الحديثَ بالذات، كما يدلُّ على أنَّ معاويةَ ابنَ أبي سفيان كان زنديقًا من غير شكٍّ، لأنه أَمَّنَ عَمْرَو بْنَ الْحَمِقِ عَلَى نَفْسِهِ، ثمَّ أمر بقتله. إنما فعل ذلك لإحْكَامِ سلطتهِ المطلقةِ وإلقاءِ هَيْبَتِهِ على المجتمعِ فَيَتَمَكَّنَ مِنْ القضاءِ على الخلافة الراشدةِ، فكان ذلك استفتاحًا منه لعودة الجاهلية الثانية بزندقياتها التي تسلسلَت إلى اليوم.

* قَتَلَ جنودُهُ الصحابِيَّ الجليلَ عَمَّارَ بْنَ يَاسْرٍ الذي كان له مكانةٌ رفيعةٌ عند النبي صلى الله عليه وسلم، والذي قال فيه: "تَقْتُلُكَ الفِئَةُ البَاغِيَةُ"، وهذه الفئةُ لا شك أنها جيشُ معاوية بْنَ أبي سفيان الذي حارب جيشَ الخليفةِ الرابع عليّ بْنِ أبي طالبٍ في صفين فأدَّى إلى مقتل سبعين ألف شخصٍ بيهم كثيرٌ من الصحابة رضوان الله عليهم. وهذا نص الحديث الوارد في مصادر الثقاة: "قال الكوسج: قُلْتُ: قولُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم لعمار رضي الله عنه: "تَقْتُلُكَ الفِئَةُ البَاغِيَةُ، قَالَ (أي أحمد بن حنبل): لا أتكلَّمُ فيه، ترْكُه أسلم. قال إسحاق: بل هو معاوية وأصحابه."[11] تجدرُ الإشارةُ هنا إلى قولِ ابْنِ حنبلَ: " لا أتكلَّمُ فيه، ترْكُه أسلم"، يدل دلالةً واضحةً على مدى تحفُّظِ العلماءِ يومئذٍ من بيان بعض ما كانوا يعرفونه من أحداث أيامهم (حتى في العهد العباسِي) اتِّقَاءَ شرِّ الحُكَّامِ ورموزهم من الوشاة. وفي هذا المسار أحاديث كثيرةٌ.[12]

* ومن زندقيات معاويةَ: تأويلُهُ الفاسدُ لإِخْبَارِ النبي صلى الله عليه وسلم عن قتلِ عَمَّارِ بْنِ يَاسْرٍ: ورد في المستدرك على الصحيحين أنه "لَمَّا قُتِلَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ: دَخَلَ عَمْرُو بْنُ حَزْمٍ عَلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَقَالَ: قُتِلَ عَمَّارٌ وَقَدْ سَمِعْتُ، رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ» فَقَامَ عَمْرٌو

---

[11] الجامع لعلوم الإمام أحمد، العقيدة: (4/ 554)، رواه الإمام أحمد 2/ 161، ومسلم (2916) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

[12] من هذه الأحاديث ما ورد "عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: إِنِّي لَأَسِيرُ مَعَ مُعَاوِيَةَ فِي مُنْصَرَفِهِ مِنْ صِفِّينَ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: يَا أَبَتِ، مَا سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ لِعَمَّارٍ: " وَيْحَكَ يَا ابْنَ سُمَيَّةَ! تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ "؟ قَالَ: فَقَالَ عَمْرٌو لِمُعَاوِيَةَ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ هَذَا؟ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: لَا تَزَالُ تَأْتِينَا بِهَنَةٍ! أَنَحْنُ قَتَلْنَاهُ؟! إِنَّمَا قَتَلَهُ الَّذِينَ جَاؤُوا بِهِ. المصدر: مسند أحمد» (11/ 42 ط الرسالة.

وهذه رواية أخرى: "عن عبد الله بن الحارث قال: إنّنى لأسيرُ مع معاوية في مُنْصَرَفه عن صِفّين بينه وبين عمرو بن العاص قال: فقال عبد الله بن عمرو: يا أبَت سمعتَ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول لعَمّار ويحك يابن سميّة تقتلك الفئة الباغية؟ قال: فقال عمرو لمعاوية: ألا تَسْمَعُ ما يقول هذا؟ قال فقال معاوية: ما تَزالُ تأتينا بهَنَةٍ تَدْحَضُ بها في بَوْلِك، أَنَحْنُ قتلناه؟ إنّما قتله الذين جاؤوا به." المصدر: الطبقات الكبير» (3/ 234 ط الخانجي.

فَزِعًا حَتَّى دَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ: قُتِلَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، فَقَالَ: قُتِلَ عَمَّارٌ، فَمَاذَا؟ قَالَ عَمْرٌو سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ» فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: أَنَحْنُ قَتَلْنَاهُ إِنَّمَا قَتَلَهُ عَلِيٌّ وَأَصْحَابُهُ؟ جَاؤوا بِهِ حَتَّى أَلْقَوْهُ بَيْنَ رِمَاحِنَا أَوْ، قَالَ: سُيُوفِنَا.[13] وهذا كذب وبهتانٌ وزندقةٌ وإلحاد.

* ومن زندقيات معاويةَ: تهديدُهُ لِكِبَارِ أبناءِ الصحابةِ (وهم: الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر). أرْغَمَهُمْ على مبايعةِ ابنهِ يزيدَ. والقصة مذكورةٌ في مصادر معتبرةٍ بتفاصيلها، وهذه نبذةٌ منها:

"...فَقَالَ بَعْضُ أُولَئِكَ النَّفَرِ لِبَعْضٍ: "لَا تُخْدَعُوا، فَمَا صَنَعَ بِكُمْ هَذَا لِحُبِّكُمْ وَمَا صَنَعَهُ إِلَّا لِمَا يُرِيدُ: فَأَعِدُّوا لَهُ جَوَابًا، فَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَكُونَ الْمُخَاطِبُ لَهُ ابْنَ الزُّبَيْرِ. فَأَحْضَرَهُمْ مُعَاوِيَةُ وَقَالَ: قَدْ عَلِمْتُمْ سِيرَتِي وَصِلَتِي لِأَرْحَامِكُمْ وَحَمْلِي مَا كَانَ مِنْكُمْ، وَيَزِيدُ أَخُوكُمْ وَابْنُ عَمِّكُمْ وَأَرَدْتُ أَنْ تُقَدِّمُوه بِاسْمِ الْخِلَافَةِ وَتَكُونُوا أَنْتُمْ تَعْزِلُونَ وَتُؤَمِّرُونَ وَتَجْبُونَ الْمَالَ وَتَقْسِمُونَهُ لَا يُعَارِضُكُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ. فَسَكَتُوا. فَقَالَ: أَلَا تُجِيبُونَ؟ مَرَّتَيْنِ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ: هَاتِ لَعَمْرُكَ إِنَّكَ خَطِيبُهُمْ. فَقَالَ: نَعَمْ، نُخَيِّرُكَ بَيْنَ ثَلَاثِ خِصَالٍ: قَالَ: اعْرِضْهُنَّ: قَالَ: تَصْنَعُ كَمَا صَنَعَ رَسُولُ صلى الله عليه وسلم أَوْ كَمَا صَنَعَ أَبُو بَكْرٍ أَوْ كَمَا صَنَعَ عُمَرُ: قَالَ مُعَاوِيَةُ: مَا صَنَعُوا؟ قَالَ: قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَلَمْ يَسْتَخْلِفْ أَحَدًا فَارْتَضَى النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ: قَالَ: لَيْسَ فِيكُمْ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ وَأَخَافُ الِاخْتِلَافَ: قَالُوا: صَدَقْتَ فَاصْنَعْ كَمَا صَنَعَ أَبُو بَكْرٍ فَإِنَّهُ عَهِدَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ قَاصِيَةِ قُرَيْشٍ لَيْسَ مِنْ بَنِي أَبِيهِ فَاسْتَخْلَفَهُ، وَإِنْ شِئْتَ فَاصْنَعْ كَمَا صَنَعَ عُمَرُ، جَعَلَ الْأَمْرَ شُورَى فِي سِتَّةِ نَفَرٍ لَيْسَ فِيهِمْ أَحَدٌ مِنْ وَلَدِهِ وَلَا مَنْ بَنِي أَبِيهِ: قَالَ مُعَاوِيَةُ: هَلْ عِنْدَكَ غَيْرُ هَذَا؟ قَالَ: لَا. ثُمَّ قَالَ: فَأَنْتُمْ؟ قَالُوا: قَوْلُنَا قَوْلُهُ. قَالَ: فَإِنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَتَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ، إِنَّهُ قَدْ أَعْذَرَ مَنْ أَنْذَرَ، إِنِّي كُنْتُ أَخْطُبُ فِيكُمْ فَيَقُومُ إِلَيَّ الْقَائِمُ مِنْكُمْ فَيُكَذِّبُنِي عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ فَأَحْمِلُ ذَلِكَ وَأَصْفَحُ، وَإِنِّي قَائِمٌ بِمَقَالَةٍ، فَأُقْسِمُ بِاللَّهِ لَئِنْ رَدَّ عَلَيَّ أَحَدُكُمْ كَلِمَةً فِي مَقَامِي هَذَا لَا تَرْجِعُ إِلَيْهِ كَلِمَةٌ غَيْرُهَا حَتَّى يَسْبِقَهَا السَّيْفُ إِلَى رَأْسِهِ، فَلَا يُبْقِيَنَّ رَجُلٌ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ. ثُمَّ دَعَا صَاحِبَ حَرَسِهِ بِحَضْرَتِهِمْ فَقَالَ: أَقِمْ

[13] المستدرك على الصحيحين: (3/ 436)، صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ البخاري ومسلم.

عَلَى رَأْسِ كُلِّ رَجُلٍ مِنْ هَؤُلَاءِ رَجُلَيْنِ وَمَعَ كُلِّ وَاحِدٍ سَيْفٌ، فَإِنْ ذَهَبَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يَرُدُّ عَلَيَّ كَلِمَةً بِتَصْدِيقٍ أَوْ تَكْذِيبٍ فَلْيَضْرِبَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا"[14]

* ومن زندقياتِ معاويةَ أيضًا: أمْرُهُ بِسبِّ عليّ بْنِ أبِي طالبٍ وَلَعْنِهِ على المنابر. فقد ورد في صحيح مسلم روايةٌ تدل بكل وضوحٍ على أن معاويةَ كان يَسُبُّ عليًّا ويأمرُ الناسَ بِسَبِّهِ، إلاَّ أنَّ الوهابيّين ومن على شاكلتهم من الزنادقةِ يُؤَوِّلُونَ هذه الرواية تأويلاً ماكرًا يظهر من عباراتهم ودعاياتهم، وإليكم الروايةُ بتفاصيلها:

"عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: أَمَرَ مُعَاوِيَةُ سَعْدًا، فَقَالَ: "مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسُبَّ أَبَا تُرَابٍ؟. قَالَ: أَمَا مَا ذَكَرْتُ ثَلَاثًا قَالَهُنَّ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَلَنْ أَسُبَّهُ، لَأَنْ تَكُونَ لِي وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ. سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ لَهُ، وَخَلَّفَهُ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ «تُخَلِّفُنِي مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ؟» فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نُبُوَّةَ بَعْدِي؟» وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فِي يَوْمِ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ» فَتَطَاوَلْنَا لَهَا، فَقَالَ: «ادْعُوا لِي عَلِيًّا» فَأُتِيَ بِهِ أَرْمَدَ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَفَعَ الرَّايَةَ إِلَيْهِ، وَلَمَّا نَزَلَتْ، زَادَ هِشَامٌ: "إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ."[15] دَعَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَلِيًّا، وَفَاطِمَةَ، وَحَسَنًا، وَحُسَيْنًا فَقَالَ: "اللهُمَّ، يَعْنِي هَؤُلَاءِ أَهْلِي"."[16]

لكنَّ الزنادقةَ يُكَذِّبُونَ مَنْ قالَ بسبِّهِ لِعَلِيّ ويَدَّعُونَ: "أنَّ معاويةَ كان حليمًا يُضربُ المثل في حلمه، فهل يُعْقَلُ أنْ يكونَ قد سَبَّ عليًّا مَنْ هذا خُلُقُهُ؟!" لكن مَنْ يَتَأَمَل في الرواية المذكورة آنفًا لا يملك نفسه عن أن يتساءل: لماذا أَمَرَ مُعَاوِيَةُ إذن سَعْدًا (كما في نص الروايةِ) أنْ يسبَّ عليًّا بقوله: "مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسُبَّ أَبَا تُرَابٍ؟". ألا يدل هذا السؤال بكل صراحةٍ: أنَّ معاويةَ أمر سعدَ بْنَ أبي وقاصٍ أن يسبَّ عليًّا! أيشك عاقلٌ يُتقن اللغة العربية في أن هذا السؤال إنما يتضمن الطلب بِسَبِّ عليٍّ بن أبي طالبٍ، وفيه إصرارٌ

---

[14] القاضي أبو بكر بن العربي، العواصم من القواصم ط الأوقاف السعودية: (ص**221**)؛ الكامل في التاريخ – ت تدمري: (**3**/ **103**)

[15] الأحزاب: **33**

[16] السنن الكبرى – النسائي – ط الرسالة: **7**/ **410**

والْحَاحُ، كما يبرهن على ذلك احتجاجُ سعد بن أبي وقاصٍ وامتناعه عن السبِّ امتثالا لما كان قد سمع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من كلماته في مكانةِ عليٍّ عندَهُ.

بهذه المناسبة ينبغي أن نذكر أنَّ عليَّ ابْنَ أبي طالبٍ قَتَلَ حَنْظَلَةَ بْنَ أبي سفيان في معركةِ بدرٍ وهو أخو معاوية، كما قُتِلَ عُتبةُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ عبدِ شمسٍ بسيوفِ عبيدةَ بْنَ الحارثِ بْنِ عبدِ المطلب، وحمزةَ بْنَ عبدِ المطلب وعليِّ بْنِ أبي طالبٍ.. وعُتبةُ بْنُ رَبِيعَةَ هو أبو هندَ أمِّ معاويةَ. كذلك شيبةُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شمسٍ. قَتَلَهُ حمزةُ بْنُ عَبْدِ المطلب، والوليدُ بْنُ عُتبةَ بْنَ رَبِيعَةَ، قَتَلَهُ عليُّ بْنُ أبي طالبٍ في المعركة نفسِها.. فهل من المعقولِ أنْ يكونَ معاويةُ قد نسِيَ هذه الأحداثَ وصَفّى باطِنَهُ من الحقد الدفين الذي لا بد أنه كان يُضْمِرُهُ لِعَلِيّ بنِ أبي طالب بخاصّةٍ، وللأسرة الهاشمية على وجه العموم؟!

إنّ الذين يتجاهلون هذه الحقائق التاريخيةَ الموثوقةَ إنما ينافقون بهذه الحيلةِ انتقامًا من الرافضة المجوسِ ليس إلاَّ، والحرب سجال بين الطرفين منذ قرون.. وهذا النفاق قد ساقهم إلى كراهية علي بن أبي طالب في الوقت ذاته، لمجرد أن يكونوا على الجهة المعاكسة للرافضة الذين يستغلون مَحَبَّةَ عَلِيّ وأهلِ البيتِ إسرارًا على نفاقِهم وَمَجُوسِيَّتِهِمْ. لذا، لا تجدون من يكره الرافضةَ (من الوهابيين ورموزهم من الإرهابيين) إلاَّ ويكره عليَّ بْنَ أبي طالبٍ وأهلَ بيتِ الرسول صلى الله عليه وسلم. وهذا يدلُّ على أن كِلَي الطرفين متوغلانِ في الزندقةِ.

***

ومن أوائل الزنادقةِ: بِشرُ بْنُ غياثِ المريسي (755–833م). يقول الذهبي عنه: "كان بشرٌ من كبار الفقهاء، أخذ عن القاضي أبي يوسف، وروى عن حماد بن سلمة، وسفيان بن عيينة، ونظر في الكلام، فغلب عليه، وانسلخ من الورع والتقوى، وجرَّدَ القول بخلق القرآن، ودعا إليه، حتى كان عين الجهمية في عصره وعالمهم، فمقته أهل العلم، وكَفَّرَهُ عِدَّةٌ، ولم يُدْرِكْ جهمَ بْنَ صفوان، بل تلقَّفَ مقالاتِهِ من أتباعه."[17]

[17] الإمام الذهبي، سير أعلام النبلاء: (10/ 200)

قال البويطي: سمعت الشافعي يقول: ناظرتُ المريسيَّ فقال: القرعة قمار، فذكرتُ له حديثَ عمران بْنَ حصين في القرعة، ثم ذكرتُ قوله لأبي البُخْتُرِيِّ القاضي[18]، فقال: شاهدًا آخر وأصْلُبُهُ.

***

ومن زنادقة تلك المرحلة: عبد الكريم بن أبي العوجاء[19]، إنه كان فارِسِيًّا من تلامذة الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، ثُمَّ انحرفَ عن التوحيدِ، وعدل عن الصراط المستقيم. لما أراد محمدُ بْنُ سليمانَ بْنِ عَلِيٍّ ضَرْبَ عُنُقِهِ قال: والله لقد وضعتُ فيكم أربعةَ آلافِ حديثٍ، أُحَرِّمُ فِيهَا الْحَلاَلَ، وَأُحِلُّ فِيهَا الْحَرَامَ، وَلَقَدْ فَطَّرْتُكُمْ فِي صَوْمِكُمْ، وَصَوَّمْتُكُمْ فِي يَوْمِ فِطْرِكُمْ!.[20]

ومن مشاهير الزنادقة الأوائل أيضًا: الشاعر مطيع بن إياس: كان خليعًا ماجنًا، وكان عاقا بابيه ويهجوه، اتصل بعمر ابن يزيد بن عبد الملك وَمَدَحَهُ، فأجازه بعشرةِ آلافٍ، وأوصله الى أخيه الوليد فاستنشده ثلاثة أبياتٍ له في الْغَزَلِ فَأَطْرَبَهُ وشرب عليها أسبوعًا، ثم انقطع إليه وعاش في دولتِهم ومع أوليائهم وعُمَّالِهِمْ وأقارِبِهِمْ. كان مطيعٌ يُرْمَي بِمَرَضِ قَوْمِ لُوطٍ، فدخل عليه قومُهُ فلاموه على فعله، وقالوا له: أنت في أدبِكَ وشَرَفِكَ وسُؤْدُدِكَ تُرْمَي بِهَذِهِ الفاحشة القذرة، فلو أقصرت عنها؟. فقال: جَرِّبُوهُ أَنْتُمْ، ثم دَعُوا إنْ كنتم صادقين!

هذا الشاعر (أي مطيع بن إياس) على فِسْقِهِ وَمُجُونِهِ وَتَهَتُّكِهِ كان من نَدَامَى مُلُوكِ الأمَوِيِّينَ وَالْعَبّاسِيِّينَ وَوُلاَةِ عَهْدِهِمْ.. قال الخطيبُ في ترجمته (نَادِمِ الْمَنْصُورِ ومن بعده الْمَهْدِيّ) رَوَى صَاحِبُ الأغَانِي أنَّ الْمَهْدِيَّ كان يَشْكُرُ لَهُ قِيَامَهُ فِي الْخُطَبَاءِ، وَوَضْعَهُ الْحَدِيثَ لأبِيهِ فِي أَنَّهُ الْمَهْدِيُّ!. كان مطيع بن إياس، وحماد عجرد، ويحيى بن حصين، ويحيى بن زياد، يقولون بالزندقة.

---

[18] "واسمه وهْبُ بن وهب بن كَبِير بن عبد الله بن زَمْعة بن الأسود ابن المطّلب بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصيّ، كان من أهل المدينة ثمَّ خرج منها فنزل الشأم، ثمّ قدم بغداد فولّاه هارون أمير المؤمنين القضاء بعسكر المهدىّ، ثمّ عزله فولّاه مدينة الرسول، صلى الله عليه وسلم، بعد بكار بن عبد الله الزُّبَيْرىّ وجعل إليه صلاتها وحربها وقضاءها، وكان شيخًا مريئًا من رجال قريش، ولم يكن في الحديث بذاك، روى منكرات فتُرك حديثُه ثمّ عُزل عن المدينة فقدم بغداد فلم يزل بها حتّى مات بها سنة مائتين." الطبقات الكبير» (**9**/ **334** ط الخانجي

[19] قبض عليه أمير البصرةِ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَان بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّه بْنِ العباس، فلما أحضره ليضرب عنقه قال (ابن أبي العوجاء): " أما والله لئن قتلتموني لقد وضعتُ فيكم أربعةَ آلافِ حديثٍ أُحَرِّمُ فيها الحلالَ وأُحَلِّلُ فيها الحرامَ، ولقد فطَّرتُكم في يوم صومِكم، وصوَّمتُكم في يوم فطركم" قُتِلَ سنة **46** من الهجرة.

[20] سنن سعيد بن منصور – بداية التفسير – ت الحميد (المقدمة/ **44**)

للزندقة جذورٌ راسخةٌ في التاريخِ الإسلاميّ. بَدَأَ ظهورُ الزندقةِ في ثوبِ التصوفِ منذ عهدِ السلفِ الصالحِ. يُفتَرَضُ أنَّ أبا هاشمِ الصُّوفِيَّ هو أولُ زنديقٍ تلبَّسَ بالتَّصَوُّفِ واشتهر بلقب "الصوفِيّ". كان فارسيَّ الأصلِ سكن الكوفةَ، كان يتظاهر بالزهد والتقوى، فاغترَّ به بعضُ الأئمَّةِ منهم سفيان الثوريُّ الذي كان من كبار أتباع التابعين، يقول: "لولا أبو هاشم ما عرفتُ دقيق الرياء وما أعلم ما الصوفيُّ"[21] لكنَّ بعضَ الأئمَّةِ انتبهوا إلى خطرهم. فقد ورد في كلماتٍ للإمام أبي عاصم خشيش بن أصرم بن الأسود (وهو شيخُ أبي داودَ والنسائيِّ)، فقد جاء في كلامه أنَّ أبا هاشم الصوفيَّ[22] وأبا حمزة الصوفيَّ[23] كانا من الزنادقة.

***

[21] مصطفي عبد الله القسطنطيني المعروف بـ"كاتب تشلبي" و"حاجي خليفة". سلم الوصول إلى طبقات الفحول: (**1/ 106**)

[22] قال ابن تيمية رحمه الله: "إن أول من عُرف بالصوفي هو أبو هاشم الكوفي ت**150**هـ أو **162**هـ بالشام. ترجم له عبد الرحمن الجامي الصوفي في نفحات الأنس المكتوب بالفارسية، وقال: "إن أبا هاشم الكوفي أول من دعي بالصوف، ولم يسم أحد قبله بهذا الاسم". بنى خانقاهًا للصوفية في غَزَّةَ. والخانقاه اسم مَعبَدِ الصوفية، يجتمعون فيه، ويُقيمون فيه طقوسَهم. ذُكِرَ أنه كان معاصرًا لِسُفْيَانَ الثوريّ." كان أبو هاشم الصوفي مطعونًا فيه بأنه اختلق مذهب التصوف، وقد اتهموه بأنواع الكفر والزندقة، وأنه ابتدع هذا المذهب لإخفاء عقيدته، ولإثارة الاضطراب، فاتهموه بالحلول والاتحاد، وأنه كان باطنيا ودهريا، سُؤِلَ جعفرُ الصادقُ عن حالِهِ فقال: "إنه فاسد العقيدة.

[23] أبو حمزة الصوفي: واسمه محمد بن إبراهيم وله عدة من الكتب. قال الذهبي: قلت: ولأبي حمزة انحراف وشطح له تأويل؛ ففي "الحلية" :عن عبد الواحد بن بكر، حدثنا محمد بن عبد العزيز، سمعت أبا عبد الله الرملي يقول: تكلم أبو حمزة في جامع طرسوس، فقبلوه، فصاح غراب، فزعق أبو حمزة: لبيك لبيك، فنسبوه إلى الزندقة، وقالوا: حلولي. وشهدوا عليه، وَطُرِدَ، وَبِيعَ فَرَسُهُ بِالْمُنَادَاةِ عَلَى بَابِ الْجَامِعِ: هذا فرس الزنديق." (ص:**167**)؛ قال أبو نصر السراج صاحب "اللمع" :بلغني أنه دخل على الحارث المحاسبي، فصاحت شاة: ماع. فشهق، وقال: لبيك لبيك يا سيدي. فغضب الحارث، وأخذ السكين، وقال: إن لم تتب أذبحك.

من أشهر مناهلِ الزندقةِ وأخطرِها: التصوُّفُ:

أمّا التصوف: فهو مفهوم معقّدٌ كثرت فيه مناقشاتٌ واختلافاتٌ قديمًا وحديثًا، فقام بتعريفهِ كُلُّ مَنْ وجد في نفسه رغبةَ الكلام فيه جاهلاً كانَ أو عالِمًا، فحدث لغطٌ حوله وتباينت الآراء فيه واندلعت مشاجراتٌ وخصوماتٌ بين جبهات الرد عليه والدفاعِ عنه عبر حروب المتنازعين منذ ثلاثة عشر قرنًا، فكاد أن تختفيَ حقيقةُ هذا المفهومِ لو لا جهود أهل العلم والدراسةِ الذين أظهروها ناصعةً في النهاية وبيَّنوا كُنْهَ الفكرِ الصوفيِّ في ضوءِ الكتابِ والسنةِ، وهي مدوَّنةٌ بتفاصيلِها في مؤلّفاتهم، ككتاب "الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة" لعبد الرحمن عبد الخالق، و"هذه هي الصوفيةُ" لعبد الرحمن الوكيل، وكثير غيرهما.

والتصوف في الحقيقة وباءٌ خطيرٌ وشللٌ مُعَطِّلٌ أصابَ عقيدةَ المسلمين في وقتٍ مُبَكّرٍ، فعدل بأكثرهم عن الصراط المستقيم، وهو مصدرُ ضروبٍ وألوانٍ من الزندقة والكفر والإلحادِ. نشأ وانتشر في بداية الأمر كنزعةٍ تدعو إلى الزهد والعفاف والتقوى بعد أن ازداد الفسادُ والترفُ والإسرافُ والطغيان.. ثم تطور فنشأت على أساسه طرقٌ وحركاتٌ منظمة كالطرقة النقشبندية والقادرية والرفاعية والشاذلية وغيرها..

إنَّ التصوف في صميمه لا يعدُو عن فلسفةٍ إباحِيَّةٍ، إلاَّ أن الصوفيةَ قد تناولوهُ وفَسَّرَهُ كلٌّ منهم بحسبِ ذوقِهِ ونزعته وغرضه، فَتَشَعَّبَتَ آراؤهم حوله.. يزعم فريقٌ منهم أنهم يَتَوَخَّونَ به تربيةَ النفسِ والسموَّ الروحيَّ، بغيةَ الوصولِ إلى معرفة الله تعالى بالكشفِ والمشاهدةِ، وليس باتباع الكتاب والسنة. كما قال أبو يزيد الْبَسْطَامِيُّ: "أخذتم عِلْمَكُمْ ميتًا عن ميتٍ، وأخذنا عِلْمَنَا عن الحيِّ الذي لا يموت"[24].

لم تَفْتُرْ نشاطاتُ الزندقةِ، بل توالت فِتَنُهم بعد العهدين الأمويِّ والعباسيِّ ودامتْ إلى يومنا.. تحايلَ الزندقةُ فتوارَوْا بثوب الزهد والتقوي تحت سمة التصوفِ في المرحلة الأولى من حُكْمِ العباسيين. والصوفيةُ في الواقع هم أبعدُ الناسِ عن الزهدِ والتقوي. نشأت طائفةٌ منهم بعد عودةِ الجاهليةِ الثانيةِ مباشرةً، فاستتروا بالعزلةِ وكراهيةِ الطيِّباتِ من نِعَمِ الله، فظنَّهم الناسُ "أنهم في حيطةٍ وحذرٍ من أحابيلِ المفاتنِ والمزالقِ، وإنَّهم أقرب

---

[24] محي الدين بن عربي، ذخائر الأعلاق، ص153؛ عبد الوهاب الشعراني، الجواهر والدرر، ص 286 ، هامش الرسالة القشيرية ج1 ص88 وغيرها من الكتب الكثيرة.

الناسِ إلى الله، تفانَوْا في محبَّتِهِ وهم قومٌ لا يشقىَ جليسهم." وانسحبت العامةُ وراءَ هذا الظنِّ الخاطئِ حتى عَدُّوهُمْ من أولياء اللهِ وخاصَّتِهِ الذين لا تُرَدُّ دعوتهم.. ولم تقف الظنونُ والمعتقداتُ عند هذه الحدودِ، بل تجاوزتْها عندما اغترَّ الناسُ بشطحاتهم الماكرةِ، فتصدَّى كثيرٌ من الدجاجلة لتأويلها فانتشرت الفتن في العقيدةِ، وعدلت أكثريةُ المجتمعاتِ الإسلاميةِ عن جادةِ الحقِ.

***

كان الجنيدُ بْنُ محمَّدِ الخزَّازُ القواريريُّ (215-298هـ.) أوَّلَ شخصيةٍ من مشاهير الصوفية وأكبرَ أعلامِهم. اشتهر بلقب "سَيِّد الطائفة"، وأمَّا قصدهم من الطائفةِ، فإشارةٌ إلى جماعةٍ من الصوفية الذين ظهرو في المرحلة الأولى من العهد العباسيِّ، جُلُّهُمْ كانوا من أصولٍ فارسيةٍ تظاهروا بسلوكٍ تَرْبَوِيٍ رُوحِيٍّ، وبطريقِ الرياضة ومجاهدةِ النفسِ على غرار رهبان النصارى، فاختلف عُرفُهُم عن عرف الصحابة والتابعين وأتباعهم في التديُّنِ. لقد كان التديُّنُ في حدود الكتاب والسنة معروفًا بسمة "الزهد"، و"التقوى"، و"الورع" عند الأجيالِ الثلاث من السلف الصالح، أمَّا الصوفيةُ، فإنَّ تَدَيُّنَهُمْ كانت تَتَمَثَّلُ في العزلةِ عن الناسِ، والتقشُّفِ، وعدمِ التَّكَسُّبِ، والامتناعِ من تناولِ الطيباتِ مِنْ نِعَمِ اللهِ، والاستسلامِ للحرمان، والإواءِ إلى الأَمَاكِنِ الْخَرِبَةِ وَالْجَبَابِينِ، وكتمانِ أسرارٍ كانوا يُبطنُونَها لأغراضٍ (يطول الكلامُ فيها!). وقد ظهر بعضها من خلال شطحاتهم.. ومن مشاهير هذه الطائفة جماعةٌ يبلغ عددُهم ثلاثًا وثمانين شخصيةً، وهذه أسماؤهم:

أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم، أبو الفيض ذو النون المصري، أبو علي فضيل بن عياض، أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي، أبو الحسن سَرِيُّ بنُ المغلّس السَّقَطِيُّ، أبو نصر بشر بن الحارث الحافي، أبو عبد الله بن الحارث بن أسد المحاسبي، أبو سليمان داود بن نصير الطائي، أبو علي شقيق بن إبراهيم البلخي، أبو يزيد طيفور بن عيسى بن سروشان البسطامي، أبو محمد سهل بن عبد الله التستري، أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية الداراني، أبو عبد الرحمن حاتم بن علوان (حاتم بن عنوان بن يوسف الأصم)، أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازي الواعظ، أبو حامد بن خضرويه البلخي، أبو الحسن أحمد بن أبي الحواري، أبو حفص عمر بن مسلمة الحدّاد، أبو تراب عسكر بن حصين النخشبي، أبو محمد عبد الله بن خبيق، أبو علي أحمد بن عاصم الأنطاكي، أبو السري منصور بن عمّار، أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمّارة القصّار، أبو القاسم جنيد بن محمد (سيد الطائفة)، أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الحيري، أبو الحسين أحمد

بن محمد النوري، أبو عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء، أبو محمد رويم بن أحمد، أبو عبد الله محمد بن الفضل البلخي (ساكن سمرقند)، أبو بكر أحمد بن نصر الزقاق الكبير، أبو عبد الله عمرو بن عثمان المكي، سمنون بن حمزة، أبو عبد الله محمد بن حسان البسي، أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرماني، أبو يعقوب يوسف بن الحسين، أبو عبد الله محمد بن علي الترمزي، أبو بكر محمد بن عمر الورّاق الترمزي، أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل المغربي، أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق، أبو الحسن علي بن سهل الأصبهاني، أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسين الجريري، أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل ابن عطاء الأدمي، أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الخواص، أبو محمد عبد الله بن محمد الخراز، أبو الحسن بنان بن محمد الحمّال، أبو حمزة البغدادي البزّاز، أبو بكر محمد بن موسى الواسطي، أبو الحسن الصائغ، أبو إسحاق إبراهيم بن داود الرقي، ممشاد الدينوري، خير بن عبد الله النساج، أبو حمزة الخراساني، أبو بكر دُلَفْ بن حجدر الشبلي، أبو محمد عبد الله بن محمد المرتعش، أبو علي أحمد بن محمد الروذباري، أبو محمد عبد الله بن منازل، أبو علي محمد بن عبد الوهاب الثقفي، أبو الخير الأقطع، أبو بكر محمد بن علي بن جعفر الكتاني، أبو يعقوب إسحاق بن محمد النهرجوري، أبو الحسن علي بن محمد المزين، أبو علي بن الكاتب، مظفر القرمسيني، أبو بكر عبد الله بن طاهر الأبهري، أبو الحسين بن بنان، أبو إسحاق إبراهيم بن شيبان القرمسيني، أبو بكر الحسين بن علي بن يزدانيار، أبو سعيد بن الأعرابي، أبو عمرو محمد بن إبراهيم الزجاج النيسابوري، أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير، أبو العباس اليساري، أبو بكر محمد بن داود الدينوري الدقاق، أبو محمد عبد الله بن محمد الرازي، أبو عمرو إسماعيل بن نجيد، أبو الحسين علي بن أحمد بن سهل البوشنجي، أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي، أبو الحسين بندار بن الحسين الشيرازي، أبو بكر الطمستاني، أبو العباس أحمد بن محمد الدينوري، أبو عثمان سعيد بن سلام المغربي، أبو القاسم إبراهيم بن محمد النصراباذي، أبو الحسن علي بن إبراهيم الحصري البصري، أبو عبد الله أحمد بن عطاء الروذباري.[25]

إن هؤلاء الذين جاء وصفهم في كتب الصوفية بـ"الزهَّادِ"، لم يكونوا في الحقيقة زُهَّادًا، بل كانوا زنادقةً معتنقين لفلسفاتٍ إلحادية كعقيدة وحدة الوجود والحلول والاتحاد.. لكنهم تحايلوا بالتستر وراءَ لباس الزهد

---

[25] أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري، الرسالة القشيرية ص: **9–32** القاهرة– **1959**

والتقوى، فالتبسوا على الناسِ بصفة أولياءِ الله، فنالوا منهم التوقيرَ والإجلالَ، خاصةً بعد أن دافع عنهم فريق آخر من الزنادقة واختلقوا لهم كراماتٍ وحشدوها في كتبٍ لهم تحت مسمى "مناقب الصالحين". كان من أسلوب دفاعهم أن قال بعضهم: "إن هؤلاء الأعلام كانوا أصحاب تجارب روحية مكثفة جداً، اصطدمت لغتهم فيها بضوابط الفقهاء وعقول العامة بسبب ما يسمى "الشطح". وهو كلام يصدر عن الصوفي في حالة "الفناء" أو الوجد الشديد، حيث تغيب "الأنا" لديه ويشعر باتصال مطلق بالذات الإلهية، فيعبر بكلمات قد تُفهم على أنها "حلول، أي أن الله حلّ في جسده.. بل هو تجربة باطنية لا تُنقل باللغة العادية، والقائل معذور لغلبة الحال عليه."

إن هذه الكلمات وما شاكلها من صيغ دفاعية، كلها حجج واهيةٌ تَنَطَّعَ بها أهل الحيلةِ من ملاحدة الكُتَّاب الذين أرادوا إفساد العقيدة الحنيفةِ انتقامًا لعقائدهم التي قضى عليها الإسلام في أغلب الظنّ.

***

من أشهر هؤلاء الزنادقة: الجنيد البغداديُّ، قد جاءَ مدحه على لسان جماعةٍ مواليةٍ للصوفية: "أنه شيخ مذهب التصوف؛ لِضبط مذهبِهِ بقواعدِ الكتابِ والسنةِ، وَلِكَوْنِهِ مَصُونًا مِنَ الْعَقَائِدِ الذَّمِيمَةِ، محمّيَّ الأساسِ مِنْ شُبَهِ الْغُلاَةِ، سَالِمًا مِنْ كلِّ مَا يُوجِبُ اعْتِرَاضَ الشَّرْعِ. قال عنه أبو عبد الرحمن السلمي: "هُوَ مِنْ أَئِمَّةِ الْقَوْمِ وَسَادَتِهِمْ؛ مَقْبُولٌ على جميعِ الأَلْسِنَةِ. وَهُو أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ في علمِ التوحيدِ بِبَغْدَادَ."[26]

ولكن على رُغْمِ هذهِ الكلماتْ الرَّنَّانَةِ والإطراءِ، فقد وَرَدَتْ اعْتِرَافَاتٌ رَهِيبَةٌ على لسانِ الْجُنَيْدِ بِالذَّاتِ وقد افْتَضَحَتْ بَعْدَ أنْ كَشَفَهَا رِجَالُ البحثِ والدراسةِ. وَرَدَ عنه أنَّهُ عَاتَبَ تلميذَهُ أبا بكر الشبليَّ، فقال له: "نَحْنُ حَبَرْنَا هَذَا الْعِلْمَ تَحْبِيرًا، ثُمَّ خَبَأْنَاهُ فِي السَّرَادِيبِ، فَجِئْتَ أَنْتَ فَأَظْهَرْتَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْمَلَإِ! فَقَالَ:

[26] رأيُ العلماءِ في أبي عبد الرحمن السلمي: قال الذهبي في المغني في الضعفاء: "إنه صاحب المصنفات، تكلم فيه وما هو بالحجة، وقال الخطيب قال لي محمد بن يوسف القطان: كان يضع الأحاديث للصوفية، قلت وله في حقائق التفسير تحريف كثير: (ص **571 / 2**) وقال في ميزان الاعتدال: "تكلموا فيه وليس بعمدة"، وقال: وفي القلب مما يتفرد به. (ص **119 / 6**)، وقال في سير أعلام النبلاء: "وما هو بالقوي في الحديث. (ص **250 / 17**). وقال الذهبي في تاريخ الإسلام: "له كتاب سماه "حقائق التفسير" ليته لم يصنفه، فإنه تحريف وقرمطة، فدونك الكتاب فسترى العجب. (ص **307 / 28**). قال ابن تيمية الحراني: والذي جمعه الشيخ أبو عبد الرحمن في تاريخ أهل الصفة وأخبار زهاد السلف وطبقات الصوفية يُسْتَفَادُ منه فوائدَ جليلةً، ويُجْتَنَبُ ما فيه من الروايات الباطلة، وَيُتَوَقَّفُ فيما فيه من الروايات الضعيفة. (الرسائل والمسائل: (ص **36 – 38 / 1**) وقال السيوطي في الإتقان: وأما في كلام الصوفية في القرآن فليس بتفسير. قال ابن الصلاح في فتاويه: وجدتُ عن الغمام أبي الحسن الواحدي المفسر أنه قال: صنف أبو عبد الرحمن السلمي حقائق التفسير، فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر! (ص **485 / 2**). فلا شكَّ يدخلُ في شمول هذا الكفر كتابٌ أَلَّفَتْهُ جماعَةٌ من الصوفية البُنْطُسِيّين في تركيا، بعنوان: **Ruhul-Furkan**، كتبوه بالحروف اللاتينية وباللغة التركية، لجهلهم باللغة العربية، شرحوا فيه بعض مصطلحات الصوفية.

أنَا أَقُولُ، وَأَنَا أَسْمَعُ، فَهَلْ فِي الدَّارَيْنِ غَيْرِي."[27] وقال السُّلميُّ: سمعتُ منصورَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ الشِّبْلِيَّ يقول: "كُنْتُ أنا وَالْحُسَيْنُ بْنُ مَنْصُورٍ شَيْئًا وَاحِدًا، إلاَّ أَنَّهُ أَظْهَرَ وَكَتَمْتُ.[28] وقيل أن الجنيدَ كان قد أفتى بقتل الْحُسَيْنُ بْنُ مَنْصُورٍ الحلاج، وقد أشار إلى ذلك الحافظُ أبو بكر الخطيبُ البغداديُّ فقال: "إنَّ الجنيدَ قال للحلاج: "لقد فتحتَ في الإسلام ثغرةً لا يَسُدُّهَا إلاَّ رَأْسُكَ!"[29] هذه المحاورةُ الغريبةُ تدلُّ على أنَّ الصوفيةَ لهم أسرارٌ يكتمونها، ويتواصون السكوت عنها فيما بينهم. كما يبرهن على موقفهم هذا أبياتٌ لكلثوم بن عمرو العتّابي (ت. 220هـ.)، يقول فيها:

يا ربِّ جوهرُ علمٍ لو أبوحُ بِهِ * لقيلَ لِي أنتَ مِمَّنْ يَعْبُدُ الوَثَنَا
ولاسْتَحَلَّ رِجَالٌ مُسْلِمُونَ دَمِي * يَرَونَ أَقْبَحَ مَا يَأتُونَهُ حَسَنا[30]

***

أمَّا الحُسَين بن منصُور المعروف بالحلاج (858–922م)، فإنه كان من تلامذةِ الجنيدِ ومِنْ أوائلِ الزنادقةِ المشهورينِ، مِنْ أصْلٍ فَارِسِيّ (كأستاذهِ الجنيد)، تُعَظِّمُهُ الصوفيةُ أَيَّمَا تَعْظِيمٍ وَيَصِفُونَهُ بِ"شَهِيدِ التَّصَوُّفِ". يقول جلال الدين الرومي في دفاعه عنه: "خذ العبارة الشهيرة "أنا الحق" يظن بعض الناس أنها "ادعاء عظيم" ولكن "أنا الحق" على الحقيقة تواضع عظيم، لأن من يقول "أنا عبد الحق"، يُثبت وجودين اثنين أحدهما نفسه والآخر الله. أما من يقول أنا الحق، فقد نفي نفسه وأسلمها للريح. يقول "أنا الحق" يعني "أنا عدم" هو الكل، لا وجود إلا لله، أنا بكليتي عدم، أنا لست شيئا."[31]

---

[27] التعرف لمذهب أهل التصوف، [باب: 65، (ص:145)

[28] البداية والنهاية: (12/ 29)

[29] تاريخ بغداد (8/113)؛ أنظر أيضًا:
Prof. Dr. Fuad Köprülü, Türk Edebiyatında ilk Mutasavvıflar. S.153. Diyanet İşleri Başkanlığı, Ankara-1993

[30] الأنوار القدسية في بيان الآداب للشعراني، هامش الطبقات: (1/134)، والمناظر الإلهية، (ص:44)، والفتوحات الإلهية، (ص:44) وغيرها.

[31] جلال الدين الرومي، فيه ما فيه، ترجمة: د. عيسى العاكوب.

وأمَّا رَأْيُ عُلَمَاءِ السنةِ فيهِ، فقد قال فيه القاضي عياض –رحمه الله–: "وَأَجْمَعَ فُقَهَاءُ بَغْدَادَ أَيَّامَ الْمُقْتَدِرِ من المالكية على قتلِ الحلاَّجِ وَصَلْبِهِ لِدَعْوَاهُ الإلهيَّةَ والقول بالحلولِ، وَقوله: "أنَا الحَقُّ " مع تَمَسُّكِهِ في الظاهرِ بِالشَّرِيعَةِ."[32]

قال الخطيبُ البغداديُّ في تاريخِهِ: "الحلاج، يُكْنَى أبا مغيث، وقيل أبا عبد الله وكان جده مَجُوسِيًّا اسمه محمي من أهل بيضاء فارس. نشأ الحسين بِوَاسِط، وقيل بِشُسْتَرَ، وَقَدِمَ بغدادَ فخالط الصوفية وصحب من مشيختهم الجنيدَ بْنَ محمَّدٍ، وأبا الحسينِ النوريَّ، وعمرَو الْمَكيَّ... والصوفيةُ مختلفون فيه فأكثرهم نَفَى الحلاجَ أنْ يكونَ منهم، وأبى أنْ يَعُدَّهُ فيهم، وَقَبِلَهُ مِنْ مُتَقَدِّمِيهِمْ أبو العباسِ بْنِ عطاءِ البغداديُّ، ومحمدُ بْنُ خَفيفِ الشيرازيُّ، وإبراهيمُ بْنَ محمدِ النصرأباذيُّ النيسابوريُّ الذي قال: "إن كان بعد النبيّين والصدّيقين مُوَحّدٌ فهو الحلاّجُ".[33] قال المصنف ابن الجوزي: "قلتُ وعلى هَذَا أكثر قصاص زماننا وصوفية وقتنا جَهْلاً من الكلِّ بالشرع وبُعْدًا عَنْ معرفة النقل، وَقَدْ جمعتُ فِي أخبار الحلاج كتابا بَيَّنْتُ فيه حِيَلَهُ وَمخَارِيقَهُ، وما قَالَ العلماء فيه وَاللَّه المعين عَلَى قمع الجهال."[34]

لَكِنَّ طائفةً من الزنادقة صحَّحوا له حَالَهُ ودَوَّنُوا كلامَهُ، حتى قال بنُ خفيف: "الحسين بن منصور عالِمٌ رَبَّانِيٌّ" ومَنْ نفاه عن الصوفية نَسَبَهُ إلى الشَّعْبَذَةِ في فعله، وإلى الزندقةِ في عَقِيدَتِهِ، وله إلى الآن أصحابٌ يُنْسَبُونَ إليه، ويَغْلُونَ فيه. وكان للحلاجِ حُسْنُ عِبَارَةٍ وحَلاَوَةُ مَنْطِقٍ وشعرٍ على طريقة التصوفِ، وأنا أسوقُ أخبارَهُ على تَفَاوُتِ اخْتِلاَفِ القولِ فيه...إلخ"[35]

وَقَالَ ابنُ تيميةَ رحمه الله: "مَنْ اعْتَقَدَ مَا يَعْتَقِدُهُ الحلاَّجُ مِنَ الْمَقَالاَتِ الَّتِي قُتِلَ الحلاَّجُ عَلَيْهَا: فَهُوَ كَافِرٌ مُرْتَدٌّ بِاتِّفَاقِ الْمُسلِمِينَ؛ فَإِنَّ الْمُسلِمِينَ إِنَّمَا قَتَلُوهُ عَلَى "الْحُلُولِ" و"الاتِّحَادِ" وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ مَقَالاَتِ أَهْلِ الزَّنْدَقَةِ وَالإِلْحَادِ كَقَوْلِهِ: "أنَا اللهُ"، وَقَوْلِهِ: "إلَهٌ فِي السَّمَاءِ وَإِلَهٌ فِي الأَرْضِ".[36]

---

[32] أبو الفضل عياض بن موسى المعروف ب(القاضي عياض)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى: (**2 / 1091**)

[33] أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ص/**1032**

[34] أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ص/**1033**

[35] أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ص: **112/8**

[36] تقي الدين أحمد ابن تيمية، مجموع الفتاوى: (**2/480**)

وقد أنكرَ عليه وطَعَنَ فِيه بعضُ الصوفيةِ، منهم الشيخ أحمدُ الرِّفَاعِيُّ. وهذه كلماتُهُ في كتابِهِ: "البرهان المؤيَّد": "إيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ عَلَى اللهِ. "وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا". يَنْقُلُونَ عن الحلاجِ أنَّهُ قال: (أنَا الْحَق!) أخطأ بوهمِهِ، لو كان على الحقِّ ما قال (أنا الحق)، ويذكرون له شعرًا يُوهِمُ الوَحْدَة، كلُّ ذلك وَمَثَلُهُ باطلٌ، فَأَخَذَهُ الْوَهْمُ مِنْ حَالٍ إلى حَال، إيَّاكُمْ والقولَ بهذهِ الأقاويلِ، إنْ هي إلاَّ أبَاطِيل، إياكمُ الوحدةَ والفلسفةَ وما شَاكَلَهَا، فإنَّهَا مَزَالِقُ الأَقْدَامِ إلى النار."[37]

كان إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن محمد الجويني رحمه الله يرى أنَّ الحلاجَ، وأبا طاهر سليمان القرمطي، كانا يتآمران على قلب نظام الدولة، ويتواصلانِ بالسعي لذلك، فذهب القرمطي إلى منطقة الأحساء للدعاية، وارتاد الحلاج مدينة بغداد. كان يقول بالحلولِ وله أبياتٌ تُنبِئُ عن تلك العقيدة، فَكَفَّرَهُ جماعةٌ من العلماءِ وقالوا إنه حلال الدم، فَقُتِلَ بِفَتْوَاهُمْ. وهذه بعض أبياتٍ له:

أَنَا مَنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا * نَحْنُ رُوحَان حَلَلْنَا بَدَنَا
فَإِذَا أَبْصَرْتَنِي أَبْصَرْتَهُ * وَإِذَا أَبْصَرْتَهُ أَبْصَرْتَنَا.

قال فيه تقي الدين أحمد ابن تيمية "الحلاج قتل على الزندقة التي ثبتت عليه بإقراره وبغير إقراره؛ والأمر الذي ثبت عليه بما يوجب القتل باتفاق المسلمين. ومن قال إنه قُتِلَ بغيرِ حَقٍّ فهو إمَّا منافقٌ مُلْحِدٌ وإمَّا جاهل ضال. والذي قُتِلَ بِهِ ما استفاضَ عنه من أنواع الكفرِ وبعضُهُ يوجبُ قَتْلَهُ فضلا عن جميعه. ولم يكن من أولياء الله المتقين، بل كان له عباداتٌ ورياضاتٌ ومجاهداتٌ: بعضُها شيطانِيٌّ، وبعضُها نَفْسَانِيٌّ، وبعضُها موافقٌ للشريعةِ مِنْ وجهٍ دونَ وجهٍ. فَلَبَّسَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وكان قد ذهب إلى بلاد الهند وتَعَلَّمَ أنواعًا من السحرِ، وصَنَّفَ كتابا في السحر معروفا وهو موجود إلى اليوم وكان له أقوالٌ شيطانية ومخاريق بهتانية.[38]

---

[37] أحمد الرفاعي، البرهان المؤيد، ص/14.

[38] مجموع الفتاوى (35/ 108)

وقد جمع العلماء أخباره في كتب كثيرة أَرَّخُوهَا؛ الذين كانوا في زمنه والذين نقلوا عنهم مثل أبي علي الحطي ذكره في "تاريخ بغداد" والحافظ أبو بكر الخطيب ذكر له ترجمة مطوَّلَةً في "تاريخ بغداد" وأبو يوسف القزويني صنف مجلدًا في أخباره، وأبو الفرج بن الجوزي له فيه مصنف سماه "رفع اللجاج في أخبار الحلاج". وبسط ذكره في تاريخه أبو عبد الرحمن السلمي في "طبقات الصوفية": أن كثيرا من المشايخ ذَمُّوهُ، وأنكروا عليه، ولم يَعُدُّوهُ من مشايخ الطريق؛ وأكثرهم حط عليه. وممن ذَمَّهُ وحَطَّ عليه أبو القاسم الجنيد؛ ولم يُقْتَلْ في حياة الجنيد؛ بل قُتِلَ بعد موت الجنيد؛ فإن الجنيد توفي سنة ثمان وتسعين ومائتين، والحلاج قُتِلَ سنة بضعٍ وثلاثمائةٍ، وقَدَّمُوا بِهِ إلى بغدادَ راكبا على جملٍ يُنَادَى عليه: هذا داعي القرامطةِ. وأقام في الحبسِ مُدَّةً حتى وجد من كلامه الكفر والزندقة واعترف به: مثل أنه ذكر في كتاب له: من فاته الحج فإنه يَبْنِي في دَارِهِ بيتًا ويطوفُ به كما يطوف بالبيت، ويتصدق على ثلاثين يتيمًا بصدقةٍ ذَكَرَهَا وقد أجْزَأَهُ ذلك عن الحج"[39]

***

ومن مشاهير الزنادقة الأوائل: أبو الحسن أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي (المعروف بابن الراوندي 825–910م.). وهو فارسي الأصل كمُعْظَمِ الزنادقةِ. كان في بداية أمره "طيِّبَ السيرةِ، نقيَّ السريرةِ، مُحافظاً على الفرائض الدينية.." ألَّفَ في هذه المرحلة كِتَابَيْنِ، سَمَّى الأَوَّلَ منهما: "الابتداء والإعادة"، وسَمَّى الثانِيَ: "الأسماء والأحكام"، فنالا قبولاً في الأوساط العلمية.

كان ابْنُ الراونديّ من عباقرةِ الأذكياءِ فَطِنًا مُتَنَبِّهًا ضليعًا بالعلومِ العقليةِ والنقليةِ، عالِمًا بدقائقِهَا، انضمَّ إلى المعتزلةِ، وصار من المرموقين بين قدمائِهِمْ في بداية مساعيه العلمية. فلم يدانيه في عُمْقِ معارفه الغزيرة أحدٌ من أقرانهِ بخاصةٍ في علمِ الكلامِ والفلسفةِ. ولم يكن أحدٌ أعلم منه بمذاهب أهل الملل والنحل واختلاف عقائدهم وأفكارهم. ثم ما لبث حتى عدل عن الاعتزال بعد أن تخلى عن السنة البيضاءِ. ثم تغيَّرتْ عقيدتُهُ بعد فترةٍ من الزمن، وساء نظرُهُ إلى الإسلامِ وتعاليمه، فشمَّرَ عن ساعد الجِدِّ للطّعن في القرآن الكريم، وإنكارِ وجودِ الخالقِ واليومِ الآخرِ.. فألّفَ عديدًا من الْكُتُبِ، شرح فيها مطاعنه الموجهةَ إلى كتاب الله وإلى عقيدة التوحيد. كان شديد الإلحادِ. هكذا انْثَنَى عن جادةِ الحقِ شيئًا فشيئًا إلى أن غَرِقَ

[39] مجموع الفتاوى: (35/ 108)

في مُسْتَنْقَعِ الكفرِ والإلحاد. والمثيرُ أنّه على رغم ما أعلن عن كفرياتِهِ وشطحاتِهِ الإلحاديةِ في عديدٍ من مؤلّفاتِهِ التي لا شكَّ أنها كانت داعيةً لملاحقتهِ وتنفيذِ أشدِّ العقوبةِ عليه يومئذٍ، لكنّه لم يتعرّض لأدنى شيءٍ من ذلك، ولم يُحْرَقْ شيءٌ من كُتُبِهِ. فَلَعَلَّ الظروفَ السياسيةَ التي كانت سائدةً في تلك المرحلةِ تمنحُ حريةَ التعبيرِ عن الرأيِ، وتسمحُ للعلماءِ أنْ يكشفوا عن أفكارِهم ومعتقداتِهم دون خوفٍ أو قلق.

***

ومن المُتوَغّلين في الزندقةِ، أبو الحيان التوحيدي (ت. 1023م.). جاء في "سِيَرِ أعْلاَمِ النُّبَلاَءِ" للإمام الذهبي، يقوا:

"الضالُّ الْمُلْحِدُ أبو حيان، عليُّ بْنُ محمدِ بْنِ العباس البغداديُّ الصوفِيُّ، صاحبُ التصانيفِ الأدبيةِ والفلسفيةِ، ويقال: كان من أعيان الشافعية. قال ابن بابي في كتاب "الخريدة والفريدة": كان أبو حيان هذا كَذَّابًا قليلَ الدِّينِ والورعِ عن القذف والمجاهرة بالبهتان، تعرَّضَ لأمورٍ جسامٍ من القدحِ في الشريعةِ والقولِ بالتعطيلِ، ولقد وقف سيدنا الوزير الصاحب كافي الكفاة على بعض ما كان يدغله ويخفيه من سوء الاعتقاد، فطلبه ليقتله، فهرب، والتجأ إلى أعدائه، ونفق عليهم تزخرفه وإفكه، ثم عثروا منه على قبيحِ دُخْلَتِهِ وسوء عقيدته، وما يُبْطِنُهُ من الإلحاد، ويرومه في الإسلام من الفساد، وما يلصقه بأعلام الصحابة من القبائح، ويضيفه إلى السلف الصالح من الفضائح، فطلبه الوزير المهلبي، فاستتر منه، ومات في الاستتار، وأراح الله، ولم يؤثر عنه إلا مثلبة أو مخزية. وقال أبو الفرج بن الجوزي: زنادقة الإسلام ثلاثة: ابن الراوندي، وأبو حيان التوحيدي، وأبو العلاء الْمَعَرِّي، وأشدهم على الإسلام أبو حيان، لأنهما صرحا، وهو مَجْمَجَ[40] ولم يصرح.[41]

***

ومن المعروفين بالزندقة ملوك الدولة العبيدية[42] التي وردتْ في بعضِ المصادرِ التاريخية باسمِ "الدولة الفاطمية". أفْرَدَ جلالُ الدين عبدُ الرحمنِ بْنُ أبي بكرِ السيوطِيُّ فصلاً في كتابه "تاريخ الخلفاء" لهذه

---

[40] مَجْمَجَ فلانٌ في خبرِه: لم يبيّنْه، ومَجْمَجَ الكتابَ: خلَّطَهُ وأَفْسَدَهُ بقَلَم

[41] سير أعلام النبلاء: (17/ 120)

[42] وهذه قائمة بأسماء الملوك العبيديّين:

1 عبيد الله المهدي 909 – 934

الدولة، فاسْتَهَلَّ بقولِهِ: "فصل في الدولة الخبيثة العبيدية"[43] وقال في (باب فتن المآت): "ومن جملة ذلك: ابتداءُ الدولة العبيدية وناهيكَ بهم إفسادًا وكُفرًا وقتلاً للعلماءِ والصلحاء. وفي المئة الرابعة كانت فتنة الحاكم بأمر إبليس لا بأمر الله، وناهيك بما فعل..."[44] أمَّا الملقبُ بـ"الحَاكِمِ بِأَمْرِ اللهِ" في كلمات السيوطِيِّ فهو: المنصورُ بْنُ العزيزِ باللهِ الفاطميُّ. فقد أجمع العلماءُ على أنه كان زنديقًا خطيرًا، وطاغيةً دمويًّا.

قال الإمام الذهبي في هذا الزنديق الشريس: "كان شيطانًا مريدًا جَبَّارًا عنيدًا، كثيرَ التَّلَوُّنِ، سَفَّاكًا للدِّمَاءِ، خبيثَ النحلةِ، عظيمَ المكرِ جَوَادًا مُمَدَّحًا، له شأنٌ عجيبٌ، ونبأٌ غريبٌ، كان فرعونَ زَمَانِهِ، يخترعُ كُلَّ وقت أحكامًا يُلْزِمُ الرعيةَ بها؛ أَمَرَ بِسَبِّ الصحابة رضي الله عنهم، وبكتابةِ ذلك على أبوابِ المساجدِ والشوارعِ. وأَمَرَ عُمَّالَهُ بالسَّبِّ، وبقتلِ الكلابِ في سنة خمس وتسعين وثلاثمائة، وأبطلَ الفُقَّاعَ[45] والملوخيا، وحَرَّمَ السمكَ الذي لا فُلُوسَ عليهِ، ووقع ببائعٍ لشيء من ذلك فقتلهم.

---

2 محمد القائم بأمر الله 934 – 945
3 إسماعيل المنصور بنصر الله 945 – 952
4 معد المعز لدين الله 952 – 975
5 نزار العزيز بالله 975 – 996
6 المنصور الحاكم بأمر الله 996 – 1020

7 علي الظاهر لإعزاز دين الله 1020 – 1035
8 معد المستنصر بالله 1035 – 1094
9 أحمد المستعلي بالله 1094 – 1101
10 المنصور الآمر بأحكام الله 1101 – 1130
11 عبد المجيد الحافظ لدين الله 1130 – 1149
12 إسماعيل الظافر بأمر الله 1149 – 1154
13 عيسى الفائز بنصر الله 1154 – 1160
14 عبد الله العاضد لدين الله 1160 – 1171

[43] **جلالُ الدين عبدُ الرحمنِ بْنُ أبي بكرِ السيوطِيُّ، تاريخ الخلفاء: (ص367)**

[44] **جلالُ الدين عبدُ الرحمنِ بْنُ أبي بكرِ السيوطِيُّ، تاريخ الخلفاء: (ص369)**
وردت في صحيفة الرياض؛ الصادرة في يوم الجمعة والسبت 19/18 ذو القعدة 1446هـ 17/16 مايو 2025م وردت فيها عبارات ، وهذا نصها: "أن تسمية تلك الدولة بالفاطمية تسمية كاذبة أراد بها أصحابها خداع المسلمين بالتسمي باسم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بين العلماء والمؤرخون في ذلك الزمان كذب تلك الدعوى وأن مؤسسها أصله مجوسي يدعى سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبدالله بن ميمون القداح بن ديصان الثنوي الاهوازي وسعيد هذا تسمى بعبيد الله عندما أراد إظهار دعوته ونشرها ولقب نفسه بالمهدي. فالنسبة الصحيحة لدولته أن يقال العبيدية كما ذكر ذلك جملة من العلماء المحققين ويظهر من نسب مؤسسها الذى ذكر آنفاً أن انتسابهم الى آل البيت كذب وزور وأنما أظهروا ذلك الانتساب لاستمالة قلوب الناس اليهم قال العلامة ابن خلكان في وفيات الاعيان 118/3والجمهور على عدم صحة نسبهم وأنهم كذبة أدعياء لا حظ لهم في النسبة المحمدية أصلا."

[45] **الفُقَّاعُ: بضم الفاء هو شرابٌ مُتَّخَذٌ من الشعيرِ الْمُخَمَّرِ، وسُمِّيَ كذلك لأنه عندما يُخَمَّرُ تظهر فقاعاتٌ، وتُسَمِّيهِ العامةُ (البيرة). وهو محرم سواء ضُمَّ إليه الكحولُ أم لا. (فقهية). وحلوى الفقاع هي من أشهر أصناف الحلويات الشعبية في دولة الإمارات، كما تنتشر في دول عربية أخرى، وهناك شريحةٌ كبيرةٌ أصبحت تُطْلِقُ عليها اسمَ «لُقَيْمَات»، وفي مصر تسمى الزلابية أو لقمة القاضي، وفي بلاد الشام تعرف باسم «العوامة».**

وفي سنة اثنتين وأربعمائة حَرَّمَ بيعَ الرطبِ، وجمع منه شيئًا عظيمًا فَأَحْرَقَهُ، ومنع من بيع العِنَبِ، وأبادَ الكروم. وأمر النصارى بتعليقِ صَلِيبٍ في رِقَابِهِمْ زِنَتُهُ رِطْلٌ وَرُبُعٌ بالدمشقيِّ، وألزمَ اليهودَ أنْ يُعَلِّقوا في أعناقِهِمْ قرمية في زنة الصليب إشارة إلى رأس العجل الذي عبدوه، وأن تكون عمائمهم سودًا، وأن يدخلوا الحمامَ بالصليبِ وبالقرمية، ثم أُفْرِدَ لهم حماماتٌ، وأمَرَ في العامِ بهدمِ كنيسةِ قمامة وبهدمِ كنائس مصرَ."[46]

جميع ملوك الدولة الفاطمية كانوا زنادقةً طغاةً دمويّين، أرادوا إزالةَ مِلَّةِ الإسلامِ والقضاءَ على الدين الحنيف، وقتلوا ما لا يُحصى من العلماءِ والصالحين، اختلقوا ديانتين على أسس الكفر البواحِ، وهما الديانة الإسماعيليةُ، والديانة الدرزيةُ وسيأتي شرحهما إن شاء الله تعالى.

***

[46] سير أعلام النبلاء: (15/174)

الزنادقة الذين اشتهروا بِزَنْدَقِيَّاتِهِمْ في التاريخِ الإسلاميِّ:

من مشاهير الزنادقة المتأخرين: محمد بن علي بن محمد بن عربي الأندلسي الشهير بـ"محيي الدين بن عربي" (1165–1240م.). وهذه جملة من أقواله التي أثبتها العلما وتناقلوها في مؤلفاتهم:

قال: "العبدُ رَبٌّ، والربُّ عبدٌ * يا ليت شعري مَن المكلَّفُ؟
إن قلت عبدٌ فذاك حَقٌّ * أو قلت ربٌّ أنَّ يُكلَّفُ؟"

وقال في موضع آخر: "إن الحقّ المنزّه، هو الخلق المشبّه." وقال في موضع آخر في قوم نوح: إنهم لو تركوا عبادتهم لودٍّ وسواعٍ ويغوث ويعوق، لجهلوا من الحق أكثر مما تركوا. وقال في موضع آخر: إن للحقّ في كلّ معبودٍ وجهاً يعرفه من يعرفه، ويجهله من يجهله، فالعالم يعلم من عبد، وفي أي صورة ظهر حين عُبد، وإن التفريق والكثرة، كالأعضاء في الصورة المحسوسة. وقال في موضع آخر: إنهم حصلوا في عين القرب، فزال البعد، فزال به حر جهنم في حقهم، ففازوا بنعيم القرب من جهة الاستحقاق، فما أعطاهم هذا الذوق اللذيذ من جهة المنّة وإنما استحقته حقائقهم من أعمالهم التي كانوا عليها، وكانوا على صراط مستقيم. وقال في موضع آخر: ثم أنكر فيه حكم الوعيد في حقّ من حقّت عليه كلمة العذاب من سائر العبيد. وقال في موضع آخر: فهل يكفر من يصدّقه في ذلك، أو يرضى به منه، أم لا؟ وهل يأثم سامعه إذا كان بالغاً عاقلاً، ولم ينكره بلسانه أو بقلبه، أم لا؟

قال القاضي بدر الدين بن جماعة: "هذه الفصول المذكورة، وما أشبهها من هذا الباب: بدعة وضلالة، ومنكر وجهالة، لا يصغي إليها ولا يعرّج عليها ذو دِين."

قال ابن تيمية: "وقد علم المسلمون واليهود والنصارى بالاضطرار من دين المسلمين، أن من قال عن أحد من البشر: إنه جزء من الله، فإنه كافر في جميع الملل، إذ النصارى لم تقل هذا، وإن كان قولهم من أعظم الكفر، لم يقل أحد: إن عين المخلوقات هي أجزاء الخالق، ولا إن الخالق هو المخلوق، ولا إن الحق المنزه هو الخلق المشبّه. وكذلك قوله: إن المشركين لو تركوا عبادة الأصنام، لجهلوا من الحق بقدر ما تركوا

منها، هو من الكفر المعلوم بالاضطرار بين جميع الملل، فإن أهل الملل متفقون على أن الرسل جميعهم نهوا عن عبادة الأصنام، وكفّروا من يفعل ذلك، وأن المؤمن لا يكون مؤمنًا حتى يتبرأ من عبادة الأصنام، وكل معبود سوى الله، كما قال الله تعالى: قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ.(الممتحنة/4). فمن قال إن عبّاد الأصنام، لو تركوهم لجهلوا من الحق بقدر ما تركوا منها أكفر من اليهود والنصارى، ومن لم يكفّرهم فهو أكفر من اليهود والنصارى، فإن اليهود والنصارى يكفّرون عبّاد الأصنام، فكيف من يجعل تارك عبادة الأصنام جاهلاً من الحق بقدر ما ترك منها؟! مع قوله: فإن العالم يعلم من عبد، وفي أي صورة ظهر حين عبد، فإن التفريق والكثرة كالأعضاء في الصورة المحسوسة، وكالقوة المعنوية في الصورة الروحانية، فما عبد غير الله في كل معبود، بل هو أعظم كفرًا من عبّاد الأصنام، فإن أولئك اتخذوهم شفعاء ووسائط، كما قالوا: ما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفي (الزمر/40). وقد استرسل ابن تيمية هكذا في ردوده على ابن عربي وكتب ما لا يسع المقام لنقلها.

وقال ابن حجر: "أنه ذكر لمولانا شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني، شيئاً من كلام ابن عربي المشكل، وسأله عن ابن عربي، فقال له شيخنا البلقيني: هو كافر."

قال ابن خلدون: ومن هؤلاء المتصوفة: ابن عربي، وابن سبعين، وابن برّجان، وأتباعهم، ممن سلك سبيلهم ودان بنحلتهم، ولهم تواليف كثيرة يتداولونها، مشحونة من صريح الكفر، ومستهجن البدع، وتأويل الظواهر لذلك على أبعد الوجوه وأقبحها، مما يستغرب الناظر فيها من نسبتها إلى الملّة أو عدّها في الشريعة."

وقال السبكي: ومن كان من هؤلاء الصوفية المتأخرين، كابن العربي وأتباعه، فهم ضلاّل جهال، خارجون عن طريقة الإسلام، فضلاً عن العلماء."

وقال أبو زرعة ابن الحافظ العراقي: "لا شك في اشتمال الفصوص المشهورة على الكفر الصريح الذي لا شك فيه، وكذلك فتوحاته المكية، فإن صحّ صدور ذلك عنه، واستمر عليه إلى وفاته: فهو كافر مخلد في النار بلا شك."

***

ومن مشاهير الزنادقة المتأخرين أيضًا: عَبْدُ الْحَقِّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ نَصْرٍ المعروف بـ"ابْنِ سَبْعِينَ" (1219–1270م.). يقول عنه ابن كثير: "اشْتَغَلَ بِعِلْمِ الْأَوَائِلِ وَالْفَلْسَفَةِ، فَتَوَلَّدَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ نَوْعٌ مِنَ الْإِلْحَادِ، وَصَنَّفَ فِيهِ وَكَانَ يَعْرِفُ السِّيمِيَا، فَكَانَ يُلَبِّسُ بِذَلِكَ عَلَى الْأَغْبِيَاءِ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْأَغْنِيَاءِ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ حَالٌ مِنْ أَحْوَالِ الْقَوْمِ وَلَهُ مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ كِتَابُ "الْبُدِّ"، وَكِتَابُ "الْهُوَ" وَقَدْ أَقَامَ بِمَكَّةَ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى عَقْلِ صَاحِبِهَا أَبُو نُمَيٍّ، وَجَاوَرَ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ بِغَارِ حِرَاءَ يَرْتَجِي – فِيمَا يُنْقَلُ عَنْهُ – أَنْ يَأْتِيَهُ فِيهِ وَحْيٌ كَمَا أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، بِنَاءً عَلَى مَا يَعْتَقِدُهُ مِنَ الْعَقِيدَةِ الْفَاسِدَةِ مِنْ أَنَّ النُّبُوَّةَ مُكْتَسَبَةٌ، وَأَنَّهَا فَيْضٌ يَفِيضُ عَلَى الْعَقْلِ إِذَا صَفَا، فَمَا حَصَلَ لَهُ إِلَّا الْخِزْيُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِنْ كَانَ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ، وَقَدْ كَانَ إِذَا رَأَى الطَّائِفِينَ حَوْلَ الْبَيْتِ يَقُولُ عَنْهُمْ: كَأَنَّهُمُ الْحَمِيرُ حَوْلَ الْمَدَارِ، وَإِنَّهُمْ لَوْ طَافُوا بِهِ كَانَ ذَلِكَ أَفْضَلَ مِنْ طَوَافِهِمْ بِالْبَيْتِ. فَاللَّهُ يَحْكُمُ فِيهِ وَفِي أَمْثَالِهِ، وَقَدْ نُقِلَتْ عَنْهُ عَظَائِمُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، تُوُفِّيَ فِي الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَوَّالٍ بِمَكَّةَ."[47]

***

ومن مشاهير الزنادقة المتأخرين أيضًا: عفيفُ الدين سليمان بن علي بن عبد الله التلمسانيُّ (1213–1291م.). قال ابنُ كثير في البداية والنهاية: "العفيفُ التِّلْمِسانيُّ أبو الرَّبيع سليمان بن علي بن عبد الله بن علي بن ياسين العابِدي الكُوفي ثم التِّلْمِسانيُّ. الشاعر المتقن في علومٍ منها: النحوُ، والأدبُ، والفقهُ، والأصولُ، وله في ذلك مُصَنَّفَاتٌ، وله "شرح مواقف النِّفَّري" و"شرح أسماء الله الحسنى"، وله "ديوان" مشهور، ولولده محمد "ديوان" آخر، وقد نسب هذا الرجل إلى عظائم في الأقوال والاعتقاد في الحلول والاتحاد والزندقة والكفر المحض، وشهرته تغني عن الإطناب في ترجمته، توفي يوم الأربعاء خامس رجب ودفن بالصوفية، ويذكر عنه أنه عمل أربعين خلوة كل خلوة أربعون يومًا متتابعة فالله أعلم.[48] قال الإمام الذهبي: أحد زنادقة الصّوفية، وقيل له مرّة: أأنت نصيريّ؟ فقال: النّصيريّ بعض مني."[49] وقال أيضًا: والعفيف هذا من عظماء الطّائفة القائلين بالوحدة المطلقة. وقال بعضهم: هو لحم خنزير في صحن صيني،

---

[47] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية: (17/ 497)

[48] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية: (15/ 557)

[49] عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الدمشقي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب: (7/ 719)

وأنه يدرج السّمّ القاتل في كلامه لمن لا فطنة له بأساس قواعده. ورموه بعظائم من الأقوال والأفعال، وزعموا أنه كان على قدم شيخ شيخه في أنه لا يحرّم فرجا." [50] وقال ابن تيمية: "وأما الفاجر التِّلْمِسانِيُّ: فهو أخبث القوم وأعمقهم في الكفر؛ فإنه لا يُفَرِّقُ بين الوجودِ والثبوتِ كما يفرق ابن عربي ولا يفرق بين المطلق والمعين كما يفرق الرومي، ولكن عنده ما ثم غير ولا سوى بوجه من الوجوه. وأن العبد إنما يشهد السِّوَى ما دام محجوبًا فإذا انكشف حجابُهُ رأى أنه ما ثم غير يبين له الأمر. ولهذا: كان يستحل جميع المحرمات؛ حتى حَكَى عنه الثقاتُ أنه كان يقول "البنت والأم والأجنبية شيء واحد ليس في ذلك حرام علينا وإنما هؤلاء المحجوبون قالوا حرام فقلنا حرام عليكم." وكان يقول "القُرْآنُ كُلُّهُ شِرْكٌ، لَيْسَ فِيهِ تَوْحِيدٌ، وَإِنَّمَا التَّوْحِيدُ فِي كَلاَمِنَا."[51]

***

ومن مشاهير الزنادقة المتأخرين أيضًا: فريد الدين العطار (1145–1221م.)؛ وهو فارسي الأصل، أخذ لَقَبَهُ من مِهْنَةِ أبيه الذي كان عطّارًا. وُلِدَ في نيسابور، وهي أحْدَى مُدُنِ خُرَاسَان التي نبغ فيها كثير من مشاهير الصوفية الأوائل، كإبراهيم بن أدهم، وشقيق البلخي، وبشر الحافي، وفضيل بن عياض، وأبي يزيد البسطامي، وحاتم الأصم، وأبي حفص الحداد، وأبي عثمان الحيري، وعبد الكريم القشيري، وأبي حامد الغزالي، وأبي سعيد بن أبي الخير، وجلال الدين الرومي؛ كل هؤلاء يرجع أصولهم إلى هذه المنطقة.

قيل: أخذ العطارُ التصوفَ من نجم الدين الكبرى (1145–1221م.)، لكنَّ هذا الإسنادَ لا يستقيم مع الأدلة الواردة في المصادر المعتبرةِ، يُعدُّ العطارُ أحدَ أعظم الشعراء والمفكرين الصوفيين. له أثرٌ بالغٌ في الأدب الفارسي من أشهر آثاره كتاب "منطق الطير". وَرَدَ على لسان المؤلِّف رِضَا قُلِيخَانْ في كتابه "رياض العارفين" أنَّ العطار تَعَلَّمَ الطِّبَّ على يدي الشيخ مجد الدين البغدادي، وهو أحدُ تلاميذ الشيخ نجم الدين الكبري. أمّا قولُ بعضهم: "أن فريد الدين العطار كان من مريدي الشيخ نجم الدين الكبري" رحمه الله، فلا أساسَ له من الصحةِ. قال الإمام الذهبي: الشيخ الإمام العلامة القدوة المحدث الشهيد شيخ خراسان نجم الدين الكبرى الشيخ أبو الجناب أحمد بن عمر بن محمد الخوارزمي الخيوقي الصوفي، وخيوق من قرى خوارزم. طاف في طلب الحديث، وسمع من أبي طاهر السلفي، وأبي العلاء الهمذاني العطار،

---

[50] عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الدمشقي،شذرات الذهب في أخبار من ذهب: (7/ 720)

[51] تقي الدين أحمد ابن تيمية، مجموع الفتاوى: (2/ 472)

ومحمد بن بنيمان، وعبد المنعم بن الفراوي، وطبقتهم، وعني بالحديث، وحصل الأصول. حَدَّثَ عنه عبدُ العزيز بن هلالة، وخطيب داريا شمخ، وناصر بن منصور العرضي، وسيف الدين الباخرزي تلميذه، وآخرون.[52]

لعل جلال الدين الرومي استوحى عَقِيدَتَهُ من فريد الدين العطار حين زاره مع أهله وهو يومئذٍ مراهقٌ، وذلك في أثناءِ سفرهم إلى بغداد، فوهب له العطارُ كتابًا من مؤلفاته التي ربما تأثَّرَ الروميُّ بما فيه من الأفكارِ والمعتقداتِ المشوبةِ بالفلسفةِ المخالفةِ للتوحيدِ القرآنِيِّ.

فقد كان العطار يُخفي ما يجول في ذهنه من أفكارٍ ومعتقداتٍ خطيرةٍ خوفًا من إنكار العلماءِ عليه أن يتعرّضَ للعقوبةِ كحسين بن منصور الحلاج، والمعروف أنَّ كثيرًا من الصوفية الأوائل كانوا يكتمون أسرارهم إلاَّ لبطانتهم، إذ كانوا يصفون معتقداتهم أنها أمورٌ ذوقيةٌ دقيقةٌ لا يفهمها العوامُّ فضلاً عن العلماءِ الذين كانوا في نظرهم من أهل الرسوم والطبائع الجافةِ القاصرةِ عن فهم بواطن الآيات. ومع ذلك أنَّ الصوفيةَ كانوا ولا يزالون يعظمون كتابَ اللهِ والشريعةَ الْمُسْتَمِدَّةَ منه، ربما على سبيل التقية والتعمية، وهذا يُعَدُّ من أخطر مكائدهم ويدل على نفاقهم. لكن العطارَ قد أفشى قَدْرًا من أسراره عَبْرَ دواوينه بحسب الأحوال، خاصةً عندما وَجَدَ الظروفَ مواتيةً ليبوح عن نفسه.

لقد خاضَ جمعٌ من أهل الدراسة في البحثِ عن فريد الدين العطار ما يصعب حَصْرُهُمْ، لكثرةِ ما كَتَبَهُ العطار. يقول أحدُهم يُدعى دَوْلَتْشَاهْ: "إنَّ مثنويات العطار تبلغ أربعين ألفَ بيتٍ." ويقول مؤلف "آتَشْ گَدَهْ: "إنها مائةُ ألفٍ، وإنَّهُ عَدَّ منها خمسين ألفًا." ويقول رِضَا قُلِيخَانْ في مجمع الفصحاء: "إنها أكثرُ من ذلك." كلُّ كُتُبِ العطارِ منظومةٌ إلا "تذكرة الأولياء". أما أشهر آثاره فهي: "إلَهِي نَامَهْ"، و"مَنْطِقُ الطَّيْرِ" (ملحمة أدبية)، وَأَسْرَارْ نَامَهْ"، و"پَنْدْ نَامَهْ"،و"خُسْرَوْ نَامَهْ"، وَ"مُصِيبَتْ نَامَهْ"...

---

[52] المصدر: سير أعلام النبلاء: (22/ 111)

لقد ضرب العطارُ مثالاً من الإلحادِ في غلُوّهِ الفاحشِ الذي قَلَّمَنْ تجرّأَ على مثله؛ يقول في ديوانه "بِي سَرْ نَامَهْ" فيما نَقَلَهُ عبد الوهاب عزَّام عَبْرَ تَرْجَمَتِهِ مِنَ الفارسية إلى العربية. يقول العطار في أبياتٍ له وبكل صراحةٍ:

"أنا الله أنا الله أنا الله * فَارِغٌ مِنَ الْحِقْدِ وَالْكِبْرِ وَالْهَوَى،
أُبَيِّنُ أَسْرَارَ بِيسَرْ نَامَهْ * وَأُحَيِّرُ عُشَّاقَ الْعَالَمِ." [53]

ينقلُ المترجمُ عزّامٌ عنه عَبْرَ تَرْجَمَتِهِ، وهذا نَصُّهَا: "ويقولُ في الكتابِ نَفْسِهِ: "أقول لك سِرَّ الأسرارِ الخفية؟ اعلمْ أخي أنَّ النَّقْشَ هو النَّقَّاشُ." ومِنْ تَرَدُّدِ الشاعرِ بينَ هاتينِ الحالتينِ، نَرَاهُ مُعْجِبًا بالحلاجِ، يتخذه إمامًا في إفشاءِ السِّرِّ، والإعلان بالحقِّ، وَيُكَرِّرُ قولَهُ المعروفَ: «أنا الحق»، ثم نجده يلومه ويُسَمِّيهِ لِصَّ الطَّرِيقِ (دِزْدِرَاهْ)؛ لأنه لم يستطعْ كِتْمَانَ أَسْرَارِ الطَّرِيقِ."[54]

هذه العبارات الصريحة تؤكّدُ ولا شكَّ على أنَّ فريد الدين العطار كانَ حُلوليًّا، وُجُودِيًّا، متوغلاً في الزندقة والإلحاد. ومؤلّفاته لا تقل خطورةً على الإسلام والمسلمين عن كتب بقية الزنادقة والملحدين.

***

ومن مشاهير الزنادقة المتأخرين أيضًا: الشيخ صدر الدين القونوي (1209–1274م.)، ورد في وصيتهِ عباراتٌ تدلُّ على أنه كان من أهل التوحيد.[55] كما نَدَرَ الطعنُ فيه، لكنه جاءت أقوالٌ على لسان بعض

---

[53] عبد الوهاب عزام، التصوّف وفريد الدين العطار ص/**58**، نقلاً من ديوان العطار الموسوم: "بي سر نامه"، رقم الأبيات: **31**، **32** مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة– **2017**
وهذا النص الأصلي للأبيات باللغة الفارسية:
من خدايم من خدايم من خدا * فارغم از كبر و كينه وز هوا
سر بي سرنامه را پيدا كنم * عاشقان را در جهان شيدا كنم

[54] عبد الوهاب عزام، التصوّف وفريد الدين العطار ص/**58**، نقلاً من ديوان العطار الموسوم: "بي سر نامه"، رقم الأبيات: **31**، **32** مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة– **2017**

[55] هذه كلماتُهُ (إذا صحَّ والله أعلم):
قال في وصيته: "أنه موقن بأن الله تعالى واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وأن الله تعالى بعثه من اختار من صفوته إلى خلقه عموما، كنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وخصوصا كباقى الرسل إلى طائفة مخصوصة حق، والجنة حق، والنار حق، وتجسد الاعمال وقبولها حق، والوزن حق، وأن الجميع صدقوا فيما أخبروا أُمَمُهُمْ عن الله تعالى وحكموا به قبل نسخ شرائعهم وتيقنوا أن القيامة حق، وتحول الحق في الصور الاعتقادية بحسب الادراك أصل العقائد حق، والنعيم والعذاب المحسوسين والمعنويين حق، والصراط حق، والبرزخ المتوسطة بين الدنيا والاخرة حق، وتفاصيل ما جاء عن نبينا أنه أخبر من حوال الآخرة والجنة والنار وشؤون الحق وصفاته وأفعاله في كل موطن حق، وعلى هذا أحيى وعليه أموت."

العلماءِ ما يدلُّ على أنَّ القُونَوِيَّ كان مُتَلَبِّسًا بالزندقةِ. يتحدّث ابن حجر العسقلاني في كتابه إنباء الغمر بأبناء العمر يتحدّث عن صدر الدين القونوي، فيقول: "كان كثير الفضل والأفضال غير أنه يعاب بنحلة ابن العربي وبأنه يقرئ الفصوص ويقرره." عاصر القونويُّ جلال الدين الرومي وعاشره وصلى على جنازته، وتوفي بعده بسنة. وكان على صلة قوية بالزنادقة الحلوليّين الوجوديّين كابن سبعين، وعفيف الدين التِّلْمِسانِيُّ وأوحد الدين الكرماني وهم جميعا يقولون بالحلول والاتحاد. كان القونويُّ ربيبَ محي الدين بن عربي وتتلمذ عليه، ذلك أنَّ ابْنَ عربي تزوَّجَ بِأُمِّهِ الأرْمَلَةِ بعد وفاة والده. كان القُونَوِيُّ يومئذ في الحادية عشرة من عمره، وقضى سنين من حياته معه وأوصى أن يُدفنَ بِقُرْبِهِ.

***

ومن الْمُتَّهَمِينَ بالزنادقةِ: شمس التبريزي (1185م– 1248م)، يقول أحد الباحثين الفرس يُدعى عطاءُ الله تَدَيُّن: "نعلمُ أنَّ حياةَ شمسٍ مغلَّفَةٌ بِغِلاَلَةٍ من الإبْهَامِ، وأن علاقة مولانا بهذا الرجل الطّاعن في السّنّ، إحدى أكثر الوقائع إثارةً لِلْعَجَبِ وانطواءً على الأسرارِ"[56] إنَّ هذا الكلام يُنْبِئُنَا عن حياة التبريزي أنها محاطةٌ بِعَتَمَةٍ من الغموض. فقد اختلف الباحثون في سيرتِهِ وعاقبتِهِ اختلافًا بالغًا في الغاية. يؤكد على ذلك ما يقوله الباحث خالد محمد عبده في مقالة له ما نصه: "يتضّح لِمُتَابِعِ هذا العَرْضِ لِصُوَرِ شمس التبريزيّ التي رَسَمَتْهَا له الكتاباتُ العربيةُ والاستشراقيةُ؛ غُمُوضُ هذهِ الشخصيةِ واحتجابُ كثيرٍ من المعلوماتِ التي مِنْ شَأْنِهَا أنْ تساعدَ الباحثَ في التعرُّفِ على حقيقتهِ". لكنه يكفينا أن نَتَعَرَّفَ على شيءٍ من معتقداتِ شمس التبريزيِّ بالقدرِ الذي يظهرُ خلالَ مُغَامَرَتِهِ مع جلال الدين الرومي، فتنكشفَ لنا عَقِيدَتُهُ.

كان التبريزيُّ غريبَ الأطوارِ، مارس التجارةَ فطاف بالبلاد في زَيِّ تاجرٍ، لكنه لم يَتَّخِذْ هذه المهنةَ لكسبِ المالِ، بل توارى بها لِيَطَّلِعَ على أفكارِ الناسِ ومستوياتِهِمْ العقلية، ومعتقداتِهِمْ وميولِهِمْ، لِيَسْتَحْوِذَ عليهم فَيَنْفُخَ في نُفُسِهِمْ من عقائده. دامتْ حياتُهُ على هذا النمطِ حتى زَارَ مدينَةَ قونيا، فَلَقِيَهُ جلال الدين الرومي، وربما كان التبريزيُّ في طلبه كَيْ يستفيد من شهرتِهِ لِبَثِّ عَقَائِدِهِ في المجتمع السلجوقي. واشتهر لقاءُ الروميِّ والتبريزيِّ في عَالَمِ الصوفِيَّةِ بكلمة "مرج البحرين". جاءَ وصف التبريزي في "مناقب العارفين" للأفلاكي: "أنه شمس الحق والدين". ويُلقَّب بـ"قطب الصوفية"، و"سيّدِ أولياء الله" وبـ"الطائر"...

[56] عطاء الله تديّن، بحثًا عن الشمس، من قونية إلى دمشق، جلال الدين الرومي وشيخه شمس تبريز، ترجمة: عيسى علي العاكوب، دار نَيْنوى، سورية، **2015**، ص**549**.

انْبَهَرَ به الروميُّ ودعاه إلى بيته، وأكرمه وأحبه حبًّا شديدًا. فلما عرف التبريزيُّ أنَّ الروميَّ يُدرِّسُ الفقهَ سأله: "لماذا تأخذ نفسك بدراسة الفقه؟" فأجاب الروميُّ: "لأعْرِفَ الشَّرْعَ"، فقال التبريزيُّ: "أليس الأجْدَى أنْ تعرفَ صاحبَ الشرعِ!" استطاع بهذه المغالطةِ أن يصرفَ الرومِيَّ في لَحْظَةٍ واحدةٍ عن أسلوب حياته ونشاطه العلمي، فتعلّقتْ به نفس الرومي تعلقًا شديدًا لا مزيدَ عليه. وَلَزِمَهُ من غير مُفَارَقَةٍ، فَاعْتَزَلَ الناسَ وانفردَ بالتبريزي في حجرةٍ واحدةٍ أربعين يومًا، مما أثارَ الأوهامَ والشكوكَ حول علاقتهما.

أما عقيدة التبريزي فتظهر لنا من خلال عقيدة الرومي البارزةِ في أشعاره وأقواله، ولا شك في أنهما كانا على عقيدةٍ واحدةٍ، مُتَوَغِّلَيْنِ في الوجودية والحلولِ والزندقة والاتحادِ. وهذه أبياتٌ من غزليات الرومي، قالها تعبيرًا عن حُبِّهِ الشديدِ للتبريزي، والتي تفضح عقيدتَهُمَا في الوقت ذاته:

قُدْوَتِي وَمَقْصُودِي وَأَلَمِي وَدَوَائِي
دَعُونِي أَكْشِفُ سِرَّ هَذَا اللَّفْظِ شَمْسِي وَإِلَهِي.
إِلَى الْحَقِيقَةِ وَصَلْتُ بِفَضْلِكَ يَا حَقِّي
أَنَا مُمْتَنٌّ لَكَ يَا شَمْسِي وَإِلَهِي.[57]

أما عاقبةُ شمس التبريزي، فإنّها موضوع خلافٍ بين الباحثين والمؤرّخين. لأنه اختفي في ظروف غامضة. قيل أنه قُتِلَ على يد تلاميذ جلال الدين الرومي. وثَمَّ نظريات حول اختفائه. جاءَ في بعض الروايات أنَّ مَقْتَلَهُ كانَ بإيعازٍ من علاء الدين بن جلال الدين الرومي لأسبابٍ تطور فيها النقاشُ، ولا يسع المقام لذكر تفاصيله.

***

ومن مشاهير الزنادقة المتأخرين أيضًا: جلال الدين البلخي الرومي (المعروف بـ"مولانا جلال الدين الرومي 1207–1273م.) اسمه: مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حُسَيْنِ البَلَخِيُّ الْبَكْرِيُّ. شاعرٌ عَرَبِيُّ الأصل، فَارِسِيُّ النشأةِ،

---

[57] وإليكم أصل الأبيات باللغة الفارسية:

پیر من و مراد من، درد من و دوای من
فاش بگویم این سخن، شمس من و خدای من

از تو به‌حق رسیده‌ام ای حقِ حق‌گزار من
شکر تو را ستاده‌ام، شمس من و خدای من

اختلفتْ آراءُ العلماءِ والباحثين حول شخصيتهِ وعقيدته؛ منهم مَنَ أطْرَاهُ، وبالغ في إجلالِ قدره؛ وَرَدَ مَدْحُهُ على لسانِ بعضِهِمْ، يقول: "اشتغل الروميُّ بالفتوى والتدريس، فأقبل عليه التلاميذُ واستمالَ الناسَ بعلمهِ وَزُهْدِهِ حتى لَقَّبُوهُ "إمامَ الدِّينِ" و"عِمَادَ الشريعةِ"، وبَلَغَ عندَهم مرتبةً مِنْ سِعَةِ العلومِ والمعارفِ، دَعَوْهُ بِسَبَبِهَا "سلطانَ العارفين". وقال آخر: "وقد عُرِفَ كاشفُ الأسرارِ مولانا جلال الدين الرومي وهو مِنْ كِبَارِ أهل الْمُكَاشَفَةِ وَالْمُشَاهَدَةِ، وبَيَّنَ في كثير من مواقعِ كتابِهِ المثنويّ الشريفِ أنَّ الجَمَادَاتِ والنباتاتِ والحيواناتِ تَنْطِقُ وتُسَبِّحُ وَتُهَلِّلُ." مع أنَّ ذلك حقيقةٌ قُرآنِيَّةٌ يَعْلَمُهَا كلُّ مَنْ له نصيب من كتاب الله، وليس بِسِرٍّ ولاَ غَرْيبٍ ولا مجهولٍ حتى يكشِفَهُ جلالُ الدينِ الرُّومِيُّ (كاشفُ الأسرارِ!)، والله تعالى يقول: "يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ"[58] ويقول تعالى: " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ، كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ."[59] ويقول تعالى: " وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ."[60]

كان الرومِيُّ في طوره الأول عَالِمًا وقورًا رزنًا، عليه سكينةٌ، يوقِّرُهُ المجتمعُ السلجوقي، ثم جمع القدرُ الإلهيُّ بَيْنَهُ وبين شخصٍ اسْمُهُ شمسُ التَّبْرِيزِيُّ أثناءَ تجواله عام 1244م، فَغَيَّرَ ذلك مَجْرَى حياتِهما تغييرًا جذريًّا، حيث تحول الروميُّ فور هذا التعارُفِ من شخصيةٍ معروفٍ بِعُلُوِّ كَعْبِهِ في العلوم الشرعيَّةِ إلى شاعرٍ يجيش صدرُهُ بالعاطفة، وصوفِيٍّ متفلسفٍ يتقلب في لجاج تأويلاتٍ وتفسيرَاتٍ حار الناسُ في فهمها، فاختلفت الآراءُ حوله. قال بعضهم: "توفِّيَ تاركا وراءه تراثا ضخما؛ مؤلفاتٍ عديدةً منظومةً ومنثورةً، وَبِمَوْتِهِ طُوِيَتْ صفحةٌ مشرقةٌ من أعظمِ الصفحاتِ الخالدةِ في التصوف الفلسفي الإسلامي."

ولكن في مقابل ذلك ورد في موسوعة الأعلام للمؤلف خير الدين الزركلي ما نصه: "إنَّهُ مِنَ الْغُلاَةِ أربابِ نحلةِ الاتِّحَادِ وِالْحُلُولِ مِنَ الْبَاطِنِيَّةِ، وَنَبَّهَ الْعُلَمَاءُ عَلَى لُزُومِ نَبْذِه."[61] ورد في كتابِ "أخبار جلال الدين

---

[58] سورة الجمعة/01

[59] سورة النور/41

[60] سورة الرعد/15

[61] خير الدين الزركلي، الأعلام: 7/30

الرومي" للمؤلف أبي الفضل محمد بن عبد الله القُونَوِيّ، يقول: "حرصتُ على أن أجِدَ عند علمائنا المتقدمين مَن تكلّمَ في الجلال الرومي بنقدٍ أو مديحٍ، فلم أعثر على شيءٍ إلاَّ النادِرَ من كلام التفْتَازَانِيّ، والبدر العينيّ، وهما من أهل العلم. ولم أظفرْ لأبي العباسِ التقيّ بن تيميةَ بشيءٍ، فلعلَّ لسانَ الفُرسِ الذي كان أبو العباسِ يجهلُهُ، أو لا يُتْقِنُهُ كان حائلاً دونَ ذلك."[62] ويقول في موضعٍ آخر: "أمّا المفيد والفصلُ من القولِ، والصادر عن دراسةٍ ووقوفٍ على الأمر، فهو ما قاله العلاَّمةُ التفْتَازَانِيُّ في كتابٍ له في الرَّدِّ على أهل الوحدةِ، قال: وقد اتخذ الجلالُ الرومِيُّ من هؤلاءِ، –يعني أهل الوحدةِ– الشمسَ التَّبْرِيزِيَّ إلهًا حيثُ قال بالفارسيةِ:

شَمْشِ مَنْ وَخُدَايِ مَنْ * عُمرِ مَنْ وَبَقَايِ مَنْ
أزْ تُو بَحَقْ رَسِيدَه ام * أيْ حَقِّ حَقْ گُزَارِ مَنْ"[63]

نعم، كان جلالُ الدينِ الروميُّ على معتَقَدِ ابْنِ عربِي وغيرِهِ من الوجوديّين. يلاحِظُ بعضُ أهلِ البحثِ والدراسةِ أنَّ مُصْطَلَحَ "الإنسانِ الكامل"، الذي اخْتَلَقَهُ ابْنُ عربِي، قد استعاره الروميُّ لنفسه، وَاتَّخَذَ ابْنَ عَرَبِي أسوةً اتَّبَعَهُ في مُعْظَمِ مسائلِ الاعتقاد بالإضافةِ إلى ما أخذ من شَمْسِ التَّبْرِيزِيّ من عقائدِ الإسماعيليةِ، ولهذا السبب قد زعم البعضُ "أنه كانَ الْمُمَثِّلَ البَاطِنِيَّ للإمامِ الإسماعيلي." والإسماعيليُّونَ لا شكَّ فرقةٌ مارقةٌ كافرةٌ، كما أنَّ الإسماعيليَّةَ ديانةٌ أُسِّسَتْ في العهدِ الفاطميّ لِهَدْمِ الإسلامِ. يؤكّدُ على هذه الحقيقةِ الأستاذ الدكتور فؤاد كوبرولو.[64] وسيأتي شرح ذلك فيما يلي إن شاءَ الله تعالى.

كان جلالُ الدينِ الروميُّ مغتبطًا بالقلندرية،[65] لمطابقة عقيدة الطرفين، لكنه لم يكن على هيئتهم، لأنه كان من أكابر النخبة في عصره، يهتم بحسن مظهره، واعتدال تصرفاته، بصفته عالمًا ومثقّفًا يوقره الحكام

---

[62] **أبي الفضل محمد بن عبد الله القُونَوِيّ، أخبار جلال الدين الرومي، ص/30**

[63] **ترجمة الأبيات: شمسي وإلهي * عُمري وبقائي * وصلتُ إلى الحقِّ * يا حقَّ المؤدي إلى الحقّ.**
فقد عَلَّقَ المؤلف أبو الفضل على قول التفْتَازَانِيّ بقوله: "فأطلقَ اسمَ الإلهِ والحقِّ على التَّبْرِيزِيَّ. وحاصلُ كلامِهِ أنه يقول لِلتَّبْرِيزِيَّ: أنت إلهي الذي أوْصَلْتَنِي إلى الحقِّ وأنت الحقُّ الذي أدَّيْتَ حقّي، حيث علّمْتَنِي مذهبَ الوجوديَّةِ، وعرَّفْتَنِي أنّك وجميعَ الْمُمْكِنَاتِ إلَهٌ، ولولا أنتَ لكنتُ أعتقدُ كما يعتقد أتباعُ الرُّسُلِ والأنبياءِ من الأئمة والعلماءِ والجماهيرِ والدهماءِ: أن الله تعالى هو غير وجود الكائناتِ، خالقٌ للمخلوقاتِ، موجِدٌ للموجوداتِ الحادِثَةِ، على ما ثبت بقواطع العقل والآراءِ، ونطق به الكُتُبُ المُنْزَلَةُ من السماءِ، وأجمع عليه جميع الرُّسُلِ والأنبياءِ، وكنتُ من القاصرين الذاهلين لا من المحققين الواصلين"

[64] **Prof. Dr. Fuad Köprülü, Türk Edebiyatında ilk Mutasavvıflar. S.206. Diyanet İşleri Başkanlığı, Ankara-1993**

[65] Prof. Dr. İsmet Kayaoğlu, Mevlana’nın Çağdaşı Derviş Tarikatları, Babalar, Kalenderiler ve Diğerleri. Ankara Ünv.

والمجتمع. أما القلندريون فإنّهم كانوا قُطعانَ من زنادقة الهمجِ، كما سيأتي ذكرهم في بابه مفصلاً، وهذه نبذةٌ منه:

كانوا يحلقون شَعْرَ رؤوسِهِم، ولِحَاهُمْ وَشَوَارِبَهُمْ وَحَوَاجِبَهُمْ، إشارةً إلى عدمِ اهتمامِهِمْ بالمظهرِ واللِّبَاسِ، يمتنعون عن الزواج، يرفضون الحياةَ العائليةَ والإقامةَ في البيوت، يَتَنَقَّلُونَ من مكانٍ لآخر بحسب الحاجة، يشربون الخمر ويتعاطَوْن المخدرات... يُفترضُ أنهم كانوا وجوديّين.

كان الروميُّ باطنيَّ العقيدة، يرى أنَّ لآيات القرآن معنيان: معنىً ظاهرًا، ومعنىً باطنًا. أما المعنى الباطنُ، فيراه أهَمَّ من معناه الظاهرِ، لأنَّ الظاهرَ فَهْمُهُ ميسورٌ لا يشتغلُ به إلاَّ علماءُ الرسومِ الذين يُعدّون من العوامِّ المعروفين بجفافِ القريحة، أما معناه الباطنُ، إنما يَسْتَوْعِبُهُ الخواصُّ الواصلون إلى حقيقةِ مفهومِ "الوجودِ المطلق"، وهو ممتنعٌ على غيرهم.

ابتكر الروميُّ طريقةً صوفِيَّةً تتميّزُ عن بقية الطرائق الصوفية بخصائِصَ جذَّابةٍ، منها: الموسيقى والرقص، مما تُنْبِئُ عن ميولِهِ أنَّهُ كانَ مُغْرَمًا باللهوِ والعزفِ والغناءِ والطربِ، مُهْتَمًّا بالجماليَّاتِ والأدبِ الشعرِيّ. له ديوان نَظَمَهُ باللغة الفارسيةِ، أسْهَبَ فيه، وهو مشهورٌ بـ"الْمَثْنَوِيّ"، بَلَغَتْ عَدَدُ أبياتِهِ: **25632** بيتًا، يتكون من ستة مجلّداتٍ، فيه كثيرٌ من النوادر والملاحم والطرائف والحكايات الخليعة والقصص الرمزية.

طالما دار الحديث حول جلال الدين الرومي على لسان أهل البحث والدراسة، وقد مضى على رحيله من هذه الدنيا أكثر من سبعة قرون، واختلفت الآراءُ حول شخصيته ومعتقداته وأفكاره. فانبهرت به طائفةٌ وبالغت في إطرائه، والقولِ بعلوّ كَعْبِهِ في العلوم والمعارف، وعُمْقِ تفكيره، وقدرته الأدبية، وسموّ ذوقه، وروعة أسلوبه، ونفاذ بصيرته... بينما أنكرت عليه طائفة أخرى، وبَدَّعَتْهُ، وطعنت في معتقداته وتصرفاته، واستهجنت أسلوبه، ووصفت بعض حكاياته بالخلاعة... وزاد بعضهم في تحامله بإظهار الغضب عليه، بتفسيقه بل وحتّى بتكفيره.

İlâhiyat Fak. Dergisi Cilt: XXXI. S.147

أما القول الفصل فيه بإيجاز: فإنه كانَ ولا شكَّ زنديقًا محترفًا ماهرًا في إبداعِ أشكالٍ من الزندقةِ والكفر والإلحادِ؛ ذلك أنه تمرس بحيلٍ فلسفيةٍ تحت غطاءِ التصوف تارةً، والأدبِ تارةً أخرى، فخرج بذلك على عقيدة التوحيد بأفكاره المتمثلةِ في هرطقةِ "وَحْدَةِ الْوُجُودِ"، استوحاها مِنْ محي الدين بن عربي، وفريد الدين العطار، وشمس التبريزي.

***

ومن الشخصياتِ الْمُتَّهَمِينَ بالزندقةِ: العَالِمُ الشهير، نور الدين عبد الرحمن الجامي (**1414–1492**م). كان ذَائِعَ الصيتِ ولا يزال. ورد ذكرُ سِيرَتِهِ في كثيرٍ من المصادر، وله مؤلَّفاتٌ يتداولها العلماءُ والباحثون والطلبةُ منذ قرون. منها شَرْحُهُ على متنِ الكافيةِ لابنِ الحجبِ، يُدَرَّسُ في كثيرٍ من المدارسِ في أنحاء الشرق الأوسَطِ وفي تركيا على وجه الخصوص.

وردت نبذةٌ من ترجمة الجاميّ في الفصل السادس عشر من موسوعة اللغة العربية، وهذا نصُّها الحرفيُّ:

"كان الجامِي صُوفِيًّا على اعتِقادِ فلاسِفةِ المتصَوِّفةِ، أمثالِ ابنِ عَرَبي وابنِ سَبعينَ وابنِ الفارِضِ وغَيرِهم، الذين يعتَقِدون بالحُلولِ والاتحادِ ونحوِ ذلك، وقد أومَأَ ابنُ العِمادِ إلى نحوِ ذلك حينَ قال: صَحِبَ مَشايخَ الصُّوفيَّةِ وتلقَّنَ الذِّكرَ مِنَ الشَّيخِ سَعدِ الدِّينِ الكاشغريّ ... وكَتَب على أوائِلِ القُرآنِ العظيمِ تفسيرًا أبرَزَ فيه بعضًا مِن بُطونِ القُرآنِ العظيمِ وغوامِضِه؛ فإنَّهم الذين يظُنُّون أنَّ للقُرآنِ تفسيرًا باطنًا إشاريًّا. ولا أدَلَّ على نزعَتِه تلك من أنَّه شَرَح كتابَ فُصوصِ الحِكَم لابنِ عَرَبي، على ما فيه من الطَّوامِّ![66]

ومِن أقوالِه التي يتجَلَّى فيها صريحُ مَذهَبِه: "ثمَّ إنَّ مُستَنَدَ الصُّوفيَّةِ فيما ذَهَبوا إليه هو الكَشْفُ والعِيانُ لا النَّظَرُ والبُرهانُ؛ فإنَّهم لمَّا توَجَّهوا إلى جَنابِ الحَقِّ سُبحانَه بالتَّعْريةِ وتفريغِ القَلْبِ بالكُلِّيَّةِ عن جَميعِ التعَلُّقاتِ الكَونيَّةِ والقوانينِ العِلْميَّةِ، مع توحُّدِ العزيمةِ ودوامِ الجَمعيَّةِ، والمواظَبةِ على هذه الطَّريقةِ دونَ فَترةٍ ولا تقسيمِ خاطِرٍ ولا تشَتُّتِ عزيمةٍ– مَنَّ اللهُ سُبحانَه عليهم بنُورٍ كاشِفٍ يُريهم الأشياءَ كما هي، وهذا

[66] https://dorar.net/arabia/5648/

النُّورُ يتجلَّى في الباطِنِ عند ظُهورِ طَورٍ وراءَ طَورِ العَقلِ، ولا تَستَبْعِدَنَّ وُجودَ ذلك؛ فوراءَ العَقلِ أطوارٌ كثيرةٌ يكادُ لا يَعرِفُ عَدَدَها إلَّا اللهُ تعالى."

وقال أيضًا: "لَمَّا كان الواجِبُ تعالى عند جُمهورِ المتكَلِّمينَ حَقيقةً موجودةً بوُجودٍ خاصٍّ، وعندَ شَيخَيهم والحُكماءِ وُجودًا خاصًّا، احتاجوا إلى إثباتِ وَحدانيَّتِه ونَفْيِ الشَّريكِ عنه إلى حُجَجٍ وبراهينَ، كما أورَدوها في كُتُبِهم. وأمَّا الصُّوفيَّةُ القائِلون بوَحدةِ الوُجودِ فلَمَّا ظهَرَ عندهم أنَّ حقيقةَ الواجِبِ تعالى هو الوُجودُ المُطلَقُ، لم يحتاجوا إلى إقامةِ الدَّليلِ على توحيدِه ونَفْيِ الشَّريكِ عنه؛ فإنَّه لا يمكِنُ أن يُتوَهَّمَ فيه اثنينيَّةٌ وتعَدُّدٌ مِن غيرِ أن يُعتبَرَ فيه تعَيُّنٌ وتقيُّدٌ، فكُلُّ ما يُشاهَدُ أو يُتخَيَّلُ أو يُتعقَّلُ مِن المتعَدِّدِ فهو الموجودُ أو الوجودُ الإضافيُّ لا المُطلَقُ، نَعَم يقابِلُه العَدَمُ، وهو ليس بشَيءٍ."

وقال أيضًا: "وكُلُّ مُعتَقِدٍ فهو ظانٌّ ظَنًّا غيرَ مُطابِقٍ للواقِعِ باعتِبارِ حَصْرِه في صُورةِ مُعتَقَدِه، وإن كان صادقًا باعتبارِ أنَّه من صُوَرِه، فهو ليس بعالِمٍ بالأمرِ على ما هو عليه؛ ولذلك قال تعالى: أنا عندَ ظَنِّ عَبْدي بي. أي: لا أظهَرُ له إلَّا في صورةِ مُعتَقَدِه، فإن شاء الأمرَ على ما هو عليه أطلَقَ، وشاهد الحَقَّ في جميعِ الصُّوَرِ الاعتِقاديَّةِ وغَيرِها، وإن شاء قَيَّد ببَعْضِها على ما هو عند أصحابِ النَّظَرِ والتَّقليدِ؛ فإلهُ المُعتَقَداتِ –أي: الإلهُ الذي له نِسبةٌ إلى صورةٍ خاصَّةٍ من الصُّوَرِ المعتَقَدةِ بالنِّسبةِ إلى كُلِّ مُعتَقِدٍ– تأخُذُه الحدودُ، وهو الإلهُ الذي وَسِعَه قَلبُ عَبدِه؛ فإنَّ الإلهَ المُطلَقَ من حيثُ إطلاقُه لا يَسَعُه شيءٌ؛ لأنَّه عَينُ الأشياءِ، وعَيْنُ نَفْسِه؛ فالوجودُ كُلُّه عَينُه ونَفْسُه، والشَّيءُ لا يقالُ فيه: يَسَعُ نَفْسَه، ولا أنَّه لا يَسَعُها، فافهَمْ؛ فإنَّ ذلك معنى إطلاقِه الذَّاتيّ. هذا هو القَولُ الحَقُّ الذي لا سَبيلَ إليه إلَّا مَن خَلَص من المقَيَّدِ بالاعتِقاداتِ الجُزْئيَّةِ الفِكْريَّةِ أو التَّقليديَّةِ."[67]

إنَّ هذه الدلائلَ القاطعةَ المنقولةَ من كلام الجاميّ بالذات تشهد على أنه كان من أهل الزندقةِ، والبرهان على ذلك كونه من زمرةِ شيوخ النقشبنديَّةِ الذين يكاد جميعهم يدخلون في عداد الزنادقةِ، تشهد على كلٍّ منهم عَقِيدَتُهُ وَسِيرَتُهُ فيما ورد عَبْرَ تراجمِهِمْ ومناقبِهِمْ التي صدرت بأقلام المفتتنين بهم ككتاب "الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية" وأمثاله.

[67] الرابط المختصر: https://dorar.net/arabia/5648

***

ومن الشخصياتِ الْمُتَّهَمِينَ بالزندقةِ أيضًا: أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك السُّهْرَوَرْدي المعروف بالسُّهْرَوَرْدي المقتول (1154–1191م). اختلف العلماءُ والباحثون في سيرته. فريقٌ مدحه، وفريق ذمّه. ورد في سير أعلام النبلاء للذهبي، قال: "كان يتوقد ذكاءً، إلا أنه قليل الدِّين. وقال ابْنُ أبي أُصَيْبِعَةَ اسمه عمر، وكان أوحدَ في حِكْمَةِ الأَوَائِلِ، بارعًا في أصول الفقه، مُفْرِطَ الذكاءِ، فصيحًا، لم يناظر أحدًا إلا أربى عليه."[68]

كان السُّهْرَوَرْديُّ فيلسوفًا، تَوَغَّلَ في مسائلِ الحكمةِ، واشتهرَ خاصةً في "حكمة الإشراقِ"، فغلب عليه لقبُ "شيخ الإشراق" على بقية أَلْقَابِهِ. وصنَّفَ فيها كُتُبًا أشهرها "هياكل النور". استمدَّ السُّهْرَوَرْديُّ في فلسفتهِ مِنْ آثارِ حُكَمَاءِ اليونان، ومن كتب الصابئين، والفرس المجوس، فأثار بذلك كراهيةَ طائفةٍ من العلماءِ، فأفتَوْا بقتله.

يبدو أنَّ السُّهْرَوَرْديَّ كان غريبَ الأطوارِ، مُضْطَرِبَ الفكرِ، طائشًا في بعضِ تَصَرُّفَاتِهِ، مُفْرِطًا في أحلامِهِ وآَمَالِهِ. قال عنه بعض المؤرّخين: "كان دَنِيءَ الهِمَّةِ، زَرِيَّ الخِلْقَةِ، دَنِسَ الثِّياب، وَسِخَ البَدَنِ، لا يغسلُ له ثوبًا ولا جِسْمًا، ولا يدًا من زُهومةٍ[69]، ولا يقصُّ ظُفُرًا ولا شَعْرًا، وكان القَمْل يتناثر على وَجْهِهِ، ويسعى على ثيابهِ، وكلُّ مَنْ رآه يهربُ منه، وهذه الأشياءُ تنافي الحكمةَ والعقلَ والشرعَ."[70]

وقال الشيخ سيف الدين الآمِدي: اجتمعتُ بالسُّهْرَوَرْدِي في حلب، فقال لي: لا بُدَّ أَنْ أملك الأرضَ. فقلتُ: من أين لك هذا؟ فقال: رأيتُ في المنام كأني شربتُ ماء البحر، فقلت: لعل يكون اشتهار العلم أو يناسب هذا، فرأيته لا يرجع عما وقع في نفسه، ورأيتُه كثيرَ العِلْم، قليل العقل، ويقال: إنه لما تحقَّق القتل كان كثيرًا ما يُنْشد:

---

68 سير أعلام النبلاء: (المقدمة/ **122**)

69 والزهومة، من: زَهِمَ يزهم زَهَمًا وهو زَهِم وهو زَهْمان وهي زهِمَة. ريحُ لَحْمٍ سمينٍ مُنْتِنٍ. يُقالُ: زَهِمَتْ يدُه، أي دسِمَت وَاعْتَرَتْهَا زُهُومةٌ من الدّسم والشحم فهو زَهِم. والزَّهَمُ : نتنُ الجِيَف

70 مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: (**21/ 396**)

أَرَى قَدَمِي أَرَاقَ دَمِي * وَهَانَ دَمِي فَهَا نَدَمي!

قال ابنُ خَلِّكَان: "وكان يُتَّهَمُ بالانحلالِ والتعطيلِ، ويَعْتَقِدُ مذهبَ الأوائلِ، اشتهر ذلك عنه، وأفتى علماء حلب بقتله، وأشدهم الزين والمجد ابنا جهبل."[71] قلت: أحسنوا وأصابوا."[72]

غضِبَ عليه السلطان صلاح الدين الأيوبيُّ بعد أنْ نَسَبَ البعضُ إليهِ فسادَ الْمُعْتَقَدِ وظن صلاحُ الدين أنَّ السهرورديَّ يفتن ابنَهُ الظاهرَ بالكفر والخروج عن الدين، فأمر بقتله، وكان مقتله في قلعة حلب سنة 1191م،

***

ظهر كثير من الزنادقة في مراحل مختلفة من التاريخ الإسلامِيّ منهم من كان ذا مكانة في المجتمع واشتهر بِطُولِ بَاعِهِ في العلومِ والثقافة والأدبِ، ومنهم من كان من أوساطِ الناسِ. عوقبَ بعضهم وتعرض للقتل، وبعضهم لم يؤخَذ عليه لجانبه المنيع أو لإغضاء المسؤولين عنه وسماحهم. وهذه أسماء طائفة من الزنادقة الذين لم تكن لهم شهرةٌ أو أثر يُعتدُّ به.

ورد في كتاب "الإعلام بنوازل الأحكام" للقاضي عيسى بن سهل الأسدي (ت. 1094م.) أنه أفتى فقهاء الأندلس بقتل "ابن حاتم المتفقه الطليطلي" فَصُلِبَ بعد أنْ شهدتْ عليه جماعةٌ أنه استخف بجناب الرسول صلى الله عليه وسلم، ووصفه أثناء مُنَاظَرَتِهِ بـ"اليتيمِ"، و"خَتَنِ حَيْدَرَةَ"[73]، وَزَعْمِهِ أنَّ زُهْدَهُ لم يكن قصدًا، ولو قدر على الطيبات لأكلها."

[71] سير أعلام النبلاء – ط الحديث: (15/ 375)

[72] سير أعلام النبلاء – ط الحديث: (15/ 375)

[73] أي أبو زوجته، يعني عَلِيًّا زوج فاطمة رضي الله عنهما، فَصَيَّرَ بهذا استخفافًا به، والختنُ كلُّ قريبٍ لامرأةِ رجلٍ كأبٍ وأخٍ. والعامَّةُ تُطْلِقُهُ على زوج البنت.

وردت في الكتاب نفسِهِ قصةُ زنديقٍ آخرَ يُدْعَى أبا الخير، ظهر في الأندلس أيامَ الْحَكَمِ الْمُسْتَنْصِرِ باللهِ (الأمويّ 915–976م.)[74]، كان الرجل باطنيًّا من الإسماعيليةِ، أدانه خمسةٌ وأربعون شاهدًا أمامَ قاضي مدينة (إسْتِجَةَ) أنه كان مُتَلَبِّسًا بالزندقةِ والإلحادِ يَسُبُّ الصحابةَ، ويطعن في خلافةِ أبي بكرٍ وعثمانَ، ويتّهِمُ عائشةَ زوجَ النبي بالكذب، ويجاهرُ بالمعاصي؛ ويشربُ الخمرَ، ويرتكبُ الزنا واللواطَ، ويأكل لحمَ الخنزيرِ مع استحلالِ هذهِ الكبائرِ... أجمعَ القضاةُ والفقهاءُ على وجوبِ قتله، فقُتِلَ.

***

ورد في الشفا للقاضي عياض يقول: "وأفتى فُقَهَاءُ القيرَوَان وَأَصْحَابُ سُحْنُون بِقَتْل إبْرَاهِيم الفَزَارِيّ وَكَان شاعِرًا مُتَفَنِّنًا فِي كثير مِن العُلُوم وَكَان مِمَّن يَحْضُر مَجْلِس الْقَاضِي أَبِي الْعَبَّاس بن طَالِب لِلْمُنَاظَرَة فَرُفِعَت عَلَيْه أُمُور مُنْكَرَة من هَذَا الْبَاب فِي الاسْتِهْزَاء بالله وَأنْبِيَائِه وَنبَيِّنَا صلى الله عليه وسلم فأحْضَر لَه الْقَاضِي يَحْيَى بن عُمَر وَغَيْرُه مِن الفُقَهَاء وَأُمِر بِقَتْلِه وَصَلْبِه فَطُعِن بالسَّكّين وَصُلِب مُنَكَّسًا ثُمّ أُنْزِل وَأُحْرِق بالنَّار"[75]

***

إنَّ الزندقةَ قد تكونُ مقصورةً على شخصٍ دون غيره، بأن يختلفَ عَمَّنْ سواه بما تَبَنَّى لِنَفْسِهِ شكلاً من أشكالِها، كما لو اعتقد إباحةَ نكاحِ المحارمِ، وقد تشتركُ جماعةٌ في ممارسةِ نمطٍ من أنماطِ الزندقةِ، كأن يُجْمِعُوا على التهاون بنصٍّ من نصوص الكتاب والسنة، أو يتعاونوا على تحريفه، أو يجاهروا بعداوتهم لشيءٍ من المقدسات الإسلامية.

لا شك في أنَّ أيَّ ذنبٍ أو جريمةٍ أو مُعْتَقَدٍ باطلٍ تشتركُ في ارتكابِها جماعةٌ، لهي أشد خطورةً منها وتدميرًا للقِيَمِ السامية بأضعافٍ مما يرتكبه الشخص الواحد منفردًا. فينبغي بهذه المناسبةِ الحديثُ عن التيارات المنحرفة التي تعاون في نشرها جماعاتٌ من الزنادقة عَبْرَ التاريخ الإسلامي، ثم تَحَوَّلَ كلٌّ منها إلى شِبْهِ دِيَانةٍ باطلةٍ، كانت ولا تزالُ تُمَثِّلُ تَهْدِيدًا للدين الإسلامِي الحنيف.

---

[74] تاسع أمراء الدولة الأموية في الأندلس وثاني خلفاء الأندلس بعد أبيه عبد الرحمن الناصر لدين الله الذي أعلن الخلافة في الأندلس عام **316** هـ. كان عصره امتدادًا لفترة زهوة الدولة الأموية في الأندلس الذي بدأ في عهد أبيه. وقد اشتهر الحكم بعشقه للعلم واقتناء الكتب، حتى عجت مكتبته بنحو أربعمائة ألف مجلد، بذل جهدًا في جمعها من مختلف الأقطار.

[75] أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت **544**هـ) الشفا بتعريف حقوق المصطفي، وحاشية الشمني: (**2/ 218**)

يناسبُ هنا ذكرُ أسماءِ ما تَيَسَّرَ ضبطُهُ من هذه الفِرَقِ أولاً بإجمالٍ، ثم يأتي تفاصيلها فيما يلي إن شاء الله تعالى. وهي: البهافريدية، والخرمية، والْقِرْمِطِيَّةُ، والإسماعيليةُ، والدُّرْزِيَّةُ، وَالنُّصَيْرِيَّةُ، والْمُسْلُمَانِيَّةُ (Müslümanlik)، وما ارتبطتْ بها من الطُّرُقِ الصوفية (تأتي على رأسِهَا النَّقْشَبَنْدِيَّةُ)، وَتَجَمُّعَاتٌ مَارِقَةٌ (مثل: الحشاشيةِ، والبكتاشية، والْيَسَوِيَّةِ، والْقَلَنْدَرِيَّةِ، والْبَابَاإِلْيَاسِيَّةِ)... ثم ظهرت في الماضي القريب فِرَقٌ كُفْرِيَّةٌ أخرى؛ كَالْقَادِيَانِيَّةِ، والْبَهَائِيَّةِ، والأَتَاتُرْكِيَّةِ (الكماليةِ)، وحزبِ اللهِ (الْكُرْدِيّ)، وحزبِ اللهِ (الرافضيِّ اللُّبْنَانِيّ)، والعصابةِ الْفَتُّوشِيَّةِ... كذلك تُعَدُّ الْمُجَسِّمَةُ وَالْمُشَبِّهَةُ من المذاهبِ الْمُنْحَرِفَةِ.

***

1) الفرقةُ الْبَهَافَرِيدِيَّةُ

إنَّ أول فرقة كافرة انشقّت عن الإسلام وعُرِفَ مُعْتَنِقُوها "بالزنادقة" هي "الْبَهافريديَّةُ". نشأت في خرسان على يد زنديقٍ فارسيٍّ يُدعى "بَهَافريد". نهضَ الرجلُ لتأجيج الفتنةِ أثناءَ انتشار الثورات على الدولة الأموية وهي في الحضيض على وشك من الانهيار.

كان ظهورُ هذه الفرقة من جملةِ الإرهاصاتِ لسقوط الدولة الأمويةِ في أيَّام النشاطات السرية التي خاضها كبار الشخصيات من العباسيين بالتعاون مع رجلٍ يُدعى أبو مسلم الخرسانيُّ. ظهر بهافريد في المناطق الفارسية، وهو يَدَّعِي النبوةَ، يريد إحياء الديانة المجوسية في ثوبٍ جديد زخرفه بملامح إسلاميةٍ للتعمية والتضليل. إنما تجرّأ بهافريد على هذه المبادرةِ اعتمادًا على الصلةِ العرقية بينه وبين أبي مسلم الخرساني الذي كان يحلم بإحياء الدولة الساسانية من جديد.

أعدَّ بهافريد كتابًا باللغة الفارسيةِ زعم أنه أُوحِيَ بِهِ إليهِ، ودعا إلى عقيدةٍ مزّجَ فيها بين تعاليمِ الإسلامِ والزرادشتية، فكانت شكلاً آخر من المجوسِيَّةِ، بحيث لا يكادُ يميّز بينهما الجَهَلَةُ الغُفَّلَ أهي مجوسيةٌ أم إسلامٌ، (كما فعله قُدَمَاءُ النقشبنديّين بعد قرونٍ، فَمَزَّجُوا بين البُوذِيَّةِ والإسلام!)،

انتشرت دعوةُ بهافريد، وتهافت عليه خلقٌ كثيرٌ واعتنقوا عَقِيدَتَهُ التي تنهى عن "الزَّمْزَمَةِ" (وهي دعاءٌ يتلوها الزرادشتيون قُبَيْلَ تناول الطعام)، تَنُصُّ عَقِيدَةُ البهافريديَّةِ على حُرمةِ الخمورِ، وأكلِ الميتةِ، ونكاحِ المحارم... فلم تكن هذه الأمور مُحَرَّمَةً في المجوسية. كذلك تنص على الرجعةِ الروحيةِ، ومعناهَا: أنَّ الإنسانَ سوف يعود إلى الحياةِ الدنيا بعد موتهِ وقبل قيام الساعة. ومن أباطيلِ بهافريد وتناقضاتِهِ: أنه كان يأمر أتباعَهُ بالسجودِ للشمسِ، كما يأمرهم في الوقت ذاته بتوحيدِ اللهِ والعبوديةِ له! فكان أتباعُهُ يعبدون الشمسَ على ركبةٍ واحدةٍ، وَيُوَلُّونَ وُجُوهَهُمْ شطرَهَا.

دامتْ نشاطاتُ بَهَافَرِيد فترةً من أيام الأمويّين إلى ما بَعْدَ قيامِ الدولةِ العبَّاسيةِ. انشغل عنها القادةُ العباسيون الأوائل (في البدايةِ)، ذلك لإتمام حملاتهم على النظام الأمويّ حتى دحروه عن مسرح التاريخ وفرغوا من الثورةِ. ثم التفتوا إلى المناطق الفارسيةِ التي كانت تعجُّ بالفتن (الدينيةِ–السياسيةِ)، على رأسِهَا الزندقةُ "البَافَرِيدِيَّةُ المجوسِيَّةُ".

كان أبو مسلم الخرسانيُّ على علم بما يجري في المناطق الفارسيةِ من الأحداث، إذ هو من أبناءِ تلك المنطقةِ ومن أهم الشخصيات الذين بذلوا جهودهم للإطاحة بالنظام الأموي وتأسيس الدولة العباسية. فلما وَلِيَ أبو جعفرَ المنصورُ الحُكَمَ، انطلق الخُرسانيُّ لإحباطِ أعمال الزنادقةِ، والتغلب على الثوار المجوسِ، فأرسل أحَدَ مُسَاعِدِيهِ (عبدَ اللهِ بنَ سعيد) إلى بهافريد، فدعاه إلى الإسلام، فلم يجد الزنديقُ هذا مهربًا من الاستجابةِ خوفًا من القتل، لكنه عادَ يمارسُ زَنْدَقَتَهُ بعد ذلك، فسار عبدُ اللهِ بنُ سعيد يطلبه على رأس جيشٍ، فقبض عليه في جبال بادغيس، وأنزله إلى مدينة نيسابور فقُتِلَ هنالك شنقًا سنة 749م. ثم قَضَى على أتباعه.

***

2) الفرقةُ الخُرَّمِيَّةُ:

تطوّرتْ هذه الفرقةُ عن المزدكية بحسب العالم الباحث طاهر بن محمد الأسفراييني في كتابه "التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين". أسَّسَها زِنْدِيقٌ فارسيٌّ الأصل يُدعَى (سِنْبَاذ) أو (سِندِبَاد)، يُفتَرَضُ أنه كان مجوسِيًّا اعتنق الإسلامَ خُدْعَةً ثم ارتدَّ، فاتُّهِمَ بالزندقةِ، وإلاَّ لو أنه ثبت على دينه لعومِلَ كسائرِ أهل الذِّمَّةِ يمارس دينه في أمانٍ، لكنه غامر وتحايل باختلاقِ ديانةٍ مستترًا بغطاءٍ إسلامِيّ تقيَّةً وكان غرضُهُ الانتقام من الإسلام؛ ذلك أن الزرادشتيين أخذهم القلقُ أن يندرسَ دينُهُمْ بعد الفتح الإسلامي تحت وطأة الدين الجديد، فلجأ بعضُ أعلامهم إلى إعادةِ تدوين تعاليم الزرادشتيةِ باقتباساتٍ من تعاليم الإسلام، ليُنقذوا دينهم من الانقراض بطريق تعديله، فحدث تشابه نسبي بين الإسلام والزرادشتيةِ مما اغتر بها كثير من جهلة الناسِ.

لِلْخُرَّمِيِّينَ معتقدات خرافيةٌ وتناقضاتٌ غريبةٌ، كانوا يؤمنون بالثنويةِ؛ يقولون بوجود إلهين اثنين؛ هما النور والظلمة. ويقولون بأزلية النور، لكنهم اختلفوا في أزلية الظلمة. وكانوا يعتقدون بتناسخ الأرواح، اتخذوا آلهةً من دون الله؛ كانوا يعبدون ملوك الساسانيين القدماء ويعبدون محمَّدًا نبيَّ الإسلام صلى الله عليه وسلم، وعليَّ ابن أبي طالبٍ، ومحمداً الحنفية، وإبراهيمَ الإمامَ بنَ مُحَمَّدِ بنِ عَليّ بن عَبدِ اللهِ بنِ اَلعَبَّاس، وأبا مسلم الخرسانيَّ.. تَبَنَّوْا النفاقَ، فبنوا في مُدُنِهِمْ مَسَاجِدَ يُؤَذَّنُ فيها، لكنهم عطَّلوا الفرائضَ.

الْتَفَّ حولَ سِنْبَاذ الخُرَّمِي جماهيرُ من الْمُعْتَنِقِينَ لزندقتهِ، فزاد ثقتُهُ بنفسه فاجتمعوا في نيسابور سنة 755م. ثُمَّ خرج بهم مطالبًا بِدَمِ أبي مسلمِ الخرسانيّ، وسيطر على مناطق من أرض فارس وكثرتْ أنصَارُهُ من أهل الجبال والطبرستان، فأرسل أبو جعفر المنصور إليه جمهورَ بْنَ مرار العجلي في جيش، فَالْتَقَوا بصحراء بين هَمَذَانَ وَالرَّيِّ، فقُتِلَ هناك سنباذ، وسُبِيَ منهم كثيرٌ، وتشتَّتَ الباقون، وَقُضِيَ على المتمردين عن بكرة أبيهم.

تشعَّبتْ الخرميةُ إلى فِرَقٍ عِدَّةٍ، بلغ بها بعضُ أهل البحث والدراسة ممن أَلَّفَ في الجماعات الضالة إلى عشرين فرقة أشهرها: الراوندية، والرزامية، والمازيارية، والمقنعيةُ، والجريانيةُ. ومنهم المحمرةُ الذين داموا إلى اليوم، يُطلق عليهم لقب "كِزِلْبَاشْ Kizilbash" في تركيا، بينهم وبين البكتاشيين تشابه كبير في المعتقدات.

***

3) الفِرْقَةُ الإسْمَاعِيلِيَّةُ:

الإسماعِيلِيَّةُ: فِرقَةٌ من غلاة الباطِنيَّةِ، يَسْتَغِلُّونَ الانتماءَ إلى أهلِ البيت خُدْعَةً وتَعْمِيَةً، يدّعون الانتساب إلى إسماعيل الابْنِ الأكبر للإمام جعفر الصَّادِق رضي الله عنه، وهو الإمام السادس المتوفّي بالمدينة المنوّرةِ (702–765م.) إلاَّ أنَّ هذا الانتسابَ كذبٌ محضٌ. قال أبو منصور الماتريدي (235 – 333هـ.) "اعلموا أسعدكم الله، أنَّ ضَرَرَ الباطنيةِ على فِرَقِ المسلمين أعظم من ضَرَرِ اليهودِ والنصارى والمجوسِ، بل أعظم من مضرَّةِ الدهريةِ وسائرِ أصناف الكفرةِ عليهم، بل أعظم من ضَرَرِ الدجال الذي يظهر في آخر الزمان؛ لأن الذين ضلُّوا عن الدِّين بدعوة الباطنية من وقتِ ظهورِ دعوتِهِمْ إلى يومنا أكثر من الذين يَضِلُّونَ بالدجال في وقت ظهوره؛ لأن فتنة الدجال لا تزيد مُدَّتُهَا على أربعين يومًا، وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر."[76]

جَعَلَتْ الإسماعيليةُ الإمامةَ لإسماعيلَ بْنِ جعفر الصَّادِق، وانتشروا في البلاد الإسلاميةِ منذُ القرن الثالث الهجرِيّ يبثون دعوتهم للقضاءِ على الدولة العباسيةِ، فكانوا في البدايةِ يَدْعُونَ الناسَ إلى مذهبِهِمْ سِرًّا، ويلجئون في نشاطاتهم إلى مختلف أشكال الحِيَلِ والفريةِ والدِّعَايَات الهدَّامَةِ وأعمال الجاسوسِيَّةِ، وإذا وجدوا الظروفَ متاحةً جهروا بدعوتهم. لهم فلسفةٌ خطيرةٌ ومعتقداتٌ مناقضةٌ لأحكام القرآنِ والسنّةِ. يأتي على رأسها إسقاط التكاليف الشرعيةِ، وأنَّ ذاتَ اللهِ لا تقومُ بها صِفاتٌ. وقد أجمعتْ الأمّةُ الإسلاميةُ على أنَّ زعمائَهم ودُعاتَهم جميعًا زنادقةٌ كفَّارٌ خارجونَ عن الملّةِ، وحتى الشيعةُ الإماميةُ يكفِّرونهم.

بدأ ظهورُ الاسماعيلية لأوّلِ مرّةٍ بتأسيسِ دولتهم على يد الحسن بن حوشب في اليمن سنة 266هـ. ثم ظهر بعده عليُّ بْنُ الفضلِ الذي ادَّعَى النبوَّةَ وأعْفَى أنْصَارَهُ مِنَ الصومِ والصلاةِ. ثم تابعه في الظهورِ عبيدُ الله بن الحسن المهديُّ (873م – 934م) الذي كان مقيماً في سَلَمِيَّةَ بِسُورِيَا، ثم هرب إلى شمال أفريقيا وأعتمد على أنصاره هناك من الكُتَامِيّين البرابرة.

---

[76] أبو منصور الماتريدي، تأويلات أهل السنة (1/ 118)

ولد عبيدُ الله المهديُّ في مدينة الكوفة، وقيل في سَلَمِيَّةَ، وتُوُفِّيَ في مدينة الْمَهْدِيَّةِ بِتُونِسَ. كان رجلاً جريئًا، شجاعًا، ثابتَ القلبِ، رابط الجأشِ، لا تأخذه الروعُ عند الأهوالِ، استطاع أن يُربكَ أمراءَ الدولة العباسيَّةِ وموظفيها الذين كانوا في طلبه، كما استطاعَ أنْ يتنصّلَ من البيئة الْمُفْعَمَةِ بالمخاطر في أيام نشاطاته السرّيَّةِ بالمنطقة الشامية، وتمكن من تذليلِ جميعِ العَقَبَاتِ التي اعْتَرَضَتْهُ، فلم يُثَبِّطْهُ عائقٌ عن تحقيق طموحاته. كان يتبنّى سياسةً تتمثّل بإعادة النُفوذ إلى الفُرس عن طريق الشيعة، ويبذل جهودَهُ لهدم الدين الإسلامي عن طريق الفلسفة الإغريقيَّة، فأضحى من كبار الدُعاة. وطوَّر أُسُسَ مذهبه، ووضع الخِططَ التي أوصلت الفاطميّين إلى الحُكم. ولمَّا كان عبيدُ الله المهديُّ أحدَ تلامذة الفلسفة الإغريقيَّة، فقد استغلَّ التعاليم الأُرسطاليسيَّة والأفلاطونيَّة لوضع التعاليم الإسلاميَّة في قالبٍ جديدٍ، فأسَّسَ حركةً سريَّةً أسفرت عن غموضٍ وعتمةٍ حول المعلومات التاريخية للأئمَّة الإسماعيليّين.

انطلق الاسماعيليُّون أوَّلَ أمرهم بسرِّيَّةٍ في الغاية خوفًا من بطش العبّاسِيّين وتَسَتَّرُوا منذ موت إسماعيل بن جعفر الصادق سنة 143هـ. إلى ظهور الحسن بن حوشب مؤسِّسِ الدولة الإسماعيلية في اليمن سنة 266هـ. اختلف المؤرخون في أسماء أئمتهم في هذه الفترة، لِلسّرِّيَّةِ المطلقةِ التي اعتمدوها في دعوتهم. دامت نشاطات الإسماعيليّين من اليمن إلى بلاد المغرب بواسطة الداعية أبي عبد الله الشيعي الصنعاني الذي اكتسب شيوخَ قبيلةِ كُتَامَةَ البربريةِ إلى دعوته، وتمكن سنة 280 هـ. – 893 م. بمساعدة هذه القبيلة القوية من القضاء على دولة الأغالبة. "كان عبيد الله يومئذٍ مُقيمًا بِسَلَمِيَّةَ وله بها الأملاكُ الوافِرةُ، والنِّعمةُ الظَّاهرة، فأجْفَلَ منها يُريدُ المغربَ، وكان الوالي في ذلك الوقت عيسى النُّوشَرِيّ، وكان عُبيد الله فَطِنًا ذكيًّا، فدخل على النُّوشَري، ولاطَفَه وعاشَره، فأعجبه، وتمكَّنت منزلتُه من قلبه، فبلغ خبره المعتضد، فكتب إليه يَحُضُّهُ على كَشْف خبره، والجدِّ في أمره، فوصل الكتاب إلى النُّوشري فقرأه وفي مجلسه ابن الْمُدَبِّر الكاتب، وكان قد صادق عُبيد الله وصافاه، وأمره النُّوشَري بالقبض عليه، فأرسل ابن الْمُدَبِّر إليه فأخبره، فسار من ساعته إلى الإسكندرية والوالي بها علي بن وهشودان الدَّيلَمي، فلم يعرض له، فسار إلى المغرب ونزل إلى سِجِلْماسَة في سنة ستٍّ وتسعين ومئتين، ثم انتقل إلى إفريقية في سنة سبع وتسعين، وكان في زِيِّ التجار، وتقرَّب إلى واليها فأحبَّه، فكُتِبَ إليه بالقبض عليه، فقبض عليه واعتقله في قلعة سِجِلْماسة. وبلغ خبرُه أبا عبد الله الدَّاعي وهو مُقيمٌ بالبَرْبَر قد أحكم أمرَه، فنهض بالبَرْبَر إلى القلعة، وقتل واليها، وأخرج عُبيدَ الله وأظهرَ أمره، وعُمرُهُ يومئذٍ سبعٌ وثلاثون سنة، ولم يلبث إلا قليلا حتى دَبَّر في قتل أبي عبد الله الداعي

وأخيه أبي العباس، فقتلهما يوم الإثنين للنصف من جُمادى الآخرة سنة ثمانٍ وتسعين، وملك الأمرَ بعدهما، وقَلَع بني الأغلب وُلاةَ المغرب، وتَلقَّب بالمَهديّ، وبنى المَهديَّة في سنة ثمانٍ وثلاث مئة."[77]

اختلف المؤرّخون في نسب عبيدِ الله المهديّ، لأنَّ المسألةَ مُعَقَّدَةٌ، فيها غموض وإبهامٌ في الغاية، لم تتَّضحْ حقيقتُها إلى اليوم. ومن أهم أسبابه: أنَّ الفاطميّين امتنعوا مُدَّةً من الزمن، عن إعلان أنسابهم، وتعمَّدوا إخفاءَ أسماءِ أئمَّتِهِمْ من مُحمَّدِ بْنِ إسماعيل حتّى عُبيد الله المهدي في المُدَّة التي اتخذوا فيها مبدأ سَتْرِ الإمام. وذهب كُلُّ مؤرّخٍ اتِّجاهًا بحسب ما ظهر له في تحديد اسم ونسب عُبيد الله المهدي قبل أن يتَّسِمَ مهديًّا.

من مشاهير المؤرّخين جلال الدين السيوطي يقول: "ولم أُوردْ أحدًا من الخلفاءِ العُبيديّين، لأنَّ إمَامَتَهُمْ غير صحيحةٍ لأمور: منها: أنهم قُرَشِيّينَ (يعني أن الأئمة ينبغي أن يكونوا قُرَشِيِّينَ)، وإنما سَمَّتْهُمْ بالفاطميين جهلةُ العوامِّ، وإلاَّ فَجَدُّهُمْ مجوسيٌّ. قال القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار البصري: "جدُّ الخلفاء المصريين اسمُه سعيد، ويُلَقَّب بالمهديّ، وكان أبوه يهوديًّا حدَّادًا من أهل سَلَمِيَّةَ من أرضِ حِمص."[78] وقال الذهبي: "وأهلُ العلمِ بالأنسابِ المحقّقين يُنكِرون دعواه في النَّسبِ ويقولون: اسْمُهُ سعيدٌ، ولَقَبُهُ عُبَيد الله، وزوج أمِّهِ الحسينُ بْنُ أحمدَ القدَّاحِ. وكان كحّالاً يقدح العينَ."[79] وقَالَ الشَّيْخُ شِهَابُ الدِّينِ أَبُو شَامَةَ رحمه الله يَعْنِي بِالْأُسْتَاذِ: كَافُورَ الْإِخْشِيدِيَّ، وَقَوْلُهُ: آلُ عَلِيّ يَعْنِي الْفَاطِمِيّينَ وَلَمْ يَكُونُوا فَاطِمِيّينَ؛ وَإِنَّمَا كَانُوا أَدْعِيَاءَ يُنْسَبُونَ إِلَى عُبَيْدٍ، وَكَانَ اسْمُهُ سَعِيدًا، وَكَانَ يَهُودِيًّا حَدَّادًا بِسَلَمِيَّةَ، ثُمَّ ذَكَرَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ كَلَامِ الْأَئِمَّةِ فِيهِمْ وَطَعْنِهِمْ فِي نَسَبِهِمْ، قَالَ: وَقَدِ اسْتَقْصَيْتُ الْكَلَامَ فِي ذَلِكَ فِي مُخْتَصَرِ تَارِيخِ دِمَشْقَ فِي تَرْجَمَةِ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ إِلْيَاسَ، ثُمَّ ذَكَرَ فِي الرَّوْضَتَيْنِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مِنْ قَبَائِحِهِمْ، وَمَا كَانُوا يَجْهَرُونَ بِهِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ مِنَ الْكُفْرِيَّاتِ وَالْمَصَائِبِ الْمُعَظَّمَاتِ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ، وَقَدْ ذَكَرْتُ أَنَا أَشْيَاءَ كَثِيرَةً فِي غُبُونِ مَا مَشَقْتُهُ مِنْ سِيرَتِهِمْ فِي السِّنِينِ الْمُتَقَدِّمَةِ مِمَّا يَسُدُّ الْأَسْمَاعَ وَيُنَفِّرُ الطِّبَاعَ، قَالَ أَبُو شَامَةَ: وَقَدْ أَفْرَدْتُ كِتَابًا سَمَّيْتُهُ :"كَشْفَ مَا كَانَ عَلَيْهِ بَنُو عُبَيْدٍ مِنَ الْكُفْرِ وَالْكَذِبِ وَالْمَكْرِ وَالْكَيْدِ"، وَكَذَا صَنَّفَ الْعُلَمَاءُ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ كُتُبًا كَثِيرَةً، مِنْ أَجَلِّ مَا وُضِعَ فِي ذَلِكَ: كِتَابُ الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ الْبَاقِلَّانِيِّ الَّذِي سَمَّاهُ "كَشْفَ

---

[77] مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: (17/ 80)

[78] شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْ أُوغلي بن عبد الله المعروف بـ «سبط ابن الجوزي» (٥٨١ – ٦٥٤ هـ)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: (17/ 80)

[79] شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام (7/ 413)

الْأَسْرَارِ وَهَتْكَ الْأَسْتَارِ".[80] وقال ابن خلكان: "أكثر أهل العلم لا يصحِّحون نسبَ المهدي عبيد الله جد خلفاء مصر، حتى إنَّ العزيز بالله ابن المعزِّ في أول ولايته صعد المنبرَ يوم الجمعة فوجد هناك ورقة فيها هذه الأبيات:

إنَّا سَمِعْنَا نَسَبًا مُنْكَرًا * يُتْلَى عَلَى الْمِنْبَرِ فِي الْجَامِعِ
إنْ كُنْتَ فِيمَا تَدَّعِي صَادِقًا * فَاذْكُرْ أبًا بَعْدَ الأَبِ السَّابعِ
وَإِنْ تُرِدْ تَحْقِيقَ مَا قُلْتَهُ * فَانْسِبْ لَنَا نَفْسَكَ كَالطَّائعِ
أوْ لاَ دَعِ الأَنْسَابَ مَسْتُورَةً * وَادْخُلْ بِنَا فِي النَّسَبِ الوَاسِعِ
فَإِنَّ أنْسَابَ بَنِي هَاشِمٍ .. يَقْصُرُ عَنْهَا طَمَعُ الطَّامِعِ

وكتب العزيز الى الأمويِّ صاحبِ الأنْدَلُسِ كتابًا سَبَّهُ فيه وهجاه، فكتب اليه الأمويُّ: "أما بعد فإنك قد عَرَفْتَنَا فهجوتنا، ولو عرفناك لأجبناك. فاشتد ذلك على العزيز فأفحمه عن الجواب.

إنَّ الدولةَ العبيديةَ ظَلَّتْ موضوعَ نقاشٍ في الأوساطِ العلميةِ منذ وجودها على مسرحِ التاريخِ إلى اليوم، فرغم ما قيل أنها كانت "دولةً إسلاميةً"، أو "دولةَ خلافةٍ"، إلاَّ أنَّ كثيراً من علماء المسلمين قد نَفَوْا ذلك، وأعربوا عن كراهِيتهم لهذه الدولةِ ووصفوها بالخبثِ كما ورد في تاريخ الخلفاء لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي قوله: "فصل في الدولة الخبيثة العبيدية"[81]

صدر عن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية بيانٌ للدولة العبيدية، وهذه نبذةٌ مقتبسةٌ منه:

"إنَّ تسميةَ تلك الدولةِ بالفاطميةِ تسميةٌ كاذبةٌ أراد بها أصحابها خداع المسلمين بالتَّسَمِّي باسم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بيَّنَ العلماءُ والمؤرِّخون في ذلك الزمان كذبَ تلك الدعوى، وأنَّ مُؤَسِّسَهَا أصْلُهُ مجوسيٌّ يُدْعَى سعيدَ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ أحمدَ بْنِ عبدِ اللهِ بْنِ ميمونِ القدَّاحِ بْنِ دِيصَان الثَّنَوِيّ

---

[80] البداية والنهاية: (**16/ 458**)

[81] تاريخ الخلفاء: (ص**367**)

الاهوازِيّ، وسعيدٌ هذا تَسَمَّى بِعُبَيْدِ اللهِ عندما أراد إظهارَ دعوتِهِ وَنَشْرَهَا ولقَّبَ نَفْسَهُ بالمهديّ. فالنسبة الصحيحة لدولته أن يقال "العبيدية" كما ذَكَرَ ذلك جملةٌ من العلماءِ المحقّقين، ويظهر من نسب مُؤَسِّسِهَا الذي ذُكِرَ آنفًا أنَّ انتسابَهُمْ إلى آل البيت كذبٌ وزورٌ وأنما أظهروا ذلك الانتسابَ لاستمالةِ قلوبِ الناسِ إليهم. قال العلامة ابن خلكان في وفيات الأعيان 118/3: والجمهور على عدم صحة نسبهم، وأنهم كذبة أدعياءُ لا حظَّ لهم في النسبة المحمدية أصلا.

وقال الذهبيُّ في "العبر في خبر من غبر" ج 2/ص 199: "المهدي عبيد الله والد الخلفاء الباطنية العبيدية الفاطمية افترى أنه من ولد جعفر الصادق." وقد ذكر غيرُهما من المؤرخين أنه في ربيع الآخر من عام 402 هـ. كتب جماعةٌ من العلماءِ والقضاةِ والأشرافِ والعدولِ والصالحين المحدثين، وشهدوا جميعا أنَّ الحاكمَ بمصر وهو منصور الذي يرجع نسبُهُ إلى سعيدٍ مُؤَسِّسِ الدولةِ العُبيديةِ لا نَسَبَ لهم في ولد علي بن أبي طالبٍ، وأنَّ الذي ادَّعَوْهُ إليه باطلٌ وزورٌ، وأنهم لا يعلمون أحدًا من أهلِ بيوتات على بن أبي طالب رضي الله عنه، توقف عن إطلاق القول في انهم خوارج كذبة، وأنَّ هذا الحاكمَ بِمِصْرَ هو وسَلَفُهُ كُفَّارٌ فُسَّاقٌ فُجَّارٌ مُلحدون زنادقةٌ مُعَطِّلُونَ للإسلامِ جاحدون، ولمذهبِ المجوسيَّةِ وَالثَّنَوِيَّةِ معتقدون، قد عطَّلوا الحدودَ، وأباحوا الفروجَ، وأحلوا الخمرَ، وسفكوا الدماءَ، وسبُّوا الأنبياءَ، وَلَعَنُوا السلفَ، وادَّعَوْا الربوبيةَ. قال ابن كثير في البداية والنهاية (346/11) بعد أنْ نَقَلَ هذا وقد كتب خطه في المحضر خلق كثير.

أظهروا التَّشَيُّعَ لأهل البيت حيلةً نزعوا إليها استغلالاً لعواطف المسلمين لعلمهم بمحبة أهل الإسلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم وآل بيته، وقد ذكر الغزاليُّ وغيرُهُ من العلماءِ أنهم في الحقيقة باطنيون.[82] وقال النويريُّ: "وحكى الشريف أبو الحسين محمد بن علي المعروف بأخي محسن في كتابه: "أنَّ عبد الله بن ميمون كان قد سكن بساباط أبي نوح، وكان يتستَّرُ بالتشيُّعِ وَالْعِلْمِ، فلما ظهر عنه ما كان يُضْمِرُهُ ويَسْتُرُهُ من التعطيلِ والإباحةِ والمكرِ والخديعةِ ثار عليه الناس، وقد ذُكِرَ من الثائرين عليه الشيعة والمعتزلة وغيرهم فهرب الى البصرة"

[82] (انظر مرآة الجنان 107/3).

أجملَ العلماءُ حالَهُمْ في جملةٍ مشهورةٍ قالها أبو بكر الباقلانيُّ والغزاليُّ وابنُ تيميةَ، وهي: أنهم يظهرون الرفض ويبطنون الكفر المحض.

قال الباقلانيُّ عن القدَّاحِ جدِّ عبيد الله "وكان باطنيًّا خبيثًا حريصًا على إزالةِ مِلَّةِ الإسلام، أعْدَمَ العلماءَ والفقهاء ليتمكَّنَ من إغواءِ الخلقِ، وجاء أولادُهُ على أسلوبهِ أباحوا الخمور، والفروجِ، وأفسدوا عقائدَ خلقٍ.[83] قال أبو الحسن القابسي، صاحب الملخص: إن الذين قتلهم عبيد الله وبنوه أربعة آلافٍ في دار النحر في العذاب من عالم وعابد ليردهم عن الترضي عن الصحابة، فاختاروا الموت." وقال الشاطبي المالكي في الاعتصام: "العُبيدية الذين ملكوا مصر وأفريقية زعمت أن الأحكام الشرعية إنما هي خاصةٌ بالعوامّ، وأما الخواصُّ منهم، فقد تَرَقَّوْا عن تلك المرتبةِ، فالنساءُ بإطلاقٍ حلالٌ لهم، كما أنَّ جميعَ ما في الكون من رطب ويابس، حلالٌ لهم أيضا، مستدلِّينَ على ذلك بِخُرَافَاتِ عَجَائِزَ لاَ يَرْضَاهَا ذو عقل."

إنَّ مما يتبين لكل أحد بعد الاطلاع على أقوال العلماء والمورِّخين أن هذه الدولة الفاطمية كان لها من الضرر والإضرار بالمسلمين ما يكفي في دفع كل من يرفع لواءها ويدعو بدعوتها، لذا نجد أن المسلمين في الماضي فرحوا بزوالها على يد الملك الصالح صلاح الدين الأيوبيِّ رحمه الله تعالى في عام 567 هـ."[84]

***

[83] تاريخ الاسلام (23/24).

[84] أبو محمد عبد الله بن أسعد اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، 3/107، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان-1997م.

4) الفِرْقَةُ الْقِرْمِطِيَّةُ (أو القرامطةُ):

بدأت الانحرافات في العقيدة بعد فترة قصيرةٍ من الفتنة الكبرى، نشأت جموعٌ ممن يُظهرون الإسلامَ ويُبْطنون الكفرَ في صفوف المجتمع الإسلامِيّ منذ بداية العهد ألأمويّ، أكثرهم كانوا من عناصر غير عربية، ازداد عددهم خاصةً بعد فتح المملكةِ الساسانية الفارسيةِ، وتطورت أنشطة الزنادقة يومًا بعد يوم مع بداية حكم العباسيين.

كان رجلٌ فارسيُّ الأصلِ دَسَّاسٌ مَاكِرٌ يُخَطِّطُ لتدبيرِ مُؤَامَرَةٍ في الكوفة لضربِ الإسلامِ وإحداثِ الفوضَى، يُدعى حمدان بن الأشعث الْمُلَقَّب بـ"قِرْمِط". يُفتَرَضُ أنه قدم الكوفةَ من الأحواز (أو الأهواز)، في أواخر عهد الخليفة العباسي الخامس عشر أبي العباس محمد المعتمِد بن المتوكل على الله (256–278هـ.) والأحواز مدينةٌ تقع في خوزستان وهي منطقةٌ فارسيةٌ. أقام الرجلُ في ضواحي الكوفة حوالي عام 258هـ. وكان يتظاهر للناسِ بالزهد والتقشف والتقوى، وَيُكْثِرُ من الصلاة في أوّلِ أيامه، فمال إليه بعض الناس، خاصةً لِمَا عُرِفَ أنه يستغني عما في أيديهم فينسجُ الخوصَ، ويأكل من عمل يده. دام على ذلك حتى ازداد جلساؤه وَمُحِبُّوهُ.

فلما أيقن بصدقِ الذين الْتَفُّوا حَوْلَهُ وبِثِقَتِهِمْ به أخذ يدعوهم إلى مبايعة إمامٍ من أهلِ البيت خُدعةً لتحقيق مئاربِهِ، وليس محبةً لأهل البيت. وانضمَّ إلى الشيعةِ الإسماعيليَّةِ واعْتَنَقَ عقائدَهُمْ بواسطةِ زنديقٍ من أمثالهِ، فلم يكن غرضُهُ إلاَّ إثارةَ الشغبِ والفتنةِ، وكان يستغلُّ الفرصةَ للانتقامِ من المسلمين والدولةِ الإسلاميةِ، وإعادةِ أمجاد الساسانيّين.

أسَّسَ حمدانُ بْنُ الأشعث مذهبًا مركبًّا من قِيَمٍ إسلامِيَّةٍ ومناسِكَ مجوسِيَّةٍ، أراد بذلك أن يُربكَ عقول الجهلةِ ويُلْبِسَ على المسلمين دِينَهُمْ. أمر أتْبِاعَهُ أنْ يضعوا في كلّ مسجدٍ مِجْمِرةً لِلْبُخُورِ، ليحوِّلوها من بيوت لله إلى بيوت للنار. والقرامطة كانوا إباحيين، كانت الفاحشةُ شائعةً بينهم، لا يعترفون بحرمة نكاح المحارمِ والزنا واللواطِ...

قيل أن حمدان اختلف مع الإسماعيليين، فعدل عن بعضِ عقائدهم ليُكسِبَ مذهبَهُ استقلالاً عنهم، إلاَّ أن بعض الباحثين يزعمون أنَّ الطرفين كانا يشتركان في العقيدةِ رغم اختلافهما في السياسة. يؤكد على ذلك ما جاءَ في موسوعة الفِرَقِ (من فصول الدرر السنية)، وهذا نصه: " فالقَرامِطةُ لم يَبتَدِعوا عَقيدةً خاصَّةً أو رفعوا مَبادئَ فِكريَّةً تَختَلِفُ مَعَ العَقيدةِ الإسماعيليَّةِ حتَّى في فترةِ الخِلافِ والتَّوَتُّرِ، إضافةً إلى ذلك فإنَّ زُعَماءَ الحَرَكةِ القِرْمِطيَّةِ كحَمدانَ وزكرَوَيهِ والجَنَّابيِّ وعَليِّ بنِ الفَضلِ، جَميعُ هؤلاء تَرَبَّوا وتَعَلَّموا الدَّعوةَ على أيدي دُعاةِ الحَرَكةِ الإسماعيليَّةِ وأئِمَّتِها؛ لذا فإنَّ مُعتَقَداتِ القَرامِطةِ تَلتَقي مَعَ مُعتَقَداتِ فِرقَتِهم الأُمِّ التي خَرَجوا من رَحِمِها، سَواءٌ في الإلَهيَّاتِ أوِ النُّبوَّاتِ أو في اليَومِ الآخِرِ أو في شَأنِ الإمامةِ أوِ الفَرائِضِ والأحكامِ الشَّرعيَّةِ وغَيرِ ذلك."[85]

والقرامطة كانوا حلوليّين يعتقدون أنّ أئمّتهم قد حلّت فيهم شخصيات الأنبياء السابقين الذين بعثهم الله في الأُمم الغابرة. بل كانوا يُفَضِّلُونَهُمْ على الأنبياء. ومن خرافياتهم أنهم كانوا يعتقدون أنّ الإمام القائم هو محمد بن إسماعيل الذي يبعث بِالرُّسُلِ، ويَسُنُّ شريعةً جديدةً ينسخ بها شريعة النبي محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم. ومن جملة أباطيلهم: اعتقادهم أنّ روح الله تعالى تحل في أجساد أئمتهم فتعصمهم من الزلل وترشدهم إلى صالح العمل، وأنّ أئمّتهم السبعة هم السبع المثاني الذين أشار القرآن الكريم إليهم. وكانت للقرامطةِ تأويلاتٌ خطيرةٌ يحرّفون بها معاني آيات القرآن الكريم، يزعمون أنَّ لِكُلِّ كَلِمَةٍ منها حَقِيقَةً مستترةً وراءَ لَفْظِهَا. ومن أباطيلهم أيضًا أنهم أوجبوا قتل الغلام الذي يمتنع على من يريد الفجور به، وكذلك أمروا بمعاقبة كلّ مَنْ أطفأ نارًا، فإنْ أطفأها بيده قطَعوا يَدَهُ، وإنْ أطفأها بالنفخِ قطعوا لِسَانَهُ، وذلك يبرهن على تعصّبهم لدين المجوس، وأنهم كانوا من غلاة الباطنيةِ حيث لم يؤمنوا أصلاً بالحياةِ الآخرة من البعث والثوابِ والعقابِ والحساب والميزان والجنة والنار... يدل على ذلك ما أنشد بعضهم:

أَأَتْرُكُ لُذَّةُ الصَّهْبَاءِ صَرْفًا * لِمَا وَعَدُوهُ مِنْ طَمٍّ وَضَمْرٍ
حَيَاةٌ ثُمَّ مَوْتٌ ثُمَّ نَشْرٌ * حَدِيثُ خُرَافَةٍ يَا أَمَّ عَمْرٍو

---

[85] https://dorar.net/frq/2179

وقد كَتَبَ عددٌ من العُلماءِ فَضَائِحَهُمْ، منهم الإمام أَبُو حَامِدٍ مُحَمَّدُ الغَزَّالِيُّ الطُوسِيُّ (1058م – 1111م). أَلَّفَ كتابًا فيما ارتكبَ الباطنيةُ من الشنائع والرذائل، سماه "فضائح الباطنية".

تولَّى أمرَ القرامطة زنديقٌ دَمَوِيٌّ يُدعَى أبا سعيد الجَنَّابِي، كان فارسيَّ الأصل مجوسِيًّا من سكان مدينة الأحواز، أعلن تمرّده، من البحرين عام 286 هـ. كَوَّنَ له جيشًا من بقايا فلول الزنج والخرميّة وبعض الأعراب، بدأ بالهجوم على منطقة الأحساء فعاث فيها الفساد وارتكبَ الجرائم الوحشيّة من قتلٍ وإبادةٍ واستباحةٍ للأموالِ والأعراض... أرسل عليه الخليفة العباسيُّ أَبُو العبَّاس أحمَدُ المُعْتَضِدُ بالله (856 – 902م.) جيشاً قِوَامُهُ عشرةُ آلافٍ بإمرة العبّاس بن عمرو الغنوي، فالتقى الجيشان في الطريق إلى البصرة، إلاَّ أن القائد العباسيَّ وجميعَ جندِهِ وقعوا في أسْرِ القرامطةِ، فأمر بهم الجنابِيُّ فَقُتِلُوا عن آخرهم إلاَّ القائدَ العبَّاسِيَّ، كما رواه ابن خلكان في وَفَيَاتِ الأعيان[86] فأرسله الجنابِيُّ إلى الخلفية إنذارًا وتهديدًا ليُرعِبَهُ وليُعْلِمَهُ بِمِقْدَارِ قُوَّتِهِ.

تَسَلَّمَ الحكمَ بعده ولدُهُ سعيد ثمّ سليمان الذي كان شديدًا على المسلمين، فارتكب القرامطةُ في عهده من الجناياتِ ما يضيقُ نِطَاقُ التعبيرِ عنه، وَيَكِلُّ اللِّسانُ عن وَصْفِهِ. وهو أوّل من سنّ هتك الأعراض الجماعي جهارًا مما أثار الرعب في قلوب المسلمين.

دخل جيشُ القرامطةِ البصرةَ عام 311 هـ. فاستباحوا فيها النساءَ والأموالَ، وذبحوا الشيوخَ والأطفالَ، وأحرقوا المسجد، وقطعوا الطريقَ على حُجَّاجِ العراقِ سنةَ 312 هـ. ونهبوا الْمُدُنَ والقُرى... وفي عام 315 هـ. قصدوا بغداد والتقَوا بجيش المسلمين في الأنبار وكان عددُ جيشِ القرامطةِ ألفَ فارسٍ وسبعمائةَ راجِلٍ، وجيشِ الخليفةِ أربعين ألف فارسٍ، مع ذلك انهزم جيش المسلمين فدخل القرامطةُ الأنبار. وفي سنة 316 هـ. دخلوا الرحبة وقتلوا رجالها، واستحلّوا نساءها وأموالها، وفي عام 317 هـ. قام سليمان أبو طاهر القرمطيّ بحملة على مكّة فدخلها يوم التروية فقتل الحَْجِيجَ في المسجد الحرام ورمى جُثَثَ القتلى في بئر زمزم، وقتل أميرَ مكّةَ ابْنَ مُحَارِبٍ، وعرّى البيتَ وقلع بابَهُ، وقلع الحجرَ الأسودَ، وأخذه معه إلى عاصمته هجر، وأقام بمكّة ستّة أيّام، وقد رُوِيَ أنه قتل ثلاثين ألفًا من الحُجّاج ومن سكّان مكّة. وبقي الحجرُ

[86] وفيّات الأعيان: 6/431.

الأسودُ في أيديهم 22 عامًا إلى أن اشتراه منهم الخليفة أبُو القاسِمِ المُطيعُ للهِ بْنِ جَعْفَر المُقْتَدِر (914 – 974م.) بخمسين ألف دينار، وذلك سنة 339 هـ.

القرامطة كلهم كانوا زنادقةً كُفَّارًا من أشد الملاحدة، ينافقون في الوقتِ ذاته. فقد اجتمعت فيهم صفة الإلحادِ والزندقة والنفاقِ؛ كانوا يُخفون مُعْتَقَدَاتِهِمْ، يتظاهرون أنّهم مسلمون ليتمكّنوا بذلك من إضلال الناسِ، حتّى إذا وثقوا من تابعيهم جاهروهم بأسرارهم وشاطروهم ما يُبْطنون من الكفر، وهم يتأوَّلون الأحكامَ الشرعيةَ والآياتِ القرآنيةَ على ما يوافق ضلالاتِهِمْ وأهْوَائَهُمْ. قال البَغداديُّ: "إنَّهم تأوَّلوا لكُلِّ رُكنٍ من أركانِ الشَّريعةِ تأويلًا يورِثُ تَضليلًا؛ فزَعَموا أنَّ مَعنى الصَّلاةِ موالاةُ إمامِهم، والحَجُّ زيارتُه، وإدمانُ خِدمَتِه، والمُرادُ بالصَّومِ الإمساكُ عن إفشاءِ سِرِّ الإمامِ دونَ الإمساكِ عن الطَّعامِ، والزِّنا عِندَهم إفشاءُ سِرِّهم بغَيرِ عَهدٍ وميثاقٍ، وزَعَموا أنَّ من عَرَف مَعنى العِبادةِ سَقَطَ عنه فرضُها، وتأوَّلوا في ذلك قَولَه: وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ[87]، وحَمَلوا اليَقينَ على مَعرِفة التَّأويلِ، وقد قال القَيرَوانيُّ في رِسالَتِه إلى سُلَيمانَ بنِ الحَسَنِ: إنِّي أوصيك بتَشكيكِ النَّاسِ في القُرآنِ والتَّوراةِ والزَّبورِ والإنجيلِ، وبدَعوَتِهم إلى إبطالِ الشَّرائِعِ، وإلى إبطالِ المَعادِ والنُّشورِ مِنَ القُبورِ، وإبطالِ المَلائِكةِ في السَّماءِ، وإبطالِ الجِنِّ في الأرضِ، وأوصيك بأن تَدعوَهم إلى القَولِ بأنَّه قد كان قَبلَ آدَمَ بشرٌ كثيرٌ؛ فإنَّ ذلك عَونٌ لك على القَولِ بقِدَمِ العالَمِ، وفي هذا تَحقيقُ دَعوانا على الباطِنيَّةِ أنَّهم دَهريَّةٌ يَقولونَ بقِدَمِ العالَمِ، ويَجحَدونَ الصَّانِعَ."[88]

كانت لهم حِيَلٌ من التضليل ما يندهش منه العقل، وقد اعتمدوا في نشر دعوتهم على مراحل وأقسام أسموها كما ذكرها الإمام عبد القاهر الإسفرائيني، وهذه المراحل هي: التفرّسُ، والتأنيسُ، والتشكيكُ، والتلقينُ، والربطُ، والتدليسُ، والتأسيسُ، والمواثيقُ بالأيمانِ والعهودِ، وآخرُهَا الخلعَ والسلخُ."[89]

---

[87] الحجر: **99**.

[88] **د. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، موقف متقدمى الباطنية من تفسير القرآن الكريم. 2/178 مكتبة وهبة–القاهرة؟**

[89] ورد في لوامع الأنوار البهية: «وَهُوَ التَّفَرُّسُ فِي حَالِ الْمَدْعُوِّ، هَلْ هُوَ قَابِلٌ أَمْ لَا؟ وَلِذَلِكَ مَنَعُوا إِلْقَاءَ الْبَذْرِ فِي السَّبْخَةِ، وَالتَّكَلُّمَ فِي بَيْتٍ فِيهِ سِرَاجٌ أَيْ فَقِيهٌ، ثُمَّ (التَّأْنِيسُ) بِاسْتِمَالَةِ كُلِّ وَاحِدٍ بِمَا يَمِيلُ إِلَيْهِ مِنْ زُهْدٍ وَخَلَاعَةٍ، ثُمَّ (التَّشْكِيكُ) فِي أَرْكَانِ الشَّرِيعَةِ بِمُقَطَّعَاتِ السُّوَرِ، وَقَضَاءِ صَوْمِ الْحَائِضِ دُونَ صَلَاتِهَا، وَالْغُسْلِ مِنَ الْمَنِيِّ دُونَ الْبَوْلِ ; لِتَتَعَلَّقَ الْقُلُوبُ بِمُرَاجَعَتِهِمْ فِيهَا، ثُمَّ (الرَّبْطُ) وَهُوَ أَخْذُ الْمِيثَاقِ مِنْهُ بِحَسَبِ اعْتِقَادِهِ أَنْ لَا يُفْشِيَ عَنْهُمْ شَيْئًا، وَحَوَالَتُهُ عَلَى الْإِمَامِ فِي كُلِّ مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ، ثُمَّ (التَّدْلِيسُ) وَهُوَ دَعْوَى مُوَافَقَةِ أَكَابِرِ الدِّينِ لَهُمْ حَتَّى يَزْدَادَ مَيْلُهُمْ، ثُمَّ (التَّأْسِيسُ) وَهُوَ تَمْهِيدُ مُقَدِّمَاتٍ يَقْبَلُهَا الْمَدْعُوُّ، ثُمَّ (الْخَلْعُ) وَهُوَ الطُّمَأْنِينَةُ إِلَى إِسْقَاطِ وُجُوبِ الْأَفْعَالِ الْبَدَنِيَّةِ، ثُمَّ (السَّلْخُ) عَنِ الِاعْتِقَادَاتِ، وَحِينَئِذٍ يَأْخُذُونَ فِي الْإِبَاحَةِ وَاسْتِعْجَالِ اللَّذَّاتِ وَتَأْوِيلِ الشَّرِيعَةِ. المصدر: لوامع الأنوار البهية: (**1/ 84**)

كانت للقرامطة شخصياتٌ دخلوا في سجل التاريخ بكثرة نشاطاتهم، وهذه أسماء عددٍ من مشاهيرهم: حمدانُ بْنُ الأشعثِ المعروفُ بلقبِ "قِرْمِطْ"، وأبو سعيدٍ الحسنُ بْنُ بهرامِ الجنَّابِيُّ، وعبدانُ الداعيةُ، وأبو طاهرٍ سليمانُ بْنُ الحسنِ الهَجَرِيُّ، وأبو يعقوبَ يوسفُ بْنُ الحسنِ الجنَّابِيُّ، وزِكْرَوَيْه بْنُ مِهْرَوَيْه، ويحيى بْنُ زكرويه، وأبو هارونَ الخطِّيُّ، وأبُو عَليٍّ، الحَسَنُ الأعصمُ بنُ أحْمَدَ بنُ أبي سَعِيْدٍ حَسَنِ بْنِ بَهْرَام...

في منتصف القرن الرابع الهجري بدأ يدب الضعف في وضع المجتمع القرمطي، لأسباب داخلية وأُخرى خارجية، نشب الخلافُ بين زعمائهم فما لبث حتى تحول إلى صراع مسلح بينهم خاصةً بعد موت أبي طاهر سليمان، فأدَّى ذلك إلى قيام حركات انفصالية بين أحزابهم لا سيما في عمان واليمن. كانت أفاعيلُهُمْ الشنيعةُ قد أثارت الكراهيةَ في جميع أنحاء العالمِ الإسلامِيِّ، فأنكر عليهم حتى العُبيديون الذين كانوا يشاركونهم في العقيدةِ، فنشب بين الطرفين خلافٌ شديدٌ، واندلعت حروبٌ ضاريةٌ.

أعلن القرامطةُ الحربَ على الدولة الفاطمية الإسماعيلية سنة 971 م. مع أن الطرفين كانا على عقيدةٍ واحدةٍ، لكن الحرصَ في المنافسة لأجل توسيع الرقعةِ وإلقاءِ الهيبةِ والرعب على الأطرافِ عمومًا وعلى المسلمين بخاصّةٍ دفعهما إلى الاقتتالِ، فَهَزَمَ جَوْهَرُ الصقليُّ القرامطةَ وأجْبَرَهُمْ على الانسحاب من مصر في حالة من الفوضى، ثم تمكّن الفاطميون من إعادة احتلال الرملة، لكن ذلك لم يدم طويلاً، فأصبحت فلسطين مرة أخرى تحت سيطرة القرامطة سنة 972 م. تلا ذلك غزو ثانٍ عام 974 م. مَهَّدَ السبيلَ لانهيارِ دولةِ القرامطةِ وقد أنْهَكَتْهَا الغوائلُ فتمرَّدَ عليها سُكَّانُ جزيرة أوال واستمدُّوا من السلاجقة والعباسيّين، فاستعدَّتْ القواتُ العباسيةُ وانقضَّتْ على مراكزِ القرامطةِ عام 354 هـ./976 م. وتعرضوا لهجماتٍ متلاحقةٍ من القبائل العربية. بحلولِ عام 1077 م. إلى أنْ اختفتْ نهائيًّا بعد أن فقدتْ أُسْطُولَهَا في جزيرة البحرين، وَانْدَحَرَتْ عن مَسْرَحِ التاريخِ على يدِ الْعُيُونِيِّين.

***

5) الفِرْقَةُ الدُّرْزِيَّةُ:

الدُّرُوزُ طائفةٌ باطنيةٌ من الزنادقةِ، انشقوا عن الإسماعيليّين في مصر. لهم عقائد خليطةٌ اقتبسوها من مختلف الديانات كالإسلام، والمسيحية واليهودية والزرادشتية، والبوذية، والهندوسية، كذلك أخذوا من عدة فلسفات كالغنوصية، والأفلاطونية المحدثة، والفيثاغورية كبقية الفِرَقِ الباطنيةِ... يؤمن الدروز بالظهور الإلهي، وبتناسخ الأرواح المعبَّر عنه بِ"التَّقَمُّصِ" وهو من المبادئ الأساسية عندهم، ومعناه: أن روحَ الشخص تَعُودُ فَوْرَ مَوْتِهِ إلى الحياةِ بالانتقالِ إلى جسدِ جنينٍ لِيُمَثِّلَ شَخصًا آخر بعد الولادة.. للدروز عقائدُ غريبةٌ متناقضةٌ، تتألَّفُ من هرطقاتٍ وخرافياتٍ، ومَزَاعِمَ عشوائيةٍ متفرِّقةٍ لا علاقةَ بين أجزائِها، ينقضُ بعضُها بعضًا. فَمِنْ معتقداتِهم المتناقضةِ مثلًا: يزعم بعضُ الباحثين: أنهم يؤمنون بظهور سبعة أنبياء في فتراتٍ مختلفةٍ من التاريخ وهم: آدمُ، ونوحٌ، وإبراهيمُ، وموسىَ، ويسوعُ (عيسىَ بْنُ مَرْيَمَ)، ومحمدٌ، ومحمدُ بْنُ إسماعيلَ.. بينما ورد في بحث دقيق للأستاذ محمد خير رمضان يوسف وهو فاضلٌ من أهلِ البحثِ والدراسةِ يقول:

"وقد وقفتُ على رسالةٍ للسموقيّ[90] بِعُنْوَانِ "رسالة التبيين والاستدراك لبعض ما لم تدركه العقول في كشف الكفر المحجوب من الإلحاد والإشراك" الذي يبدو فيها مَوْقِفَهُمْ من الإسلامِ ونبيِّهِ. وقد نشرها أنور ياسين في الرقم (3) من "سلسلة الأديان السرية" سنة 1405 هـ. تحت عنوان "النبي محمد في العقيدة الدرزية" وذلك في "ذكرى مرور ألف سنة على ظهورِ اللهِ في شخصِ الحاكمِ بأمرِ اللهِ، ووجودِ العقلِ الكليِّ في شخصِ حمزةَ بْنِ عَلِيٍّ قائمِ الزمانِ وهادي المستجيبين" كما كُتب تحت العنوان، تعالى الله عن ذلك.

[90] هو علي بن أحمد الطائي السموقي، أبو الحسن، بهاء الدين: من أركان الدعوة الباطنية الدرزية، وأحد "الحدود الخمسة" عند الدروز. يَكْنُونَ عنه بـ"التالي"، و"الجناح الاسير"، ويلقبونه بـ"المقتني"، ويدعونه "الوزير الخامس" ومن ألقابه في كتب مذهبهم: "التابع" و"خامس الحدود" و"آخر الحدود". وكان من كبار كُتَّابِهِمْ، له "الرسالة الموسومة بـ"القسطنطينية"، المنفَّذَةُ إلى قسطنطين متملك النصرانية – خ. "حاول فيها إقناعَ الإمبراطور قسطنطين أنَّ المسيحَ متجسِّدٌ في شخص "حمزة ابن علي الفارسيّ" و"المقالة في الرد على المنجمين – خ. و"الرسالة الواصلة إلى الجبل الأنور – خ. و"الرسالة الموسومة بـ"المسيحة، وأم القلائد النسكية". ورسالة "السفر إلى السادة في الدعوة لطاعة ولي الحق"، والرسالة الموسومة بـ"التبيين والاستدراك".. ويُنْسَبُ إليه كتاب: "النقط والدوائر – ط ". وكان في عصر الحاكم بأمر الله الفاطمي، ومن حملةِ أَلْوِيَتِهِ، وله اتصال بحمزة بن علي. كتب لي فؤاد سليم وهو من مثقفي الدروز ومفكِّرِيهم، يقول: "إن مُعظمَ رسائل الدروز من وضع السموقي، ويحسب هو واضع أسس الديانة وناشرها ومؤيدها، ومنزلته في الدرزية كمنزلة بولس في النصرانية" المصدر: خير الدين الزركلي، الاعلام (**4/ 254**)

وقد بدأ رسالته بقوله: "توكَّلتُ على المولى الإله الحاكم مأزل الأزل وتوسَّلْتُ إليه بوليه القائم الهادي عِلَّةِ العللِ...". وقال من بعد: "لما تعقبت من شريعة الإبليس المواضع البينة الخلل...". ويعني به محمداً رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، ويعني بشريعته القرآن الكريم، كما وضحه محققه في الهامش، وأورد لهم ألقابًا أخرى ينعتون بها رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام، لا يُطَاوِعُني القلمُ في كتابتها، أقلُّهَا فيه قول السموقي: "المسرف الكذاب."[91]

جاءَ في بعض الأبحاث أنَّ عقائدَ الدُّروزِ وضعها شخصٌ يُدعى محمد بن إسماعيل الدَّرْزِيُّ البخاريُّ[92] في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي (411هـ./1020م.) إلاَّ أنَّ بعضَهم يزعمون أن المؤسِّسَ الفعليَّ هو حمزة بن علي بن محمد الزوزني وهو مَنْ وَضَعَ كُتُبَهُمْ الدينيةَ، وأن الرجلين اختلفا، فَهَاجَرَ الأوَّلُ (محمدُ بْنُ إسماعيلَ الدَّرْزِيُّ) إلى بلاد الشام. قيل أنَّ محمدَ بْنَ إسماعيلَ الدَّرْزِيَّ فارسيُّ الأصلِ، وقيل تُرْكِيُّ الأصل (يَدُلُّ على ذلك لَقَبُهُ "أَنُشْتَكِينْ Anoştekin" وهو من أسماء الأتراك)، قدم الرجل إلى مصر في أواخر سنة 407 هـ. ودخل في خدمة (الملك الفاطمي: الحاكم بأمر الله المنصور بن العزيز بالله (985 – 1021م.) ودعى إلى الإيمان بأولوهيته، ولما قُتِلَ الحاكمُ قالوا بغيبته وأنه سيرجع. وصنّف حمزة للحاكم كتابا قال فيه: إن روح آدم انتقلت إلى علي بن أبي طالب ومنه إلى أسلاف الحاكم مُتَقَمِّصَةً من واحدٍ إلى آخَرَ حتى انتهت إلى الحاكم بأمر الله. ويُعَدُّ المقتنى بهاء الدين من مؤسِّسِي هذه الديانة، وهو الذي سدَّ بابَ الاجتهادِ والدعوةِ فيها إلى الأبد.

ورد في الأعلام للزركلي: "إنَّ الدَّرْزِيَّ الّذي يُنْسَبُ إليه الدروزُ، رجل من الأتراك بمصر، ظهر في أيام الحاكم بأمر الله العُبيدي، وجاهر في القول بالحلول والتناسخ، وصنّف كتابا ذكر فيه أن الإله حل في عليٍّ، وأنَّ روحَ عليٍّ تَنَقَّلَتْ في أولادهِ إلى أن وصلتْ إلى الحاكم، واتفق مع (حمزة) على الدعوة إلى عبادة (الحاكم) وانقادت إليهما جماعة كثيرة، قبل اختلافهما".[93] وفي النجوم الزاهرة: قال الحاكم لداعيه: كم

[91] المصدر: الموقع الألكتروني للأستاذ محمد خير رمضان يوسف وهو فاضل سوري من أهل البحث والدراسة، وهذا الرابط: مصحف الدروز وعقيدتهم – موقع محمد خير يوسف

[92] وكلمةُ "دَرْزِي"تُركيّةٌ، معناها:خيّاط.

[93] خير الدين الزركلي، الأعلام (6/ 35)

في جريدتك؟ قال: ستة عشر ألفا يعتقدون أنك الإله.[94] أرسله الحاكم إلى بلاد الشام لنشر دعوته، فنزل بوادي التيم بالقرب من جبل الشيخ، قتله المغول سنة 411 هـ. وفي بعض الروايات، قتله الحاكم سنة 410 هـ. وقد يرد اسمه بلفظ (عبد الله الدَّرْزِيّ) و(دَرْزِي بن محمد). وفي سيرته غموض لم يتمكن الباحثون من كشفها، لكنهم متفقون على أنه انقلب على (الحاكم) وعاداه في أواخر عهده وكان ذلك سَبَبَ مَقْتَلِهِ.

يتفق الدروزُ مع الإسماعيليين في معظم معتقداتهم، لكن الدُّروزَ اختلفوا عنهم باعتقادِهِمْ ألوهيَّةَ الحاكم بأمر الله، فقد أعلنوا جَوهَرَ هذه العَقيدةِ بأنَّ اللهَ يتَّخِذُ على مَرِّ العُصورِ والأزمانِ حِجابًا أو صورةً ناسوتيَّةً يتَجَلَّى فيها لخَلقِه، وأنَّ الحِجابَ الأخيرَ الذي ظَهَرَ فيه كان بصورةِ الحاكِمِ بأمرِ اللهِ العُبَيديّ. لعلّ الإسماعيليّين كانوا على نفس العقيدة، لكنهم أعلنوها بعد أن أظهرها الدروز وقد أخَذ الدروز عنِ الإسماعيليَّةِ نَظَرِيَّةَ العُقولِ السَّبعةِ وطَبَّقوها على ظهوراتِ اللهِ بالصُّورةِ النَّاسوتيَّةِ، وزَعَموا أنَّ عَدَدَ هذه الظُّهوراتِ كانت سَبْعًا، آخِرُها الحاكِمُ.

ومن مسائل الاختلاف بينهما: تعتقد الإسماعيليَّةُ بوُجودِ عَالَمٍ روحانيّ تَسكُنُه المَلائِكةُ، وعَالَمٍ سُفليّ هو عَالَمُ الكونِ والفسادِ. كما يعتَقِدونَ بأنَّ الأجسادَ مَصْدَرُ الشَّقاءِ والآلامِ، وأنَّ المُؤمِنَ حينَ مَوتِه تَذهَبُ نَفسُه إلى العالَمِ العُلويّ، وأمَّا الكافِرُ فيتَقَلَّبُ في الأجسادِ البَشَريَّةِ وغَيرِ البَشَريَّةِ عِقابًا له على ما قدَّمَ. وهذا الاعتِقادُ يُخالِفُ اعتِقادَ الدُّروزِ، فإنهم يقولون بتناسخ الأرواح وانتقالها إلى الأجساد الإنسانية.

والدروز لا يعتقدون بالجنة والنار، والثواب والعقاب، بل يكون الثواب عندهم بانتقال النفس إلى منزلة أرفع حينما تنتقل من جسد إلى جسد آخر، ويكون العقاب بتدني منزلتها. يُنْكِرُ الدروزُ الأنبياءَ والرسلَ، ويُلَقِّبُونَهُمْ بالأبالسة، وفي معتَقَدِهِمْ هذَا تناقضاتٌ، ومهاتراتٌ، وخرافاتٌ، ولبسٌ، وخبطٌ تتعارض فيها مزاعمهم... ويعتقدون بأن المسيح هو داعيتهم حمزة، ويبغضون جميع أهل الديانات والمسلمين منهم بخاصة ويستبيحون دماءهم وأموالهم وغشهم عند المقدرة. وما أدَلَّ على ذلك مُنَاصَرَتُهُمْ اليهودَ ضدَّ المسلمين عند كلِّ فُرصَةٍ.

---

[94] النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (5/ 341)

وعندهم عقيدة تُسَمَّى بـ"الأدوار". "فقد ظهر حمزةُ في الأدوارِ الكُبرى، والأدوارِ الصُّغرَى بأسماءٍ مختلفةٍ: فهو شَطْنِيلُ في دور آدم، وفيثاغورس في دور نوح، وداودَ في دور إبراهيم، وشعيبٌ في دور موسى، واليسوعُ في دور عيسى، وأنه هو المسيحُ الحقيقيُّ الأبديُّ، وسلمانُ الفارسيُّ في دور محمد، وهو الذي أَمْلَى القرآنَ على محمد وهكذا..."[95]

ومن عقائد الدروز: أنهم يَنْفَوْنَ جميعَ صِفاتِ اللهِ، ويقولون: "إنه تعالى فوقَ مُتَنَاوَلِ العَقلِ، والعَقلُ عاجِزٌ عن إدراكِ كُنهِه، فإثباتُ الصِّفاتِ له يعني (بزَعمِهم) نفي التَّوحيدِ.. لهم رسائلُ مُقَدَّسَةٌ تسمَّى: "رسائلَ الحكمةِ" وعددها: مائةٌ وَأَحَدَ عَشَرَ رِسَالَةً، ولهم مصحفٌ يسمى "الْمُنْفَرِدَ بذاتهِ"، نقض فيه زعيمُهم حمزةُ أركانَ الإسلامِ والشرائعَ كُلَّهَا.

يسكن الدروز في أنحاء الهلال الخصيب، أكثرهم يعيشون في لبنان وسوريا وفلسطين والأرضِ المحتلَّةِ، وقد أخذوا الجنسيةَ الإسرائيليةَ، لهم رابطةٌ في البرازيل وأستراليا، يمثّلون خطورةً وتهديدًا على الإسلام والمسلمين. وقد سجَّلَ بعضُ علماءِ الإسلام تنبيهاتٍ شديدةً على الدروز، منهم ابن تيمية رحمه اللهُ، فقد ورد في فتاواه ما نصُّهُ:

"هؤلاء (الدرزية) و(النصيرية) كفارٌ باتِّفاقِ المسلمين، لا يحلُّ أكلُ ذبائِحِهِمْ، ولا نكاحُ نسائِهِمْ؛ بل ولا يُقَرُّونَ بِالْجِزْيَةِ؛ فإنهم مرتدُّون عن دين الإسلام، ليسوا مسلمين؛ ولا يهودٍ ولا نصارَى، لا يُقِرُّونَ بوجوبِ الصلواتِ الخمسِ، ولا وجوبِ صومِ رمضان، ولا وجوبِ الحجِّ، ولا تحريمِ ما حرَّم اللهُ ورسولُهُ من الميتةِ والخمرِ وغيرِهما. وإن أظهروا الشهادتين مع هذه العقائدِ فهم كُفَّارٌ باتِّفاقِ المسلمين. و"الدرزيةُ" فَأَتْبَاعُ هُشْتَكِينِ الدَّرْزِي؛ وكان من موالي الحاكم، أرسله إلى أهل وادي تيم الله بن ثعلبة، فدعاهم إلى إلَهِيَةِ الحاكمِ

---

[95] ورد ذكر هذه المعتقدات في الكتب التي أرخت للفرق والمذاهب، ومنها: كتاب "خطط الشام" لـ محمد كرد علي: ذكر فيه تفاصيل دقيقة عن أدوار حمزة بن علي (مؤسس المذهب) وكيف يظهر في كل زمان ومكان باسم مختلف.

ورد أيضًا في رسائل الحكمة: وهي الكتب الأساسية لدى الدروز، حيث تُفصل هذه الرسائل (مثل "رسالة السيرة المستقيمة") ظهور "الحدود" (الشخصيات الروحانية) في أدوار الأنبياء والرسل. وتُستشهد هذه العبارة تحديداً في المراجع التي لخصت عقائد المذهب من وجهة نظر إسلامية أو استشراقية، ومنها: كتاب "المذاهب الإسلامية" لمحمد أبو زهرة: حيث شرح رؤية المذهب للأنبياء وكيف أنهم مجرد "أدوار" للحدود الخمسة.

كذلك وردت هذه العبارات في كتاب "الحركات الباطنية في العالم الإسلامي" لـ د. أحمد الخطيب: الذي نقل هذه التفاصيل عند حديثه عن حمزة بن علي بن أحمد.

وَيُسَمُّونَهُ "الباريَ العلاَّمَ"، ويحلفون به، وهم من الإسماعيلية القائلين بأنَّ محمدَ بْنَ إسماعيلَ نَسَخَ شريعةَ محمدِ بْنِ عبد الله، وهم أعظم كُفْرًا من الغالية، يقولون بِقِدَمِ العَالَمِ وإنكار الْمَعَادِ، وإنكارِ واجباتِ الإسلامِ وَمُحَرَّمَاتِهِ، وهم من القرامطة الباطنية الذين هم أَكْفَرُ من اليهودِ والنصارى ومُشْرِكِي العربِ، وغايتُهُمْ أنْ يكونوا "فلاسفةً" على مذهب أرسطو وأمثاله أو "مجوسا". وقولُهُمْ مركَّبٌ من قولِ الفلاسفةِ والمجوسِ، ويُظْهِرُونَ التشيُّعَ نِفَاقًا. والله أعلم. وقال رحمه الله ردًّا على "الدروز": كُفْرُ هؤلاءِ مما لا يختلف فيه المسلمون؛ بل مَنْ شَكَّ في كُفْرِهِمْ فهو كافرٌ مثلهم؛ لا هم بمنزلة أهل الكتاب ولا المشركين؛ بل هم الكفرة الضالون فلا يباح أكل طعامهم وتُسْبَى نساؤُهم، وتُؤْخَذُ أموالُهُمْ. فإنهم زنادقةٌ مرتدُّون لا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُمْ؛ بل يُقْتَلُونَ أينما ثُقِفُوا؛ ويُلْعَنُونَ كما وُصِفُوا؛ ولا يجوز استخدامهم للحراسة والبوابة والحفاظ. ويجب قتل علمائهم وصلحائهم لئلا يضلوا غيرهم؛ ويحرم النوم معهم في بيوتهم؛ ورفقتهم؛ والمشي معهم وتشييع جنائزهم إذا علم موتها. ويحرم على ولاة أمور المسلمين إضاعة ما أمر الله من إقامة الحدود عليهم بأي شيء يراه المقيم لا المقام عليه. والله المستعان وعليه التُّكْلاَن." [96]

كان الدروزُ منذ قرونٍ ولا يزالون مَصْدَرَ شَغَبٍ وَفِتَنٍ في المنطقة الشامية، والحربُ سجالٌ بينهم وبين بقية الفِرَقِ الدينيةِ وهي بالتحديد: النصارى الموارنة، والنُّصَيْرِيَّةُ، وأدعياءُ السنةِ... ارتكب الدروز خيانات عبر تاريخهم؛ كلما وجدوا فرصةً أغاروا على غوطة دمشق وحوران والمرج.. تعاونوا مع المسؤولين الإنجليز خلال الانتداب البريطاني على فلسطين، "لم يتبنّ دُروز فلسطين التاريخية أفكارَ وقِيَم القوميةِ العربيةِ الْمُتصاعدة في تلك المرحلة، ولم يُشاركوا في المواجهات العنيفة. ومُنذ قيام دولة إسرائيل، أظهر الدروزُ تَضَامُنَهُمْ مع إسرائيل، ونأوا بأنفسهم عن القضية الفلسطينية، ويُلزم المواطنون الدروز الذكور في الخدمة الإلزامية بالجيش الإسرائيلي.

لمزيدٍ من المعرفةِ عن تاريخِ الدروزِ ومغامراتِهِمْ وتعاونِهِمْ مع الْمُحْتَلِّينَ، وعلاقاتِهِمْ مع بقيةِ الأقليَّات الدينيةِ القاطنةِ في منطقةِ الهلالِ الخصيبِ، يُنْصَحُ بمطالعة الكتاب الموسوم "خطط الشام" للعلامة كرد علي.

***

[96] أحمد تقي الدين بن تيمية، مجموع الفتاوى (35/161، 162)

6) الفِرْقَةُ النُّصَيْرِيَّةُ:

النُّصَيرِيَّةُ جماعةٌ دينيةٌ خطيرةٌ وفرقةٌ باطنيةٌ من الزنادقةِ، ظهروا في القرن الثالث الهجريِّ وانتظموا فيما بينهم ليهدموا الإسلامَ وينقضوا عراه.. يتستَّرون بالانتسابِ إلى أهل البيتِ خُدعَةً، يعدُّهم أهل العلم والدراسة من غُلاةِ الشيعةِ الذين زعموا وجودًا إلهيًّا في عليّ بنِ أبي طالبٍ، وألَّهُوهُ به. لهم عقائدُ باطلةٌ خرافيَّةٌ، قدكتب العلماءُ مقالاتٍ فيها. يؤمنون بالتناسخ، وهو انتقال الرح من ميت إلى مولود جديد، قد يكون بشرا أو دابة، ويقولون "إن روح المسلم تنتقل إلى حمار بعد موته." يعملون بالتقيَّةِ، فَيَحْرُصُونَ على سِرِّيَّةِ عَقائِدِهم، ولا يُفْشُونَهَا إلَّا لأتباعِهم بَعدَ أخذِ العُهودِ والمَواثيقِ منهم على كتمانها. ويُعَدُّ النُّصَيريُّون كغَيرِهم من فِرَقِ الشِّيعةِ الغاليةِ، يسَبُّون الصَّحابةَ رَضيَ اللهُ عنهم، وهو عندهم من الفُروضِ الدِّينيَّةِ؛ لأنَّهم كما يزعُمونَ "اغتَصَبوا حَقَّ العَلويِّينَ في الخِلافةِ."

وجاءَتْ عباراتٌ غريبةٌ عن معتقدات النُّصَيريَّةِ في موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام من أجزاء الكتاب الموسوم "الدرر السنية" تحت عنوان: "المبحث الخامس: مراسيم وطقوس الدخول في عقيدة النصيرية" وهذا نصها:

"لمَّا كانتِ العَقيدةُ النُّصَيريَّةُ مِن أردَأِ المَذاهِبِ وأشَدِّها توغُّلًا في الباطِلِ، لم يأنَسُوا مِن إظهارِ مَذهَبِهم صَراحةً حتَّى مِن بَعضِهم لبَعضٍ إلَّا بَعدَ تَعقيداتٍ واختِباراتٍ شَديدةٍ يُذَلَّلُ مِن خِلالِها التَّابعُ فيتَجَرَّعُ أشَدَّ أنواعِ الإهانةِ. وإنَّما يُسْمَحُ لِدُخولِهِ في المَذهَبِ بطَريقةٍ مُخْزِيَةٍ يتِمُّ مِن خِلالِها القَضاءُ على كُلِّ عِرقٍ يَنبضُ فيه بالرُّجولةِ والشَّهامةِ، وتُداسُ كرامَتُه ويُنتَهَكُ عِرضُه. فحينَما يحضُرُ التِّلميذُ يختارُ الشَّيخَ الذي سَيُلازِمُه مِن بَيْنِ مجموعةِ المَشايخِ المَوجودينَ، ويُسَمُّونَه الوالدَ الرُّوحيَّ أوِ الوالدَ الدِّينيَّ، ثُمَّ يغرِسونَ في نَفسِ التِّلميذِ تَقديسَ شَيخِه والتَّواضُعَ له تواضُعًا مُطلقًا أشبَهَ ما يكونُ بالقاعِدةِ الصُّوفيَّةِ (كالمَيِّتِ بَينَ يَدَي الغاسِلِ).

ومِنَ الطُّرُقِ التي يتَوسَّلونَ بها إلى إذلالِ الشَّخصِ أنَّه حينَما يدخُلُ يقِفُ في ناحيةٍ وهو ساكِتٌ لا يتَكلَّمُ بشَيءٍ، وأحذيةُ المَشايخِ مَرفوعةٌ فوقَ رَأسِه، ثُمَّ يتَكلَّمُ شَيخُه لبَقيَّةِ المَشايخِ ويتَوسَّلُ إليهم أن يقبَلوا هذا الشَّخصَ الماثِلَ أمامَهم ويُدخِلوه في زُمرَتِهم، فإذا أقرَّ المَشايخُ بقبولِهِ أُنزِلَتِ الأحذيةُ مِن فوقِ رَأسِه، ثُمَّ

يأخُذُ في تَقبيلِ أيدي وأرجُلِ الحاضِرينَ مِنَ المَشايِخِ. ثُمَّ يقِفُ في مَكانِه ويوضَعُ على رَأسِه خِرقةٌ بَيضاءُ، ثُمَّ يأخُذُ الشَّيخُ في قِراءةِ العَقدِ الذي سَيتِمُّ بَينَ التِّلميذِ وبَينَ المَشايخِ، وهو أشبَهُ ما يكونُ بعَقدِ الزَّواجِ، ويعدُّونَ ذلك بمنزلة الخِطبةِ، والكلامَ الذي يسمَعُه بمَثابةِ النِّكاحِ، وما يتَحَمَّلُه مِنَ العِلمِ عنهم بمَثابةِ الحَملِ، فإذا عَلمَ وأرادَ التَّعليمَ فإنَّ ذلك يكونُ بمَثابةِ الوضعِ! وبَعدَ نهاية هذه المَرحَلةِ يُقالُ للتِّلميذِ: يجِبُ عليك أن تُكرِّرَ في اليومِ خَمسَمِائةِ مَرَّةٍ: بحَقِّ (ع. م. س) لمُدَّةٍ يُحَدِّدونَها، ثُمَّ بَعدَ ذلك يأتي إليهم ليُكمِلَ تَعليمَه بَعدَ اختِباراتٍ قاسيةٍ يرضى فيها بكُلِّ شَيءٍ حتَّى ولو بإهدارِ رُجولتِه.

ورد في آخر هذا المقطع من الموسوعة أهَمُّ الشُّروطِ في تَعليمِ عقائد النَّصيريِّ، فيشترِطونَ للمرشَّحِ في الدخول إلى دينيهم: أن يكون قد أَتَمَّ سِنَّ التَّاسِعةَ عَشرةَ، وأن يمُرَّ بمراحِلَ ثلاثةٍ" وهي مفصّلةٌ في المصدر نفسه تندهش منها العقول!.

تُنْسَبُ هذه الفرقةُ إلى الرَّافِضيِّ محمدِ بنِ نصيرِ النميريِّ، وكنيته (أبو شعيب)، وهو فارسيُّ الأصلِ، كان من الشيعة الاثني عشرية، ثم اختلف عنهم وادّعى أنه الباب إلى المهدي المنتظر، واغترت به جماعةٌ فأعلن نفسَهُ زعيمًا عليهم إلى أن هلك سنة 260 هـ. وقد كان الرجلُ مولى للحسن العسكري (الإمام الحادي عشر للشيعة الاثني عشرية) فيما ورد عن علماء الفرق، إلاَّ أن الحسن العسكري كان له موقف شديد من آرائه الكفرية.

دخل مع الزمان اسمُ ابنِ نصيرٍ في قَسَمِ كل نُصَيْرِيٍّ، وهو قَسَمٌ مليءٌ بضروبٍ من الشرك والإلحاد، وقد بُنِيَت مُعتقَداتُ النصيرية على آرائه، ولا يطلع عليها إلا من توسع في دراستها ووقف على مخازيهم بطريق التسلل بينهم، وذلك ممتنع إلى حدٍّ كبير. ويُعدُّ الحسينُ بْنُ حمدان الخصيبيُّ أو الجنبُلاَئِيُّ (260– 358 هـ.) هو المؤسِّسَ الثاني للفرقة النصيرية. هو الذي أعادَ صِيَاغَتَهَا، ورتَّب عَقَائِدَهَا، فجعل منها دينًا جديدًا مُسْتَقِلًّا عن الإسلام على أساس الإيمانِ بثالوثٍ يتمثّلُ في ثلاث شخصياتٍ، هم: علي بن أبي طالب، ومحمد صلى الله عليه وسلم، وسلمان الفارسي.

ويؤكد أحد علماء الشيعة الاثني عشرية وهو محمد رضا شمس الدين الذي زار النصيرية سنة 1376 هـ. للتَّعَرُّفِ على أحوالهم موفدًا من أحد المراجع الدينية في النجف عبد الهادي الشيرازي: "أن النصيرية لا

يزالون إلى اليوم يَتَمَسَكُونَ بأفكارِ زعيمهم محمد بن نصير، وذكر أنه حينما زارهم رحَّبوا به أجمل ترحيب، ولكنه لاَحَظَ عدمَ اكتراثِهِمْ بفرائضِ الدينِ من صلاةٍ وحجٍّ، وعدم وجود مساجد في منطقتهم، كما لاَحَظَ أنَّ فكرةَ تناسخِ الأرواحِ لا تزالُ منتشرةً بينهم وهم يُسْمَوْنَها تقمصَ الأرواحِ". ولا شك في صحة شهادة محمد رضا فإنه أعلم بهم، وشهد شاهد من أهلها

كما لا شكَّ في أنَّ النصيريةَ جبهةٌ من أشدِّ الأعداءِ للإسلام والمسلمين في الداخل كالدروز، لهم خياناتٌ وَنَقْضٌ للعهود مِرَارًا وقد سجَّلها التاريخُ. فكانوا ولا يزالون مع كل غازٍ لأرض المسلمين، وقد أطلق عليهم الاستعمارُ الفرنسيُّ لسوريا اسمَ (العلويّين) تمويهًا وتغطيةً لحقيقتِهِمْ الرافضيَّةِ والباطنية.

انتَشَرَ النُّصَيْرِيُّون في أنحاءِ بلادِ الشَّامِ، يُسَمَّونَ أنفُسَهم بـ"العَلويّينَ"، ويكرَهونَ تَسْمِيَتَهُمْ بـ"النُّصَيريِّينَ"، تَكِنُّ صدورُهُمْ بالعداوة للإسلامِ والمُسلمينَ، فقد دَأَبُوا على التمرُّدِ منذ القديم، وثاروا على النظام كلما وجدوا فرصةً، وتَعاوُنُوا مَعَ الأعداءِ مِنَ الخارِجِ. فمِن خياناتِهم: أنَّهم تواطُؤوا مَعَ غزاة المغول أثناءُ هجومهم على دمشق سَنةِ 696 هـ. ثمَّ شاءَ اللهُ تعالى أن انتصر المسلمون على المغول بتشجيعٍ من علماء المسلمين وعلى رأسهم ابن تيمية رحمهم الله جميعًا.

قال ابنُ كثيرٍ: "وفي سَنةِ 717 هـ. خَرَجَتِ النُّصَيريَّةُ عنِ الطَّاعةِ، وكان من بَينِهم رَجُلٌ سَمَّوه مُحَمَّدَ بنَ الحَسَنِ المَهديَّ القائِمَ بأمرِ اللهِ، وتارةً يدَّعي أنَّه عَليُّ بنُ أبي طالبٍ فاطِرُ السَّمَواتِ والأرضِ، تعالى اللهُ عَمَّا يقولونَ عُلوًّا كبيرًا، وتارةً يدَّعي أنَّه مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ اللهِ صاحِبُ البلادِ، وصَرَّح بكُفرِ المُسلمينَ، وأنَّ النُّصَيريَّةَ على الحَقِّ، واحتَوى هذا الرَّجُلُ على عُقولِ كثيرٍ من كِبارِ النُّصَيريِّين الضُّلَّالِ، وعَيَّن لكُلِّ إنسانٍ منهم تَقدِمةَ ألفٍ، وبلادًا كثيرةً، ونيابةَ قَلعةٍ، وحَمَلوا على مَدينةِ جَبلةَ فدَخَلوها وقَتَلوا خَلْقًا مِن أهلِها، وخَرَجوا منها يقولونَ: لا إلهَ إلَّا عليٌّ، ولا حِجابَ إلَّا مُحَمَّدٌ، ولا بابَ إلَّا سَلمانُ، وسَبُّوا الشَّيخَينِ، وصاحَ أهلُ البلدِ: وا إسلاماه، وا سُلطاناه، وا أميراه، ولم يكُنْ لهم يومئِذٍ ناصِرٌ ولا مُنجِدٌ، وجَعَلوا يبكونَ ويتَضَرَّعونَ إلى اللهِ عَزَّ وجَلَّ، فجَمع هذا الضَّالُّ الأموالَ فقَسَّمها على أصحابِه وأتباعِه قَبَّحَهمُ اللهُ أجمَعينَ، وقال لهم: لم يبقَ للمُسلمينَ ذِكرٌ ولا دَولةٌ، ولو لم يَبقَ مَعي سِوى عَشَرةِ نَفرٍ لمَلَكْنا البلادَ كُلَّها، ونادى في تلك البلادِ أنَّ المُقاسَمةَ بالعُشرِ لا غَيرُ؛ ليرغبَ فيه، وأمر أصحابَه بخَرابِ المَساجِدِ، واتِّخاذِها خَمَّاراتٍ، وكانوا يقولونَ لمَن أسَرُوه مِنَ المُسلمينَ: قُل: لا إلهَ إلَّا عليٌّ، واسجُدْ لإلهِك المَهديِّ الذي يُحيي ويُميتُ حتَّى يُحْقَنَ دَمُك،

ويُكتَبَ لك فرَمانٌ! وتجَهَّزوا وعَمِلوا أُمورًا عَظيمةً جِدًّا، فجُرِّدَت إليهمُ العَساكِرُ، فهَزَموهم، وقَتَلوا منهم خَلقًا كثيرًا، وقُتِل المَهديُّ."[97]

ومِن خياناتِ النُّصَيريّين ما اعترف به النُّصَيريُّ مُحَمَّد أمين غالب الطَّويل في كتابه "تاريخ العلويّين"، فقال: "لمَّا كان لا بُدَّ للضَّعيفِ المَظلومِ مِنَ التَّوسُّلِ بالخيانةِ لكي يُحافِظَ على حُقوقِه أو يستَرِدَّها –وهذا أمرٌ طَبيعيٌّ يُساقُ إليه كُلُّ إنسانٍ– كان العَلويُّونَ كُلَّما غَصَبَ السُّنِّيُّونَ أموالَهم وحُقوقَهم يتوسَّلونَ بغَدرِ السُّنِّيِّينَ عِندَ سُنوحِ الفُرصةِ."[98]

وجاء في المصدرِ نفسِهِ مقاطعُ هامّةٌ فيها قِصَّةُ الطاغيةِ الدمويّ المغوليِّ (تيمور لنك) مع النصيريّين إذ يتعاون الطَّرَفَانِ على قتل السوريّين من أهل السنةِ، وذلك من خيانات النُّصَيريّين القديمة. يقول المؤرخ النُّصَيريُّ مُحَمَّد أمين غالب الطَّويل: "جاء تيمور لنك بجيوش لا يُعرف مقدارها واستولى على الغرب، وفتح بغداد، وحلب، والشام في سنة 822 – 823 هـ.، ما قصدنا من ذكر تيمور الأعرج إلاَّ بيانَ ما يتعلَّقُ من تاريخه بالعلويّين ونحن نقول أن تيمور كان علوًّا محضًا من جهة العقيدة، فإنه عدا عن المباحث التاريخية يُوجُدُ له (أشعارٌ دينيةٌ) موافقةٌ لآدابِ الطريقةِ الجُنْبُلاَنِيَّةِ النصيرية، وأسبابُ دخولِهِ في الطريقة هو ذهاب العَلَوِيّ العظيمِ السيد (بركة) من خراسان لعند الأمير تيمور وهو في بلدة بلخ العلوية".[99]

ويضيف المؤرّخُ إلى هذه العبارات "أن تيمور لنك دخل مدينة حلب فأمعن في القتل والنهب والتعذيب والهدم حتى أنشأ من رؤوس البشر تلةً عظيمة."[100] لا شكَّ أنه إنما ارتكب كلَّ هذه الجناياتِ بمساعدة النُّصَيريّين ومساندتهم. وقد أثبتت الدلائلُ التاريخيةُ أنَّ النُّصَيْرِيّينَ كانوا وراءَ فِتَنٍ عَبْرَ تاريخهم، ولهذا تعرّضوا للمذابح في كل مرحلةٍ؛ فَدَاهَمَتْهُمْ قواتُ المماليك قبل قرونٍ، ودمروا قُرَاهُمْ، ولاحقتهم الحكومة العثمانية وقتلت منهم الكثير، وكذلك الأرمن فعلوا بهم في أضنة، فاجتمعوا في جبال الساحل، وبقي منهم بقايا في إسكندرونة واللاذقية وطرطوس.

[97] الحافظ ابن كثير إسماعيل بن عمر الدمشقي المتوفى سنة 774هـ.، البداية والنهاية: (16/ 127)

[98] وردت هذه العباراتُ في "تاريخ العلويّين" ص/404، الصادر سنة 1924م باللاذقية، للمؤلف: مُحَمَّد أمين غالب الطَّويل، في فصلٍ بعنوان: "سيد الأحرار في الشرق مدحت باشا".

[99] مُحَمَّد أمين غالب الطَّويل، "تاريخ العلويّين" ص/330، الصادر سنة 1924م باللاذقية.Elmer Holmes Bobst Library, New York University

[100] المصدر سابق ص/332

استغلّت الحكومة الفرنسيةُ الفوضى التي كانت سائدةً عقب الحرب العالمية الأولى، فقامت بحماية النُّصَيْرِيّينَ سنة 1923 م. فأعلنت بقيام دولة مُسْتَقِلَّةٍ لهم، تشمل اللاذقية وطرطوس، ثم بدأت محاولات دَمْجِهَا في سوريا عام 1936 م. وعادت جزءًا من سوريا عام 1942 م. لكنه لم يلبث طويلاً حتى تَفَطَّنَ النُّصَيْرِيُّون إلى ما وقع فيه أدعياء السنة من الغفلة والْعَمَى. لقد كان "السُّنِّيُّونَ" في تلك الأيام غَرْقَى في الجهل واللهو والملذات والازدياد من كسب حطام الدنيا، لا يبالون بما سَيَحِلُّ بهم من المصائب في تلك المرحلة الحساسة وقد أحدقت بهم الأعداءُ من كلِّ صوبٍ وعلى رأسهم النُّصيرِيَّةُ.

استغلَّ النُّصَيْرِيُّون تلك الظروفَ، فانخرطوا في صفوف الجيش السورِيّ على حين غرةٍ من أدعياء السنةِ الذين لم يرغبوا في الانضمام إلى الجيشِ، ولم يلبث حتى ارتقى كثيرٌ من النُّصَيْرِيّين إلى مراتب رفيعةٍ، فامتلكوا السلاحَ والمقدرةَ واحتلّوا مناصبَ منيعةً في مختلف مؤسّسات الدولة.

لجأ النُّصَيْرِيُّون في البداية إلى مكيدة النفاقِ لتعمية الشعب، فقاموا ببث الفكر العروبي والوطني، ليطمئن الناسُ فلا يشكّوا في أمرهم. فلما أيقنوا أنَّ عامة الناسِ قد اغتروا بهتافاتهم وغطوا في سباتٍ عميق لا يهمهم إلاَّ بطونهم، أخذوا يتغلغلون في صفوف حزب البعث الذي قفز إلى الحكم منذ عام 1963 م..

سرعان ما انتظمت النخبة النُّصَيْرِيَّةُ فقامت بتكوين لجنة عسكرية قفزت إلى الحكم يوم الثامن من شهر مارس عام 1963 م. وبدءوا بالسيطرة على الحزب بعد إبعاد أقطابه الكبار، مثل ميشيل عفلق (المسيحي)، وسليم حاطوم (الدرزي). وعبد الكريم الجندي (الاسماعيلي)، وأمين الحافظ (السُّنِيانِيّ).. كان حافظ الأسد ضمن الانقلابيّين في تلك الثورةِ، ثم تولى مناصب عسكرية بارزة، منها قيادة القوى الجوية، مما عزز نفوذه داخل الجيش في انقلاب 1966 م.، وشارك في الإطاحة بالقيادة القديمة لحزب البعث، وعُيّن وزيرًا للدفاع. خلال حرب 1967 م.، التي انتهت بهزيمة منكرة أمام الجيش إسرائيلي. ثم قاد انقلابًا آخر داخليًّا أطاح فيه بصلاح جديد، عُيّن رئيسًا للوزراء ثم انتُخب من خلال انتخاباتٍ مُزَوَّرَةٍ رئيسًا للجمهورية عام 1971 م.، ليبدأ حُكْمَهُ الطويلَ الذي استمر إلى أن مات عام 2000 م.

خلفهُ ابْنُهُ بشارُ الأسد، فكان على أسلوب أبيه طاغيةً مستبدًّا، قُتِلَ في أيامه ملايين من السوريين الأبرياء، واكتظَّتْ السجون بعشراتِ آلافٍ آخرين، مات أكثرهم تحت التعذيب، ولم ينجُ منهم أحدٌ إلاَّ منكوبًا وعليه آثارُ التعذيب. ولا يسع المقام لحصر ما ارتكب النُّصَيْرِيُّون من الجنايات على الشعب السوريِّ، وقد سجلها التاريخ لتكون عبرةً من الماضي ونهجًا يستقي منه الأجيالُ الدروسَ غدًا..

***

7) الفِرْقَةُ الْمُسْلُمَانِيَّةُ (Müslümanlik): وما ارتبطتْ بها من الطُّرُقِ الصوفية (تأتي على رأسِهَا النَّقْشَبَنْدِيَّةُ):

تطورت الزندقةُ وقفزت إلى بلاد التُّركِ بظهورِ التَّيَّارِ الصوفيّ "الخَوَاجَگَانِيُّ"، وذلك بعد تعرُّفِ الأتراك على الإسلام، انتهجتْ طائفةٌ من زنادقةِ بلادِ التركِ طُرُقًا شاذةً لِلتَّنَسُّكِ والتعبُّدِ، غريبةً على الإسلام. ظهر أكثرُهم بدايةً في مدينةِ بُخَارَى وسمرقند وضواحيهما ثم انتشرت في عموم بلادهم.

اسْتَوْقَفَتْنِي مسألةٌ هامةٌ منذُ فترةٍ تتمثَّلُ في مصطلح "الْمُسْلُمَانيَّةِ" وقد أغفلها جميعُ الباحثين والعلماءُ بدون استثناء، حيث لم أجد أحدًا منهم طَرَقَ هذه القضيةَ الهامَّةَ ولو بكلمةٍ واحدةٍ، وذلك مُلْفِتٌ للغاية. وقد شاعَتْ تسميةُ الإسلام بهذا المصطلحِ في تركيا منذ قرون. مع أن هذه الديانةَ لا تمتُّ بأدنى صلةٍ إلى الإسلام! ولا يتنبّهُ أحدٌ إلى هذه المشكلة إلاَّ إذا كان الباحث يُتْقِنُ اللغةَ التُّركيةَ والعَرَبِيَّةَ وكان فَطِنًا، حاذقًا، جادًّا، غزيرَ الثقافة، ودقيقًا في التنقيب، وخبيرًا بتاريخ الشعب التركيّ بخاصَّةٍ. لأن هذه الديانةَ لم تظهر اعتباطًا، ولا بتحريف تعاليم الإسلام بدافع الإهمال أو الجهل، بل هي مؤامرةٌ دبَّرَهَا شَخْصِيَّتَانِ كانت لهما مكانةٌ عند جمهورٍ من الأتراك، اتَّفَقَا على إيجادِ حركةٍ صوفيةٍ عُرِفَتْ بـ"الطريقة الخَوَاجَگَانِيَّةِ" حوالى 1230م.، وهما عبد الخالق الغُجْدَوانيُّ، وأحمدُ اليسوِيُّ. فالأوَّلُ طاجكيُّ الأصلِ، كان مُتَزَمِّتًا نازعًا إلي البوذِيَّةِ، والثاني تُركِيِّ الأصلِ كان مُشَرَّبًا بالشامانيةِ.

ثم تطورت هذه الحركةُ فَبُنِيَتْ "الْمُسْلُمَانيَّةُ" على أساسِها كديانةٍ خاصّةٍ بالأتراك لتمييزهم عن العربِ في العقيدة والعبادةِ على وجه الخصوص.

إنَّ الزندقةَ المتمثلةَ في مفهوم (الْمُسْلُمَانِيَّةِ) لغزٌ خطيرٌ ومسألةٌ محفوفةٌ بالأسرار. عثرتُ على هذا المصطلح الغريب لأول مرةٍ في مقالاتٍ للعلامة الشيخ فريد صلاح الهاشمي، وهو من مشاهير علماءِ التُّرْكِ، فالتقيتُ به بعد محاولاتٍ ومعاناةٍ كلَّفَتْني، لأنه (وقاه الله) يتربّص به زنادقة الصوفية فاعتزل الناسَ، وهو مُتَحَفِّظٌ حَذِرٌ لِمَا قد يفاجئ بسلبية!

له مؤلّفاتٌ قَيّمَةٌ وبحوثٌ حول التيَّاراتِ الصوفيةِ وكُفرياتهم. أقْدَمَ على جمعِهَا وتصنيفِهَا وتوثيقِهَا وإفشاءِ أسرارِها بجرأةٍ مع التزامهِ بالأمانةِ العلميةِ، لكنَّ أعمالَهُ التي أنجزها بالعربية غير مطبوعة (ويا لَلْأسف!). سألتُهُ عن الديانة الْمُسْلُمَانيَّةِ التي تَنَاوَلَهَا في كتابٍ ألّفَهُ باللُّغةِ التُّرْكِيَّةِ وسمّاهُ:

وهو مطبوع **KUR'AN'DAKİ DİN İSLAM MI MÜSLÜMANLIK MI**

فأجابني بإسهابٍ، إلاَّ أن المقامَ لا يسع لاستيعابِ ما قدّمَ من شروحٍ وتفاصيلَ جانبيةٍ، فاستخلصتُ من كلامه ما يكشف العتمةَ عن هذه الديانةِ وقصة ظهورِها بأيجاز، فقال:

"من أهمّ رموزِ الخروجِ على الإسلام في المجتمعِ التُّرْكِيّ: تحريفُهُمْ لاسم الدِّين الإسلامي، واستبدالُهُ بكلمةِ (مُسْلُمَانْلِكْ **Müslümanlık**)، اصطلحوها مكان الإسمِ الذي أطْلَقَهُ اللهُ على دِينِهِ بقوله تعالى: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمُ.[101]

لا يكادُ يوجدُ شخصٌ من الأتراك يُقِرُّ بأنَّهُ مُسْلِمٌ، أو يُجِيبُ على سؤالِ مَنْ يَسْأَلُهُ عن دِينِهِ، إلاَّ قال (أَنَا مُسْلُمَانِيٌّ **ben Müslumanım**)، بينما غَيْرُهُمْ من المسلمين في جميع أنحاء العالَم، يُعَبِّرُونَ عن انتمائِهم للدِّين الإسلاميِّ بالوجهِ الصحيحِ، فالمُسْلِمُ الإنجليزيُّ مثلاً يقول (**I'm Muslim**). ومن الغَرَابَةِ بمكان، أنَّ علماءَ العربِ غفلوا عن هذه البدعةِ على مدى قرونٍ إلى يومنا هذا، بحيثُ لم يتناولْ أحدٌ منهم هذه البدعةَ الخطيرةَ ولو في سطورٍ وجيزةٍ بحثًا لفتح باب النقاشِ على أقلِّ تقدير، لعلَّ يتنبَّهُ إليها علماءُ الأمَّةِ فيسرعوا إلى إرشادِ الأتراكِ وإنقاذِهِم من هذا الكفرِ البواح. يعود السبب إلى هجرة العلم من بلاد العرب. ذلك أن العربَ قد تحوّلوا إلى مجتمعاتٍ جاهليةٍ، تُوَجِّهُهُمْ طائفةٌ مستغلةٌ للعواطف، تُطلَق عليهم صفةُ "رجال الدين"، وهم أشبه ما يكونون برهبان اليهود والنصارى، وقد احتلّوا فراغ العلماءِ. يسمعون بآذانهم منذ قرون أن الأتراك يعبرون عن انتمائهم إلى الديانة "الْمُسلُمَانِيَّةِ **Müslümanlik**"، ولم يسبق أن أنكر عليهم عالمٌ من علماء العرب، بل لم ينبس أحد منهم ببنت شفةٍ على سبيل النصيحة والإصلاح للأتراك، وهذا مثير للغاية.

---

[101] آل عمران/**19**

قد يعترِضُ بعضُ الناسِ قائلاً: "إنَّ هذا الاختلافَ ناشِئٌ من اختلافِ اللُّغة، لا يستحقُّ الاكتراثَ له.. والانشغالُ والانهماكُ فيه فضولٌ بل مبالغةٌ لا طائل تحتَهَا، لأنَّ الشخصَ إذا كانَ ينطِقُ بكلمةِ الشهادةِ، ويؤمنُ باللهِ، وملائكتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، وباليومِ الآخِرِ، وبالقدَرِ؛ ويؤدّي فرائضَهُ وفقًا للكتابِ والسُّنَّةِ، فأين الخطرُ والضَّرَرُ من هذهِ التّسميَةِ!

إنَّ الدفاعَ بمثلِ هذهِ الصيغةِ الْوَاهِيَةِ – في الحقيقةِ – ضربٌ من الْمُجَازَفَةِ والتَّحَزْلُقِ، وخروجٌ على ما أثْبَتَهُ اللهُ في كتابِهِ – تقدستْ كلماتُهُ–، فقد سَمَّى دِينَهُ (الإسلامَ)، وهذا شيءٌ توقيفيٌّ لا دخلَ للبشَرِ فيه. ولعلَّ هذهِ التسميةَ تدخلُ تحتَ قوله تعالى: وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ.[102]

إنَّ (الْمُسْلُمَانيَّةَ Müslümanlik) ليستْ محضَ تحريفٍ في الاسمِ وحسبُ، بل هي رمزٌ لِرُكَامٍ مِنَ البِدَعِ والعاداتِ والمعتقداتِ الدَّخيلةِ، تسرَّبت من الديانات القديمةِ للأتراكِ وامتدَّتْ إلى اليومِ عبرَ ممارساتِهم لها، وتفاعُلِهِمْ معها منذ أيَّامِ تَعَرُّفِهِمْ على الإسلام. يتمثَّلُ هذا الخليطُ في شِبْهِ دينٍ مستقلٍّ عن الإسلامِ، ويتميَّزُ عنه بفروقٍ كبيرةٍ في كِلاَ جَانِبَيْهَا الْعَقَدِيّ والعمليّ.

تلتبس (الْمُسْلُمَانيَّةُ Müslümanlik) بالإسلامِ خاصَّةً على العربِ لِمَلاَمِحَ تسودُ صورَتَهَا الخارجيَّةَ، أخذَها الأتراكُ من الإسلامِ، واستعملوها كَغِلاَفٍ لِمُعْتَقَدَاتِهِمْ وطقوسِهم القديمةِ، فلا يكادُ الإنسانُ العربيُّ، حتى العلماءُ والمثقَّفون منهم اليومَ أنْ يميّزوا بين الديانَتَيْنِ (الإسلامِ وَالْمُسْلُمَانِيَّةِ) بسبب المشابَهَةِ الناجمةِ من هذا التركيب الذي يغلِبُ عليه الطابعُ الإسلاميُّ، إذ أنَّ الْمُسْلُمَانيّينَ أيضًا يصلُّون، ويصومون، ويحجُّون، ويزكُّون كالمسلمين، ويؤدّي كثيرٌ منهم العباداتِ المفروضةَ في الإسلامِ، كذلك كثيرٌ منهم من يواظبون على النوافلِ، ويتصدَّقون، ويتطوَّعون بأعمال البِرّ، ويساهمون في خدماتِ الإغاثَةِ والإسعافِ والمعاونَةِ ونشرِ الفضائِلِ وغيرِها من الخيرات...

---

[102] المائدة/13

أمَّا الفاصلُ الذي يُفْرَقُ به بين الإسلام والْمُسْلُمَانيَّةِ في حقيقةِ الأمرِ، ولا يَتْرُكُ المجالَ للنِّقاشِ في أَنَّهُمَا لا يمكن أنْ يلتقيا بوجهٍ من الوجوه؛ إنَّمَا يتمثَّلُ في ثلاثةِ أمورٍ هَامَّةٍ جدًّا، ألاَ وهي: التوحيدُ في العقيدةِ، والتَّوْقِيفِيَّةُ في العبادَةِ، والتَّكَامُلِيَّةُ في التعالِيمِ.

لا شكَّ في أنَّ عددًا قليلاً من علماءِ الإسلامِ قد شرحوا هذه المفاهيم الثلاثَةَ بالتفصيل، وَبَيَّنوا حَقِيقَةَ كُلٍّ مِنْهَا بإسهاب. لأنَّ جميعَ الفوارِقِ الَّتي تُمَيِّزُ الإسلاَمَ عن أيِّ دين آخر، تَكْمُنُ في هذه المفاهيم الثلاثَةِ. ولكنَّ أغلبَ العلماءِ لم يدخلوا في تفاصيلِ مفهومِ الشركِ بخاصَّةٍ، غفلةً منهم أو تغافلاً لأسباب...

هذ القصور قد يكفي لكثيرٍ من الدجاجلةِ ليفتحوا به بابًا خطيرًا للنقاشِ والجدلِ، وربما يتَّخِذُ مَرْضَى النفوسِ من هذا البابِ ذريعةً لإشعالِ نارِ الفتنَةِ. لكنَّهم لن يتمكَّنوا مِنْ تحقيقِ آمالِهِمْ إنْ شاء الله تعالى، ذلك، لأنَّ المقارنَةَ الَّتي سيجدونَهَا فيما يلي بين الإسلام والْمُسْلُمَانيَّةِ عَبْرَ سلسلةٍ من البراهين، سَيُعْجِزُهُمْ عن التفريط في الحق، وَسَتَظَلُّ لِجَامًا على أفواههم يُلزمهم أمامَ الحقيقةِ الَّتي لا مرية فيها.

ولكي يفتضِحَ هؤلاءِ على رؤوسِ الأشهادِ قبل أنْ يُهَيِّجوا الوسطَ لاستغلالِ الفرصةِ واستعراض مهاراتِهم بالمراوغةِ والمداورةِ والمغالطةِ والتشدُّق، يجب هنا الوقوفُ على مفهومِ الشرك بُرْهَةً، ويحسنُ قبلَ ذلك التعريف بمفهوم التوحيد بإيجاز:

فالتوحيدُ: روحُ الإسلامِ ودَعَامَتُهُ الأساسيَّة، ولا تمتاز ديانةٌ أخرى بهذه المِيْزةِ الفريدةِ على الإطلاقِ، (بما فيها الْمُسْلُمَانيَّةُ) على وجهِ البسيطةِ.. وأمَّا عكسُ التوحيدِ: فهو الإشراكُ بالله. لكنَّ حقيقةَ الشِّرْكِ على عِظَمِ خَطَرِهِ، باتت خافيةً على مُعْظَمِ الناسِ في العالَمِ، مِمَّا سَهَّلَ المجالَ لأغلبِ المجتمعاتِ يتلبَّسون بهذه الجناية بغير مبالاةٍ، كما أنَّ أكثرَ المسلمين ظلُّوا يجهلون حقيقةَ هذا الوحش، والإنسانُ الْمُسْلُمَانِيُّ أكثرُ جهلاً به. لأنَّ أغلبَ علماءِ الإسلامِ إنما كَرَّسُوا جهودَهم في مجرَّد تنبيهاتِهم وتحذيراتِهم عن الوقوع في الإشراكِ دون أن يتوسَّعوا في دقائق هذا الخطر المحدق بعالَمِ البشرِ في كل عصر، فلم تُثْمِرْ محاولاتُهُم القاصرةُ بنتائجَ رادعةٍ للناس من الوقوع في مهالك الشِّرْكِ، لَعَلَّ القصورَ الذاتِيَّ السائدَ على أساليبهم من السجعِ والإيجازِ الْمُخِلِّ والتقليد الجافِّ، جعل أقوالَهم غيرَ وافيةٍ لإفشاءِ أسرارِ الشِّرْكِ، وَوَصْفِ سُمُومِهِ، وتأثيراتِهِ الهدَّامةِ على الحياةِ والعلاقاتِ البشريَّة، وتعدادِ أشكالِهِ بالتفصيل...

إنَّ الله سبحانه وصفَ الشركَ (بِالظُّلمِ الْعَظِيمِ)، ولم يصفْ أيَّ ذنبٍ آخرَ بهذا الوصفِ على كثرتِهَا، فقال تعالى: إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ.[103]، وَأَنْبَأَنَا بِسعَةِ رحمتِهِ، كما قال تعالى: "قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ..."[104] إشارةً إلى أنَّه قد يجود بعفوهِ الشاملِ عن كلِّ ما اقْتَرَفَهُ عبادُهُ من ألوانِ الذنوبِ إلاَّ الشِّرْكَ بقوله: إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ[105]...

حَسَنًا، هذه الحقائقُ كلُّها واضحةٌ، وقد بلغتِ الناسَ، ولكنْ ما هي حقيقةُ الشِّرْكِ، وكيف يرتكب الإنسانُ هذه الجنايةَ، وما تعريفُ الإشراكِ باللهِ، وما أقسامُهُ؟... هذه الأسئلةُ، لا نجدُ اليومَ كتابًا مِنْ كُتُبِ علماءِ الإسلامِ يَرُدُّ عليها بإسهابٍ، ويرفعُ الإبهامَ عن هذا المرضِ بوجوهه المتعدِّدَةِ الظاهرةِ منها والخَفِيَّةِ، ويكشفُ السَّتْرَ عنه بتوضيحٍ دقيقٍ، وبيانٍ لا يدع للشكِّ فيهِ والجهلِ به مِنْ أدنى أثر.

إنَّ أوضحَ ما ورد في تعريفِ الشِّرْكِ على لسانِ علماءِ الإسلامِ ربما لا يَعْدُو سَعَةً ولا يربو على قول الدهلوي: "إنَّ الشِّرْكَ لا يتوقَّف على أنْ يعدِلَ الإنسانُ أحدًا باللهِ، ويساويَ بينهما بلا فرقٍ، بل إنَّ حقيقةَ الشِّرْكِ أنْ يأتِيَ الإنسانُ بِخِلاَلٍ وأعمالٍ خَصَّهَا اللهُ تعالى بذاتِهِ العليَّةِ، وجعلها شِعَارًا للعبوديَّةِ لأحدٍ من الناسِ، كالسجودِ لأحدٍ، والذبحِ باسْمِهِ، والنذرِ له، والاستعانَةِ به في الشدَّةِ، والاعتقادِ أنَّه ناظرٌ في كلِّ مكانٍ، وإثباتِ التصرُّفِ له، كلُّ ذلك يَثْبُتُ به الشِّرْكُ وَيُصْبِحُ به الإنسانُ مشركاً"[106]

يقول الإمام سعود بن عبد العزيز رحمه الله (ت. 1229 هـ): "إنَّنا لا نكفِّرُ بالذنوبِ وإنَّما نقاتلُ مَنْ أشركَ باللهِ وجعلَ للهِ نِدًّا يدعوه كما يدعو اللهَ، ويذبحُ له كما يذبحُ له، وينذرُ له كما ينذرُ للهِ، ويخافُهُ كما يخافُ اللهَ، ويستغيثُ بِهِ عند الشدائدِ وجلبِ الفوائدِ، ويقاتِلُ دون الأوثانِ والْقِبَابِ الْمَبْنِيَّةِ على القُبور الَّتِي اتُّخِذَتْ أوثانًا تُعْبَدُ مِنْ دُون اللهِ"[107].

---

[103] لقمان/13

[104] الأعراف/156

[105] النساء/48، 116

[106] رسالة التوحيد المسماة بتقوية الإيمان للشهيد إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي (ص32، 33)

[107] مقتبس من رسالة الإمام سعود بن عبد العزيز إلى والي بغداد سليمان باشا. الدرر السنية. 7/397

هذا القدرُ اليسيرُ من التعريفِ بالشركِ، ربما يُعَدُّ من أوضحِ ما تناثرتْ من أَلْسِنَةِ العلماءِ حولَ هذا المفهوم. يدلُّ ذلك على الفجوةِ الخطيرةِ الَّتي أدَّى بالناسِ إلى ارتكابِ أعظمِ جنايةٍ في تركيا على مدى قرنٍ تقريبًا (وربما طوالَ قرونٍ من العهدِ العثمانِيّ). بينما لا شكَّ في أنَّ معظمَ الذنوبِ والجرائمِ والجناياتِ، والخياناتِ، من القتلِ والإبادةِ والقمعِ والظلمِ بأشكالِهِ، كُلُّهَا ناجمةٌ ومُتَسَلْسِلَةٌ من الإشراكِ باللهِ مباشرةً أو بطريقةٍ غيرِ مباشرةٍ.

إنَّ الإشراكَ باللهِ في المجتمعِ التُّركِيِّ ظاهرةٌ متميّزَةٌ وعلنيةٌ وشائِعَةٌ، لا تواجِهُ ردَّ فعلٍ سلبِيّ من أحدٍ رغمَ انتشارِها. فلا يكادُ شخصٌ من أفرادِ هذا المجتمعِ يتذمَّرُ حيالَ هذه الظاهرةِ الخطيرةِ. كما لم يُسمَعْ من أحدٍ معروفٍ بسمةِ العلمِ في تركيا أنَّه أظهرَ النكيرَ على المشركين الْمُسْلُمَانِيّين، أو نَهَضَ لإرشادِهِمْ إلى التوحيد، أو هَجَرَهُمْ بسببِ هذه الفتنةِ العظيمة. فقد اعتادَ معظمُ الناسِ على الشركِ، أو تقبَّلوه بصمتٍ وهدوءٍ منذُ القديمِ، ربما لجهلِهِم المطبق بتوحيدِ اللهِ سبحانه، وهذا أمرٌ ملفتٌ للغاية.

هذا، وما من شكٍّ في أنَّ تعاليم الطريقة النَّقْشَبَنْدِيَّةِ فيها مُعْتَقَدَاتٌ من الإشراكِ باللهِ ما ليس ضبطُها وجمعُها من السهولةِ بمكان، لكثرتِها وشيوعِها، والذين يعتنقونَ هذه التعاليمَ ويتعبَّدونَ على أساسِها يُقَدَّرُ عددُهم بالملايينِ في المجتمعِ التركِيِّ مِمَّا يُذَكِّرُنَا بحديثٍ عَنْ ثَوْبَانَ بْنِ بُجْدُدٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَلا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ ".[108]

يقولُ أحدُ علماءِ الحجازِ: صالحُ بْنُ فوزان بْنِ عبدِ الله الفوزان: "إنَّ في هذا الحديثِ ردٌّ على مَنْ زعمَ أنَّ هذهِ الأُمَّةَ لا يقعُ فيها شِرْكٌ، ووجهُ الرَّدِّ: لأنَّ الرسولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبرَ– وهو الصادقُ المصدوقُ– أنَّه لاَ بُدَّ أنْ تَعْبُدَ جماعاتٌ وليسوا أفرادًا من هذهِ الأُمَّةِ الأوثانَ.[109]

***

[108] سنن أبي داود: (**6/ 306**؛ إسناده صحيح. أبو أسماء: هو عمرو بن مرثد الرَّحَبِي، وأبو قلابة: هو عبد الله بن زيد الجَرمي، وأيوب: هو ابن أبي تميمة السختياني.»

[109] المصدر: صالحُ بْنُ فوزان بْنِ عبدِ الله الفوزان، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (**1/ 338**)

تتمحورُ إشكاليةُ الإشراكِ في تركيا حولَ أسبابٍ تاريخيَّةٍ واجتماعيَّةٍ وثقافيَّةٍ خاصَّةٍ بالأتراك، يطول الكلام فيها. أمَّا الأسبابُ الرئيسةُ التي تُثيرُ هذهِ النَّزْعَةَ، فيأتي على رأسِها الإفراطُ في الانتماءِ القوميّ العصبيِّ، والافتِتانُ بالزعيمِ، وتقديسُهُ على مستوَى العبوديَّةِ له، وترويضُ العاطفةِ على تبجيلِ الأمجادِ التي معظمُها لا تتعدَّى عن أساطيرَ وقصصٍ لا حقيقةَ لها.

ثُمَّ إنَّ ملايينَ من الناسِ اليومَ، لا تعدو مَعْرِفَتُهُمْ حولَ الشركِ عن: أنَّه مجرَّدُ اعتقادٍ بأكثرَ مِنْ إلهٍ وحسبُ. ويظنُّ هؤلاءِ أنَّ الإنسانَ إنَّما يُشْرِكُ باللهِ متى ركعَ أو سجدَ لصنمٍ، أو اعتقدَ بأنَّ لِلْكَوْنِ أكثر من خالقٍ... ولهذا، لا علمَ لأحدٍ (تقريبًا) على الساحةِ التُّركيَّة بأدنى قدرٍ: أنَّ الانتصابَ أمامَ تِمْثَالٍ من تماثيلِ الإنسانِ هو إشراكٌ باللهِ، إنْ كان يقصد الاحترامَ له.

ولَمَّا فَرَضَتْ الدولةُ التُّركِيَّةُ على جميعِ مواطنِيها بالوقوفِ قائمًا صامتًا أمامَ تمثالِ مصطفي كمال في أوقاتٍ معيَّنةٍ من الأيامِ، والشهورِ والسنةِ، (وهي محدَّدةٌ بالقانونِ)، لَمْ يَنْبِسْ أَحَدٌ مِنْ خُوَاجَوَاتِ الأتراك بِبِنْتِ شَفَةٍ منذ عام 1938 م. إلى اليوم، ولَمْ يُسْمَعْ مِنْ أَحَدِهِمْ أَنَّهُ وَصَفَ هذه الْوَقْفَةَ بالشِّرك، مع أنَّها أبْشَعُ أشكالِ الشركِ الأكبر! وذلك ليس إلاَّ بسببِ هذا القصورِ –الفاحشِ في تعريفِ الشِّرْكِ–، الّذي تركَ الناسَ يجهلون حقيقةَ الإشراكِ باللهِ. وهذا من أكبرِ الدلائلِ على أنَّ (الْمُسْلُمَانيَّةَ **Müslümanlik**) دِيانَةٌ لا تَمُتُّ في أصلِهَا بصلةٍ إلى الإسلام. لأنَّ هذه الملايين الْمُعْتَنِقَةَ للدِّين الْمُسْلُمَانيَّةِ، تقومُ بأداءِ تلك الوقفةِ طوعًا ودون أدنى شيءٍ من إبداءِ الكراهيَّةِ والاشْمئزازِ، فضلاً عن اظهارِ الغضبِ بِرَدِّ فِعْلٍ، مِنْ انْتِقَادٍ أو اعتراضٍ ضدَّ هذه الجنايةِ العظيمة!

فقدْ آنَ الوقتُ لِلْمُقَارَنَةِ بين الإسلامِ والْمُسْلُمَانيَّةِ بِسَرْدِ دلائلَ قاطعةٍ في التمييزِ بينهما:

إنَّ أوَّلَ دليلٍ في هذا التمييز وأَهَمَّهُ: إقرارُ علماءِ التُّركِ بالذَّات وإثباتُهُمْ لهذا التمييز، إلاَّ أنَّهم لا يرون الْمُسْلُمَانيَّةَ دِينًا مستقلاً عن الإسلامِ، وإنَّما يعدُّونَها ((اسْمًا عامًّا يُطْلَق على الرصيدِ الثقافيّ الدّينِيّ عندهم. وبهذا الاعتبار، فإنَّ الْمُسْلُمَانيَّةَ مفهومٌ يُعبِّرُ عن جميعِ العاداتِ والتقاليدِ والأعرافِ والْمُعتقَدَاتِ الَّتي صاغَها الشعبُ التركيُّ عبرَ تاريخِهِ وأضْفَى عليها صبغةً دِينِيَّةً)) على حدِّ قولهم. وهذا لا يعدو عن مراوغةٍ وتعميةٍ وتضليلٍ وتحريفٍ للحقيقةِ.

ومن هذه الدلائلِ: إذا سُئِلَ أحدُ علماءِ التُّرْكِ عنِ الْفَرْقِ بين الإسلام وَالْمُسْلُمَانيَّةِ، تَرَاهُ يَلْزَمُ جانبَ الصَّمتِ بقدرِ الإمكانِ إذا استطاعَ. وإذا أصرَّ السائلُ على سؤالِهِ تراهُ يتفوَّهُ بكلماتٍ يُرَاوِغُ فيها تَهَرُّبًا من الإجابةِ الصريحةِ والإقرارِ بالواقع. لأنَّه إذا أقرَّ بأنَّ هذا الدِّينَ المستحدَثَ: لا يَعْدُو عن رُكَامٍ من البِدَعِ والخُرَافاتِ ورسوباتِ الأديانِ، مُزِّجَتْ بِهَا قِيَمٌ ومفاهيمُ إسلاميَّةٌ مسروقةٌ ومحرَّفةٌ، يكون قد حَطَّ مِنْ شأنِ الأمَّةِ التُّرْكِيَّةِ! بينما لا شكَّ في أنَّ الْمُسْلُمَانيَّةَ في حقيقةِ الأمرِ خليطَةٌ، فيه أجزاءُ كثيرةٌ من الإسلامِ تمَّ جذبُها وانتشالُها بالتقليدِ الأعمَى، وَضَمُّها إلى معتقداتٍ جاهلِيَّةٍ بَقِيَتْ في أعماقِ الضمائرِ، ثُمَّ انتقلتْ من جيلٍ إلى آخرَ منذُ تَعَرَّفَ الأتراكُ على الإسلامِ إلى يومنا هذا.

يبرهن على ذلك ما سجَّلَهُ الباحث التركيُّ العملاق، الأستاذ الدكتور فؤاد كوبرولو، بقوله:

"إنَّ الأتراكَ، لم يأخذُوا أكثرَ عناصرِ الدِّين الإسلاميِّ من العربِ مباشرةً، بل أخذُوها بواسطةِ الأعاجِمِ (أي الفُرْسِ). ولقد كانتْ تَصِلُ الحضارةُ الإسلاميَّةُ إلى الأتراكِ من منطقةِ خُرَسَانَ الَّتِي تُمَثِّلُ مركزَ حضارةِ الْفُرْسِ، وذلك عبر منطقةِ "ما وراء النهر"."[110]

إنَّ الدوافعَ الَّتِي حدَّدَتْ الْوِجْهَةَ الدينيَّةَ للأتراكِ بعد تعرُّفِهم على الإسلامِ، لا تبدو – البتَّة – بدقائِقِهَا من خلالِ هذه العباراتِ الوجيزةِ للأستاذ كوبرولو، بيدَ أنَّ كلماتِهِ الْمُقتَبَسَةَ فيما يلي حولَ موقفِ الشعبِ الفارسِيّ من الإسلامِ، ودورِهِ في إفسادِ مفاهيمِ هذا الدِّينِ العَالَمِيّ، تكشفُ الشيءَ الكثيرَ وتُفْشِي أسرارًا رهيبَةً لأغراضِ الشعبِ الرافضِيّ، تُضِيفُ إلى عباراتِهِ الآنفةِ الذِّكرِ معانِيَ هامَّةً تتَّضِحُ من خلالِهَا الرؤيةُ لِظَاهِرَةِ (الْمُسْلُمَانيَّةِ **Müslümanlik**) في الوقتِ ذاتِهِ. يقول الدكتور كوبرولو:

"إنَّ الشُّعُوبِيَّةَ الإيرانيَّةَ (الَّتِي جعلتْ من الحسينِ بن عليٍ وذرِّيتِهِ وَرَثَةً للدَّولةِ الفارسيَّةِ وحُرَّاسًا لَهَا)، أنزلتْ ضَرَبَاتٍ قاصِمَةً على الدِّين الإسلامِيِّ والقوميَّةِ العربيَّةِ تحتَ قِنَاعِ الدِّفَاعِ عن حقوقِ أهلِ البيتِ، وَعملتْ

---

110 تجدون فيما يلي نصَّ كلماتِ الأستاذ الدكتور فؤاد كوبرولو، باللُّغَة التُّرْكِيَّة التي نقلتُها إلى اللغة العربية فيما سبق:

«Türkler İslâmiyet'in» birçok unsurlarını doğrudan doğruya Araplardan değil, acemler vasıtasıyla aldılar. İslâm medeniyeti Türklere, İran kültürünün merkezi olan Horasan yolu ile Maveraü'nnehr'den geçerek geliyordu». Prof. Dr. Fuad Köprülü, Türk Edebiyâtında İlk Mutasavvıflar, 8. Edition, page: 21. Ankara-1993. Directorate of Religious Affairs.

على إخفاءِ العقائدِ الزرادشتيَّةِ تحت ستارِ الإسلامِ، فأثبتتْ بذلك أنَّهُ من المستحيلِ بمكان القضاءُ على الحضارةِ الفارسيَّةِ الَّتي لَهَا من السابقةِ التاريخيَّةِ خمسةُ آلافِ سنة"[111].

إنَّ الصورةَ الحقيقيَّةَ لِلْمُسْلُمَانيَّةِ ستنجلِي بعدَ إجراءِ سلسلةٍ من المقارنةِ بينها وبين الإسلامِ بطريقِ الاستدلالِ الاستقرائيّ من خلالِ سردِ الفروقِ الفاصلةِ بينهما، كما سيأتي إن شاء اللهُ تعالى. وستفتضحُ تلك الصورةُ الْمُشَوَّهَةُ أمامَ كلِّ مُتَتَبِّعٍ خبيرٍ لا محالة، وذلك بعد اطِّلاَعِهِ على الفروقِ الواردةِ في الترتيبِ الآتي، وهي منقسِمَةٌ إلى ضربين رئيسين، وهما:

1) **الفروق العقديَّةُ،**
2) **الفروق العمليَّةُ.**

أمَّا الفروقُ العقديَّةُ، فإنَّ كلَّها تتعلَّقُ بِرُكْنِ التوحيدِ الذي هو أساسُ الدِّين الإسلامِيّ، وإنَّمَا يتحقَّقُ توحيدُ العبدِ للهِ بالإيمانِ الجازمِ في قلبِهِ، والشهادةِ نُطْقًا بلسانِهِ مع تَنْزِيهِهِ للرَّبِّ تعالى عن جميعِ سماتِ النقصِ والزوالِ... إنَّ توحيدَ المسلِمِ الحنيفِ لا يخرجُ عن إطارِ هذا التعريف. والحنفاءُ قليلون جدًّا، ومضطهَدونَ في أوطانِهِم، وقد لا يتجاوزُ عددُهُمْ عن خمسين ألفًا، من أصلِ خمسٍ وسبعين مليوم نسمةً من سُكَّانِ تركيا، بحسبِ استطلاعاتٍ سرِّيَّةٍ غيرِ دقيقة.

أمّا الشخصُ الْمُسْلُمَانِيُّ، فإنَّهُ وإنْ كان يوحِّدُ اللهَ بلسانِهِ، ولكنَّه يختلفُ عن المسلِمِ الحنيفِ في تَنْزِيهِهِ للهِ سبحانه، إذ يعتقدُ اعتقادًا جازمًا: "أنَّ الأولياءَ قادرون على التصرُّفِ في ملكه تعالى؛ لَهُمْ أنْ يُجِيبُوا الْمُضْطَرِّينَ إِذَا دَعَوْهُمْ؛ ويَكْشِفُوا عنهم السُّوءَ، ويدفعوا عنهم البلايا، ويُسبِغُوا عليهم النِّعَمَ..."، إلى غيرِ ذلك من ألوانِ الإشراكِ باللهِ... كما يُقِرُّونَ بمعتقداتِهِمْ هذه جهارًا، وأبعد من ذلك: إنَّهم يرمون الحنفاءَ: بـ"الْكُفرِ والزَّنْدَقَةِ والإساءةِ إلى الأولياءِ..."، يقصِدون بالأولياءِ: الأضرِحَةَ. وهي الْقِبابُ، والْقبورُ الْمُزيَّنَةُ

---

[111] فيما يلي نصّ كلماتِ الأستاذ الدكتور فؤاد كوبرولو، باللُّغَة التُّركِيَّة التي نقلتُها إلى اللغة العربية فيما سبق:

İrânîlik, Hz. Hüseyin evlâdını Sâsânîler'in varis ve takipçisi sayarak, "Ehl-i Beyt'in hukukunu müdafaa perdesi » altında Arap Milliyetine ve İslam dinine dehşetli darbeler vurdu ve eski bir medeniyetin kolayca yok edilemeyeceğini – Zerdüş akidelerini İslam kisvesi altına sokmak suretiyle – açıkça gösterdi»: Prof. Dr. Fuad .Köprülü, Türk Edebiyâtında İlk Mutasavvıflar, 8. Edition, page: 15. Ankara-1993. Directorate of Religious Affairs

بالدِّهانِ الأخضر. إذ يعتقدون: "أنَّ مَنْ أنكرَ قُدْرَةَ الأولياءِ على التصرُّفِ، وإجابةِ المضطرِّ، فإنَّهُ يكون قد حطَّ من شأنِهِمْ، وأساءَ إلى اللهِ في الوقتِ ذاته، لأنَّهم وُكَلاءُ الله ونُوَّابُهُ في مُلْكِهِ (سبحانه وتعالى عمَّا يشركون!). تؤكِّدُ على هذا الاعتقاد عند الصوفية النقشبنديّين (وهم طائفة من الْمُسْلُمَانيِّين) عبارةٌ لهم وردت في تفسيرٍ ألَّفهُ رهطٌ من خواجواتهم باللغة التركية، وهذا نصها بالعربية:

"إذا خَطرَ بِبَالِ الذَّاكِرِ فِكْرَةٌ عن ذاتِ اللهِ، وَوَجَّهَهَا إلى ولي الله ووكيلِهِ، فقد أنقذ نفسَهُ من الخطر، وهذا من فوائد هذه الرابطة."[112]

لا شكَّ في أنَّ هذا الاعتقادَ يمثِّل فرقًا عظيمًا، يَفْصِلُ بين الإسلامِ وبين الديانةِ الَّتي يعتنقُهَا مُعْظَمُ الأتراكِ ويسمونَها: "الْمُسْلُمَانيَّةَ Müslümanlık "

***

بهذه المقارنة قد ظهر البَوْنُ الشاسِعُ بين الدِّين الإسلاميِّ الحنيفِ والديانةِ "الْمُسْلُمَانيَّةِ Müslümanlık "بصورةٍ واضحةٍ، لكننا إذا قمنا بمقارنةٍ أخرى بين المسلمين وبين المعتنقين للديانة "الْمُسْلُمَانيَّةِ، من خلال المقارنة بين معتقدات الفريقين وسلوكياتهما سَتَبْدُو الفجوة الفاصلةُ بين الإسلام والْمُسْلُمَانيَّةِ أكثر وضوحًا.

ينبغي هنا أوّلاً التنبيهُ والتركيز والتأكيد على: أنه لم تردْ أيٌّ من كلمةِ "مُسْلُمَان Müslüman" و"الْمُسْلُمَانيَّة Müslümanlik " في أيِّ آيةٍ من سور القرآن الكريم، ولا في حديث من أحاديث الرسول صلّى الله عليه وسلم. وهذا لا شكَّ من أهمِ وأقوى البراهين في التمييز بين الديانتين، حيث يسدُّ البابَ على كلِّ شكلٍ من أشكال النقاشِ والجدالِ في هذه المسألة وبصورةٍ حاسمةٍ.

أمَّا الدلائل التي تقودنا إلى التمييز بين (الْمُسْلِمِ) الذي يدين بالإسلام وبين الشخص (الْمُسْلُمَانِيّ) الذي يحمل رِبْقَةَ الْمُسْلُمَانِيَّةِ في عُنُقِهِ، فإنها كثيرةٌ لا يسع المقام لحصرِها، وهذه نبذةٌ منها:

---

[112] **المصدر: محمود أسطا عثمان أوغلو وأتباعه الستة، روح الفرقان، المجلد الثاني، ص 74. مكتبة السيراج، إسطنبول 1992م. وهذا نص العبارة باللغة التركية:**
«İşte zikreden kişiye Allah'ın zatı hakkında bir düşünce geldiğinde, bu düşünceyi Allah'ın vekili ve halifesi olan kişilere çevirmekle kendini tehlikeden kurtarmış olur ki, bu rabıtanın faydalarındandır. »
Mahmud Ustaosmanoğlu ve 6 mürîdi, Rûhu'l-Furkân, Cilt II. S. 74. Sirac Kitabevi, İstanbul-1992)

* الشخصُ (المسلمُ) يُقِرُّ بأنَّ دينَه الإسلامُ ويعتزُّ به، ولا يمتنع من أن يُجِيبَ بقولِهِ: "الحمد لله أنا مُسْلِمٌ" إذا سُئِلَ عن دِينِهِ. أمَّا الشَّخْصُ (الْمُسْلُمَانِيُّ)، فإنَّ موقفَهُ من مفهوم الدين غَامِضٌ؛ لأنَّهُ رغم إقرارِهِ "بأنَّ دينَه الإسلامُ"، لكنه يأبى إلاَّ أنْ يقولَ "الحمد لله أنا مُسْلُمَانِيٌّ **elhamdülillâh ben Müslümanım**." إذا سُئِلَ عن دِينِهِ.

ذلك أنَّ الْمُسْلُمَانِيّن، يكادُ جميعُهم يجهلون الفجوةَ السحيقَةَ التي تفصل بين الإسلام والْمُسْلُمَانِيَّةِ. لأنَّ هناكَ عصابةٌ ذات جذورٍ تاريخيةٍ مُهِمَّتُهَا مواصلةُ الجهودِ لإخفاءِ أسرارِ هذه الديانةِ الْمُخْتَلَقَةِ، والعملُ على تلبيسِهَا بالإسلام بين أفراد المجتمع التركي، وهذه العصابةُ ممتدّةٌ منذ قرون (من عهد عبد الخالق الغجدواني وأحمد اليسوي)، تسلسلت من جيلٍ إلى جيلٍ حتى يومنا، وهي تحارب في الوقت ذاته كُلَّ مَنْ يُفشي خفايا هذه الديانة ويبث الوعي بأنها ليست من الإسلامِ في شيء. ومن اللاَّفتِ أنَّ أسرارَ الديانة (الْمُسْلُمَانِيَّةِ) لم تُذْكَرْ منها شيءٌ إلى السنوات الأخيرةِ. لذلك، لا يرغب أيُّ باحثٍ (ربما خوفًا على حياته) في الخوض في هذه المشكلة! وهذا يُمثل معضلةً جوهريَّةً. وبسبب هذا الخوف، سيستغرقُ حلُّ المسألةِ بوضوحٍ وتفصيلٍ وقتًا، وربما يزيد الأمور تعقيدًا.

لا شَكَّ في أنَّ المؤمنَ (المُوَحِّدَ) يتكبّدُ عذابًا شديدًا وهو يعيشُ بين صفوفِ قومٍ يَتَمَرَّغُ في أوحالِ الديانةِ (الْمُسْلُمَانِيَّةِ)، لكنَّهُ رغم ذلك يَتَمَتَّعُ بتوفيقٍ من الله أنْ يُمَيِّزَ بين هذه الديانة الْمُخْتَلَقَةِ وبين الإسلامِ، ويتجنَّبَ بكلِّ حذرٍ أن يقول "أنا مُسْلُمَانِيٌّ" إذا سُئِلَ عن دينهِ، بل يقول "الحمد لله أنا مسلم" .. أمّا إذا خَانَتْهُ الذاكرةُ فوقع في مثل هذا الخطأ، فإنه سرعان ما يندم لا محالةَ، ويتوب ويستغفر الله.

ينبغي التنويه بهذه المناسبة: أن جهلَ علماءِ الاجتماع والتاريخ باللغة العربية في تركيا مشكلةٌ رئيسةٌ تمنعهم عن التثبت من حقائق دينية وتاريخية ظلت موضوع جدل منذ قرون. كما يجب التنبيهُ على أنَّ هناك خمسُ مهاراتٍ في تعليم اللغات الأجنبية. إذا لم يكتسب الطالبُ هذه المهارات، فإن ادِّعَاءَ معرفتِهَا أمرٌ غير واقعيّ. ويمكن تلخيص هذه المهارات الخمس على النحو التالي:

1. القدرة على التعبير (شفهيًّا) باللغة الأجنبية التي يزعم الشخصُ أنه قد أتقنها؛ أي أن يكون قادرًا على التعبير بها عن كل ما يريده وبطلاقةٍ.

2. القدرة على التعبير (كِتَابِيًّا) باللغة الأجنبية التي يزعم الشخصُ أنه قد أتقنها؛ أي أن يكون قادرًا على التعبير بها عن كل ما يريده وبطلاقةٍ.

3. القدرة على فهمِ كلِّ ما يقوله الشخصُ الناطق بتلك اللغة (كلغة الأم بالنسبة له) أثناء الاستماع إليه.

4. القدرة على قراءة وفهم المنشورات المكتوبة بتلك اللغةِ (مثل الكتب والصحف والمجلات والتقارير والنشرات وغيرها...)

5. القدرة على كتابة بحث أكاديمي لا يقل عن خمسين صفحة بأسلوب أصيل، خالٍ من الانتحال.

ولا بد من التصريح بأنه يستحيل على الذين يَتَلَقَّوْنَ تَعْلِيمَهُمْ في مَعَاهِدِ الأَئَمَّةِ والْخُطَبَاءِ وَكُلِّيَّاتِ العلومِ الدينيةِ والمدارسِ الشعبيةِ (التي تُهَيْمِنُ عليها الصوفيةُ) في أنحاءِ تركيا، يستحيلُ عليهم أنْ يتعلّموا اللغةَ العربيةَ لعدم كفاءة المناهج الدراسية وقِدَمِ المُقَرَّرَات التعليمية، أللهم إلاَّ مَنْ أقام منهم في بلدٍ من البلادِ العربيةِ فترةً ودرس هنالك على مستوىً جامعيٍّ. وهم قليلون جدًّا ولاَ يزيد عددهم عن بضعة عشر مثقَّفًا في المجتمع التركيّ (بحسب استطلاعاتٍ غير دقيقةٍ). وَلِسُوءِ الحظِّ، لا أحَدَ في تركيا يشعر بوجودِ هؤلاء الشخصيَّات كما لا أحد يعتدُّ بهم! إنَّ الأكاديميّين ورجالَ الدِّينِ في تركيا (بما فيهم رئيس الشؤون الدينية)، لا كفاءةَ لأحدٍ منهم في هذه المهارات الخمس، وذلك يُحدِثُ لُبْسًا كبيرًا في فهم المصطلحات، لا سيما فيما يتعلق بمسائل العقيدة. كما سيتضح ذلك من المعطَيَاتِ المدرجة فيما يلي:

*** أولاً، يستحيل توضيح مفهوم "الإسلام" بأسلوب علمي للناسِ في تركيا. لأنهم يجهلون اللغة العربيةَ، فلا أحَدَ منهم يعلم أنَّ كلمةَ "الإسلامِ" مصدرٌ للفعلِ: "أسْلَم – يُسلِمُ"، وأنَّ الإسلامَ هو الدين الوحيد الذي اختاره الله وارتضاه لعباده، وبعث جميعَ رُسُلِهِ لتبليغ هذا الدين فحسب، وقد سماهُ في كتابه، فقال: "إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن**

يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ."[113] كما يجهلون أنَّ آيات القرآن الكريم وكُتُبَ السنَّةِ بأجمعها خاليةٌ من كلمة (الْمُسْلُمَانِيَّةِ Müslümanlik) وهي اسم الديانة المنتشرةِ في جميع أنحاءِ تركيَا، كما يخلو الكتابُ والسنَّةُ تمامًا من كلمةِ (مُسْلُمَانْ Müslüman) وهي صفةٌ تُطلَقُ على من يعتنق الديانةَ (الْمُسْلُمَانِيَّةَ) في تركيا، ويجب هنا التنبيهُ على أنَّ هذين اللفظين: (Müslümanlik و Müslüman) ليسا من العربية في شيء على الإطلاق. فقد ظلتْ هذه المشكلةُ دون حَلٍّ لقرون. كما لم يفهم الْمُسْلُمَانِيُّونَ قطُّ أنَّ جميعَ الأديانِ محصورةٌ بين الْمَعَابِدِ وَالْمَقَابِرِ ما عدا الإسلاميِّ الحنيفِ. فإنه وحده دين عالمِيٌّ له علاقةٌ بجميع نواحي الحياةِ.

أمَّا الشخصُ المسلمُ المُثَقَّفُ، فإنَّهُ على علمٍ بهذه الحقائقِ، وعلى وعْيٍ شديد في التفريق والتمييز بين الإسلامِ والْمُسْلُمَانِيَّةِ، وهو حَذِرٌ يتجنبُ شرَّ الْمُسْلُمَانِيِّينَ الذين يكادُ جميعهم على عقيدة الصوفية، فلا يُصَلِّي في مساجدهم، ولا يقتدي بأئمّتهم في صلاته، ولا يأكلُ ذبيحتهم، ولا يتزوّجُ من نسائِهم...

* أمَّا علاقة الْمُسْلُمَانِيِّينَ بالدين فإنها غامضة في الغاية، عقولهم مُشُوَشَةٌ مترددةٌ في فهمه، لا يكترثون لاستيعابِ معناه، لأنه ركامٌ من التقاليدِ والطقوسِ والمعتقداتِ المتوارثةِ من عهد جاهليتهم، وقد ضمّوا إليها الشيءَ الكثيرَ من تعاليم الإسلامِ. والدِّينُ محصورٌ في عُرفِهم بين المسجد والمقبرة، يختلفون تمامًا عن المسلمين في العقيدةِ والتعبُّدِ.

أمَّا المرءُ المسلمُ (حتى لو كان غير مثقّفٍ) فإن تصرّفاتِهِ تُبَرْهِنُ على أنه معتقِدٌ بالقرآن والسنة، ولديه فَهْمٌ نِسْبِيٌّ لمضمونِ هذين المصدرين المقدّسَيْن. وعندما يحتاج إلى نصيحةٍ، يستشيرُ عالمًا (لا رَجُلَ دينٍ أبدًا). ويسمَّى هذا الموقفُ منه بالصحوةِ و"الوعيِ الإسلاميِّ". أما الإنسانُ الْمُسْلُمَانِيُّ فإنه على العكس من ذلك، لا يملكُ "الوعيَ الإسلاميَّ" لأنَّهُ مُتَدَيِّنٌ وليس موؤمنٌ، ولأنه مجرّدُ مُقَلِّدٍ لأُمِّهِ وأبيهِ وَبِيئَتِهِ.

* تظهر اختلافات وتباينات واضحةٌ عند المقارنة بين شخصية كلٍّ من المسلم والْمُسْلُمَانِيّ، كما أنَّ هناك فجوات عميقةٌ بين البيئة التي ينشأ فيها كلٌّ منهما. على سبيل المثال، تتشابه البيئات التي يعيش فيها

---

[113] (آل عمران/19)

المسلمون عادةً، ذلك لالتزام عائلاتهم بحدود الكتاب والسنة، فينشأ أطفالهم في بيئة تهيمن عليها ثقافة القرآن والسنة. ونادرًا ما تُلاحَظُ انحرافاتٌ بين أطفال هذه الشريحة. أما الْمُسْلُمَانِيُّون، فإنَّ مظاهر بيئاتهم خاليةٌ عن جوٍّ إسلامِيٍّ، بل هي مفعمةٌ بألوانٍ من الفسوقِ والبدع ورموز الشرك وطقوسه.

* من مزايا الشخصِ المسلم أنَّه عادةً مَّا يكون هادئًا، كريمًا، متزنًا، وحذرًا... لأنه نشأ في أسرة إسلامية، وهو مُلِمٌّ بالمبادئ الأخلاقية، وحتى لو تورّطَ في فعلٍ مكروهٍ، فإنه سرعان ما يندم ويعود إلى رشده. أما الشخص الْمُسْلُمَانِيُّ، فأنه طائشٌ في الغالبِ لا يهمه إلاَّ شهوته ونزواتُهُ وأطماعهُ.. ولا يتورعُ من الوقوعِ في الحرامِ لأنه أنانِيٌّ، انتهازِيٌّ، مطبوع على الفسقِ في سبيل مصالحه. معتقداتُهُ مستمدّةٌ من الفلسفةِ والأساطيرِ والخرافاتِ والقصصِ الخياليةِ والملاحمِ، والتأويلاتِ الشائعة... ميولُهُ الدينيةُ وعلاقاتُهُ بالناس وردودُ أفعاله تجاه الأفكار انحيازيةٌ في الغالب. يرجع ذلك إلى نشأته في بيئة تتعارضُ أعرافُها وأذواقُها مع التربية الإسلامية. كما أنَّ العناد سمةٌ راسخة في طبيعة الشخص الْمُسْلُمَانِيّ.

* الشخصُ الْمُسْلُمَانِيُّ أسيرٌ للظروف المحلية، يتَّخِذُ مَوْقِفَهُ تحت تأثيرها، وينسحبُ وراءَ السياسة اليوميةِ. فهو عنصريٌّ منفعلٌ، يرفض الحوارَ ولا يحترم رأيَ الآخَرِ، ولا يؤمن بمفهوم "العدالة"، وقومُهُ في نظره أسمى من سائر المجتمعات البشرية. موقفه صارم لا رفقَ فيه. ويجب التأكيد هنا على أن الشخصَ الْمُسْلُمَانِيَّ ليس إسلامِيًّا في انتمائه اطلاقًا. بل هو إمَّا عربيٌّ، أو تركيٌّ، أو كرديٌّ، أو عثمانيٌّ، أو كماليٌّ، أو علويٌّ، أو علمانيٌّ، أو محافظٌ، أو طائفيٌّ، أو صوفِيٌّ، أو مذهبيٌّ، أو شيعيٌّ، أو فتوشِيٌّ، أو يمينيٌّ، أو يساريٌّ، أو معتنقٌ لأفكارٍ ومعتقدات أخرى... ولا توجد وحدةٌ وتضامنٌ بين الْمُسْلُمَانِيّين. بل إنهم متفرقون إلى جماعاتٍ مختلفةٍ في العقائد والأفكار، وأحزابٍ متباينةٍ ومتنازعةٍ في اتجاهاتهم السياسية، كل حزب بما لديهم فرحون.

أمَّا الشخص "المسلم"، فإنَّ الإسلامَ هو أعلى وأسمى رمزٍ يُمَثِّلُ هُوِيَّتَهُ، فهو مؤمنٌ وموحدٌ في دينهِ، ومخلصٌ في إيمانه. مع ذلك، فهو لا يُنكرُ هويَّتَهُ العرقيةَ عند التعارفِ، بل يُوليها أهمية كبيرة، ويُعبّر عنها دون تردد

في التعريف بنفسه امتثالاً لقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ."[114]

*** يهتم الْمُسْلُمَانِيُّون اهتمَامًا مُفرطًا بإطلاقِ ألقابٍ وعناوينَ على أصحاب المناصبِ والشخصيات البارزةِ من السياسيين والشيوخِ والأثرياءِ؛ كـ"جلالة الملك المعظم"، و"سمو الأمير"، و"فخامة الرئيس" و"حضرة الفلاني" وأمثالهَا... كلُّ ذلك يدلُّ على ما في داخلهم من خسةِ العاطفةِ، ودناءة النفسِ، والرياءِ، والتملُّقِ، والتواضع لأجل المصالح وكسب الحطام... وما اعْتَادَتْهُ الصوفيةُ من تفخيمِ شيوخِهِمْ أدهي وأشنع من ذلك، لما فيها من ألوان التأليه والتقديسِ والشرك والإلحادِ... وهذه نبذة من إطلاقاتهم الكفريةِ التي تدل على الشقة السحيقة بينهم وبين جيل السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم إلى يومنا من أهل الصلاح والفلاح.**

على سبيل المثال: ورد في كتاب "الحديقة الوردية" لرجلٍ من صوفية سوريا، يُدعى عبد المجيد بن محمد الخاني (1847–1900م.)، وهو يتحزلق في مدحِ مؤسّس الطريقة النقشبندية مما يقشعر منه جلد المؤمن بالله واليوم الآخر، فيقول: "بحرٌ من العرفان لا ساحل له، نسجَت أمواج أمواه العلوم الربَّانِيَّة حلله، وفاضَ على العالمين بحرُ برِّهِ فأروى بأرواحِ إمدادِهِ جميعَ الكونِ بَحْرَهُ وَبَرَّهُ، كوكب تحلى تاج الإرشاد منه بالدُّرِ اليتيم، فَلِلَّهِ درّ سحابة الأيام من أمٍّ أنجبت إذا انجابت عن هذا الإمام عادت وهي عن مثله عقيم، والشمسِ وضحاها والأرض وما طحاها لم يدع نفسًا إلاَّ بأنفاسه القدسية زكاها، ولا نار همّةٍ إلاَّ بأسراره المحمديةِ ذكَّاها، ولا ظلمة جهلٍ إلاَّ بأنواره البهائية أخفاها، ولا شبهة خاطرٍ إلاَّ ببراهينهِ الجليلة نفاها، إلى كراماتٍ كريماتٍ وآياتٍ عظيماتٍ طالما أحيتْ من القلوبِ مواتها، وآتت الأرواحَ أقواتها، ارتضع ثديَ التصرُّفاتِ الغوثية وهو في المهد صبيّا، وتضلّع من رحيق مختوم العلوم الختمية بأكواب الإرثية، فلو لم تُخْتَمِ النبوّةُ لكان نبيّا"[115]

إنَّ هذه الكلماتِ الْمُسَجَّعَةَ التي تشدَّقَ بها عبدُ المجيد بن محمد الخانيُّ، تدلُّ على أنه لم يُفكّر لحظةً فيما حمله على النطق بها، وهي لا تعدو عن جعجعةٍ من زخرف القول، غنيةٍ عن أيّ تعليقٍ عليها، كما تدلُّ

---

[114] **(الحجرات/13)**

[115] **عبد المجيد بن محمد الخاني، الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية، ص:125، دار الطباعة العامرة سنة 1308هـ. نسخة دار ئاراس للطباعة والنشر ص:180 كردستان العراق.**

على أنَّ الْمُسْلُمَانِيّين لا يعبئون بسيرة كبار الأمة من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين كيف كانت علاقاتهم فيما بينهم، وهل أحد منهم استعمل مثل هذه الصيغة المليئة بالأكاذيب، والأباطيل، والمبالغةِ في مدح بعضهم لبعض؟!

* الْمُسْلُمَانيُّون لا يتعاملون فيما بينهم بنزاهةٍ واتِّباعٍ لمعاييرِ العدالةِ، بل المكانةُ الاجتماعيةُ للشخصِ ومقدرتُهُ الاقتصادية وهيمنتُهُ السياسية هي الْمُعْتَمَدُ عندهم. ولذلك ينقسِمُ المجتَمَعُ الْمُسْلُمَانِيُّ إلى طبقاتٍ اجتماعية مُتَفاوِتَةٍ؛ منهم الطبقةُ البرجوازيةُ الثريَّةُ، والطبقةُ الفقيرةُ، والطبقة المضطهدةُ، وطبقاتٌ تُعَامَلُ وفقًا لِمُعْتَقَدَاتِهَا وقناعاتها السياسية، وطبقاتٌ تُحْتَقَرُ وتُهان، والنزاعُ سجالٌ بينها... بل إن القضاءَ في الدول الإسلاموية يَتَّخِذُ مواقفَ وقراراتٍ مختلفةٍ بحسبِ وضع كلِّ طبقةٍ من هذه الطبقات وفقًا لهذا العُرْفِ الظالم. لذلك، من النادر جدًا معاقبة الأفراد من الطبقة النخبة، والعائلات البارزة، ومن السلالات الحاكمة مثل الشيوخ والأغوات والباشوات والسادة في هذه البلدان. وعلى الرغم من التأكيد المتكرر على أن "جميع المواطنين متساوون أمام القانون"، إلاَّ أنَّ هذه المقولةَ لا أساس لها من الصحة. وغالبًا ما يُمنَحُ العفوُ لأولئك الذين ينتمون إلى طبقة النخبة إذا عوقبوا لأي سبب من الأسباب، وذلك بناءً على ذريعة باستغلال مادّةٍ قانونية!. وهذا أحد أسباب الفساد الأخلاقيّ الواسعِ الانتشارِ في المجتمع الْمُسْلُمَانِيّ. ومن هنا يمكننا أن نستنتج بسهولة أن الْمُسْلُمَانِيَّةَ دينٌ يُشَجِّعُ على كلِّ شكلٍ من أشكال البدع والخرافاتِ والكفر والإلحاد (على النقيضِ من الدين الإسلامِيّ الحنيف).

* الْمُسْلُمَانِيَّةُ شكلٌ من أشكال الإسلامَوِيَّة المنتشرةِ في الشرق الأوسطِ. كلها دياناتٌ مُحَرَّفَةٌ ومُخْتَزَلَةٌ من الإسلامِ، وعقباتٌ معترضةٌ أمَامَهُ، تُهَدِّدُهُ وتمنعهُ من الانتشارِ. كلٌّ منها يفتقر إلى أساسٍ إيمانِي جامع، وكلُّ شخصٍ من مُنْتَسِبِيهَا معتنقٌ لمعتقداتٍ تختلف عن معتقدات غيره، ولهذا، يُمكن الحديثُ عن عشراتٍ من أشكال الإسلاموية، كلها مختلفة، على سبيل المثال، هناك إسلامويةٌ شيعيةٌ، وإسلامويةٌ سُنِّيَّةٌ، وإسلامويةٌ وهابيَّةٌ، ومُسْلُمَانِيَّةٌ، تركيةٌ، ومُسْلُمَانِيَّةٌ صوفيةٌ، ومُسْلُمَانِيَّةٌ عثمانية... ولهذا السبب لم تتوصَّلْ هذه الفرقُ إلى اتفاق، ولن تتوصل إليه أبدًا.

أمَّا القلةُ المؤمنةُ، فإنَّ أفرادَها المخلصين السعداءُ، ثبتوا على العقيدةِ الحنيفةِ على مرِّ التاريخ إلى يومنا بتوفيقٍ من الله سبحانه كما قال في كلماته المقدسة: "يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ."[116]

* إنَّ الذين يدّعون الولاءَ للإسلام مُستغلّين العديدَ من قِيَمِهِ وتَعَالِيمِهِ، كالصلاةِ والصيامِ والحجّ والزكاةِ والأضحيةِ، بعدَ أنْ انتشلوها بصورةٍ تدريجيَّةٍ وغلَّفوا صورةَ الْمُسْلُمَانِيَّةِ بها، فإنَّ موقفَهم من الإسلامِ غيرُ واقعيّ، بل تقليدٌ محضٌ للأسلافِ. يدلُّ على ذلك أنّهم لا يحترمون حدودَ الكتابِ والسنةِ في أقوالِهم وأفعالِهم، وَلِفَهْمِ هذه الحقيقةِ لا بدَّ من دراسةِ تاريخِ الْمُسْلُمَانِيَّةِ بِدِقَّةٍ، شَرطَ أنْ يكون القائمون بهذه الْمُهِمَّةِ خُبَرَاءَ أَكْفَاءَ من أهلِ الاختصاصِ في البحث والدراسة، مُتَّسِمِينَ بِالْجُرْأَةِ، وَاعِينَ بِالْمَسْؤُولِيَّةِ.

إنَّ الذين تُوَسْوِسُ لهم نُفوسُهم أن يتصدَّوْا للرَّدِّ على الحقائقِ سالفةِ الذكرِ، بالاستشهاد على المساجدَ المنتشرةِ في أنحاءِ الوطنِ الإسلاميّ، والصلواتِ وَالْجُمُعَاتِ التي تُقامُ فيها، ومؤلَّفاتِ العلماءِ وفتاويهم، للبرهنة على "أنَّ (الْمُسْلُمَانِيَّةَ) هي الإسلامُ نفسُهُ، وهي تسمية ثانيةٌ له" (على حدِّ ادِّعائِهم)، إنما يلجئون بزعمهم هذا إلى خديعةٍ لا يخفي على العالم اللبيب. ومن أوضح الأدلة على خديعتهم؛ أن علماء الإسلام، كانوا يرمزون للمستفتي في فتاواهم بعبارة "زيد المسلم"، ولم يستخدموا عبارةَ "زيد الْمُسْلُمَانِي" على الإطلاق. كذلك؛ فإنَّ التراث الإسلاميَّ من علومٍ وفنون وصناعاتٍ كُلُّهَا من إنجازات المسلمين الذين كانوا في العصور الذهبية هم الأكثرية في المجتمعِ، لكنَّ الأمةَ لمَّا تدهورت أحوالُها وسقطت إلى الحضيض وأصبح الْمُسْلُمَانِيُّون هم ألأكثرِيَّةَ، بدئوا يستضعفون المسلمين، ويحتقرونهم، ويكرهونهم، ويعاملونهم بأشد ضروب الإزلال.. بل يُبَدِّعون عُلَمَاءَهُمْ، ويرمونهم بالزندقة واعتناق الوهابية. ومنذ أن ظهروا على المسلمين وانقضّوا على نظام الحكم، استحوذوا على جميع المساجد فحوّلوها إلى مساجدِ ضِرَارٍ، حيث يحترز المسلمون من أداءِ صلواتهم فيها. بل يُصلُّون في بيوتٍ حَوَّلُوهَا إلى مساجدَ لإقامة جَمَاعَاتِهِمْ وجُمُعَاتِهِمْ.. وإنما بفضل جهودهم دامتْ ظلال الإسلامِ الخافِتَةِ باقيةً حتى يومنا هذا.

[116] ابراهيم/27

* لماذا لا تجتمع كلمةُ الْمُسْلُمَانِيّين، وَلا وحدةَ بينهم إلاَّ عند مُعَارَضَتِهِمْ للإسلامِ والمسلمين؟

لأن الْمُسْلُمَانِيَّةَ، على عكس الإسلام، دينٌ من نِتاجِ عقل الإنسانِ وتصوُّراته، نَسَجَهُ بخيوطِ خيالاتِهِ وَزَخْرَفَهُ بألوانٍ مُسْتَوْحَاةٍ من نزعات نفسِهِ، بناه على أساس التصوُّفِ والتكهّنِ وتقديس الميّتِ وعبادة الأضرحةِ... ليس لهذا الدين كتاب مُنزَلٌ ولا حبلٌ يربطُهُ بوحي السماءِ، أو عقيدةٌ أو تعاليمٌ مُحدّدة... ورغم تَشَبُّثِهِ بِقِيَمٍ مُسْتَقَاةٍ مِنَ الإسلامِ، إلا أنَّ كُلَّ مُسْلُمَانِيّ تقريبًا يستخدمها لمصلحته الخاصة. وهذا يُؤَدي إلى الفوضى والصراع داخل المجتمع الْمُسْلُمَانِيّ.

تدور الخلافات والصراعات والنزاعات بين عشرات الجماعات الْمُسْلُمَانِيَّةِ حول مفهوم الدين والعقيدة والمذهب والطقوس والعبادة والسياسة والسلوك والنظر إلى الأحداث الجارية في العالم. ويتجلى هذا الواقع الصارخ بوضوح في الوضع الراهن في الشرق الأوسط. فالْمُسْلُمَانِيَّةُ لم تُوَحِّدْهُم، بل على العكس، هم متشرذمون. ويقف جيشُ رجالِ الدين ذوي التعليمِ المحدودِ عاجزًا أمام هذا الوضع. وتستغل القوى الإمبرياليةُ العالمية هذه الفرصة، وتستخدمهم في حروب بالوكالة. وهم يُصعّدون الحروب الطائفية بشكل خاص، يُثيرون جبهات السلفية، والسنية، والشيعية، والعلوية، ويؤجّجون الفتنةَ بينها.

لم يعد الْمُسْلُمَانِيَّةُ تُرضي شريحةً من المجتمع، لما تُساورُ أفرادَها الشكوكُ. تتألَّفُ هذه الفئاتُ بشكلٍ كبير من الشباب، وخاصةً طُلاَّبِ معاهد الأئمة والخطباءِ. اعتنق قطاعٌ كبيرٌ منهم الرُّبُوبِيَّةَ (**deism**)، بينما اعتنق آخرون الإلحادَ. كشفت لاحقًا استطلاعاتٌ سريةٌ أنَ ملايينَ الشبابِ قد حلّوا رِبقَةَ الإسلام من أعناقهم خلال العقد الماضي. تتجنَّبُ هذه الشريحةُ الانحيازَ إلى أي طرفٍ في النزاعات بين الْمُسْلُمَانِيّين. ينتشرُ تيارُ "الربوبية" و"الإلحاد" بسرعةٍ بين جيلِ الشبابِ الْمُسْلُمَانِيّ في المجتمع التركيّ. ويُعتَقَدُ أنَّ هذا الانفصالَ ناشِئٌ من ردِّ الفعلِ ضدَّ استيلاءِ النقشبنديّين على الدولة التركيةِ في السنوات الأخيرة.

امتدت الصراعات بين الْمُسْلُمَانِيّين المنتشرين في أوروبا. ينقسم الْمُسْلُمَانِيُّون في هذه القارة إلى مُعَسْكَرَاتٍ عدائية. تخضع أنشطتُهم لمراقبة دقيقة من قِبل المكتب الاتحادي لحماية الدستور (Bundesamt für Verfassungsschutz)، والعديد من أجهزة الاستخبارات في ألمانيا. يمكن سرد هذه المعسكرات على النحو التالي:

* DİTİB :(Türkisch-Islamische Union der Anstalt für Religion).
رغم أنَّ هذه الجمعيةَ مؤسسةٌ حكوميةٌ متستِّرةٌ بغطاءٍ إسلامِيٍّ، إلا أنها لم تتمكَّنْ من توحيد الجماعات الْمُسْلُمَانِيَّةِ أو تضييق الفجوات بينها.

* الجمعية الإسلامية (Islamische Gemeinschaft)، التي تواصل نشاطها تحت غطاءٍ إسلامِيّ أيضًا، يقع مقرها الرئيسي في مدينة كولونيا وتعمل منذ عام 1976م. تقع تحت سيطرتها 8% من مساجد الْمُسْلُمَانِيّين في ألمانيا.

* الفرقةُ القَبْلاَنِيَّةُ (التابعة للزنديق جمال الدين قبلان 1926–1995م.)، تأسست عام 1984م. واعتبارًا من عام 2005م. بلغ عددُ أعضائها حوالي 230 ألفَ عُضْوٍ. وهي تخضع لمراقبةٍ دقيقةٍ من قِبَل أجهزة الاستخبارات الغربية.

* الْمُسْلُمَانِيُّون (الفرقة المنتسبة إلى الزنديق سليمان حلمي طوناخان النقشبندي الذي توفي عام 1959م.): يصفون أنفسهم بـ"جماعة دينية" تحت اسم اتحاد المراكز الثقافية الإسلامية (VİKZ). تأسست في كولونيا عام 1973م. وكانت في السابق أكبر جماعة دينية من أصل تركي في ألمانيا. ثم تقلص عددهم لاحقًا. لديهم حاليًا ما يقارب 300 فرع في ألمانيا، وحوالي 200 ثكنة لطلاب الجامعة في تركيا. ينشطون في جميع مُدُنِ تركيا خاصّةً وبصورة كثيفةٍ في إسطنبول، وأنطاليا، وقونية، ودينيزلي، وأسكي شهير، وبورصة...

* جمعية المراكز الثقافية الإسلامية (Verband der Islamischen Kulturzentren)، التي تنشط منذ عام 1973م.، تضم 300 جمعية تابعة. تُوصف هذه المجموعة بأنها "صندوق مغلق"!

* الجمعية الإسلامية في ألمانيا (**Islamische Gemeinschaft in Deutschland**)، التي أسسها أعضاء الإخوان المسلمين في ميونيخ في عام 1958م. وقد وُصِمَتْ من قِبَلِ وكالات الاستخبارات الغربية بأنها "مُشْتَبَهٌ بِهَا في ممارسة العنف".

* المركز الإسلامي في هامبورغ (**Islamisches Zentrum Hamburg e.V. / IZH**) للرافضة، ولهم مُجَمَّعٌ ومسجدُ أهل البيت واتحاد الثقافة (**Ahlul-Bayt Moscheen- und Kulturverband**)

كلُّ هذه الجماعاتُ المتطرفةُ في أوروبا، في الوقت الذي تشن هناك حملاتٍ ضِدَّ بعضها البعض، تعمل لتشويه تعاليم الإسلامِ ولتقويضه مستغلةً اسْمَهُ. وهدفها الرئيسُ هو الحفاظ على الْمُسْلُمَانِيَّةِ حيَّةً قويَّةً.

هناك فجوات عميقة بين الجماعات الإسلاموية الكبيرة والصغيرة في العالم التي تحمل كلٌّ منها اسمَ دولةٍ في الصورة. تستغل أمِيرِكَا وإسرائيل هذا الوضع. والوطن الإسلاميُّ العظيمُ بأكمله، الممتدّ من الهند شرقًا إلى شواطئ المحيط الأطلسي غربًا، ومن شواطئ عُمان جنوبًا إلى البوسنة والهرسك شمالاً، يخضع حاليًا للاحتلال. لا تتسم دولةٌ من هذه الدولِ بالسيادة الذاتية والاستقلال الحقيقي على مدى هذه المساحة الشاسعة. كما لا يمكن اعتبار أي منها "دولة إسلامية" إطلاقًا، بل نظام الحكم في كلٍّ منها قائمٌ على أسُسٍ من الكفرِ والإلحاد! ومعظم مواطنيها مهدّدون بالموت على الجاهلية، لقول النبي صلى الله عليه وسلّم: مَنْ نَزَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، أَوْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ، مَاتَ مِيتَةَ الْجَاهِلِيَّةِ"[117]. فقد أجمع علماءُ الأمة على أنَّ اجتماعَ المسلمينَ على كلمةٍ واحدةٍ وإمامٍ واحدٍ واجبٌ؛ فإنَّهم إذا تعدَّدَتْ كَلِمتُهم وتفرَّقَ أمراؤُهم، ضَعُفَ شأنُهم وذهَبَتْ رِيحُهم، وظَهَرَ عليهم عَدوُّهم.

والجانب الأكثر إيلامًا في هذه الصورة القاتمة هو أنَّ هذه المجتمعات التي تعيش على أرض الوطن الإسلامي الكبير، لا تزال تجهل الوضع، ولا تزال غافلة عن الاحتلال المذكور. والمشكلة لا تقتصر على هذا فحسب. بل (باستثناء أقلية ضئيلة من المؤمنين)، يعجز الْمُسْلُمَانِيُّون الذين يُقدَّرُ عددهم بمليارين عاجزون

[117] مسند أحمد» (10/ 308 ط الرسالة): حديث صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير علي بن عياش، فمن رجال البخاري، وزيد بن أسلم إنما روى هذا الحديث مع القصة عن أبيه، عن ابن عمر.

أيضًا عن إدراك هذه الحقيقة. والدليل القاطع على أن الوطن الإسلامي كلَّها تحت الاحتلال الكامل هو القواعد العسكرية التي أقامتها القوى الاستعمارية على هذه الأراضي.[118]

يختلف الْمُسْلُمَانِيُّون أيضًا حول لغتهم. يفضل المحافظون منهم الكلمات والمصطلحات المُستعارة من العربية، بينما المتهاونون بمفهوم الدين يستخدمون كلمات "مُبتكرة" أو مستعارةً من اللغات الأوروبية.

كلُّ جماعةٍ من الصوفية تتخذ رمزًا خاصًّا للتمايُز عن بقية الجماعات. على سبيل المثال، يمتنع السليمانيون عن إطلاق لحاهم ويفضلون الملابس العصرية. وبهذه الطريقة، يحاولون إخفاء هويتهم الصوفية؛ يرتدون طاقياتٍ زرقاء ويضمون أَكُفَّهُمْ في أثناء الدعاءِ. أما الفرقةُ البُنْطُسِيَّةُ من النقشبنديِّينَ فإنهم يرتدون عمائمَ بيضاءَ، وأرديةً وسراويلَ فضفاضةً، ويطلقون لحاهم. أما الفرقة الجراحية الباطنية فيرتدون قلنسوات طويلة.

[118] وهذه قائمةٌ بأسماءِ تلك القواعد:

القواعد الأميركية في سوريا: قاعدة التنف: قرب الحدود السورية–العراقية؛ قاعدة رميلان: شرق مدينة القامشلي؛ قاعدة عين عيسى: التابعة لمحافظة الرقة؛ قاعدة خراب عشق: غرب مدينة عين عيسى؛ قاعدة المبروكة: غرب القامشلي؛ قاعدة تل بيدر: شمال الحسكة؛ قاعدة تل أبيض: قرب الحدود السورية–التركية؛ قاعدة في عين العرب...قاعدة الحميمة الروسية في اللازقية، ولها قاعدة في طرطوس. قاعدة العديد الأميركية وقاعدة السيلية تقع جنوب الدوحة، في قطر. قاعدة الظفرة في الإمارات. ويمتلك الجيش الأميركي قوات أيضا في ميناء "جبل علي"، الذي تستخدمه قوات مشاة البحرية الأميركية (مارينز). وتوجد فيها قاعدة جوية ومستودعات متعددة لأغراض الدعم اللوجيستي. معسكر السلام: هو أول قاعدة عسكرية فرنسية بحرية دائمة في الخليج، وتم تدشينها في ميناء زايد بأبو ظبي عام 2009. وعدد الجنود الأميركيين والمدنيين العاملين لصالح وزارة الدفاع الأميركية في الكويت يبلغ 16 ألفا و592، وفي الإمارات 4240 فردا، والبحرين 9335، والسعودية 850، وسلطنة عُمان 32، في حين أعلنت قطر أنها تستضيف أكثر من 10 آلاف جندي أميركي. القاعدة الأسترالية تقع قاعدة المنهاد الجوية على بعد 24 كلم جنوب دبي، وتضم قاعدة أسترالية تعرف باسم "معسكر بايرد"، وتمركزت فيه القوات الأسترالية بعد انسحابها من العراق عام 2008 بقوات دائمة بلغت 500 جندي. تعد البحرين مقرا للأسطول البحري الخامس الأميركي، الذي تشمل عملياته منطقة الخليج وخليج عُمان وبحر العرب وخليج عدن والبحر الأحمر وأجزاء من المحيط الهندي، حيث يتمركز في منطقة "الجفير" شرق العاصمة المنامة. افتتحت في ميناء سلمان شرقي البحرين، في الخامس من أبريل/نيسان 2018، أول قاعدة عسكرية بريطانية دائمة بالشرق الأوسط، وتحمل اسم "أتش أم أس الجفير البحرية". يوجد في الكويت أكبر عدد من الجنود الأميركيين في الخليج، ويتجاوز عددهم 16 ألفا، ويتمركزون في قاعدتين، هما معسكر الدوحة شمال غرب مدينة الكويت (60 كلم من الحدود مع العراق)، ومعسكر "عريفجان" (جنوب). تقدم سلطنة عُمان للقوات الأميركية تسهيلات عسكرية عبر استخدام المرافئ والمطارات العُمانية، حسب اتفاقية أبرمتها مع واشنطن عام 1980. توجد في العراق قواعد ومعسكرات أجنبية ومراكز تدريبية لقوات دول غربية، منها الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وهولندا وإيطاليا وإيران والنرويج والسويد والدانمارك. كما تحتضن جيبوتي قواعد عسكرية للولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا وإيطاليا واليابان والصين. تُعدُّ القواعد العسكرية الأميركية في الأراضي التركية من أهم العناصر والمكونات الفاعلة. منها: قاعدة انجرليك: وهي من أضخم القواعد الجوية للحلف الأطلسي المقامة على الأراضي التركية، وتقع على أبواب مدينة أضنة. وقاعدة: سينوب التي تقع على الشاطئ الجنوبي للبحر الأسود، وقاعدة بيرنكيك التي تقع على بعد (**30**) كيلومتراً شمال ديار بكر. قاعدة تقع على الجانب الشمالي من بحر مرمره. وقاعدة أزمير الجوية. وقاعدة تقع جنوب العاصمة أنقرة. قاعدة الاسكندرونة.

ظهرتْ مؤخرًا اختلافاتٌ جوهريةٌ في التقاليدِ وأسلوبِ الحياةِ بين الْمُسْلُمَانِيّين المحافظين وبين الأقلّ منهم تَدَيُّنًا. ومن تلك الاختلافات، مغايرةُ الأسماءِ التي تُطلِقُها الجماعاتُ الْمُسْلُمَانِيَّةُ المتعارضة على أبنائها وبناتها. على سبيل المثال، يُفضِّلُ الْمُسْلُمَانِيُّون المحافظون تسمية أبنائهم وبناتهم بالأسماء التقليدية التالية:

عبد الله، عبد الرحمن، عبد القادر، أحمد، جميل، أنيس، خليل، خالد، حسن، حسين، مليح، محمد، مجاهد، نجم الدين، عمر، صلاح الدين، سلمان، طلحة، إبراهيم، يوسف، عائشة، برةَ، جميلة، أسماء، فاطمة، حليمة، خديجة، خيرية، مروة، ناهدة، سُمية....

أمَّا العائلات الْمُسْلُمَانِيَّةُ ذات الروابط الدينية الضعيفة تُطلقُ الأسماءَ التاليةَ وأمثالَها على أطفالِهَا:

آكْسَلْ Aksel، أَلْبَرِين Alperen، آلْتَانْ Altan، آريل Arel، بَيْرْكَايْ Berkay، جَاغِيلْ Çağıl، أَرْدَالْ Erdal، أَرْهَانْ Erhan، كُوكْسَلْ Göksel، غوكتاي Göktay، غوركان Gürkan، هاكان Hakan، هولاكو Hülâgü، كوراي Koray، أوغون Ogün، أُوكَانْ Okan، أرْكَانْ Erkan، بَرْكَانْ Berkan، رُوتْكَاي Rutkay، تَارْكَانْ Tarkan، دُوغَانْ Doğan، تُورْغَايْ Turgay، دَنِيزْ Deniz، أُوجَدَايْ Ügeday، آجْدَا Ajda، آلاَرَا Alara، آسِينَا Asena، بيرجيس Bercis، بوكيت Buket، جانسيل Cansel، كانسو Kansu، جاغلا Çağla، داليا Dalya، دوغا Doğa، إيجه Ece، إليسا Elisa، جيزم Gizem، إيلايدا İlayda، لينا Lina، ميراي Miray، أويكو Uyku، ياغمور Yağmur...

تُظهر هذه التفصيلاتُ عن التحزب والتمايز بوضوحٍ انقسامَ الْمُسْلُمَانِيّين وتشتُّتَهُمْ إلى معسكرات فكرية ودينية متعارضة. ولا شك أنَّ بعضَ الخلافات تنشأ أيضًا بين الأقلية المؤمنةِ، إلا أنهم يسعون دائمًا إلى حَلّهَا بتحكيم عالِمٍ يُرشدهم إلى الالتزام بالكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة.

كثيرٌ من المنكراتِ والأفعالِ المحرَّمَةِ كالدعارةِ، والتعاملِ بالرِّبَا، والقمارِ، والإدمان على التبغ والكحولِ والمخدّراتِ، وشهادةِ الزورِ، والحِرَابَةِ، والابتزازِ، والسطوِ، والسرقةِ، والفسادِ، والارتشاءِ، والتزويرِ، والنفاقِ، والإعجابِ بالغربِ، والانتحالِ، وتحريفِ الحقائقِ، وغيرِها من الجرائمِ والخداعِ منتشرةٌ بين الْمُسْلُمَانِيّين. أغلبُهُمْ أنانيُّون خِلْوٌ من الفضائلِ، لا يتّسمون بالرفقِ والرحمةِ والتسامحِ، نازعون إلى

استعمالِ العُنفِ؛ لا يؤمنون بالحق والعدل؛ بل يُنكرون الحقَّ، ويرتكبون القتْلَ بأدنى ذريعةٍ لتحقيق مكاسب شخصية. ومن الأدلة التي تدعم هذه الحقائقَ: الهجماتُ المتكرِّرَةُ على الأطباء والعاملين في مجال الرعاية الصحية من قبل أقارب المرضى في السنوات الأخيرة.. لهذه الحوادث في الحقيقةِ أسبابٌ كامنةٌ معقدةٌ. منها ما تُنبِئُ أنَّ أقاربَ المرضى لا ثقةَ لهم بالأطباء، وهي نقطة تشير إلى أن الأطباء ليسوا أبرياء، بل يفتقرون إلى المعرفة بأهمية العلاقات البشريةِ والشعور بمدى آلام المرضى وأهليهم، وتقدير حالتهم النفسيةِ. أمَّا خشونة أخلاقهم، وسوءُ تعاملهم، فذلك وصمةُ عارٍ، ولا شكَّ أنها تكشفُ عن حالةِ الشعب الْمُسْلُمَانِيِّ، وانتفاءِ الفضائل فيهم. ومن اللاَّفت أنَّ كِلَيْ الطرفين مُسْلُمَانِيُّون، ولم يُعثر على أيِّ شخصٍ مُسْلِمٍ بينهم. كذلك من المثير أنَّ مآت الأطباء انضمَّوا في السنوات الأخيرة إلى جماعةٍ نقشبنديةٍ تُعرف باسم "مَحْفَلِ الْمَنْزِلِ". وهي تَكِيَّةٌ لِطَائِفَةٍ من الصوفية النقشبنديّين بقرية (المنزل) الواقعةِ على مقربةٍ من مدينة (Adıyaman) بجنوب تركيا.

ناهيك عن الْمُسْلُمَانِيِّين العاديين، بل حتّى المثقّفين منهم كالأطباءِ والمهندسينَ والمحامينَ والاقتصاديّينَ والبيروقراطيّينَ والسياسيّينَ والأكاديميّينَ، لا يُستبعَدُ أن يرتكبوا الجرائم بأيِّ ذريعةٍ.. يبرهن على ذلك أنَّ التقاريرَ الصحفيةَ عن مثل هذه الحوادث قد كثرت في السنوات الأخيرةِ، لكنَّ أجهزةَ الأمنِ والقضاءِ تجاهلت الكثيرَ منها، حيث حوكم الجناة بشكل غير واقعيٍّ. على سبيل المثال؛ ارتكبت أفرادٌ من الجماعة البُنْطُسِيَّةِ النقشبنديةِ جرائمَ قتلٍ، لَكِنْ سرعان ما تم إخفاؤها عن الرأي العام وأُغلقت الملفاتُ نهائيًّا. كذلك الأمر بالنسبةِ لشخصياتٍ من النخبة الذين تلبسوا بسرقة أموال العامّةِ في 17 و25 ديسمبر/كانون الأول من عام 2013م.. لكنَّ جهاز القضاءِ سرعان ما أغفلها وكتمها، وتعرّضت أجهزة الإعلام لتهديدات المافيا المرتبطِ بالمتَّهَمين. ومن الأحداثِ الرهيبةِ جرائمُ عصابةٍ من "الأطبَّاءِ المتخصصين" بابتزازِ العديدِ من العائلاتِ الثريَّةِ، وقتلِ أطفالِهَا في المستشفياتِ الخاصَّةِ المملوكةِ لهم! فقد تأثَّرَ المجتمعُ بهذه الأحداثِ وتذمّرَ الناسُ منها في الغاية مما أدّى إلى ارتداد الآلافِ من الشباب عن الْمُسْلُمَانِيَّةِ في تركيا، لكنّهم كانوا ملحدين أصلاً قبل ذلك، لأنَّ الْمُسْلُمَانِيِّين مهما وصموا المرتدِّين منهم بالكُفرِ، فإنهم في الواقع ليسوا على العقيدة الحنيفةِ فَيَكُونَ ارتدادُهم كفرًا.

أمَّا الأقليةُ المؤمنةُ المتمسّكةُ بالكتابِ والسنةِ، فإنَّهم بعيدون كل البُعْدِ عن جميعِ هذه الرذائلِ والمعتقداتِ الخطيرةِ المقتَبَسَةِ من مختلف الأديان. ويولي المؤمنون أهميةً بالغةً للفضائل التي أمر بها الإسلامُ. ورغم تجاوزات بعض المسلمين حدودَ الكتاب والسنة، إلا أنهم يتجنَّبون المحرَّماتِ في أغلب الأحوال، ويحرصون على الْتِزَامِ الطُّرُقِ المشروعةِ. ويتمتع جميع المؤمنين تقريبًا بفضائل جليلةٍ، كالزهدِ، والتقوَى، والإخلاصِ، والوقارِ، والصبرِ، والرضا، والتوكُّلِ على اللهِ، والمحبةِ، والاحترامِ، والتسامحِ، والصدقِ، والكرمِ، والمساعدةِ، والرحمةِ، واللُّطفِ، والحياءِ، والعِفَّةِ، والشجاعةِ، والإنصافِ، والعدلِ، والتضحيةِ بالنفسِ، والتواضعِ، والوفاءِ، وكرمِ الضيافةِ، والاهتمامِ بالنظافةِ، وحبِّ المعرفةِ، ومصاحبةِ الأخيارِ، والشعورِ بالمسؤولية...

أما المؤمنون، فعلى الرغم من الضغوط التي يتعرضون لها على يد الْمُسْلُمَانِيّين والظروف الحرجة التي يعيشون فيها، فإنهم يسعون جاهدين إلى رفع مستواهم العلمي والحضاري قدر الإمكان. نعم، هناك قلة قليلة من الجاهلين بين المؤمنين، لكنَّ أكثريةَ المؤمنين لا تتأثرُ بسلبياتهم. بل المؤمنون منصفون ومتسامحون.. ولا يترددون في الحوار مع أتباع جميع الأديان والمعتقدات، ويحاولون الإجابة على كل سؤال يطرح عليهم بهدوء. ولا يُعَامِلُونَ أحدًا بازدراءٍ، بل يحرصون على الاستماع إلى محاوريهم بأناةٍ. لكنهم لِقِلَّةِ عددِهِمْ، وحرمانِهِمْ من وسائلِ الدفاعِ عن أنفسهِمْ، يتعرَّضون للإهمالِ والاهانةِ والتهميشِ، يعيشون تحت هيمنة الْمُسْلُمَانِيِّن وفي ظروف قاسية.

أمّا الْمُسْلُمَانِيُّون في المقابل، فإنَّ أغلبَهم غَرْقَى في أوهام الدنيا، كأنهم أبدانٌ خاويةٌ، وأجسادٌ غادرتها الأرواحُ، مستوياتُهُمْ الحضاريّةُ مُتَدَنِّيةٌ للغايةِ، قاصرون عن إدراك المفاهيم ذات المعاني الرفيعة، آفاقهم ضيقة، متناقضون مع أنفسهم. كشفت دراساتٌ وتحقيقاتٌ بحثيةٌ شاملةٌ أنَّ كُلَّ شخصٍ مُسْلُمَانِيّ تقريبًا، موصومٌ بقلة المعرفة، غيرُ متّسمٍ بالبصيرةِ (بغضِّ النظر عن مستواه الدراسي وخلفياته التعليمية). لذلك تصرُّفاتُهُ شكليَّةٌ، وعَقَائِدُهُ تقليديَّةٌ، وتَصَوُّرَاتُهُ خرافيَّةٌ... إنه مغترٌّ بالمشعوذين، تابع لكلِّ ناعقٍ، تهبُّ به رياحُ الشهوةِ والهوى، إذ هو غيرُ رشيدٍ، بل شِبْهُ غبيٍّ، لم يستضئ بنور العلم ولم يلجأ إلى رُكنٍ وثيقٍ في الْمُعْتَقَدِ، مطبوع على الاغتيابِ والوشاية والنفاقِ، والانتهازيَّةِ، نمّامٌ، عنصريٌّ، مثيرٌ للفتنة، منغلقٌ عن الحوار، لا يعرف الرفقَ والسماحَ، صوفِيٌّ متوغّلٌ في البدعة، مصابٌ بهوس الأساطيرِ، يلجأ إلى الكذب

للهروب من الحقيقة... وقد أدى هذا الطابع إلى تَشَدُدِ المُسْلُمَانِيّين وأمَالَهُمْ إلى استعمال العنفِ، لا سيما ضِدَّ المرشدين الذين يَدْعُونَهم إلى التوحيد وينهون الناسَ عن البِدعِ والتعبُّدِ برموز الشرك والإلحاد،..

يعيش المُسْلُمَانِيُّون في حالةٍ من الخوفِ والذعرِ الشديدين. قد يكون هناك العديد من الأسباب. لكنَّ اثنين منها واضحان للغاية. الأوَّلُ: هو الخوف من "فقدان الوطن". والسببُ الكامنُ وراءِ ذلك: هو الخوفُ من العدوِّ الذي استحوذ على اللاَّوَعْيِ لدى كلِّ شخصٍ مُسْلُمَانِيّ تقريبًا. هذه حالةٌ ترمزُ إلى جنون العظمةِ أصلاً، وهي منتشرةٌ بينهم. فهم لا يثقون ببعضهم البعض، ولا يثقون بأيِّ أُمَّةٍ أخرى. وبسبب هذا الاضطراب النفسي، فإنهم يختلقون أعداءً وهميّين باستمرار؛ ينتابهم القلقُ أن يتعرّضوا لمداهمة العدوِّ في أيّ لحظةٍ، يعدّون جميعَ شعوب العالم أعداءً، وأن خصومهم يتربّصون للوقيعة بهم، حتى المسلمين الذين لا يتحدثون بلغتهم!. إنَّ أحدَ الأعراض التي تؤكّدُ على هذا المرض المنتشر في المجتمع الْمُسْلُمَانِيّ، هو: أنَّ كلَّ شخصٍ منهم (على سبيل المثال) عندما تلاقيه أنتَ في محطةٍ أو في حديقةٍ أو في مقهًى (أو حتى في الطائرة أو الحافلة أو المسجد) يسألك: "من أين أنت؟" ستواجه هذا الأمر بشكل متكرر في تركيا. هذا السؤال شائع جدًا، ويدلُّ على أنَّ الشخصَّ الذي يطرحه يشكُّ فيك بالتأكيد. لأنّكَ في ظنّه عميلٌ، أو عضوٌ في منظَّمَةٍ إرهابيةٍ، أو خائنٌ لبلدك! سترى أن العديد من الأشخاص الذين تُقَابِلُهُمْ بعد ذلك سوف يسألونك هذا السؤال، فلا بد أن تأخذ هذا التحذير على محمل الجد أكثر!

أما السبب الثاني لارتياب المُسْلُمَانِيّين في كلِّ إنسانٍ يلقونه، والذي يجعلهم في قلقٍ مستمرٍّ، فهو سرٌّ ظلَّ مخفيًّا لقرون. وكُلُّ مَنْ حاولَ أنْ يكشفَ هذا السرَّ، كَأَنَّهُ عَبَثَ بخليةِ النحلِ، فهم معرَّضٌ للخطر، ولا يُستَبعَدُ أن يقع في حِبَالِ منظمةٍ عميقةِ الجذورِ في تاريخ المُسْلُمَانِيَّةِ، وهي شبيهةٌ بشبكة (حسن ابن الصباح)، مهمتها الحفاظُ على هذه الديانة ومنع أسرارها من الظهور، والقضاءُ على مَن "تورَّطَ في هذه الجنايَةِ!" بحسب اعتقادِهم.

وهذا السرُّ يتمثل في أُكذوبةٍ تتناقلها أجيال الأتراك منذ قرونٍ إلى يومنا، وهي: "إنَّ الأمّةَ التركِيَّةَ قد عاشتْ حرَّةً صَاحِبَةَ دولةٍ مستقلَّةٍ ذاتِ سيادةٍ منذ وجودها على مرِّ التاريخ، ولم تدخُل تحت نير أيِّ أمةٍ قطُّ" حاول الأتراكُ المُسْلُمَانِيُّون ترسيخَ هذه الأكذوبةِ في عقول أجيالهم من خلال التكرارِ المستمرِّ منذ أكثر من سبعةِ قرونٍ، وَغَسلوا أدْمِغَتَهم بهذه المزعمةِ للحفاظِ على كرامة الأمة التركية وبقاء الديانة

الْمُسْلُمَانِيَّةِ تمييزًا لهم عن أهل التوحيد في العقيدة والتعبُّدِ. لكنَّ دعواهم: "إنَّ الأمّةَ التركِيَّةَ لم تدخُل تحت نير أيّ أمةٍ على مرِّ الزمان"، لا أساسَ لها من الصحةِ إطلاقًا. وَأحد أكبر الأدلة على ذلك هو الغزو والمذبحة الْمُرَوِّعَةُ التي ارتكبها الجيشُ الأمويُّ من السوريّين العرب في بلاد ماوراءِ النهر المعروفة بـ"تركستان" عام 707م.! ولا يزال الأتراك يُخفون أخبارها، كما لم يلبث أنْ قامت عصابةٌ من صُوفِيَتِهِمْ بتأسيسِ منظمةٍ سرية لإخفاءِ أسرار هذه المذبحة، كما تبنّى حُكّامُهُم سياسةً معيّنةً لهذا الغرض طوال تاريخهم إلى اليوم!. والدليل الثاني: أنَّ أدعياءَ السنةِ من الأتراك الْمُسْلُمَانِيِّين أجمعوا على الاعتقادِ: "بأنَّ معاوية بنَ أبي سفيان كان صحابِيًّا، وكاتبَ الوحيِ، ومجتهدًا، وإنما انطلق لحربِ عليّ ابن أبي طالبٍ بحُكمِ اجتهادِهِ وقد أصابَ." كلُّ ذلِكَ لإخفاءِ ذلك السِّرِّ العتيدِ المعهودِ. وهناكَ انسجامٌ وعلاقاتٌ ودّيةٌ مع السوريّين رغم كراهيةِ الْمُسْلُمَانِيِّين الأتراك للعربِ. وقد اكتسبت العلاقة بين الطرفين قوّةً بعد انتشارِ التيار الخالدِيّ بينهما منذ قرنين من الزمان، ولم يصبها فتورٌ رغم الموقف السلبي للنظام النصيري البعثيّ من الدولة التركية. يبرهن على ذلك استقبالُ الأتراكِ للملايين من المهاجرين السوريين أيام الحرب الأهلية في سوريا. ولا يُستبعد أنْ يتمَّ اندماجُهم وانصهارهم في المجتمع التركي في السنوات القادمة.

وهنا لا بدّ من التأكيدِ على أنّ الإنسانَ المؤمنَ (الموَحِّدَ)، جَرِئٌ صادقٌ مخلصٌ وصامدٌ في مواقفهِ من الأحداثِ، على عكسِ الإنسانِ الْمُسْلُمَانِيّ تمامًا. فالمسلمُ لا يؤمنُ بالأساطيرِ والخرافاتِ، ولا يُقَدِّسُ الأضرحةَ، ولا يهتمُّ بالتاريخِ المحرَّفِ. بل يبحثُ عن الحقيقةِ ويتحرَّاها في ضوءِ الكتابِ المجيدِ والسنةِ المطهرةِ والعقلِ والمعرفةِ. وهذه المقارنةُ الْمُوَثَّقَةُ بالدلائلِ والبراهينِ تُظهِرُ لنا أنَّ مُعْظَمَ الْمُسْلُمَانِيِّين مُتَلَبِّسُونَ بالشِّرْكِيَّات، إلاَّ مَنْ كان منهم مستورَ الحالِ، يَشْمُلُهُ قولُ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم: "مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فذَاكُمُ الْمُسْلِمُ لَهُ ذِمَّةُ اللهِ، وذِمَّةُ رَسُولِهِ، فلا تُخْفِرُوا اللهَ في ذِمَّتِه "[119] أخرجه البخاري. وفي هذا المسلمِ قال صلى الله عليه وسلم: "كُلُّ الْمُسْلم عَلَى الْمُسْلم حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وعِرْضُهُ" أخرجه مسلم".

***

[119] الذِّمة والذِّمام: هما بمعنى العهد والأمان والضمان، والحرمة والحق. وسمي أهل الذمة؛ لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم. وقوله: "فلا تُخْفِرُوا اللهَ في ذِمَّتِه" بالضم من الرباعي (أَخْفَرَ) أي: لا تَغْدِرُوا (وبفتح التاء وكسر الفاء من خَفَرَ الثلاثي من باب ضرب). وقال ابن الأثير حمه الله: "يُقال: خَفَرْتُ الرجلَ: أجرته وحفظتُه، وخفرتُه: إذا كنتُ له خفيرًا، أي: حاميًا وكفيلًا، وتخفَّرتُ به: إذا استجرتُ به، والخفارة –بالكسر والضم–: الذِّمام، وأخفرتُ الرجل: إذا نقضت عهده وذِمامه، والهمزة فيه للإزالة؛ أي: أزلت خِفارته."

هل للعلماءِ وجودٌ في المجتمعِ الْمُسْلُمَانِيّ ؟

إليك الإجابةُ بشيءٍ من التفصيل: العلماءُ الذين يُعْتَقَدُ بوجودِهم بين الْمُسْلُمَانِيِّين، والذين لا يتجاوز عددُهم على الأرجحِ أصابعَ اليدِ الواحدةِ، يحافظون على سرّيةِ هُوِيَّاتِهِمْ بشكلٍ صارم، حذرًا من أن يتعرّضوا للاعتداءِ بسبب الجهل المتفشي في المجتمع، فإنَّ المشهدَ يسيطرُ عليه رجالُ الدين، والمتّسمون بعنوان "الْحَاجّ" (أي الْحُجَّاجُ)، والأكاديميُّونَ، وشيوخُ الصوفيةِ، والدراويشُ والمجاذيبُ، والدجالون، وصانعُو التَّمَائِمِ وأمثالُهم من المتَّجِرِين بالدِّين... يُسْتَغَلُّ الناسُ من قِبَلِ هذا الطابور الخامسِ الذي أكثرُهُم جهلةٌ وبعضهم أشباه الْمُتَعَلِّمِينَ، يفخرون بشهاداتهم الجامعية لكنهم غيرُ مُعْتَرَفِين بهم في عالَمِ العرفة. معظمهم متطرّفون مُصابون بجنون العظمة. وقد نشأ عن هذا الوضع عقولٌ مظلمةٌ ومعتقداتٌ مُشَوَّهَةٌ بشكلٍ لا يُصَدَّقُ، وفوضى دينية جهنمية تسود في كل مكان. يمكن تلخيص هذه الفوضى على النحو التالي:

* تُستَخْدَمُ أشياء مثل العمائمِ، والعباءاتِ، والسراويلِ الفضفاضة، والطاقيات، والمسابح، واللِّحَى بكثرة، كرموزٍ دينيةٍ لغرض الاستغلال العاطفي. علاوة على ذلك، تُفرَض هذه الأشياءُ على المجتمع باعتبارِهَا قِيَمًا إسلاميَّةً، مِمَّا يُلقي بظلالِهِ على جلالة الدِّينِ الحنِيفِ، ويعزله عن كافة مجالات الحياة.

* أصبحتْ ممارساتُ تَبَادُلِ التبريكاتِ كلَّ أيام الجمعةِ، والليالي التي يُسَمِّيهَا الْمُسْلُمَانِيُّون بـ"الْقِنْدِيلِ"، وحفلةُ المولد النبوي، والقبوريةُ، وعادةُ نَقْرِ الصُّدْغِ بالصُّدْغِ أثناءَ التحيةِ، أصبحتْ منتشرةً على نطاقٍ واسعٍ. يتفاعل الناسُ بهذه الممارساتِ لغرضِ الاستغلالِ الدينيّ على وجه الخصوص.

بعد التحذيرات السرية التي أصدرتها "المؤسسة الدينية العميقة" بين عامي 2010 و 2017 حَوْلَ الخطرِ الذي يُهَدِّدُ العقيدةَ، نادرًا ما تُقام الآن مراسمُ المولد النبوي في المساجد، كما اختفت أكوامُ المسبحات من المساجد.. للعلم: أنَّ المسبحةَ التي تتكوّن من مأئة حبةٍ من الخرز، والتي تُعَدُّ بها التسبيحات عقب الصلوات، إنما هي مُقتَبَسَةٌ من مناسكِ مجوسِ الهند، يعدّون بها أذكارَهم. وهذا يبرهن على أنَّ الْمُسْلُمَانِيَّةَ تتغير ويتحول من وقت لآخر.

* يتزايد عددُ "مدارسِ الأئمةِ والخطباءِ" بسرعةٍ يومًا بعد يوم. وتُعطَى أهميةٌ كبيرةٌ لهذه المدارس وكليات اللاَّهوتِ من أجل الحفاظِ على الْمُسْلُمَانِيَّةَ حيَّةً قويَّةً. مع ذلك، (وكما يتوقَّع العلماءُ)، فإن مدارسِ الأئمةِ والخطباءِ هي من أشدِّ الأخطار التي تهدِّدُ بقاءَ الدولة التركية على المدى الطويل!

* تُبذَلُ جهودٌ مكثَّفَةٌ لمنعِ انتشارِ الْقِيَمِ الإسلامية في المجتمع. وتقومُ الهياكلُ العميقةُ بنشاطٍ مُكَثَّفٍ في هذا الصدد. على سبيل المثال، تُتَّخَذُ تدابيرُ صارمةٌ لمنعِ تحويلِ "مساجدِ ضرارٍ" إلى مساجد إسلامية. ويُحظر الإدلاءُ بأيِّ تصريحاتٍ حول "نظامِ الخلافةِ الراشديَّةِ" في هذه المساجد. وبالمثل، فإن محاولةَ توعيةِ المجتمعِ بمصطلحِ "الطاغوت" أمر بالغ الخطورة. ومع ذلك، فإن هذه الكلمة تَرِدُ ثماني مرات في القرآن الكريم.[120]

* من حِيَلِ الْمُسْلُمَانِيِّين؛ أنَّ أئمةَ مساجِدِهِمْ يتجاهلون آياتِ الأحكام الواردة في مواطن كثيرة من القرآن الكريم، مثل: (البقرة/282، 275–278؛ النساء/161؛ المائدة/38، 44، 45، 47؛ النور/2؛ الجاسية/18) فلا يقرؤون شئًا منها بعد الفاتحةِ في صلواتهم!

* طور الْمُسْلُمَانِيُّون مصطلحاتٍ مختلفةً للاستخفاف بالإسلام وتشويه صورته؛ مثل "الإسلام السياسي" و"الأصولية" و"التَّدَيُّن المتطرِّف" و"الإسلاموية" وأمثالها... ويُطلِقُ الْمُسْلُمَانِيُّون على "عقد القران" اسمًا مُهينًا، وهو "عقدُ الإمام للزواج İmam nikâhı" وذلك استخفافًا بعقد القران الديني الذي يتولاه إمامٌ من أئمة المساجد، على أنَّ العقد الْمُعْتَمَدَ هو العقدُ الرسميُّ الذي يُشرف عليه عميد البلدية أو نائبُه وفقًا للمبادئ العلمانية. أما الإمام، فهو في الواقع رجل جاهل بالفقه الإسلامِيِّ، وغيرُ صالحٍ للقيامِ بعقد القران الموافق للشريعة الإسلامية؛ فهو أصلاً رجلٌ مُسْلُمَانِيٌّ معتنِقٌ للديانة "الْمُسْلُمَانِيَّةِ" وليس للإسلام.. كما ليس في الدِّين الحنيفِ عنوانٌ باسمِ "الشخصيةِ الدينيةِ"، ولا نخبةٌ رهبانيةٌ. وهي جماعات في المسيحيةِ، تتكوّن من رجال الدين الكنسيِّ، اقتبسها الْمُسْلُمَانِيُّون أسوةً بهم، يُطلَقُ عليهم عنوانُ: " din adamları"، باللغة التركية. ورجال الدين في تركيا موظفون في مؤسسةِ (رئاسة الشؤون الدينية)، يربو عددهم اليوم عن تسعين ألف شخص.

---

[120] انظر: البقرة/256، 257؛ النساء/51، 60، 76؛ المائدة/60؛ النحل/36؛ الزمر/17.

* إنَّ الذين أشاعوا "الإسلاموفوبيا" في جميع أنحاء العالم هم الْمُسْلُمَانِيُّون في المقام الأول. وبهذه الطريقة، حرَّضوا عَالَمَ الكُفرِ على الإسلام. ثم تظاهروا بمحاربة ما يسمى بـ"رهاب الإسلام" نفاقًا، وهو موقف بعيد كل البعد عن الواقعية؛ بل هو موقفٌ استغلالي. وهذا يُثْبِتُ مدى عُمْقِ الكراهية التي يكنها الْمُسْلُمَانِيُّون للإسلام.

* الْمُسْلُمَانِيُّون لاَ يَتْلُونَ القرآنَ الكريمَ بقصدِ العبادةِ، بل يتلونه عزاءً لأرواحِ الموتى. ولا شَكَّ أنَّ القرآنَ الكريمَ هو كتابُ الإسلامِ، وليس كِتَابَ الْمُسْلُمَانِيَّةِ. يجهلُ مُعظمُ الْمُسْلُمَانيِّينَ هذا التناقض، وقد يستغلُّون القرآن عمدًا. أمَّا الأقلِّيَّةُ الْمُهَمَّشَةُ من المؤمنين (الموحِّدِينَ) فإنّهم يتجنبون بشدةٍ عن كل هذه العقليات المنحرفةِ والمعتقدات الباطلة.

* من العاداتِ القبوريّةِ للْمُسْلُمَانِيّين: أنهم يُصَلُّونَ على الجنائز كطقسٍ يقدّسون به الميّتَ. ورغم أنَّ الإمامَ يأمرهم بالدعاء للميت، إلا أن مُعظمَ الْمُصَلِّينَ يجهلون ذلك.

* الْمُسْلُمَانِيُّون ليسوا مسالمين فيما بينهم؛ لم تكن يومًا من الأيام وحدةٌ وتضامُنٌ بينهم حول أي قضية. لم يتَّحِدُوا في مسألة الدِّين أو السياسة أو العلاقات الإنسانية مع الأحداث. وأبعد من ذلك، نجدهم منشقِّين إلى قطبين متعارضين، يُطلق على أحدهما: "تقدُّمي" وعلى الآخر:"رِجعي". هذا "الصراع التاريخي بين المجددين والتقليديين" مستمرٌّ منذ قرون، كل قطبٍ منهما يتهم الآخر بالتطرفِ ويصفه بالسخافة، والنزاع سجالٌ بينهما. وتتغير تسميةُ القطبين من وقت لآخر؛ فنوديَ أحدهما: بـ"الوطني" والآخر بـ"الانتدابي"، ثم تغيرت إلى "القومي التركي" و"العثماني"، ثم إلى "المحافظ" و"الليبرالي"، ثم إلى "اليميني"و"اليساري"، ثم إلى "المتدين" و"العلماني"، وأخيرًا اليوم، الصراع قائمٌ بين "النقشبنديّين والأتاتوركيّين.. بدأ هذا الصراع منذ عهد السلطان عثمان الثاني (عثمان الفتى)، وأصبح أكثر وضوحًا خلال عهد السلطان أحمد الثالث، واكتسب زخمًا منذ عهد السلطان سليم الثالث فصاعدًا، واستمر حتى يومنا هذا. واليوم، يتصاعد هذا الصراع، مما يخلق بيئة مواتية لخطر كبير.

خلال عهد السلطان أحمد الثالث، ألقى التحرك المتطرف الذي بدأ بـ"ثورة باترونا خليل" اسطنبول في حالة من الفوضى. تعرضت جميع الأماكن للنهب. قُتل الآلاف من الناس، ومن أبرزهم الوزير الأكبر نيفشيرلي دامات إبراهيم باشا.

في عهد السلطان سليم الثالث (1761–1808م.)، الذي كان مُتَّسِمًا بخصالٍ محمودةٍ؛ مُتَفَتِّحًا مبتكرًا، ومتسامحًا. حشد مجرمٌ جاهلٌ يُدْعَى "كاباكجي مصطفي" حشدًا من البلطجية المتطرِّفين حوله، وقاد ثورةً للإطاحةِ به. كان ذلك بتشجيع من مفتي الديار الشيخ المتعصب شريف زاده عطا الله محمد أفندي وغيره من الشخصيات الدينية الذين كانوا متخلّفين في العقلية والتفكير. فتعرضت اسطنبول للنهب، وسرعان ما تفاقمت الفتنةُ لتغرق اسطنبول في بحر من الدماء، وقُتِلَ سليم الثالث بوحشية.

احتلَّ مكان السلطان سليم الثالث ابنُ عمِّهِ السلطان محمود الثاني (1785–1839م.)، كان هو أيضًا مبتكرًا وتقدُّمِيًّا. لذلك أطلق عليه المتعصبون لقبَ "السلطان الكافر". أصبح جيشُ الإنكشارية الذي كان مرتعًا للرجعية، أصبح بلاءً على الدولة في عهده، فألغى هذه المؤسسة الفاسدة في عام 1826م. وأمر بقتلِ جميع الإنكشاريين، فقُتلوا عن آخرهم. كما تم حظر طريقة البكتاشية، التي كانت مرتبطة بالإنكشارية. وسُلِّمَتْ جميعُ تكاياهم وتكناتِهم لشيوخ الطريقة النقشبنديةِ. إلاَّ أنَّ قرارَهُ هذا كانَ خطأً عظيمًا، ولا تزال تركيا تدفع ثمنًا باهظًا إلى اليوم لهذا الخطأ التاريخي.

قفزت الطريقةُ النقشبنديةُ لأوَّلِ مرَّةٍ من الديار الهندية إلى العراق في عهد محمود الثاني. ظهر في أيامه شخصٌ صوفيٌّ دسَّاسٌ يُدعى (خالد بغدادي)، وهو رجل من أصل كردي، قام بنقل هذا التيار الصوفي إلى الساحةِ العثمانية في عام 1811م. استشار السلطانُ مفتيَ الديار مصطفي عاصم أفندي في هذا الرجل. إلاَّ أن المفتي كان متعصبًا ذا عقليةٍ متخلِّفةٍ، لم يُدرك خطورةَ الطريقة النقشبندية، فزكَّى له خالدَ بغداديَّ، فأفسد الرأيَ عليه، وعدل به عن الصواب، فاقتنع محمود الثاني بشأن هذا الشخص، فكان ذلك كارثةً كبيرةً على تركيا. وفيما بعدَ قيامِ النظامِ الجمهوريّ وعقبَ وُثُوبِ النقشبنديّين على السلطةِ خاصةً في عهد حزب العدالة والتنمية انتشرت النقشبنديةُ بشكلٍ ذريعٍ، واعتنق ملايينُ الناسِ هذه الديانةَ الهنديةَ تحت ستار الْمُسْلُمَانِيَّةِ، وأصبحت الغالبيةُ العظمى من الناسِ صُوفيةً متعصبةً، فتحوَّلَ المجتمعُ تركيُّ إلى حالةٍ أسوأ بكثير من المجتمع الأفغاني الحاليّ.

بعد محمود الثاني، تولّى العرشَ ابناه: (السلطان عبد المجيد والسلطان عبد العزيز). شهد كلٌّ منهما استمرار الجماعاتِ الرجعيةِ في نسج شبكاتها. انتظمت عصابةٌ رجعيةٌ سريةٌ عُرفت باسم "جمعية الفدائيين" حاولت اغتيالَ السلطان عبد المجيد، لكنها باءت بالفشل. كما أطاحت عصابةٌ رجعيةٌ أخرى بالسلطان عبد العزيز الذي خلف أخاه، فقتلته، ثم أشاعوا بأن السلطان انتحر!

كذلك تَمَيَّزَ عهدُ السلطان عبد الحميد الثاني بالصراعات بين التقدُّميّين والرجعيّين. ثُمَّ أصبحت الأوضاعُ أكثر سخونة خلال العهد الجمهوري.. ففي عامي 1925 و1930م. أرسلت حكومةُ مصطفي كمال جماعةً من شيوخ النقشبندية إلى المشنقة باستخدامِ محاكمِ الاستقلالِ، موجِّهَةً بذلك تحذيرًا قويًّا لأتْبَاعِ الطريقة. لكن بعد ثلاثين سنةً أخرجهم رئيس الوزراء عدنان مندريس من مخبأهم للاستفادة من أصواتهم في مواسم الانتخابات، فاغتنم النقشبنديون هذه الفرصة واتخذوا خُطُواتٍ استثنائيَّةً، وفي غضون خمسين عامًا سيطروا تمامًا على السياسة والاقتصاد والبيروقراطية في تركيا. ومنذ أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، قاموا بتهميش الكماليين. وأسكتوا اليساريين والعليويين، كما غيَّروا مصطلحاتِهم تجنُّبًا إخافةَ المجتمع، ثم بدأوا في استخدام مصطلح "جماعة" بدلاً من "التَّكِيَّةِ". واحتلُّوا المساجد، واتخذوها معسكراتٍ لنشاطاتهم بدلاً من التَّكَايَا لمنعِ ظهورِ أسرارِ المسارِ التاريخيِّ للطريقة النقشبندية، وهي في الواقع امتدادٌ للبوذية. وأربكوا العقولَ بإنشاءِ مدارسَ قرآنية في أنحاء تركيا، وقاموا بدعاياتٍ مكثفةٍ للطريقة، فأعادوا لِلْمُسْلُمَانِيَّةِ الشامانية–البوذِية حيويةً كبيرةً..

استمرَّ الصراعُ بين الْمُسْلُمَانِيّينَ التقدُّميّين والرِّجْعِيّين، (أو الْمُتَدَيِّنِينَ وَغَيْرِ الْمُتَدَيِّنِينَ)، بأقصى شِدَّتِهِ خلالَ الْحُقبةِ الجمهوريةِ ولا يزالُ حتى يومنا هذا. وتسهمُ التجمُّعاتُ والمؤسَّسَاتُ ذاتُ التوجُّهاتِ المتباينةِ في تسريع تَفَكُّكِ المجتمعِ وتفتيته. على سبيل المثال: لما تعاون "الليبراليون" من أصحابِ الشركات التجاريةِ فيما بينهم وقاموا بتأسيس جمعيةٍ تُمَثِّلُهُم بعنوان "توسيادTüsiad "، قامت الجبهة "الرجعيةُ" في المقابل بتأسيس جمعيةٍ تُمَثِّلُهُم بعنوان "موسيادMüsiad "، وتُمَيِّزُهُم عن خصومهم، فَجَرَتْ بين الطرفين منافساتٌ في التغلُّبِ على أقتصاد تركيا. هذا، ومن الإهانات المتبادلة التي ترمز إلى هذا الاستقطاب وتُلَخِّصُهُ، هناك مثالان مثيران للاهتمام بشكلٍ خاصٍّ: التقدميون يصفون الرجعيين بـ"الليبراليين ذوي الطاقيات"، بينما

يَرُدُّ الرجعيون عليهم بقولهم "القوَّادونَ ذوو القُبَّعَاتِ".[121] في الواقع، لا يزالُ (المجتمع الذي كافح لقرون بحثًا عن هويته ولم يجدها أصلاً)، غيرَ قادرٍ على التوفيق بين فصائله المتنازعةِ اليوم، كما كان في الماضي، ولا يزالُ يعيشُ تحت ضغطٍ شديدٍ من الصراعِ المتبادل. لذلك، يحاول تخفيفَ معاناته فقط من خلال مثل هذه التبادلات الهزلية.

* هل الْمُسْلُمَانِيُّونَ محبون للسلام؟

بل على العكس تمامًا. إنهم في الواقع نازعون إلى العنف، فجرائم القتل والمذابح والسرقات والحرابة والإغتصابِ والفساد والفوضى والإرهاب والمظالم بمختلف أشكالها التي تشهدها منطقة الشرق الأوسط حاليًا، لَهِيَ أقوى الدلائلِ على ذلك.. ولكنْ، لِكَيْ نكشفَ بوضوحٍ أكبرَ عن مَدَى قسوةِ الْمُسْلُمَانِيِّينَ وَدَمَوِيَّتِهِمْ، من المفيد أن نقدِّمَ أمثلةً مختلفة منها.

أحدُ أبرزِ الأمثلةِ على ذلك هو الإرهابُ. والإرهابُ منتشرٌ على نطاقٍ واسعٍ بين المجتمعات الْمُسْلُمَانِيَّةِ. والشرق الأوسط قد أصبح مرادفًا للإرهاب. لا يمرُّ يومٌ واحدٌ دون أنْ يُنَاقَشَ الإرهاب في بقعةٍ من هذه المنطقة. يكفي مشاهدة الأخبار اليومية لترى ذلك. حتى بمجرد النظر إلى أسماء المنظمات الإرهابية[122] يمكن فهم مدى انتشار العنف في المنطقة وعلى ساحة الدولة تركيَّةِ بخاصّةٍ.

---

[121] القُبَّعَةُ : قلنسوة من لباسِ الأوروبيّين يقي الرأسَ من الشَّمس والمطر. ثم انتشرت إلى أنحاء العالم. أصدرت حكومة مصطفي كمال قانونًا (بتاريخ: **25/11/1925**م. رقم: **671**) أجبر بموجبه أنْ يرتديها كلُّ مواطنٍ عند خروجه إلى الشارعِ. وما زال القانون مرعيًّا إلى اليوم، لكن، لا أحدَ يعتدُّ به.

[122] منظمة فَتْح الله گُولَن الإرهابية، هيكل الدولة الموازية

حزب–جبهة التحرير الشعبي الثوري (**DHKP-C**)

الحزب الشيوعي المائوي (**MKP**)

الحزب الشيوعي التركي/الماركسي–اللينيني (**TKP/ML**)

الحزب الشيوعي الماركسي–اللينيني (**MLKP**)

حزب العمال الكردستاني (**PKK**)

حزب كردستان الثوري (**PŞK**)

حزب كردستان الديمقراطي/الشمال (**PDK/Bakur**)

صقور حرية كردستان (**TAK**)

حزب الله الكردي

حزب الله اللبناني

جبهة فرسان الشرق الكبير الإسلامي (**İBDA/C**)

كتائب التوحيد والجهاد (جيش القدس)

فرع تنظيم القاعدة الإرهابي في تركيا

لم تشهد أيُّ منطقةٍ أخرى في العالم هذا العددَ الكبيرَ من المنظماتِ الإرهابيةِ. هذه المنطقةُ التي يقطِنُها الْمُسْلُمَانِيُّونَ بأعدادٍ كبيرةٍ، قد هاجرَتْهَا الكرامةُ الإنسانيةُ والسُّمْعَةُ وحتى الحياةُ نفسُهَا.. أصبح إراقةُ الدماءِ وإزهاقُ الأرواحِ أمرًا شائعًا في هذه المنطقة. لقد خَلَت ساحةُ الْمُسْلُمَانِيِّينَ وعلاقاتُهُم من المحبةِ والاحترامِ والفضيلةِ. وعلى وجه الخصوص، فإنَّ الانقلاباتِ العسكريةَ في تركيا، والدولةَ العميقةَ، وحربَ العصاباتِ المضادَّةِ، والجرائمَ التي ارتكبتها عصابةُ JITEM، وأيامَ التعذيبِ المروِّعَ، قد حُفِرَتْ في أذهان الناس حيث لا يمكن محوها أبدًا.

لقد لاحظتْ منظمةُ العفوِ الدوليةُ (AI) لأوَّلِ مرَّةٍ استخدامَ التعذيبِ على نطاقٍ واسعٍ ومنهجيٍ في تركيا بعد انقلاب 12 مارس 1971م. ووفقًا لتقرير مركز ستوكهولم للحرية، (ومقره السويد)، بعنوان "التعذيب الجماعي وسوء المعاملة في تركيا"، الذي نُشر في يونيو/حزيران 2017م. عاد التعذيب وسوء المعاملة من جديد للمُعْتَقَلِينَ والسجناء في تركيا عامَ 2016م. بعد محاولةِ تمرُّدِ العصابةِ الگُولَنِيَّةِ للإطاحةِ بحكومة أردوغان في 15 يوليو/تموز.

لا شكَّ أنَّ تركيا لاعبٌ سياسيٌّ مؤثرٌ تاريخيًّا في الشرق الأوسط. تحتل موقعًا هامًّا في الجغرافيا السياسية للمنطقة. لذلك تركت أثرًا عميقًا في منطقة الشرق الأدنى بأسرها لقرون منذ بداية العهد العثماني ولا تزال. لقد أغفل العلماءُ والباحثون كُنهَ الدافِعِ الرئيسِ لظاهرة العنفِ في المجتمع التركيّ، وهي في الواقع ناشئٌ من طبيعة الديانة الْمُسْلُمَانِيَّةِ، وإنّه إنْ لم يكن حادًّا على الصعيد المحلي لكنه قد دفع بقيةَ المجتمعاتِ الإسلاموية في الشرق الأوسط إلى استعمال العنف. وأبرز دليل على ذلك هو أَحْدَاثُ اغتيالاتٍ وإعداماتٍ عديدةٍ ذهبتْ ضحيتَهَا جماعةٌ من السياسيين ورجال الدولة في بلاد الشرق الأوسط. وهذه قائمةٌ بأسمائهم:

المتعاطفون الأتراك لدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)

مختلف الجماعات السلفية.

العنصريون الأتراك

منظمات مافيا الصوفية النقشبنديّين.

ملك الأردن: عبد الله بن حسين؛ الملك فيصل الثاني: ملك العراق؛ رئيس وزراء العراق: نور السعيد باشا؛ الرئيس الأفغانيٌّ: حيفظ الله أمين؛ الرئيس الأفغانيٌّ: نور محمد ترقي؛ الرئيس الأفغانيٌّ: محمد نجيب الله أحمدزاي؛ الزعيم العراقي: عبد الكريم قاسم؛ ملك المملكة العربية السعودية؛ الملك فيصل بن عبد العزيز؛ الرئيس الباكستانيٌّ: ذو الفقار علي بوتو؛ رئيسة وزراء باكستان؛ بينظير بوتو؛ رئيس جمهورية مصر العربية: أنور السادات؛ رئيس جمهورية بنغلاديش: مجيب الرحمن؛ رئيس وزراء تركيا: عدنان مندريس؛ وزير خارجية تركيا: فطين روشدي زورلو؛ وزير المالية التركي: حسن بولاتكان؛ رئيس وزراء تركيا: نيهاد إريم؛ رئيس الجمهورية التركية: تورغوت أوزال؛ الرئيس اللبناني: بشير جميل؛ الرئيس العراقي: صدام حسين، الزعيم الليبي معمر القذافي...

أمّا في العالم الغربي، فلم تحدثْ جنايةٌ على أحد من السياسيّين سوى الرئيس الأمريكي جون كينيدي، ورئيس الوزراء السويدي أولوف بالمه. وكان الجانيان (على ما قيل) من أصلٍ شرق–أوسطيٍّ ومُسْلُمَانِيَّيْنِ!

***

لماذا يكره الْمُسْلُمَانِيُّونَ المسلمين!

على الرغم من اختلاف الدِّين بين الفريقين، إلا أنهما يلتقيان في مشاركتين مهمَّتَيْنِ للغاية: تِلْكُمَا: أنَّ كلَيْ الفريقين يعيشان على أرضِ وطنٍ واحدٍ؛ ويَتَحَدَّثَانِ بِلُغَةٍ واحدةٍ، وهي اللغةُ التركيَّةُ. ومع ذلك، ثَمَّ عديدٌ من أمورٍ أخرى لا يشتركان فيها، والتي يمكننا تلخيصها على النحو التالي:

إن الفضائلَ ومكارمَ الإخلاقِ؛ كالشعورِ بالمسؤوليةِ، وإنصافِ المظلومين، والعرفانِ بالجميلِ، والاحترامِ المتبادِلِ، والاتّزانِ، والحيادِ، والواقعيةِ، والتعاونِ على البرِّ والتقوى إنما هي من خصالِ المسلمين، ولا يكادُ معظمُ الْمُسْلُمَانِيّينَ يتّسمون بشيءٍ من هذه الفضائل. ولهذا السبب، يكنُّ الْمُسْلُمَانِيُّونَ كراهيةً شديدةً للمسلمين.

هناك أسبابٌ أخرى لهذه الكراهية. أهمُّها: اهتمامُ المسلمين بدعوةِ الْمُسْلُمَانِيِّيْنِ إلى توحيد الله سبحانه، بِأنْ يَحِلُّوا ربقةَ الْمُسْلُمَانيَّةِ من أعناقهم، ويعتنقوا الدِّينَ الإسلامِيَّ الحنيفَ.. من الجدير بالإشارةِ أن

الْمُسْلُمَانِيِّينَ يعانون من الإرتباك في التفريق بين المصطلحات الصحيةِ والباطلةِ. منها: أنهم يُطلقون (باللغة التركية) صفةَ "غَيْر مُسْلِم" على الكفَّارِ، وهي واردةٌ في مصادرهم، ويستعملونا بكثرةٍ في حديثهم وأدبياتهم. يشتركون في هذا الإطلاقِ مع المسلمين، لكنّهم لا يجدون مصطلحَ "غير مُسْلُمَانِي" في أيِّ مصدرٍ. وهذا يُغْضِبُهُمْ. لأن كلمةَ "غَيْر مُسْلِم" يعني غير معتنق للدين الإسلاميّ. مع ذلك، أنَّ أيَّ شخصٍ مُسْلُمَانِيّ لا يجرؤ أبدًا أن يقول (في إقرارِهِ): "الحمد لله، أنا مُسْلِمٌ"، بل يقول: "الحمد لله، أنا مُسْلُمَانِيٌّ". وهذا تناقض شديدٌ يقع فيه الْمُسْلُمَانِيُّونَ مع أنفسهم. لأنهم يكونون قد أقرُّوا بِكُفْرِهِمْ وأعلنوه بألسنتهم. هذا هو الدافع الذي أنْبَتَ في قلوبهم العداوةَ للمسلمين والدِّينِ الإسلامِ الحنيف. خاصةً الصوفيةُ النقشبنديُّون من الجماعاتِ الوثنيةِ يُضمِروزن كراهيةً شديدةً للمسلمين.

يجد الكثيرُ من الناسِ حتى بعضُ العلماءِ صعوبةً في فهمِ وصفِ شخصٍ: يشهد أن لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمّدًا رسولُ اللهِ، ويُصَلِّي، ويصومُ، ويُؤدِّي فريضَةَ الحجِّ... إلخ. هل يجوز أنْ يُقالَ: "إنه يكره الإسلام، ويُعدُّ من الكُفَّارِ؟!". في الواقع، لا تزال هذه المشكلةُ دون حلٍ حتى يومنا هذا، لأسباب تاريخيةٍ واجتماعيةٍ وثقافيةٍ عديدة، ويستحيل الوصولُ إلى حلِّها؛ لجهلِ المجتمعِ أولاً بحقيقة الإسلامِ، وتميزِهِ من بقية الأديان، ثم لجهلِهِ باللغة العربية ثانيًا، ثم لجهلِهِ بتاريخِ أُمَّتِهِ ثالثًا، ثمَّ لانتفاءِ مراجعة العلماءِ وعدم صدور حكمٍ شرعِيٍّ في هذه المسألةِ رابعًا..

أمَّا مَنْ يشهدُ أنْ لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمّدًا رسولُ اللهِ، ويُصَلِّي، ويصومُ، ويُؤدِّي فريضَةَ الحجِّ... إلخ. لكنه يرتكب مع ذلك ذنبًا ينقُضُ الإيمانَ ويقتضي كُفْرَهُ فلا شكَّ يجبُ تكفيرُهُ؛ إلاَّ أنَّ هذا ليسَ أمرًا سهلاً، بل فيه خطورةٌ، ويجبُ تفويضُهُ إلى أهل الإختصاصِ من العلماءِ والمجتهدين وقليلٌ مَّا هم! وقد جاءَ في عباراتِ بعضِ أهلِ العلمِ من التنبيهِ والتحذيرِ في ذلك، وهذه سطورٌ منها:

"إذا ارتكب الإنسانُ ناقضًا حقيقيًّا من نواقض الإيمان؛ فإنه عند الحُكم عليه لا بد من وجودِ الشروطِ وانتفاءِ الموانعِ، يعني: لا يصح الحْكْمُ عليه مطلقًا، فهناك فرقٌ بين الفعلِ والفاعلِ، فقد يأتي إنسانٌ بناقضٍ من النواقضِ لكن هو نفسهُ لا يَكْفُرُ، ولا يخرجُ عن الإسلامِ لِوُجُودِ مانعٍ مَنَ الموانعِ.

فحاطبُ بْنُ أبي بلتعةَ رضي الله عنه وقع في ناقضٍ عندما كتب إلى كُفَّارِ قريشٍ يخبرُهُمْ بقدومِ النبي صلى الله عليه وسلم إليهم، فهذا ناقضٌ من النواقضِ، لكنَّهُ هو نفسه لم يَكْفُرْ، لِوُجُودِ مانعٍ مَنَ الموانعِ؛ وهو التأويل. ولهذا عذره النبيُّ صلى الله عليه وسلم."[123]

لكنَّ كراهيةَ معظمِ الْمُسْلُمَانِيّين للمسلمين أمرٌ ثابتٌ، كذلك يكرهون الإسلام الذي يصفونه بـ"الإسلام السياسِيِّ"، تظهرُ تلك من خلال بعض الأمثلة الملموسة فيما يلي:

على سبيل المثال: يستحيلُ في الواقع شرحُ مَفْهُومَي "الشِّرْكِ" و"الطاغوت" للْمُسْلُمَانِيّين. إنَّ هذَيْنِ المفهومين، تَقْرِيبُهُمَا لِعُقُولِهم أمرٌ مُرْهِقٌ للغايةِ. بل المرشدون والدعاةُ المسلمون يعانون عقباتٍ كبيرةً عند جهودهم في دعوة الْمُسْلُمَانِيّين إلى توحيد اللهِ سبحانه، ويواجهون صعوباتٍ في نُصحِهم وإرشادهم.؟ ذلك لأنَّ الْمُسْلُمَانِيَّةَ مبنيةٌ على دعائمَ من الشرك البواح. والحقيقة أنَّ الإنسانَ الْمُسْلُمَانِيَّ غارقٌ في مستنقع الشرك، وذِهْنُهُ قاصرٌ عن استقبال مفهوم التوحيد، وربما بابُ التوحيدِ مسدودٌ عليهم، فمن كان يرجو لو أنَّ أحدَهم يُدركُ حقيقةَ التوحيد، كمن يتصورُ ولوجَ الجملِ في سمِّ الخياط! وهذا هو السبب في أنَّ كلَّ إنسانٍ مُسْلُمَانِيٍّ يجدُ صعوبةً شديدةً في فهم بعض آيات القرآن الكريم؛ منها على سبيل المثال: الآية الثامنة والأربعين من سورة النساء، والآية الثالثة عشرة من سورة لقمان، أو أنه قد يتعمّدُ ذلك!

إنَّ أكبرَ دليلٍ على كراهية الْمُسْلُمَانِيّين الشديدةِ للإسلام هو المشروع المسمَّى بـ"مبادرة الشرق الأوسط الكبير **greater middle east initiative**"، وذلك واضحٌ للغاية، ولا أحدَ منهم قادرٌ على إنكاره، كما أنَّ معظم الْمُسْلُمَانِيّين على علمٍ به، لكنهم يلتزمون الصمت ويتجاهلونه مكرًا! فلا بُدَّ إذن من الكشفِ عن أسرارِ هذا المشروعِ هنا ليفتضحوا، وليعلموا أنهم غيرُ قادرين على إخفاءِ كراهيتهم للدين الحنيف، وليكونَ هذا الإفشاءُ في الوقت ذاته إعلانًا على رؤوسِ الأشهادِ عن موقفهم من الإسلام.

هذا المشروع، الذي أُنشئ تحت اسم مزيف، وضبطها: "الشراكةُ من أجلِ مستقبلٍ مشتركٍ وتقدُّمٍ مع منطقةِ الشرق الأوسط وشمال أفريقيا"، تَوَلَّتْ تركيا دورَ "الرئاسة" لهذا المشروع، لفترةٍ من الزمن. وهذا

[123] المكتبة الشاملة: دراسة موضوعية للحائية ولمعة الاعتقاد والواسطية. (2/ 12 بترقيم الشاملة آليا)

يدل بوضوح على مدى دعمِ تركيا الْمُسْلُمَانِيَّةِ بحماسٍ في التعاون مع الحلف المسيحي–الصهيوني الذي كان ولا يزال مصمِّمًا على إفسادِ الإسلامِ وإبعادهِ عن منهجه الرَّبانيّ. على الرغم من أنَّ "مشروع الشرق الأوسط الكبير" قد تم تأجيلُ نشاطِهِ في النهاية، إلا أن وصمة العار التي طرأت عليه، لا تزال تلحق بالْمُسْلُمَانِيِّين. خاصّةً وإنَّ صمتَ العَالَمِ الإسْلاَمَوِيّ في مواجهة المذبحة المروِّعَةِ والإبادة الجماعيةِ التي ارتكبتْها إسرائيل في غزة منذ 07 أكتوبر 2023م. على مدى سنين، قد زاد من هذه الوصمة التي كانت لِكُلِّ المجتمعاتِ الإسلامويَّةَ منها نصيبٌ، وليس تركيا فحسب.

***

الْمُسْلُمَانِيُّون واستغلالهُم للدِّينِ والقِيَمِ المقَدَّسَةِ

مُعظمُ الْمُسْلُمَانِيّينَ غير مخلصين في تديُّنِهم، بل يَسْتَغِلُّونَ الْقِيَمَ الدِّينِيَّةَ والمفاهيمَ الْمُقَدَّسَةَ لإثارة عاطفة الناسِ، وتسخيرهم في جلب المصالح. هناك طائفةٌ من ملاحدةِ الْمُسْلُمَانِيِّين يتلاعبون حتى بالْمُسْلُمَانِيَّةِ؛ (فضلاً عن الإسلام) كثيرًا مّا يتّخِذُونها وسيلةً لتحقيقِ مئاربِهم.. وإنما يُقِرُّنَ بانتمائهم إليها كمجرد رمزٍ، وهم في الواقع خِلوٌ من أيِّ معتقداتٍ دينيةٍ. مع ذلك، لا يتورَّعون عن استغلال الدين للمصلحةِ الخاصَّةِ. وكمثالٍ على ذلك؛ اعترف وزيرٌ ملحدٌ بالذات في الماضي القريب: "أنه ذَكَرَ آياتٍ من القرآنِ الكريمِ في بعض خطابِهِ بقصد الاستغلال." بل قال وهو يستهزئُ بآيات القرآن: "أنا أقرأ في كل يوم الجمعةِ آياتٍ من سورة الْبَقَرَةِ الْمَقَرَةِ". أثارَ ذلك ردودَ فعلٍ عنيفةٍ في أوساطِ المسلمين وفي قطاعٍ واسعٍ من الْمُسْلُمَانِيِّينَ، فاضطر الوزيرُ على أثرِ ذلك أنْ يكَذِّبَ وكالاتِ الأنباءِ التي نقلتْ هذا الخبرَ. كذلك رئيسةُ الوزراء (طَنْصُو تشِيلَرْ) "وهي تَدَّعِي أنَّهَا مُسْلُمَانِيَّةٌ" لكنَّها في الواقع لم تؤمنْ بأيِّ دين، تناولَتْ المصحفَ الشريفَ الملفوفَ بِالْعَلَمِ التركِيّ وقَبَّلَتْهُ أمامَ حشدٍ كبيرٍ من الناسِ! إن التناقضات المذهلة في أمثال هذه المشاهد يضيق لها الإنسان ذرعًا كيفَ وبأيِّ منطقٍ يؤوّلها!

لأنَّ القرآنَّ الكريمَ هو الكتابُ المقدَّسُ للإسلام (وليس له علاقةٌ بالْمُسْلُمَانِيَّةِ)، إلاَّ أنَّ رئيسة الوزراءِ المذكورة آنفًا تجرّأت على مدِّ الصلةِ بين كتاب اللهِ وبين هذه الديانة الخرافية الباطلةِ مع أنها ملحدةٌ، وذلك يُعَدُّ إهانةً منها بالدِّين الحنيفِ بالغةَ الخطورةِ، بل جنايةً ارتكبتها دون مبالاة منها.

فقد استعرضتْ هذه المرأةُ مكرَها بهذا الأسلوبِ الزائفِ تعميةً للناسِ، على "أنها معتنقةٌ للإسلام وهي تُبَجِّلُ كتابَ اللهِ بتقبيلها إيّاه. وذلك خلافٌ للواقع إطلاقًا. بل كان قصدُها استغلالَ ضمائرِهم، وكسبَهم إلى حزبها. فقد أثبتتْ خطاباتُها وسلوكياتُها وتصريحاتُها مرارًا وتكرارًا أنها ملحدةٌ، وإذا سُئِلَتْ، (وهي لا تزال على قيد الحياة)، عما إذا هي "امرأةٌ مُسْلِمَةٌ" أو "مُسْلُمَانِيَّةٌ"، فستُجِيبُ بالتأكيد: "أنها مُسْلُمَانِيَّةِ"، وقد تتعجّبُ لهذا السؤال، لأنها تجهل الفرقَ بين الإسلام والمُسْلُمَانِيَّةِ. وهناك عدد غير قليل من الملحدين مثلها يجهلون هذا الفرقَ. ومن السهولة بمكان فهمُ هذه الحقيقة من المقابلات التي تُجرى في الشوارع بشكل متكرر. ومع ذلك، يتصرّفُ معظم الملحدين الأتراك مثل الْمُسْلُمَانِيِّينَ تمامًا من حيث الأمور الدينية، هذا، ومن اللافتِ: أنَّ أكثرهم (على عكس الْمُسْلُمَانِيِّينَ المتديِّنين)، ليسوا نازعين إلى العنفِ ولا يتعمّدون الاعتداءَ على الإسلام والمسلمين.

لِنَعُدْ إلى رئيسة الوزراء تارةً أخرى؛ فمن الحقائق التي يمتنع إنكارها، والتي تتضح من سلوك هذه المرأة وتصريحاتها، أنها لا تؤمن بأي دين على الإطلاق. فالمعلوماتُ الأرشيفيةُ التي تشير إلى أنَّ زوجَها كان معتنقًا للديانة البوذية، تُعَدُّ دليلاً قاطعًا على ذلك. خاصّةً وأن التصريح الذي أدلت به (بصفتِها رئيسةَ الوزراء للدولة التركية) خلال زيارتها لإسرائيل (في نوفمبر 1994م.) يكشفُ مَوْقِفَهَا من الدين والأخلاق بوضوح.[124] كما تبرهن هذه الحقائق على أنه يستحيل ربط أدنى صلةٍ بين الإسلام والمُسْلُمَانِيَّةِ على الإطلاق.

***

إنَّ أحَدَ أهمِّ مصطلحات الفقه الإسلامِيِّ هو صفة "الشهيد" التي تُطلَقَ على مَنْ قُتِلَ من المسلمين في تال أعداءِ الإسلام والمسلمين دون غرض من الدنيا. كثيرًا مَّا يستغلُّ الْمُسْلُمَانِيُّونَ هذه الصفةَ لتحقيق

---

[124] راجع المعلومات التي قدَّمَهَا حسن دمير، كاتب في صحيفة **Yeniçağ** وهذا نَصُّها: "عندما زارت طنصو تشيلر، رئيسةُ وزراءِ تركيا عاصمةَ إسرائيل عام **1994**م.، قالت في تصريح لها: "أنا سعيدة جدًا في هذه اللحظةِ لوجودي في أرض الميعاد". إنَّ الحكومة الصهيونية كانت مستعدةً لدفع مليارات الدولارات دون تردد لتسمع هذه الكلمات من رئيسة وزراء تركيا، وقد سَمِعَتْهَا دون أيِّ مقابل، علمًا أنَّ ما لا يقل عن ثلث أراضي تركيا تندرج ضمن تعريف "الأرض الموعودة". المصدر: صحيفة ينيجاغ، **8** نوفمبر **2007** م.

مكاسبَ شخصيةٍ (أو لتقويض الإسلام). ولا تَمُتُّ هذه الصفةُ بأدنى صلةٍ إلى الديانة الْمُسْلُمَانِيَّةِ على الإطلاق.. أما مسألةُ قتال المشركين، وشروط الاستشهاد، وكيفية التعامل مع جنازة الشهيد، فإنَّها مذكورةٌ بتفصيلٍ في المصادر الفقهية للمذاهب الأربعة..

من المعلوم ما يجري من الحربِ بين تنظيم (PKK) الإرهابي والجيش التركي منذ أكثر من ثلاثين عامًا، ويُطلِقُ كلٌّ من الطرفين صفة "الشهيد" على موتاهم. وذلك باطلٌ بَيِّنَ البطلانِ، بدليل إقرار الطرفين: أنَّهم مُسْلُمَانِيُّونَ وليسوا مسلمين.. وتشهد عليهم ألسنتُهُمْ التي تجري عليها كلماتٌ وتعبيراتٌ لا يُحصيها لا الله. وهذه ألفاظهم التي تكثر في كلامهم:

الحمد لله أنا مُسْلُمَانِيٌّ: **Elhamdülillâh ben Müslümanım**

نحن مَعْشَرَ الْمُسْلُمَانِيِّين: **Biz Müslümanlar**

الدِّيْن الْمُسْلُمَانِيُّ: **Müslümanlık Dini**

العَالَمُ الْمُسْلُمَانِيُّ: **Müslümanlık Âlemi**

الجَمَاهِيرُ الْمُسْلُمَانِيُّ: **Müslüman Toplumlar**.....إلخ.

كلُّ ذلك يؤكِّدُ على أنهم يدينون بِالْمُسْلُمَانِيَّةِ وليس بالإسلامِ، مع ذلك يتعمّدون إطلاقَ صفة الشهيد على موتاهم.

ومن تناقض الطرفين أنَّ أيًّا منهما لا يولي اهتمامًا بواجبات التعامل مع جنازة المقتول وفقًا لضوابط الفقه الإسلامِيِّ على أنه شهيد. فالجبهةُ التركيةُ تقوم بتجهيزِ جِنازة المقتولِ ودفنهِ بصورةٍ تقليديةٍ بحتة، وفقًا لِعُرْفِ الْمُسْلُمَانيَّةِ، أما التنظيمُ الإرهابِيُّ، فإنَّ أكثر عناصرها يُفتَكونَ بأسلحةِ الجيشِ التركِيِّ، فلا يوجَدُ شيءٌ من فُتَاتِهِم في الأغلب. وإذا وُجِدَ جُثمان المقتولِ فَيُنْهِلُونَ عليه الترابَ وحسب.

يَتَبَادَرُ سؤالٌ إلى الذهنِ عن موقفِ رئاسةِ الشؤونِ الدينيةِ من هذه القضيةِ؛ هل قدَّمت فيها رأيًا مَّا؟ إلاَّ أنَّ هذه المؤسَّسَةَ تَتَحَاشَى من الْمِسَاسِ بمسألةٍ فيها شَمَّةٌ سياسيةٌ، نظرًا إلى أنَّ النظامَ العلمانيَّ لا تسمحُ لها بذلك.

ومن النقاط الهامة في هذه القضيةِ؛ أن الجبهةَ الإرهابيةَ لا تعترف أصلاً بالإسلام كَدِينٍ على أي حال، ولا يخفي نزوعهم إلى الزرادشتية وهي دين أسلافهم قبل الإسلام. ومن المفارقات المثيرة للاهتمام أنَّ مفهومَ "الشهادة"، على الرغم من كونه إسلاميًّا بحتًا، إلاَّ أنه لا يَفْتَأُ يَنْبُضُ في أذهان الْمُسْلُمَانِيِّينَ كآلية للاستغلال. وهذا يخدم أغراضًا متعددة. الأول: هو إدامة اعتقاد المجتمع في الخلط بين الإسلام والْمُسْلُمَانِيَّةِ، لِمَدِّ الصلةِ إلى دين الآباء. والغرض الثاني: هو منع انتشار الإسلام الذي جاء به القرآن، والخوفُ من تزايد المسلمين في المجتمع التركِيِّ. والغرض الثالث: هو إفساد الفقه الإسلامي.

***

الْمُسْلُمَانِيُّون هم فقراء العلم والمعرفة.

والأدلة على ذلك كثيرةٌ، من أهمها أنك عندما تطرق إلى حقيقة علمية في ثنايا حديثك ويستمع إليك شخص مُسْلُمَانِيٌّ، فإنه يظلُّ ينظر إليك بذهول، لأنَّه لا يفهمك. ذلك لأنَّ مستوى استيعابِ الشخصِ الْمُسْلُمَانِيّ ضئيلٌ في الغاية، وهو شبه أبْلَهٍ تتقاطر الحماقةُ من عينيه. في الواقع، هذا هو سبب استمرار تقهقرهم وتخلُّفهم منذ ألف عام. فينبغي أخذُ هذه المسألةِ في الاعتبارِ، كما يجب أن نأخذ الحقيقة التالية على محمل الجد: الجهل (أو بالمصطلح الحديث، نقصُ المعرفةِ) ليس مشكلةً بسيطةً وعاديةً؛ بل على العكس، عند دراستهِ بعمقٍ، يتّضحُ أنه كارثةٌ رهيبةٌ، وفي معظمِ الحالاتِ، هو مرضٌ لا شفاء منه. والجهلُ الاجتماعيُّ خطيرٌ بشكلٍ خاصّ. بل إنه يمكن أن يتسبَّبَ في اختفاءِ أمةٍ من مسرح التاريخ! في الواقع، لعب الجهلُ دورًا رئيسيًا في اختفاء العديد من الشعوب القديمة التي لم يَعُدْ لها وجود على خريطة العالم اليوم.

لنتأمَّلْ لحظةً؛ إنَّه باستثناءِ عددٍ قليلٍ من أفرادِ الْمُسْلُمَانِيّين والإسلامويّين الذين أكملوا تعليمَهم بجهودهم الخاصّةِ، بالإضافةِ إلى الجموع المثقّفةِ منهم الذين لا يبلغ عددُهم معشارَ المجتَمَع، فإن الغالبية العظمى من الجماهير التي نُطلِقُ عليها اسمَ "الأمة" تعاني من جهلٍ مُطبِقٍ سلبَ قدرة الإستيعابِ الذهني من أفرادِهَا، وأشلَّ ملَكاتِهِم التفكيرية، فلا يسعهم أنْ ينفذوا إلى كُنه المفاهيم الدقيقة. هل يجوز أنْ نَتخَيَّلَ أنَّ هذه

الجماهيرَ قادرةٌ على أنْ تُنَافِسَ الدولَ الراقيةَ في السباق العلميّ والتقنيّ، ومواكبةِ مسيرةِ الحضارة؟! هذا هو السبب في أن الْمُسْلُمَانِيّين والإسلامويّين (الذين يبلع عددهم اليوم: ملياريْ نسمةٍ)، هم في حالةٍ من التخلف المتواصل وشتات الشمل منذ ألف عام، بحيث ما عاد يجوز إطلاقُ صفة "الأمة الواحدة" عليهم، بل أصبحوا قُطْعَانًا من مسوخ البشر. كما لا يجوز وصفهم بـ"أمة محمد" في الواقع. ولا ينبغي أنْ يُعَدَّ هذا الإعتبار من المبالغة، بل جديرٌ بهم أنْ يُطلق عليهم صفةَ "أمة الشيطان"، أما "الأمةُ المحمديةُ" فإنها منحصرةٌ في (أقليةٍ مؤمنةٍ) من أهلِ التوحيدِ الخالصِ في واقعِ الأمر. إنَّ صَمْتَ جماهيرِ الْمُسْلُمَانِيّين والإسلامويّين في مواجهة الفظائع التي ارتكبتْها عصابةٌ عِبْرِيَّةٌ إرهابيةٌ قوامها ستة ملايين نسمة في فلسطين وغزة بخاصّةٍ، يُبَرِّرُ إطلاقَ صفةِ "أُمَّةِ الشيطان" على السواد الأعظم من الْمُسْلُمَانِيّين والإسلامويّين كعلامةٍ فارقةٍ تبرهن على أنَّها تُعَدُّ من جملةِ الأمم الكافرةِ. ولا يفوتنا أنْ نعودَ وفنؤكّد مرةً أخرى إلى أنَّ السببَ الجوهريَّ لصمتِ هذه القطعان من مسوخ البشر: هو الجهلُ ولا ريب. لأنه لو كان الْمُسْلُمَانِيُّون والإسلامويُّون على علمٍ بالمعلوماتِ التي أعطاهم الله تعالى عن اليهود في كتابه الكريم،[125] بدلاً من أن يتلوه على أرواح الأموات، ويكتبوا آياته على التمائم، لاستطاعوا أن يسحقوا هذه العصابة الملعونةَ بأقدامهم، ولَفَتَكُوا بِهَا عن بكرة أبها بين عشيةٍ وضحاها.. وهذا يذكّرنا بحديث الصحابي الجليل، ثوبانِ بْنِ بُجْدُدٍ، وهذا نصه:

"عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ، قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهْنَ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ."[126]

ورد بقلم رئيس الوزراء الماليزي مهاتير محمد مقالةٌ فيها ما يُفَسِّرُ شطرًا من أسبابِ هذا الوهن بطريقة غير مباشرةٍ واعتباطًا (وليس قصدًا)، فيقول:

---

[125] لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (78) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (79) تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (80) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ. (المائدة/78–81)

[126] سنن أبي داود (4/ 185 ط مع عون المعبود)

"مثل ما حدث في أوربا تمامًا فالعصور المظلمة كان سببها الحكم الكنسي ورجال الدين (الأحبار والرهبان). وقد آنَ أوانُ طَرْدِ مشايخِ المسخرةِ، وفقهاءِ الرأي، وتُجَّارِ الدِّينِ من قاموسِ حياتِنَا اليوميةِ، لأنهم ما زادونا إلا خبالاً وتفرقةً وأُضحوكةً بين الأمم، وحاشى أنْ يكونَ دينُنَا قد أمرنا بذلك. من الضرورة توجيه الجهود والطاقات إلى الملفات الحقيقية وهي: الفقر والبطالة والجوع والجهل... لأن الانشغال بالأيدلوجيا ومحاولة الهيمنة على المجتمع وفرض أجندات ووصايا ثقافية وفكرية عليه لن يقود إلى إلا مزيد من الاحتقان والتنازع.. فالناس مع الجوع والفقر لا يمكنك أن تطلب منهم بناء الوعي ونشر الثقافة. فقد انخفضت لدينا نسب العلماء في الفيزياء والكيمياء والهندسة والطب، بل بلغ الأمر، في بعض الكتابات الدينية، إلى تحريم الانشغال بهذه العلوم. فنحن المسلمين، قسمنا أنفسنا جماعاتٍ وطوائفَ وَفِرَقٍ، يقتلُ بعضُها بعضًا بِدَمٍ باردٍ، فأصبحت طاقتُنا مُهدرة بسبب ثقافة الثأر والانتقام التي يحرص المتعصِّبون على نشرها في أرجاء الأمة، عبر كافة الوسائل، وبحماس زائد، ثم بعد كل هذا وذك، نطلب من الله أن يرحمنا، ويجعل السلامَ والاستقرارَ يستوطنُ أرضَنَا. فذلك ضرب من الخيال، في ظل سنن الله التي يخضع لها البشر."[127]

***

من حماقات الْمُسْلُمَانِيّينَ أنهم قد بنوا عددًا كبيرًا من المساجد على مسافات قريبة من بعضها البعض، ولا يزالون يبنون من أمثالها في جميع أنحاء تركيا. والغرض من ذلك في الواقع، ليس توفيرَ مساحةٍ كافيةٍ للذين يرغبون أداءَ صلواتهم فيها، ومُسَاعَدَتَهُمْ على العبادة بسهولةٍ، لأنها زائدةٌ عن الحاجةِ بكثير، بل الهدف الأساسي هو الاستغلال والربح. إنَّ العددَ الكبيرَ لهذهِ المساجدِ، والمسافات القصيرة بينها، تكشف عن الطبيعة الحقيقية لهذه الجهود. في الواقع، لا يملأ عدد المصلين في هذه المساجد صفًا أو صفين. لماذا؟

وهذا ملخَّصٌ للحيلةِ التي يلجئون إليها: قد أصبح بناءُ المساجدِ عمومًا مهنةً للصوفية في تركيا. يقومون أوَّلًا بتأسيس جمعية؛ وهذا يسمح لهم بإضفاء الشرعية على أنشطتهم وفقًا لقوانين الدولة العلمانية. ثم يتسلَّطون على الشركات والأثرياء، يطلبون منهم أن يتبرَّعوا لأجل إكمال البناءِ (بدعوى أن ذلك عمل خيري!) فينتشلون مبالغ كبيرة من المال منهم بطريق الإلحاحِ أحيانًا، وبطريق الاختلاسِ أو بأشكالٍ من الاحتيال أحيانًا أخرى. وقد يشنُّون حملاتٍ على الشركات التي تمتنعُ عن التبرُّعِ، فتتعرّض للاعتداءِ وتَخْسَرُ

[127] من رسالةٍ لرئيسِ الوزراءِ الماليزيِ مهاتير محمد، بعُنوان: "معركتي الأخيرة"

سُمْعَتَهَا. وكمثال على ذلك؛ استهدفت طائفةٌ من الصوفية شركةً أجنبيةً كبيرةً تُنْتِجُ الدهونَ النباتيةَ وأصحابُها مسيحيون، أصرّوا عليها لِتَتَبَرَّعَ، وهدَّدوها بالتشهيرِ والإساءةِ بِسُمْعَتِهَا! فلمَّا أبت الشركةُ تَلْبِيَتَهُمْ، أشاعوا أنَّ مُنْتَجَاتِهَا تحتوي على دهن الخنزير، فامتنع الْمُسْلُمَانِيُّونَ والمسلمون كلُّهم من التعاملِ مع هذه الشركةِ، فتعرّضت لخسارةٍ فادحة!. أما الأموال التي يجمعونها، فإنهم يصرفون جزءًا منها في بناء المسجد. وبهذه الطريقة يُوَسِّعُونَ نطاقَ دعايتِهم. ويختلسون الجزءَ المتبقي منها.

وهذا ما حملَ القطاعات المعروفةَ من أهل التوحيدِ على التزام جانب الحيطة، فالسلفيون والوسطيون من المسلمين يعتقدون: أن مُعظَمَ المساجد في تركيا (وحتى في العالم الإسلامي) تقع تحت تعريف "مساجد ضرار". فلا يدخلونها ولا يصلون فيها.

***

الْمُسْلُمَانِيُّونَ يكادُ جميعُهم يعتقدون بالخرافات من الأساطير والملاحم، وقصص كرامات الأولياءِ ؛ إنهم لا يعتدّون بالحقائق العلمية والقرآنية. وهذا ما جعلهم يتقهقرون في مسيرتهم التاريخية منذ عشرة قرون، ففشلوا على مر التاريخ وعجزوا عن تطوير مستواهم إلى مجتمعٍ مُتَمَتِّعٍ بالرفاهيةِ والازدهار، مُهْتَمٍّ بالمعارفِ، ومثقَّفٍ على مِثَالِ المجتمعات الراقية في الغرب.. أسفر ذلك عن سقوطِ الأُمَّةِ إلى ما يبرهن عليه مَشْهَدُهَا المتهالكُ في عصرِنا، وهي تتعرَّضُ لإهانةِ عالَمِ الكفرِ يومِيًّا، بل لاعتداءاتِهِ وهجماته المتواصلةِ.. لكنَّ الأمةَ لا تزال في سباتها مع ما بها من شتاتٍ وتخلُّفٍ وتنازُعٍ وتناحر... أشغلتْها الجهلُ الْمُطْبِقُ والتوغُّلُ في الخرافياتِ عن الإنتباهِ إلى سقوطِها وآلامِها ومشاكلِها، فلا تكادُ تُولِي أهميةً للقِيَمِ العالمية والتفكير المنطقيّ، بل الخرافاتُ متحكِّمةٌ في عقليتِها، منتشرةٌ في عاداتها وتقاليدها، راسخةٌ في معتقداتها. وهذا ما خلق بيئةً مواتية للعديد من الاتجاهات الخطيرةِ، من العنصرية إلى الوثنية، ومن التصوُّفِ إلى تحريف الحقائق التاريخية، وهي في هذه الظلمةِ عرضةٌ للانزلاقِ وراء المعلومات الكاذبة خاصةً بتوجيهات مَافْيَا القلمِ والسياسةِ.[128]

[128] "المافيا هي مجموعات من العصابات المنظمة التي تمارس التهديد والابتزاز والترهيب وأنشطة أخرى غير قانونية. هناك المافيات المحلية التي تتحرك على نطاق ضيق وهناك المافيات العالمية العابرة للحدود. المافيا التركية لا تختلف كثيرا عن بقية المافيات في العالم . تقارير إعلامية وأمنية تتحدث عن جيش قوامه الآلاف من العناصر المحسوبة على هذه المجموعات التي تنشط في المدن الرئيسية مثل إسطنبول وأنقرة وأزمير ومرسين وأضنه بموازنات مالية تتجاوز المليارات القادمة من قطاعات غير مشروعة بينها التدخل في حركة بيع وشراء الأراضي والتهريب وتجارة السلاح والمخدرات والإتاوات والمباريات الرياضية المعروفة النتائج. تاريخ المافيا التركية طويل والعديد من قياداتها تتحرك تحت أكثر من مسمى وتحاول التلطي وراء هويات عقائدية متعددة. المؤسف هو انتشار مسلسلات تلفزيونية تركية عديدة أبرزت هذه المجموعات وكأنها تشكيلات تدافع عن حقوق الضعفاء وتحمي مصالح الدولة وتحارب المنظمات الإرهابية عند الضرورة." المصدر: سادات بكر.. "مافيوي" يشعل الداخل التركي!

قد تكون المعلوماتُ التاليةُ مفيدةً في فهمِ مدى انتشارِ الخرافاتِ في المجتمع الْمُسْلُمَانِيّ التُّرْكِيِّ. على سبيل المثال:

*** تتنوع معتقدات الْمُسْلُمَانِيِّينَ بشأن الموتى، وهي مليئةٌ بالتناقضات. هذه المعتقدات هي التي تحملهم أصلًا إلى تعظيم شيوخِ الطريقة النقشبنديةِ والسلاطين العثمانيّين، فيقدّسونهم، ويعتقدون أنهم يدخلون الجنة بغيرِ حساب... وعندما يشاهدون تلك المساجدَ الضخمةَ التي بُنِيَتْ في عهد سلاطين بني عثمان وبأمرهم، ترتعش أبدانُهُمْ من الإحساسِ بالتعظيم لها والخشوع لِهَيْبَتِهَا. من الغريب أنه لاَ تَنْتَابُهُمْ نبضةٌ من الإعجابِ بالقيمةِ الفنيةِ والمعماريةِ والجماليةِ لهذه المباني، ذلك للفقر الثقافي الذي عطّلَ مشاعرَهم بظلماته. لكنَّهم يحاولون لِيَمُدُّوا الصلةَ بين هذه المباني وبين السلاطين العثمانيين، لأنها تدلُّ على عظمتهم، ولأنهم شخصياتٌ يمتازون بِصفة من الإلهية، فيُصْبِحُ الشخصُ الْمُسْلُمَانِيُّ في حالة من النشوة أما المشهد. كل ذلك يُعَبِّرُ عن إيحاءاتِ "القبوريةِ" في مشاعره.**

إنَّ أحَدَ أقوى الأدلَّةِ على أنَّ الْمُسْلُمَانِيِّينَ يعتقدون بالخرافات: هو دفن الموتى في جهة القبلةِ في العديد من المساجد، خاصَّةً في مساجد السلاطين. يُوَفِّرُ لنا هذا المشهد أدلَّةً مُهِمَّةً حول الإيمان بـ "عبادة الموتى (أي الشرك القبري) الذي يعود إلى العصر الشامانِيّ على الأرجح. فإن "عبادة الأولياءِ" عند الصوفية، ناشئةٌ من فلسفة التصوُّفِ التي يصفها السلفيون "بفلسفةِ إبليس". ذلك لأن "أولياء الصوفيةِ" هم أجزاء من ذات الله (على حدِّ اعتقادهم). وأما مفهوم ذات الله فهو غامض للغاية في هذا الاعتقاد. ونفهم ذلك بوضوح من تفسير محي الدين بن عربي للآية 3 من سورة الحديد، إذ يقول:

"فانّ العارف من يرى الحقّ في كلّ شيء؛ بل يراه عينَ كلّ شيء.[129] فهو الأوّل والآخر والظاهر والباطن، فهو عينُ مَا ظَهَرَ، وعينُ مَا بَطَنَ في حال ظهوره، وما ثمّ من يراه غيره، وما ثم من يبطن عنه؛ فهو ظاهر لنفسه، باطن عنه. وهو المسمّى أبا سعيد الخراز وغير ذلك من أسماءِ المحدثات"[130]

---

[129] محي الدين بن عربي فصوص الحكم ص/ 192. (نقلا من كتاب؛ »الفكر الصوفيّ في ضوء الكتاب والسّنّة« للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق ص/ 75. مكتبة ابن تيمية الكويت، الطبعة الثانية)

[130] المصدر السابق ص/ 76، 77. (نقلا من كتاب؛ »الفكر الصوفيّ في ضوء الكتاب والسّنّة« للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق ص/ 83. مكتبة ابن تيمية الكويت، الطبعة الثانية)

قد انتشرت بين الْمُسْلُمَانِيّينَ أشكالٌ غريبةٌ من التعبُّدِ والمعتقدات الباطلة. كالطقوسِ المأخوذةِ من الدياناتِ الهنديةِ، وحفلاتِ الموسيقى والرقصِ، وصنعِ التمائمِ، وقراءةِ الطالعِ، واستحضارِ الأرواحِ، وتبادلِ التبريكاتِ كُلَّ أيّامِ الجمعةِ واللَّيالِي التي يزعمون أنّها مقدسةٌ وأمثلِها... ومن المعتقداتِ الملفَّقةِ لِلْمُسْلُمَانِيّينَ: حرمةُ حملِ المصحفِ الشريفِ تحت مستوى السرةِ، بدعوى أنَّ ذلك إساءةٌ بكتاب الله! هذا الاعتقاد، الذي انتشر تحت ستار الاحترام للقرآن الكريم، لا مكان له في الإسلام، ولا يوجد في أي من المصادر الإسلامية، كما لا يُعَدُّ ذلك خلافًا لقوله تعالى " ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ."[131] فقد جاءَ في بعض فتاوى العلماءِ ما نصه:

"لا يحرم وضع المصحف على طاولةٍ طاهرةٍ مهما كان طولها، جاء في كشاف القناع: (و) يحرم (تَوَسُّدُهُ) أي: المصحف (والوزن به، والاتكاء عليه)؛ لأنَّ ذلك ابتذال له، (وإن خاف عليها) سرقةً، (فلا بأس) أن يتوسدها للحاجة. ويكره مَدُّ الرجلين إلى جهته) أي: المصحف، (وفي معناه: استدباره، وتخطِّيه، وَرَمْيُهُ إلى الأرضِ بِلاَ وَضْعٍ، ولا حاجةٍ، بل هو بمسألة التوسد أشبه) قاله في الفروع، قلت: وكذا كُتُبُ عِلْمٍ فيها قرآنٌ. (ويباح تطييبه) أي: المصحف (وجعله على كرسي). اهـ. باختصار."[132]

نعم، إظهارُ الاحترام لكتاب الله والْقِيَم الْمُقَدَّسَة واجبٌ، لكن في الحدود الْمُتَعَارَفَةِ وفقًا لما جاءَ في عُرفِ علماء الإسلام. فإن كون الحامل أو الوسادة التي يوضع عليها المصحف أسفل السرة لا يعني التقصيرَ في الاحترام.

***

إنَّ الدافعَ الرئيسَ لهذه الفوضى التي تسود على معتقدات الْمُسْلُمَانِيّينَ وعاداتهم وسلوكهم هو التصوُّفُ ونشاطات الصوفية في الواقع. لهم طريقة خاصّةٌ لتدريب مَنْ يُرَشِّحُ نَفْسَهُ ليحتلَّ مقام المشخية، ويرأس من ينتسب إليه (بصفة مريد)، وقد يبلغ عددُهم مآت آلافٍ خلال مدةٍ وجيزةٍ، بعد أن يُكمِلُ (المرشح)

---

[131] سورة الحج/32

[132] وراجع للفائدة الفتويين: 129659، 162955.

تَدْرِيبَهُ ويتبوّءَ مقام الخلافة، ويُسَمّى هذا التدريبُ في عُرفِهِم "أخذُ الْعَهْدِ" "السَّيْرُ وَالسُّلُوك". وهذا ملخَّصٌ لشكل إجرائه:

يتقدَّمُ المرشح إلى شيخ معترَفٍ به في المنطقةِ، فإذا وافق على طلبه، يأمره أوّلاً بالعزلة في حجرةٍ نائيةٍ عن أماكن مرور الناسِ وتفاعلهم، ثم يُلَقِّنُهُ التوبةَ (بعد أنْ يغتسلَ)، ثم يُملي عليه سلسلةً من التعليماتِ وفقا للمبادِئِ (الأحد عشر) المأثورة من مؤسَّسِ الطريقة (عبد الخالق الغجدوانِيّ)، ويكلِّفُهُ بالتزامها حرفِيًّا وبكل اهتمام على النحو التالي كما جاءَ في مصادر شيوخ النقشبندية:[133]

أن يجلسَ متورِّكًا عكس تورُّكِ الصلاةِ، بأن يجلس على وركه الأيمن وينصبَ رجلَه اليُسرى بأصبعين، ثم يتلوَ الصورَ والآياتِ القرآنيةَ التي يُحَدِّدُهُا له الشيخ. ثم يهدي ثوابَها إلى صحائف مشايخ الطريقةِ (بدايةً من النبي عليه السلام إلى خالد البغدادي). ثم يبدأ بذكر اسم الذات؛ أن يُلصِقَ لسانه بأعلى الحنك، ويُطبق أسنانه وشفتيه، ويحبس النفسَ تحت سرَّته ويتخيل في أثنائه نقش (لا) ممتدَّةً إلى منتهي دماغه، ويتخيّل من دماغه نقشَ (إله)، ممتدَّةً إلى كتفه الأيمن، ويتخيّل من كتفه الأيمن نقشَ (إلاَّ الله)، مارًّ بها إلى اللطائف الخمسِ، ضاربًا بلفظ الجلالة على القلب منفذا إلى قعرِهِ بقوةٍ يتأثر بحرارتها جميع البدن مع ملاحظة معنى هذه الجملة، وهو أنه لا مقصودَ إلاَّ ذات الله تعالى، وينفي بشق النفيِ جميع المحدثات الإلهية، وينظر إليها بنزر الفناءِ، ويثبت بشق الإثبات ذات الحق تعالى وينظر إليه بنظر البقاء، ويقول في آخرها بلسان القلب: محمد رسول الله، ويقصد بها أنه متبع له ويكرّرها على قدر قوة نفسِهِ، ويُكلِقُ نَفَسَهُ من فمه على الوتر من العدد، وهو المسمى بالوقوف العدديِّ، ويقول بقلبه قبل إطلاق كلِّ نَفَسٍ: إلهي أنت مقصودي ورضاكَ مطلوبي."

هذا هو الدين النقشبندِيُّ الذي يظهر من تعاليمه (فيما سبق)، أنه دين مستقلٌّ اختلقه زناديق بخارى قبل ثمانية قرونٍ وأصبح أرضيةً ملائمةً لاقتباس ركامٍ من رموز الكفر والشركِ من مستنقع الهندوكية، نُسِجَت منها الديانة الْمُسْلُمَانِيَّةُ التي يعتنقها ملايين الناسِ اليوم في تركيا، وقد يعدّونها اسمًا آخر للإسلامِ، والإسلام براءٌ من النقشبندِيَّةِ والْمُسْلُمَانِيَّةِ براءةَ الذئبِ من دم يوسف.

[133] راجع: عبد المجيد بن محمد الخاني، السعادة الأبدية فيما جاء به النقشبندية Hakikat Kitabevi, İstanbul-1992

8) الفِرْقَةُ النقشبندية:

النقشبنديَّةُ: طَرِيقَةٌ صوفيةٌ، باطنيةٌ، قُبُورِيَّةٌ، تعود جزورُها إلى أيَّامِ عبد الخالق الغُجْدَوانِيّ (1103–1179م.) الذي وَضَعَ حَجَرَهَا الأَسَاسِيَّ وبناها على ثمانية مُصطلحاتٍ نَقَلَهَا مِنْ تعاليمِ الدِّيَانَاتِ الهندية، وَتَرْجَمَهَا إلى كلماتٍ مُرَكَّبَةٍ من العربية والفارسية وهي:

"هُوشْ دَرْدَمْ، نَظَرْ بَرْقَدَمْ، سَفَرَ دَرْوَطَنْ، خَلْوَتْ دَرْأَنْجُمَنْ، يَادْ كَرْدْ، بَازْ گَشْتْ، نِگَهْ دَاشْتْ، يَادْ دَاشْتْ."[134]

ثم ظهر بعده رجلٌ من الصوفية يُدعى محمد بهاء الدين البخاري (1318–1389 م.)، أضاف إلى هذه المصطلحاتِ ثَلاَثَ مُصْطَلَحَاتٍ أُخْرَى، وهي: وُقُوف زَمَانِي، ووُقُوف عَدَدي، وَوُقُوف قَلْبِي.

جاءت هذه المصطلحاتُ في عددٍ من مصادرِ النقشبنديَّةِ، منها كتابُ "تنوير القلوب في معاملة علاَّمِ الغيوب" لمؤلِّفِهِ محمد أمين الكُرْدِي الأربلي، يقول: "وَمَبْنَى هذه الطريقةِ العليّةِ على العمل بإحْدَى عَشْرَةَ كلمةٍ فارسيّةٍ: ثمانيةٌ منها مأثورةٌ عن حضرة الشيخ عبد الخالقِ الْغُجْدَوَانِيّ" (...) وبعدها ثلاثٌ عن الشيخ الأكبر السيد محمد بهاء الدين النقشبند. (...)"[135] وجاءت أيضًا في كتاب "البهجة السنية في آداب الطريقة النقشبندية" من مؤلفات محمد بن عبد الله الخاني.[136] وجاءت أيضًا في كتاب "السبع الأسرارا في مدارج الأخيار" لمحمد معصوم.[137]

---

[134] محمد أمين الكردي الأربلي، تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب ص: **565**، دار القلم العربي – حلب سوريا – **1991**م.؛ وص: **604** في نسخة دار الكتب العلمية – بيروت/**1995**م.

[135] محمد أمين الكردي الأربلي، تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب ص: **565**، دار القلم العربي – حلب سوريا – **1991**م.

[136] محمد بن عبد الله الخاني، البهجة السنية في آداب الطريقة النقشبندية، مكتبة الحقيقة ص.**54–57**، إسطنبول–**1996**م.

[137] محمد معصوم العمري، السبع الأسرارا في مدارج الأخيار، ص:**98**، راغب باشا كتبخانسي رقم: **2230** إسطنبول.

ورد بقلم الإستاذ الدكتور نَجْدَتْ طُوسُونْ أنَّ محمد بهاء الدين البخاري كان يعمل سيّافًا تحت إمرةِ السلطان (كازان خليل خان) ملك الدولة الجغطائية،[138] خَدَمَهُ في هذه المهنة ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سنةً، وَيَدَّعِي المؤرخون بأنَّ هذا الملك كان طاغيةً دمويَّةً يأمر بقتل الناسِ مُنْطَلِقًا من عَوَاطِفِهِ، وَمُنْتَهِكًا أحكامَ الشريعة الإسلامية.[139]

إنَّ الطريقةَ النقشبنديَّةِ تُعَدُّ من امتدادِ الحركةِ "الخْوَاجَكَّانِيَّةِ" الْمُسْتَمِدَّةِ من الديانةِ البوذيةِ. ويبدو من ذلك أنَّ الْغُجْدَوَانِيّ الذي اخْتَلَقَهَا كان بوذِيَّ النَّزْعَةِ. وإنما أُطلِقُ اسمُ "النقشبنديَّةِ" على التيار الخْوَاجَكَّانِيّ بعد قرنين من وفاةِ عبد الخالق الْغُجْدَوَانِيّ. والجدير بالذكر أن هذا التيارَ الصوفِيَّ لم يكن نِتاجًا لجهودِ الْغُجْدَوَانِيّ فحسبُ، بل ساهم أحمد اليسوِيُّ أيضًا في تأسيسه بالتعاون معه. إلاَّ أنَّ أحمد اليسوِيَّ كان شامانِيَّ المشرَبِ، وهذا الفرق بين عقيدةِ اليسوِيّ والْغُجْدَوَانِيّ لافتٌ للنظر، ومُثيرٌ للشكِّ فيما إذا اتفق الصديقانِ على تأسيس هذه الطريقَةِ الباطنيةِ كمؤامرةٍ لضرب الإسلامِ وتحريف قِيَمِهِ مستغِلّيْنِ اسْمَهُ وتَعَالِيمَهُ التي اقتبساها بغزارةٍ واستخدماها في إنشاءِ هيكل الطريقةِ، خاصّةً وأنَّ كلاً منها كان معتنقًا لديانةٍ غيرِ ديانةِ صاحبِهِ!

فالغريب أن اختلاف الصديقين في العقيدةِ لم يمنعهما من التعاون في تأسيس التيار الخْوَاجَكَّانِيّ.. هذا الذي يبرهن على أن الحركةَ الخْوَاجَكَّانِيَّةَ لم تكن مجرَّدَ طريقةٍ صوفِيَّةٍ تتبنَّى تربيةً روحِيَّةً لمن يرغب في اعتناقِها، بل كانت مؤامرةً انتقاميّةً ماكرةً استهدفت الإسلامَ في ثوبٍ إسلامِيّ مُزَخْرَفٍ لا صلة لها بحقيقة الإسلام. هذه التعميةُ لها دلائلُ واضحةٌ في تصرُّفَاتِ وأقوال كلٍّ من اليسوِيّ والْغُجْدَوَانِيّ.

أمَّا اليسوِيُّ، فإنَّ قِصَّةَ "آرْسْلاَنْ بَابَا Arslan baba" المروِيةَ عنه وحدها تكفي للكشفِ عن باطن هذا الرجلِ وسُوءِ طوِيَّتِهِ وموقفهِ المتهاون من سنةِ النبِيّ صلى الله عليه وسلم.. ورد نصها في بحثٍ للأستاذ الدكتور فؤاد كوبرولو يقول:

[138] **قُتِلَ الطاغية كازان خليل خان عام 1346م. على يد جماعةٍ من أمراء جنده.**

[139] المصدر: **Prof Dr. Necdet Tosun, Bahâeddîn Nakşbend, s:101, İnsan Yayınları, Altıncı baskı. İstanbul-2015**

"ولقد كان "آرْسْلاَنْ بَابَا" كما تروي الأسطورةُ واحدًا من أبرز المريدين الأفذاذِ، وأوسعِهم شهرةً بين أقرانهِ طُرًّا. وتقول بعض الروايات الأخرى: أنَّ هذه الأسطورةَ (أي آرْسْلاَنْ بَابَا)، عاشتْ أربعمائة سنة، وتذكر أخرى أنها عاشتْ سبعمائةَ سنة.

وقد وفد إلى تركستان في هذه الآونةِ الشيخ أحمد ليعمل بالإرشادِ والهداية، وكان يعتمد في تصوُّفِهِ على الإشارات الروحية الأخلاقِيَّةِ، وكان يقول: كيف أنَّ أصحابَ الرسول محمدٍ صلى الله عليه وسلّم في إحدى غزواته كانوا يتضورون جوعًا وآثروا البقاءَ في معيته، وبعد ذلك توسَّلوا إلى الرسول في بعضٍ من الطعامِ، فدعا الرسول الكريمُ ربَّه، وما لبث أن جاءَ جبريل الأمين وأحضر طبقًا من التمر، فوقعتْ تمرةٌ على الأرضِ، فقال جبريلُ عليه السلام: إنَّ هذه التمرةَ من نصيبِ واحدٍ من أُمَّتِكَ يُدْعىَ (أحمد يسوي). ولمَّا كانَ أداءُ الأمانةِ واجِبًا لأصحابها، فقد كلَّفَ النبِيُّ صلى الله عليه وسلّم واحِدًا من أصحابه ليتولّى هذه المهمَّةَ، ولكن لم يُجِبْ أحدٌ من أصحابِهِ قطُّ، فقال الرسولُ عليه السلام: إنَّ بابا أرسلان هو الذي سيقدر على تحمُّلِ هذه الأمانةِ لأنه موكَّلٌ برعايةِ رسالة محمدٍ صلى الله عليه وسلّم. ولهذا فقد أمسك الرسولُ محمدٌ صلى الله عليه وسلّم بالتمرةِ وَألقاها في فم أرسلان بابا، وأنعمَ عليها بِرُضَابِهِ الشريف المبارك، وعلى الفورِ ظهر غشاءٌ رقيقٌ فوقَ التمرةِ، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلّم لأرسلان بابا آمرًا إيّاهُ أن يتعهّدَ بتربيةِ وتعليمِ الشيخ أحمد يسوي حيثما وجده.

وبناءً على هذا الأمرِ جاءَ أرسلان بابا إلى (صَيْرَام) أو (يَسِي)، وبعد أن نفّذَ المهمّةَ التي أنيطتْ به أدركته المنيةُ في العام التالي. وقد ورد في ديوان الحكمةِ[140] أنه عندما أتاه قابض الأرواحِ كانت الحورُ العِينُ قد شقّتْ له كَفَنًا من سروالٍ حريريٍّ ثمَّ جاءَ سبعمائة ألفِ ملكٍ من السماءِ باكين منتحبين حيث حملوه إلى الجنة."[141]

***

انتشرت النقشبنديَّةُ انتشارًا واسعًا (بعد القرن العاشر الميلادِيّ) خاصَّةً في بلاد ماوراء النهر، لأنَّ مُؤَسّسَ هذه الطرقة الصوفية (محمد بهاء الدين) وأكثرَ شيوخِها هم من أصولٍ تركِيَّةٍ، خاصَّةً وأنَّ الديانةَ الْمُسْلُمَانِيَّةَ

[140] ديوان الحكمة كتابٌ منظومٌ من عمل أحمد اليسوي، يتكوّن من **144** حكمة ومناجاةٍ. كُتبه باللهجة الخْاقانية من فروع اللغة التركية القراخانية.

[141] الأستاذ الدكتور محمد فؤاد كوبريلي، المتصوفون الأولون في الأدب التركيّ، ص:**78**، **79**. ترجمة من اللغة التركية: عبد الله محمد إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة–**2002**م. القاهرة.

(Müslümanlik) التي اعتنقها الأتراك، قد بُنِيَت على أساسِ هذه الطرقة، وبينهما علاقةٌ وثيقةٌ تظهر بوضوحٍ عند البحثِ عن مسيرتهما التاريخية. ولا يخفي أنَّ للطَّريقةَ النقشبنديَّةِ تأثيرٌ بالِغٌ على مُعْتَقَدَاتِ الْمُسْلُمَانيّين (Müslümanlar)، حتى اليوم، ذلك أنَّ أهالِيَ الْمُدُنِ في بلاد التُّرْكِ كانوا بوذِيّين قبلَ الإسلام، فَعَلِقَتْ في نفوسِهِمْ كثيرٌ من معتقدات تلك الديانة، ثم أضافُوا إليها كثيرًا من تعاليم الإسلام والمسيحيةِ واليهودية، كما سجَّلَ هذه الحقيقةَ العلاَّمةُ الأستاذ الدكتور فؤاد كوبرولو في كتابه: "المتصوفة الأوّلون في الأدب التركي.[142]

أمَّا أهلُ الريف منهم، فأغلبُهم كانوا مُعتنقين للديانةِ الشَّامَانِيَّةِ، ولا تزال الطائفةُ العلويةُ الأناضوليةُ على هذه الديانةِ إلى اليوم. ثم تطوّرتْ "الخَوَاجَگَانِيَّةُ" الصوفيةُ عبر الزمان فسُمِّيَتْ بـ"الطريقةَ النقشبنديَّةِ" ربما بعد أيَّامِ مُؤَسِّسِها الثاني (محمد بهاء الدين البخاري)، الذي اشتهر فيما بعد بِلَقَبِ "شاه نَقْشَبَنْدْ".

وُلِدَ محمد بهاء الدين البخاري سنة **1318** م. أي بعد وفاة عبد الخالق الغُجْدَوانِيّ بمدةٍ قَدْرُهَا **142** عَامًا. ورغم ذلك يدَّعي النقشبديُّون أنَّ البخارِيَّ قد اتصل بالغُجْدَوانِيّ، واستمدَّ مِنْ روحانيَّتِهِ في عالم الأرواح، واستفادَ من علومه! ذلك أنهم يعتقدون بمخاطبة الأموات، وأن شيوخَهم قادرون على الاتصال الروحاني فيما بينهم، ولو كان بعضُهم قد ماتوا قبل مآت سنين، يسمون هذا الشكل من الاتصال بـ"الأُوَيْسِيَّةِ" وهي مُصْطَلَحٌ من أهم مصطلحات النقشبنديَّةِ. فيجب التنبيه بهذه المناسبةِ على أنَّ هذا المعتَقَدَ ليس من الإسلام في شيءٍ! بل هو معتقَدٌ قبورِيٌّ باطلٌ.

تتأكَّدُ الإشارةُ مرّةً أخرى إلى أنَّ الطريقةَ النقشبنديَّةَ هي القاعدةُ الأساسيَّةُ للديانة الْمُسلُمانِيَّةِ (Müslümanlik) التي يعتنقُها عامَّةُ الأتراكِ منذ قرونٍ إلى اليوم، وقد اعتنقها بتأثيرهم أقلّيَاتٌ تابعةٌ لهم مثل الأكرادِ، والعرب الأصليّين في تركيا، والجراكسةِ، واللازِ، والبُنطُسِيّين، والبوشنق... انْتَظَمَتْ في السنين الأخيرةِ جماعاتٌ من النقشبنديّين في أنحاء تركيا؛ أشهرُهَا: "جماعةُ مَلاَ عبد الحكيم البَلْوَانِسِي

[142] وهذا نص قوله: "وهكذا استمرّت حُكمُ المذاهبِ والطُرُقِ الصوفية المتباينةِ باسِطًا نفوذَهُ في شتّى أطرافِ الممالك الإسلامية فيما بين القرنين الخامس والسادس الميلادِيَّيْنِ، وقد ترك الحُكّامُ الساحةَ رحبةً فسيحةً لتلك المذاهب والمشارب حتى تنموَ وتتطوَّرَ وذلك بفضل شغفهم الشديد وولوعِهم بهذه النزعة الصوفية الجديدة. وكانت غلبة النزعة الصوفيةِ التي طوّقت أرجاءَ العالَمِ الإسلامِيِّ هي أوَّلَ شيءٍ يشدُّ الأنظارَ ويدعو للتَّأمُّلِ، إذ انحصرَ تأثيرُ إيران والهند واليونان والنصرانية ولم يعد له وجودٌ قَطُّ في عصور الإسلام المبكِّرة على الرغم من تنامي هذا التأثير وازديادِ نفوذه في العصور المتأخرة للإسلامِ. وكانت طريقةُ التصوُّفِ التي تشكّلتْ قد اجتاحت ممالكَ العالَمِ الإسلامِيِّ بِأسرهِ في زمنٍ قليلٍ مشروطةً بقبول الإسلام أوَّلاً ومتأثّرةً بالعناصر الدخيلةِ الأُخرى المشابهةِ إليها..." المصدر: المتصوفة الأوّلون في الأدب التركي، محمد فؤاد كوبريلي، ص:**62**. كتبه باللغة التركية، وترجمه إلى العربية عبد الله أحمد إبراهيم.

الكردي" التي تُمَثِّلُ الأسرةَ الخزنَوِيَّةَ الْمُتَوَطِّنَةَ في شمال سوريا. اتَّخَذَتْ هذه الجماعةُ من قريةِ "مَنْزِل" مَقَرًّا لها منذ أربعين سنةً بعد أن كانت تَكِيَّتُها في قرية "قَسْرِكْ" قُربَ مدينة بَدْلِيس (Bitlis). غير أنَّ العصابةَ الإرهابيةَ (PKK) اتَّهَمَتْهَا بالخيانةِ (بأنها تعمل على صهر الأكرادِ في بوتقة الأتراك باستغلال الطريقةِ النقشبنديَّةِ، وهي من القِيَمِ الدينية المشتركة بين الأكراد والأتراك).. ولَمَّا اتخذتْ عصابةُ (PKK) من هذه الجماعةِ هدفًا: "بأنها تعمل على محو الشعور بالقومية الكردية في المنطقةِ على حساب الحكومة التركية"، قام جهاز الاستخبارات والمباحث التُّرْكيِّ بنقل هذه الأسرةِ إلى القريةِ المذكورةِ آنفًا. وهي على مقربة من ولاية (آدِيمَانْ Adıyaman)

***

مَرَّ التيارُ النَّقْشَبَنْدِيُّ بِعِدَّةِ مَرَاحِلَ عَبْرَ تاريخهِ فتأثَّر بظروفها كأي فلسفةٍ أو عقيدةٍ، فَطَرَأَتْ عليه تغيُّراتٌ وانبثقتْ منه فروعٌ بتوجيهِ بعضِ شيوخِهِ الذين تميّزوا بهيبتهم وهيمنتهم على نفوسِ المريدين، كعبيد الله الأحرار، وأحمد السرهنديِّ، وخالد البغداديِّ..

قيل تَغَيَّرَتْ اسمُ هذه الطريقة في عهدِ كلِّ مَنْ حِظِيَ شهرةً واسعةً من الشيوخ؛ فاتخذتْ اسمَ "الطَّيْفُورِيَّةِ" في عهد بايزيد البسطامي (804–874 م.)، ثم أُطْلِقَ عليها اسمُ ""الخَوَاجَگَانِيَّةِ" في عهد عبد الخالق الغجدواني (1103–1179 م.)، ثم أخذتْ اسمَ "النَّقْشَبَنْدِيَّةِ" بعد مدّةٍ من وفاة محمد بهاء الدين البخاري (1318–1389 م.)، ثم عُرِفَت بـ"الأَحْرَارِيَّةِ" في عهد عبيد الله الأحرار (1403–1490 م.)، ثم بـ"الْمُجَدِّدِيَّةِ" في عهد أحمد الفاروقي السرهندي (1564–1624 م.)، ثم بـ"المظهرية" في عهد شمس الدين مظهر جانِ جَانَانْ (1701–1781 م.)، ثم بـ"الخالدية" في عهد خالد البغدادي (1777–1827 م.)، ودامت هذه التسميةُ إلى اليوم.[143]

لقد نهض أعدادٌ من المفتتنين بشيوخ النقشبندية، فقاموا بتأليف ركامٍ من الكتب، حشدوا في بطونها ما يحتار لها العقول من قصص الكرامات والعجائب والخوارق التي ظهرت من أولئك الشيوخ (على حد

[143] راجع: محمّد أسعد الصاحب، بغية الواجد ص/48 ؛ الرقعة الثالثة والأربعون، مطبعة الترقي دمشق–1334هـ. نسخة دار الكتب العلمية ص:53، 54 بيروت–لبنان

اعتقادِهم)، كلها أساطيرُ خرافيةٌ تدلُّ على كفرهم، وتبرهن على أنهم كانوا زنادقةً محترفين أرادوا في الواقع تقويةَ الديانة الْمُسلُمانيَّةِ وإحكامَها حَجْرًا على الإسلامِ وسدًّا لانْتِعَاشِهِ حتى لا يَقْفِزَ إلى الساحة التركية فيطغى على هذه الديانة الْمُخْتَلَقَة! وقد يُطْلِقُونَ كلمةَ "المكاشفة" بمعنى "الكرامة" تعبيرًا عن وصف الشيوخ بعلم الغيب، وذلك من معتقداتهم الباطلة، "قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ."[144] وهذه أمثلةٌ من قصص الكرامات (المزعومة) للشيوخ النقشبندية:

وردت في موسوعةٍ للنقشبديّين قصةُ كرامةٍ للشيخ عبيد الله الأحرار وهذا نصها:

"رُوِيَ عن مولانا نظام الدين يقول: كان الموسم شتاءً قاسيًا في أقصر أيامه، وكنتُ مع الشيخ عبيد الله الأحرار ننتقل من قرية إلى أخرى. فَصَلَّيْنَا العصرَ في الطريق. ثم بدأتْ الشمسُ تقترب من الأفق وهي على وشك من الغروب. كانت وُجْهَتُنَا بعيدةً جدًا، ولم يكن ثَمَّ أيُّ أملٍ في الوصول إليها قبل وقتٍ متأخّرٍ من الليلِ. ولم يكن هناك مكان نأوي إليه. بدأتُ أفكِّرُ في نفسي: "الوجهةُ بعيدةٌ، والوقتُ مساءٌ، والطريقُ مروِّعٌ، والجوُّ باردٌ جدًّ، لا يوجد مكانٌ نحمي فيه أنفسَنا من البرد... كان الشيخ عبيد الله الأحرار يحمل حصانَهُ على الجَرْيِ بأقصى سرعةٍ، ولم يُبدِ أيَّ قلقٍ. وعندما جرت هذه الخطراتُ في ذهني، الْتَفَتَ الشيخ إليَّ وسألني: "هل أنت خائفٌ؟" لكنّي التزمتُ الصمتَ. فقال عليك بِحَثِّ راحِلَتِكَ على السرعة وواصل السيرَ، ربما نصل إلى وُجْهَتِنَا قبل غروب الشمس." فبدأنا نَحُضُّ خيولنا بقوة. ثم بعد أن قطعنا مسافةً طويلةً، لاحظتُ أن الشمس قد ثبتتْ على خط الأفقِ، لا تكادُ تغرُبُ. فلم تلبث على هذه الحالةِ من ثبوتها حتى اقتربنا من القرية. وبمجرد دخولنا بين مبانيها غَمَرَنَا ظلامٌ دامسٌ، كما لو أنْ الشمس قد انطفأت فُجأةً."[145]

نقل عبدُ المجيد الْخَانِيُّ عن أحمد الفاروقي السرهنديّ (وهو من مشاهير شيوخ النقشبنديةِ)، نقلَ عنه كلامًا يقصُّ فيه السرهنديُّ قصةً عجيبةً من كراماته، يقول: "كثيرًا ما كان يُعْرَجُ بي فوق العرش المجيد، ولقد عُرِجَ بي مرة، فلما ارتفعتُ فوقَ العرشِ بقدر ما بين مركز الأرض وبينه رأيت مقامَ الإمام شاه نقشبند،

---

[144] النمل/65

[145] المصدر: Türkiye Gazetesi, İslâm Âlimleri Ansiklopedisi, 13/118. Tarihsiz-İstanbul.، ترجمة إلى العربية: فريد صلاح الهاشمي.

رضي الله عنه، ورأيت فوق ذلك قليلًا مقامات بعض المشايخ، منهم الشيخ معروف الكرخي، والشيخ أبو سعيد الخراز رضي الله عنهما، والبعض في مقامه، وتحته الشيخ نجم الدين الكبرى، والشيخ علاء الدين العطار، وسائر المشايخ دونه..." إلى أن قال: "واعلم أني كلما أريد العروج يَتَيَسَّرُ لي وربما يقع من غير ما قَصْدٍ."[146]

يضيف السرهنديُّ إلى كراماته قصصًا غريبةً أخرى، منها قوله: "كُشِفَتْ لي خفايا المتشابهات القرآنيةِ وأسرارُ المقطعات الفرقانية، فوجدتُ تحتَ كلِّ حرفٍ منها بحرًا من العلوم الدالةِ على الذات العليةِ لو أظهرتُ شيئًا منها لَقُطِعَ منّي الحلقوم."[147]

يقول السرهنديُّ أيضًا: "أَطْلَعَنِي اللهُ على أسماءِ مَن يدخلون في سِلْسِلَتِنَا من الرجال والنساءِ إلى يوم القيامة.(يقصد من يعتنقون عَقِيدَتَهُ، وَيَنْضَمُّونَ إلى الطريقة النقشبندية)".[148]

ينقل الخانيُّ قصةً أخرى من كراماته، فيقول: "قصد رجلٌ زيارَتَهُ من بلاد شاسعةٍ، فأتى سِرْهِنْدَ ليلًا وبات عند أحد المنكرين على الشيخ قدّسَ اللهُ سرَّهُ وهو لا يشعر، فساله عن سبب شخوصِهِ إلى سِرْهِنْدَ، فقال له جئتُ لزيارة الشيخِ، فجعل يطعن فيه، فلما رأى الرجلُ ذلك خافَ وصار يستغيثُ به قُدِّسَ سِرُّهُ، ويقول في سِرِّهِ: يا سيدي إني جئتُ لطلبِ الحَقِّ وهذا يصدُّني عنه، ثم نامَ، فلما كان وقتُ الفجرِ إذا بصاحب البيت قد مات ليْلًا، فأسرع الرجُلُ إلى الشيخِ وأراد أن يعرض عليه الخبرَ، فنظر إليهِ وتبسَّمَ وقال: ما مضى في الليلِ لا يُذْكَرُ في النهارِ."[149]

لقد حَشَدَ فِرَقُ الصوفيةِ في بطون مُجَلَّدَاتٍ من كُتُبِهِم آلافًا من أمثال هذه الحكايات الباطلةِ والأكاذيب، كما مَرَّتْ أمثلةٌ منها آنفًا. لم يتورّعوا من ارتكاب مفترياتٍ على الله وعلى رسوله، وعلى كتابه بطرُقٍ

---

[146] عبد المجيد الخاني، الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية، ص:**181**، دار الطباعة العامرة سنة **1308**هـ.

[147] المصدر نفسه.

[148] المصدر نفسه ص: **182**.

[149] المصدر نفسه ص: **182**.

وأساليبَ ملتويةٍ خطيرةٍ. بل نسجوا دياناتٍ مُرَكَّبَةً من مختلف أشكالِ الكفريات، كالنقشبنديةِ، والقادريةِ، والرفاعيةِ، والأسمريَّةِ، والشَّطَّاريَّةِ، والدِّيُوبَنْدِيَّةِ، والْمَوْلَوِيَّةِ، والشاذليةِ والأكبريةِ والسَّهْرَوَرْدِيَّةِ وغيرِها... أرادوا بذلك هدمَ الإسلامِ انتقامًا من خلفاء الأمةِ وحُكَّامها الذين فتحوا بلادَهم، وقضوا على حكوماتهم، وأجبروهم على دفع الجزية عن يدٍ وهم صاغرون. فامتلئوا حقدًا على الإسلامِ، وأخذوا يبحثون عن التخلُّصِ من تلك الذلةِ، فوجدوا في التصوُّفِ سُبُلًا من ألوان المكر والخداعِ والخيانةِ والتعميةِ ما لم يتوقّعوها ولم يخطر على بالهم من ذي قبلٍ، فدوّنوها تحتَ مسمَّيَاتٍ غريبةٍ عجز العلماءُ عن ردها، وطاشتْ عقولُهُم لَمَّا وجدوا أمامهم سيلاً عارمًا يجري عبره ضروبًا من حقٍ وباطلٍ وهي متداخلةٌ مختلطةٌ، فحاروا في تنقية ما لا يُحصى من مفردات الحقّ وتطهيرها وتجريدها وهي مندمجةٌ في مستنقعات الباطلِ. فقد حار بعض العلماءِ في وجه هذه العقبة الخطيرةِ وارتبك حتى وقع هو الآخر في طين الشرك فعاد يمدح الزنادقةَ كما حدث للجلال السيوطي إذ يمدح رئيسَهم بقوله: "وروى عَن قدوة الْأَوْلِيَاء خواجه بهاء الدّين نقشبند رضي الله عنه انه أَمر أَهله ان يخبزوا ارغفتهم من دَقِيق غير منخول فَمَا فعلوا ذَلِك عدَّة أَيَّام وجدوا من ذَلِك الوجع فِي بطونهم فَمَا وافقهم فَقَالَ رضي الله عنه ردوا على مَا كُنْتُم عَلَيْهِ فإنَّا لَا نُطيق اتِّبَاع السّنة على وَجه الْكَمَال وَقد تركنَا الْأَدَب فِي ذَلِك حَيْثُ قصدنا الِاتِّبَاع فِي كل من أُمُوره صلى الله عليه وسلم"[150] كذلك ابن حجر الهيتميّ تورّطَ هو الآخر في الخطأ نفسِهِ لجهله بحقيقة هذا التيار الصوفي فقال: "الطريقة العلية السالمة من كدورات جهلة الصوفيّة، وهي الطريقة النقشبنديّة."[151] فأثارت حيرةُ العلماءِ هذه الجُرأةَ في نفوسِ الزنادقةِ ودفعتهم إلى مزيدٍ من محاولات الإرباكِ لعقول المسلمين، فزينوا لهم الشركَ والإلحادَ في ثوب الكرامات، وطقوسِ الكفرةِ ومناسكهم.

***

للنقشبنديّين معتقداتٌ وطقوسٌ لا تمتُّ بصلةٍ إلى الإسلام أبدًا، وهذه نبذةٌ منها:

يعتقدون بأنَّ الرسولَ صلى الله عليه وسلّم أودعَ سِرًّا من أهمِّ أسرارِهِ عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثم نقله الصدّيقُ إلى سلمان الفارسي، ومنه انتقل إلى عدد ممن توالوا بعده (وهم ثمانيةٌ وعشرون شخصًا

[150] شرح سنن ابن ماجه للسيوطي وغيره. ص239

[151] قد اقتبس محمّدُ بنُ عبدِ اللهِ الخانيُّ هذهِ العبارةَ من الفتاوى الحديثيةِ لابنِ حجرٍ الهيتميِّ من الصفحة 240

من أبي بكر الصديق إلى خالد البغداديِّ)، وقد وَرَدَ ذكرُهم في بعض مصادر النقشبندية بنفس الترتيب، منها كتاب "تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب". اختلقوا هذه الأكذوبةَ افتراءً على النبيِّ وعلى خليفته أبي بكر الصديق، وصاحبه سلمان الفارسي وعددٍ من التابعين وأهل البيت ليزيِّنوا بذلك أباطيلَهم في نظر الناسِ، والواقع أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم ليس له ولا لهؤلاءِ الشخصياتِ أيُّ علاقةٍ بهذه السلسلة المكذوبةِ التي يسمونها بـ "السلسلة الذهبيةِ"[152]

أمَّا انتقالُ السرِّ المزعوم، وتوالي "عهدِ الطريقةِ" بالترتيب من لَدُنْ أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى مشايخ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ الأقدمين والمعاصرين عبر هذه السلسلة (على حد ادِّعَاءِهِمْ)، فكلامٌ لغوٌ وكذِبٌ محضٌ، لم يرد ذلك إطلاقًا في أيِّ مصدرٍ من مصادر العلوم الإسلامية من أصولٍ وفروعٍ صدرت بأقلام العلماءِ في شتى شُعَبِ الفنون من عقيدةٍ وحديثٍ وتفسيرٍ وفقهٍ، ولا في كتابٍ من كتب التاريخ والسِّيَرِ والأخلاقِ والفتاوى، ولا أَثَرَ لِذكرِ أسماءِ هؤلاءِ الشيوخِ (المذكورين بعد الإمام جعفر الصادق)، في تراجُمِ الرجالِ، كما لم يردْ اسمُ أحدٍ منهم في كُتُبِ الأنْسَابِ ولا في طبقةٍ من طبقاتِ المحدثين، أو الفقهاءِ، أو المفسّرين وغيرها. لأنهم لم يكونوا أصلاً من أهل العلم والفضل، بل كانوا جماعةً من الدَّجَاجِلَةِ الْمُشَعْوِذِينَ، والزنادقةِ الْمُتَوَغِّلِينَ فِي الإلحاد والأباطيل، كما سيتبيّنُ ذلك بوضوحٍ من خلالِ ما سوف نَنْقُلُهُ عبرَ المقاطعِ الآتيةِ من قصصِ شطحاتِهم وكفرياتِهم إن شاء الله تعالى. وإنما تَنَطَّعَ بعضُ المتحزلقين من رموز الصوفيةِ، فقامَ بترتيب هذه الأسماءَ في قائمةٍ وأعلن أنهم من أولياءِ الله لمحض الدعايةِ ولتعمية الناسِ، وصدّهم عن الثقةِ بعلماء الإسلامِ.

من الغريب أن هذا السرَّ انتقل من شخصٍ إلى آخر فردًا فردًا (على حد اعتقادهم)، حتى وصل إلى قلب خالد البغداديِّ، غير أن البغداديَّ نقله إلى آلافٍ من خُلَفَائِهِ، ولا يتحدثُ النقشبنديون عن سبب ذلك، لِمَا أنَّ خالدًا كان شخصيةً مقدّسةً لا يُسأل عما يفعل في معتَقَدِهِم! كما سيأتي تفصيلُ ذلك فيما نقدّمُ لاحقًا من سيرة خالد البغداديِّ إن شاء الله تعالى.

***

[152] محمد أمين الكردي الأربلي، تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب ص: 559، دار القلم العربي – حلب سوريا – 1991م

مما يُلفتُ الانتباهَ من طبائع النقشبنديّين وسلوكياتهم أنهم يتهاونون بالوسطيةِ ويستخفون بالكتاب والسنةِ والإسنادِ. من أبرز علاماتهم؛ إذا تُلِيَتْ آية من القرآن الكريم، أو ذُكِرَ حديثٌ من أحاديث الرسول (ص) عندهم، ترى معالم الامتعاضِ والكراهيةِ تعلو وجوهَهُمْ، وقد يعترض بعضهم قائلاً: "هذا الذي تقوله قد سمعناه ونعلمه، أما الآن علينا أنْ نَغْتَنِمَ الاستماعَ لكراماتِ مولانا الشيخ، قدّس الله سرَّهُ وأفاضَ علينا من بركاته، لنا فيها دروسٌ وعِبَرٌ وأسرارٌ، تلين لها القلوب وتندهش لها العقول!". لقد أشار الله جلّتْ عظمتُهُ إلى هذه الطائفة الكافرةِ وأمثالِها في كتابه العزيز بقوله: "وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ."[153]

لقد دَأَبَ هؤلاءِ قديمًا ولا يزالون يصرّون على الإفراطِ والتفريطِ والخلطِ والهفوةِ والشَّطَحِ والمبالغةِ والكذبِ والفريةِ والتلاعبِ بالألفاظِ وهي تجري جنبًا إلى جنبٍ في خطابهم، وكلماتهم، ومقالاتهم، وتصرّفاتهم... ذلك لأنهم لا يحترمون مُقَدَّسًا، ولا يرجون لله وقارًا، ولا يخافون بَأْسَهُ وَنِقْمَتَهُ. يبرهن على هذه الحقيقة ما جاء في (الحدائق الوردية) نقلا عن الشيخ صلاح مؤلف مناقب (نقشبند) يقول: «كان سيدنا البهاء قدّس الله سرّه يومًا مع أصحابه فقال: "إن التعلُّقَ بالسِّوى حجابٌ عظيمٌ للسالك" قال: فخطر ببالي ساعتئذٍ أنَّ التعلُّقَ بالإيمان والإسلام أيضًا كذلك. قال: فالتفتَ في الحال اليَّ وتبسَّمَ ثم قال: أما سمعتَ قولَ الحلاجِ قدّس الله روحه:

كفرتُ بدين الله والكفرُ واجبُ * لديّ وعند المسلمين قبيح"[154]

مع هذا الكفر الفاحش يزعمون أنهم مُتَمَسِّكُونَ بالكتابِ والسنةِ كذبًا وزورًا، كما ورد بقلم أحد أدبائهم (عبد المجيد بن محمد لخاني) يقول: "اعلَمْ أن الطريقة العلية النقشبندية قدّس الله أسرار سُراتها النديّة هي طريقة الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم على أصلها لم يزيدوا فيها ولم يُنقصوا منها..."[155] ولا يستقيم هذا الادعاءُ الجريءِ مع الواقع بشهادتهم بالذات فيما حشدوا ضمم مجلدات من كتبهم ومقالاتهم من

---

[153] سورة الزمر: 45

[154] عبد المجيد بن محمد الخاني، الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية،ص:134، دار الطباعة العامرة سنة 1308هـ. نسخة دار ئاراس للطباعة والنشر ص:190 كردستان العراق.

[155] عبد المجيد بن محمد الخاني، الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية،ص:3، دار الطباعة العامرة سنة 1308هـ. نسخة دار ئاراس للطباعة والنشر ص:7 كردستان العراق.

الأباطيل. منها: أنهم يؤلّهون شيوخهم مع ما يرون فيهم من التمرُّد على الله، وأحيانًا يرفعونهم إلى مرتبة الأنبياء كما يقول عبد المجيد بن محمد الخاني في مدح محمد بهاء الدين (شاه نقشبند): "فلو لم تُختَم النبوةُ لكان نبِيًّا، فأعظِمْ به من مجدّدٍ خفق قلب الخافقين فرحًا به، وأصبحت أكاسرة الملوكِ وقوفًا في رحابه، وملأ صيتُ إرشادِهِ الملا، فلا وربِّكَ لم يبقَ أحدٌ إلاَّ استمدَّ من إمدادِهِ حتى وحوشُ الفُلا..."[156] تَحَزْلَقَ الخاني بهذا القول الشنيع غير مبالٍ بما وقع فيه من الكفر البواحِ مما يدل على مدى عاطفية النقشبنديّين كيف يضربون كتاب اللهِ وسنة رسوله عُرضَ الحائط. والحقيقة، أنَّ محمد بهاء الدين البخاري هذا، لم يكن إلاَّ رجلاً مسكينًا صعلوكًا، دنِيءَ الشأن، واقفًا على باب طاغيةِ الدولةِ الجْغَطَائِيَّةِ يتقوَّتُ على سَيْفِهِ الذي ضرب به الأعناقَ ثنتي عشرة سنةً، لعلَّ أكثرهم كانوا أبرياء، والله وحده يعلم عاقبةَ هذا الرجل المجهول كيف قضى نحبه.

لقد ذكر محمد أمين الكرديُّ الأربليُّ السلسلةَ المزعومةَ في كتابه "تنوير الاقلوب"، إعلامًا بأنه مُجازٌ بصفة المشيخة، فقال في مستهل القائمة: "ينبغي للمريدين أن يعرفوا نسبةَ شيخهم ورجالَ السلسلةِ كلِّها من مرشدهم إلى النبي صلى الله عليه وسلّم، لأنهم إذا أرادوا أن يطلبوا المدد من روحانيّتهم، وكان انتسابهم إليهم صحيحًا حصل لهم المدد من روحانيتهم. فمن لم تتَّصلْ سلسلتُهُ إلى الحضرة النبوية فإنه مقطوع الفيضِ ولم يكن وارثًا لرسول الله صلى الله عليه وسلّم، ولا تُؤخَذُ منه المبايعةُ والإجازةُ"[157] يُطلِق

---

[156] عبد المجيد بن محمد الخاني، الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية،ص:**125**، دار الطباعة العامرة سنة **1308**هـ. نسخة دار ئاراس للطباعة والنشر ص:**180** كردستان العراق.

[157] محمد أمين الكردي الأربلي، تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، ص: **559**، دار القلم العربي، سوريا–حلب **1991**م.

ثم أضاف المؤلف أسماء مشايخه فقال: "قد تشرّفت بأخذ العهد والإجازةِ بالتوجُّه، ثم الإرشادِ وتلقين الذكر بعد السلوك أعوامًا في الطريقة النقشبندية من القطب الأرشد والغوث الأمجد شيخنا وأستاذنا (الشيخ عمر) قُدِّسَ سِرُّهُ، وهو عن أبيه سراج الملة والدين (عثمان) قُدِّسَ سِرُّهُ، وهو عن ضياء الدين ومولانا (خالد) قُدِّسَ سِرُّهُ، وهو عن العارف بالله (عبد الله الدهلوي) قُدِّسَ سِرُّهُ، وهو عن العارف بالله (شمس الدين مظهر جان جانان) قُدِّسَ سِرُّهُ، وهو عن العارف بالله (نور محمد البدواني) قُدِّسَ سِرُّهُ، وهو عن العارف بالله (محمد سيف الدين) قُدِّسَ سِرُّهُ، وهو عن العارف بالله (محمد معصوم) قُدِّسَ سِرُّهُ، وهو عن والده الإمام الرباني (أحمد الفاروقي السرهندي) قُدِّسَ سِرُّهُ، وهو عن العارف بالله (محمد الباقي) قُدِّسَ سِرُّهُ، وهو عن العارف بالله (محمد الخواجكي الأمكنكي) قُدِّسَ سِرُّهُ، وهو عن العارف بالله (درويش محمد السمرقندي) قُدِّسَ سِرُّهُ، وهو عن العارف بالله (محمد الزاهد) قُدِّسَ سِرُّهُ، وهو عن العارف بالله (عبيد الله الأحرار) قُدِّسَ سِرُّهُ، وهو عن العارف بالله (يعقوب الجرخي) قُدِّسَ سِرُّهُ، وهو عن العارف بالله (محمد علاء الدين العطار) قُدِّسَ سِرُّهُ، وهو عن إمام الطريقة وغوث الخليقة العارف بالله (محمد بهاء الدين البخاري) المعروف بشاه نقشبند قُدِّسَ سِرُّهُ، وهو عن العارف بالله السيد (أمير كلال) قُدِّسَ سِرُّهُ، وهو عن العارف بالله (محمد بابا السماسي) قُدِّسَ سِرُّهُ، وهو عن العارف بالله (علي الرامتني) قُدِّسَ سِرُّهُ، وهو عن العارف بالله (محمود الإنجير فغنوي) قُدِّسَ سِرُّهُ، وهو عن العارف بالله (عارف الريوكري) قُدِّسَ سِرُّهُ، وهو عن العارف بالله (عبد الخالق الغجدواني) قُدِّسَ سِرُّهُ، وهو عن العارف بالله (أبي يعقوب يوسف الهمداني) قُدِّسَ سِرُّهُ، وهو عن العارف بالله (أبي علي الفضل الطوسي الفارمدي) قُدِّسَ سِرُّهُ، وهو عن العارف بالله (أبي الحسن الخرقاني) قُدِّسَ سِرُّهُ، وهو عن العارف بالله (أبي يزيد البسطامي) قُدِّسَ سِرُّهُ، وهو عن الإمام (جعفر الصادق) رضي الله عنه، وهو عن العارف بالله (قاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق) رضي الله عنه، وهو عن الصحابي الجليل (سلمان الفارسي) رضي الله عنه، وهو عن سيدنا (أبي بكر الصديق) رضي الله عنه، وهو عن النبي صلى الله عليه وسلم." المصدر: محمد أمين الكردي الأربلي، تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، ص: **559**، دار القلم العربي، سوريا–حلب **1991**م.

النقشبنديون اسمَ "السلسلةِ الذهبيةِ" على هذه القائمةِ وَيَتَبَرَّكُونَ بذكرِ الأسماء التي فيها، وذلك أثناءَ حفلةٍ من طقوسهم، يسمونها "خَتْمْ خَوَاجَگَانِ."

ومن معتقداتهم: أنَّ كلَّ إنسانٍ يجب عليه أنْ يتَّخذَ شيخًا في الطريقةِ. ورد في مصنفاتهم: "مَنْ لا شيخ له فشيخُهُ الشيطانُ. ومتى كان شيخُهُ الشيطانُ كان في الكُفرِ حتى يتّخذَ له شيخًا متخلِّقًا بأخلاقِ الرحمن"[158]

ومن معتقداتهم: أنهم يرون تلقّيَ الدّينِ قد يكون من الأموات، أو من الله بلا واسطة الرسول، وقد يكون بالذوق والمواجيد. وفي ذلك قال أحمد السرهندي: "واعتقدوا الأذواق"[159]

وقال حسين الدوسري في هامش «المكتوبات» للسرهنديّ ما نصُّهُ: "علومهم حاصلة من الحق بلا واسطة". ونُقِلَ أيضًا من أقوال أبي يزيد البسطامي وهو ينعى على علماء الشريعة مفاخرًا أهل النظر: "أخذتم علمكم ميتًا عن ميتٍ، وأخذنا عِلْمَنَا عن الحيِّ الذي لا يموت"[160].

ومن أهم معتقدات النقشبنديين الحلولية والوجودية. تختلف عقيدهم عن عقيدة أهل السنة والجماعة اختلافًا جذريًا، حيث يفترقون عن أهل التوحيد الخالص من المسلمين بِنَظْرَتِهِمْ إلى الكون، وبإِطْلاَقَاتِهِمْ في التعبير عن الوجودِ الكليّ، والعلاقةِ بين الخالق والمخلوق؛ إذ يرون أنَّهُما مندمجان في الوجود الواحد. يبرهن على هذا الاعتقاد عند النقشبنديَّةِ كلماتٌ للسرهنديِّ، وهذا نصها:

"اعلم أن التوحيد الذي يظهر في أثناء طريق هذه الطائفة العلية على قسمين: توحيدٌ شُهُودِيٌّ، وتوحيدٌ وُجُودِيٌّ. فالتوحيدُ الشهوديُّ: هو مشاهدةُ الواحدِ، يعني لا يكون مشهودُ السالكِ غيرَ واحدٍ. والتوحيدُ الوجوديُّ: هو أنْ يعلمَ السالكُ ويعتقدَ الموجودَ واحداً، وأنْ يعتقدَ أو يظُنَّ غيرَهُ مَعْدُومًا، وأنْ يزعمَ الغيرَ

[158] محمد بن عبد الله الخاني، البهجة السنية في آداب الطريقة العلية الخالدية النقشبندية ص:**47**.

[159] أحمد الفاروقي السرهندي، الدرر المكنونات، ص**211**.

[160] محي الدين بن عربي، ذخائر الأعلاق، ص**153**؛ عبد الوهاب الشعراني، الجواهر والدرر، ص **286** ، هامش الرسالة القشيرية ج**1** ص**88** وغيرها من الكتب الكثيرة.

مع اعتقادِ عَدَمِيَّتِهِ مَجَالِيْ ذلك الواحدِ وَمَظَاهِرَهُ."[161] ثم يضيف السرهندي توضيحًا لا يترك الشك في هذا المعتقد، وهذه كلماته:

"اعلم أنَّ العنايةَ الإلهيةَ جذبتْني جذب المرادين أولاً، ثم يَسَّرَتْ لي طيَّ منازلِ السلوك ثانيًا، فوجدت الله عين الأشياء، كما قاله أرباب التوحيد الوجودي من متأخري الصوفية، ثم وجدتُ اللهَ في الأشياء من غير حلولٍ وسريانٍ، ثم وجدتُهُ سبحانه معها بمعيةٍ ذاتيةٍ، ثم رأيتُهُ بعدَها ثم قبلَها، ثم رأيتُهُ سبحانه وما رأيتُ شيئًا. وهو المعني بالتوحيد الشهوديّ المُعبَّرِ عنه بالفناء، وهو أول قدم توضع في الولاية، وأسبق كمال في البدايةِ. ثم ترقَّيْتُ في البقاء وهو ثاني قدم في الولاية فرأيت الأشياء ثانيًا، فوجدتُ اللهَ تعالى عينَها، بل عَيْنَ نفسي، ثم وجدتُهُ تعالى في الأشياءِ بل في نفسي، ثم قبلَ الأشياءِ بل قبل نفسي، ثم بعدَ الأشياءِ بل بعدَ نفسي، ثم رأيتَ الأشياءَ وما رأيتَ اللهَ تعالى أصلاً وهي النهاية."[162] هذا هو معنى "الفناءِ" عند النقشبنديّين، كما صرَّحَ به الربانيُّ في كلماته المذكورةِ، وقد أيَّدَهُ محمد أسعد صاحب زاده بتعريفه لمفهوم "الفناءِ"، وهذه عباراته الواردةُ في كتابه "بغية الواجد":

"اعلم أن الفناءَ يُطْلَقُ على ثلاثة معانٍ: الفناءُ عن وجود السِّوَى، والفناءُ عن شهود السِّوَى، والفناءُ عن إرادة السِّوَى..

فأمَّا الفناءُ عن وجود السِّوَى: "فهو فناءُ القائمين بوحدةِ الوجودِ وأنه ما ثَمَّ غيرُ، وأنَّ غايةَ العارفين والسالكين: الفناءُ في الوجودِ المطلَق، ونفيُ التَّكَثُّرِ والتَّمَدُّدِ عن الوجودِ بكلِّ اعتبارٍ، فلا يشهدُ (السالكُ) غيرًا أصلاً، بل يشهدُ وجودَ العبدِ عَيْنَ وجودِ الرَّبِّ، بل ليس عندَهم في الحقيقةِ ربٌّ وَعبدٌ. وفناءُ هذه الطائفَةِ في شهود الموجودِ كلِّهِ، وهو الواجب بنفسِهِ، ما ثَمَّ وجودَانِ ممكنٌ وواجبٌ. ولا يُفَرِّقونَ بينَ كونِ وجودِ المخلوقاتِ بالله وبين كونِ وجودِها هو عينُ وجوده. وليس عندهم فرقٌ بين الْعَالَمِينَ وربِّ الْعَالَمِينَ، ويجعلون الأمرَ والنهيَ للمحجوبين عن شهودِهم وفنائِهم. المحجوبُ عندَهم: مَنْ يشهدُ أفعالَهُ طاعاتٍ أو معاصِيَ، لأنه في مقام الفرقِ، فإذا ارْتَفَعَتْ درجتُهُ عندهم فلا طاعةَ ولا معصِيَةَ، بل ارتفعت الطاعاتُ

---

[161] أحمد الفاروقي السرهندي، الدرر المكنونات، ص**56**.

[162] عبد المجيد الخاني، الأنوار القدسية في مناقب السادة النقشبندية، ص:**181**.

والمعاصي لأنها تَسْتَلْزِمُ اثنينيةً وتعدُّدًا، وَتَسْتَلْزِمُ مُطِيعًا وَمُطَاعًا، وعاصِيًا ومعصِيًا. وهذا عندهم محض الشرك."[163]

وهنا جدير بالتنبيه على أنَّ شيوخَ الطريقة النقشبندية لا يسمحون لأحدٍ من الخواجوات التابعين لهم أن يذكروا شيئًا عن مفهوم "الفناء" عند العوام الْمُلْتَفِّينَ حولهم، ذلك محظور عندهم، لأنَّهم يعدّون جمهورَ مريديهم مسوخًا من البشر ونوعًا من البهائم محجوبين عن درك الحقِّ المندمج في الكائناتِ، بحجة أنهم لا يفهمون معاني مصطلحات الطريقةِ، لأنَّ قِطعانَ المريدين في نظرِ الشيوخ "رَعَاعٌ جَهَلَةٌ، بل كُفَّارٌ أنجاسٌ مُشرِكونَ، إنما أتتْ بهم حكمةُ التوحيد الوجودِيّ إلى عتبةِ المشيخةِ ليتطهّروا من الشرك القُرآنِيّ، كما قال عفيفُ التلمسانِيُّ (الْقُرْآنُ كُلُّهُ شِرْكٌ، وَإِنَّمَا التَّوْحِيدُ فِي كَلَامِنَا[164])". لذا، لا ينبغي أنْ يتصدّى أحدٌ من حاشيةِ الشيخِ لِذِكْرِ شيءٍ لهم من مصطلحاتهم كـ"الفناءِ"، و"البقاءِ"، و"السكرِ"، و"الصَّحوِ"، و"الذَّوقِ" و"الْقبضِ" و"الْبسطِ"، و"الأُنسِ" و"الوَجْدِ"، و"الغيبةِ" و"الحضورِ" و"المكاشفةِ" و"اللطائفِ الخمسِ" و"التجريدِ" و"التفريدِ" و"الرياضةِ" و"المجاهدةِ" و"السترِ" و"التخلِّي"، و"التجلِّي"، و"الْمَحوِ"، و"الإثباتِ"، و"الطوالعِ"، و"اللوامعِ"، و"السَّمْسَمَةِ"، و"التدانِي"، و"التدلِّي"، و"الترقِّي"، و"التلقِّي"، و"التولِّي"، و"الْخلوةِ"، و"الجلوةِ"، و"الاتّحادِ"، و"الحجاب" وغيرها... لأنَّ عوامَّ المريدين غيرُ أهلٍ لاستيعابِ مكنونات هذه المفاهيم، وإنما هي أسرارٌ يتداولُهَا الشيوخُ الْمُتَمَرِّسونَ الخواصُّ، وَالْمُتَّسِمونَ بصفاتٍ ربانيَّةٍ، والمنصهرون في ذات الله (على حدِّ اعتقادهم؛ تعالى الله سبحانه عما يقوله الظالمون علوًّا كبيرا). كما يُحَذِّرُونَ من ذكرِ أسرارِهِمْ وخفاياهم عند علماءِ الإسلامِ، يصفونهم "بِعُلَمَاءِ الرُّسومِ"،[165] على سبيل الاحتقار والاستهانةِ بِهِمْ، والتقليلِ من شأنِهِمْ... ويزعمون أن توحيدهم لا يعدو عن قول (لا إله إلاَّ الله)، وهو توحيد الجهلةِ والعوامِّ.

---

[163] محمد أسعد صاحب زاده، بغية الواجد في مكتوبات مولانا خالد، ص:27، 28. مطبعة الترقِ دمشق–1334هـ. طُبع على نفقة دار الدعوةِ لصاحبها محمد أكينجي، قزلتبه–ماردين.

[164] المصدر: أحمد بن تيمية الحراني، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ص:501، المجلد:4، المكتبة الشاملة.

[165] "كثيرا ما يشير ابن عربي إلى أن هناك أسرارا اختص الله بها أهل الطريق من الصوفية، وأن من واجب هؤلاء أن يكتموها عمن ليس من طائفتهم، أي عن علماء الظاهر من الفقهاء، وهم الذين يطلق عليهم ابن عربي اسم علماء الرسوم." المصدر: مجلة دعوة الحق، العدد:124

يعتقد النقشبنديُّون بأُلُوهِيَةِ شيوخِهِمْ، ويُضْفُونَ عليهم صفاتِ الله. يُصَرِّحُ السرهنديُّ بذلك في قوله: "الشيخ يُحْيِي وَيُمِيتُ، وإنَّ الإحياءَ والإماتةَ من لوازمِ مقامِ المشيخة."[166]

وردت قصةٌ عن محمد بهاء الدين البخاري (المعروف بـ"شاه نقشبند") تؤيّدُ اعتقادَ أولوهية شيوخ النقشبندية عند هذه النحلة، ينقلها عبد المجيد الخاني في كتابه "الحديقة الوردية"، وهذا نصها:

"قال محمد بهاء الدين البخاري: "خرجتُ يومًا أنا ومحمد زاهد إلى الصحراءِ، وكان مريدًا صادقًا، وَمَعَنَا الْمَعَاوِلُ نشتغل بها، فمرّتْ بنا حالةٌ أوجبتْ أن نُلقيَ الْمَعَاوِلَ ونتذاكرَ في المعارفِ، فما زلنا كذالك حتى انجرَّ الكلامُ بنا إلى العبوديَّةِ، فقال لي: إلى أيِّ حدٍّ ننتهي إلى درجةٍ إذا قال صاحبها لأحدٍ مُتْ! ماتَ في الحالِ؟ ثمَّ وقع لي أنْ قلتُ له ساعتئذٍ مُتْ! فماتَ حالاً، واستمرَّ ميتًا من وقت الضحى إلى نصف النهار، وكان الوقتُ حارًّا، فانزعجتُ لذلك وتحيَّرْتُ كثيرًا، ثم أَوَيْتُ إلى ظلّ قريبٍ منه، فجلستُ وأنا في حيرةٍ تامَّةٍ، ثمَّ رجعتُ عنده فنظرتُ إليهِ فوجدتُهُ قد تغيَّرَ من فَرَطِ الحرِّ، فازددتُ قَلَقًا، فأُلقِيَ إليَّ وقتئذٍ أنْ: قُل يا محمد: إحْيَ! فقلتُ له ذلك ثلاثَ مرّاتٍ، فأخذتْ تسري به الحياةُ شيئًا فشيئًا وأنا أنظرُ إليه حتّى عادَ إلى حاله الأوَّلِ، فأتيتُ حضرةَ السيد أمير كُلاَل، فقصصتُ عليه القصصَ، فلمَّا ذكرتُ له أنه ماتَ وتحيَّرتُ من ذلك، قالي: يا ولدي، لِمَ لمْ تقُل له إحيَ؟ فقلتُ له: لَمَّا أُلْهِمتُ ذلك قُلتُهُ فعادَ حَيًّا."[167]

هذا الشخص الخرافيُّ نفسُهُ يرى أن الناسَ جميعًا يجب عليهم أنْ يعتنقوا النقشبنديةَ وإلاَّ هلكوا!. وهذا قولُهُ: "مَنْ أعرضَ عن طريقتنا فهو على خطرٍ من دينيه."[168] يريد أنْ يُصَدِّقَ كُلُّ أفرادِ الأمَّةِ هذه الخرافةَ وأمثالَهَا من الأكاذيبِ والأباطيلِ، ويرتدّوا عن الإسلامِ. فلا شكَّ في أنَّ هذا الرجلَ كان زنديقًا ودجّالاً يُضِلَّ الناسَ ويصدّهم عن سبيل اللهِ. مع ذلك يُعَظِّمُهُ النقشبنديُّون؛ عَوَامُّهُمْ يعتقدون أنه من أولِيَاء الله، وأمَّا شيوخُهُمْ فيعتقدون بألوهِيَّتِهِ: "أنه يُحيِي ويُمِيتُ"!

---

[166] أحمد الفاروقي السرهندي، الدرر المكنونات، ص**349**.

[167] عبد المجيد بن محمّد بن محمّد الخانيّ، الحدائق الورديّة في حقائق أجلاء النقشبنديّة ص/ **137**. **1296**هـ. مصر

[168] محمد أسعد الصاحب، نور الهداية والعرفان في سرّ الرابطة والتوجُّهوختم الخواجكان، ص:**63**.

يُنَبِّهُ عبدُ المجيدِ الخانيُّ على ما كان يمتاز به الرجل من التواضع، ويروي عنه أنه قال:

"كنتُ إذا لاقاني في الطريق كلبٌ وقفتُ حتى يَمُرَّ هو أولاً، لئلاَّ أتَقَدمَ عليه، ولم أزل كذلك سبع سنين، ثم بعد ذلك أمرني (شيخي) أن أشتغل بخدمة كلاب هذه الحضرة بالصدق والخضوع وأطلب منهم المدد، وقال لي: إنك ستصل الى كلاب منهم تنال بخدمتهم سعادة عظيمة... وصلتُ مرّةً الى كلبٍ فحصل لي من لقائه أعظم حال. فوقفتُ بين يديه واستولى عليَّ بكاءٌ شديدٌ، فاستلقى في الحال على ظهره ورفع قوائمه الأربع نحو السماء، فسمعتُ له صوتًا حزينًا وتأوّهًا حنينًا. فرفعتُ يديَّ تواضعًا وانكسارًا، وجعلتُ أقول (آمين!) حتى سكت وانقلب."[169]

يقول محمد بهاء الدين البخاريُّ نفسُهُ: "نَفْيُ الوجودِ وعدمُ رؤية النفسِ في هذا الطريق هو رأس مالِ دولةِ القبولِ والوصول، وإني في هذا المقام نسبتُ نفسي إلى كلِّ طبقة من طبقات الموجودات، فوجدتُ كلَّ فردٍ منها في الحقيقة أحسن مني حتى أني وصلت إلى طبقة الفَضَلاَتِ، فرأيتُ لها منفعةً ولم أرَ لي منفعةً. ثم وصلتُ إلى فَضَلَةِ الكلبِ فقلت: ما لها نفع، فحكمتُ على نفسي بأنها مثلها، ثم تبيَّنَ لي بعدُ، أن لتلك الفَضَلَةِ نفعًا، فحينئذ تحقَّقتُ أنه ليس لي نفع أصلاً."[170]

لقد صدق الرجلُ وأقرَّ بقوله أنَّ فضلات الكلاب خير منه. وفي هذا حكمةٌ ظهرت في أن الله قد أنطقه بالحق.

***

وهذا مثال آخر مما يبرهن على ألوهية الشيخ في معتقد النقشبنديين، ينقله عبد المجيد الخانيُّ أيضًا، وهذا نصه:

"إنَّ الخواجه محمد صديق كان في سفرٍ على فرسٍ، فجفلت، فسقط إلى الأرض، وبقيت رجلُهُ في الركاب، وجعلت الفرس تعدو به حتى أيقن الهلاك، فاستغاث بحضرة القيوم، قال: فرأيته حضر وأوقفها، وأركبني.

---

[169] عبد المجيد الخاني، الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية، ص:**129-130**، دار الطباعة العامرة سنة **1308**هـ. نسخة دار ئاراس للطباعة والنشر ص:**185**

[170] الكواكب الدرية على الحدائق الوردية في أجلاء السادة النقشبندية ص **403** – دار البيروتي، بلا تاريخ.

ومنها أيضًا: أن الشيخ محمد صديق المشار إليه وقع في البحر، ولم يك يعرف السباحة، فكاد أن يغرق، فناداه مستغيثاً به، فحضر وأخذ بيده وأنقذه من الغرق."[171]

ومن خُرافات النقشبنديِّينَ: "أنَّ الإنسانَ لا يستطيعُ أن يرقى إلى مقامِ الصدِّيقيَّةِ (وهي من أعلى مقامات الكمال بعد النبُوَّةِ)، إلاَ بعد أن يكون زنديقًا. ورد في كتاب "الرحمة الهابطة في ذكر اسم الذات وتحقيق الرابطة، للمؤلّف حسين الدوسري، قوله: "لا يكون الصدِّيقُ صدِّيقًا حتى يشهدَ عليه سبعون صِدِّيقًا بأنه زنديق" [172]

هذه الأقاويلُ كلُّها إفسادٌ وتضليلٌ وصدٌّ عن سبيل الله من وضع الدجَّالين المحترفين من بطانة كل شيخ من شيوخ النقشبنديةِ؛ ذلك من نظامهم: أنَّ كل جماعةٍ من جماعات النقشبنديةِ فيها مندوبٌ للشيخ، يقوم بترتيب الأمور وتعيين المواعيد، واستقبال الوفودِ، وتنسيق الزيارات إلى غير ذلك من العلاقات.. ومن مهامه أنه يختارُ بعضَ المتحزلقين الْمُفَوَّهِينَ، ويدرِّبُهُمْ على اختلاقِ حكاياتٍ مستحيلةِ الوقوع ونشرها بين حشود الهمج العاكفين على عتبة الشيخ، ثم تُجْمَعُ تلك القصص في كتابٍ (على أنَّها كراماتُ الشيخ) وتُطبَعُ وتُوَزَّعُ على الناسِ للدعايةِ والترويج، لِيَتَّسِعَ بذلك نطاقُ شهرةِ الشيخ فيزدادَ بذلك عددُ مريدِيهِ، فيطمعَ الحُكَّامُ والسياسيون في تأييده ليتغلَّبوا بذلك على منافسيهم في الصراع على الحكم. هذه العادةُ جاريةٌ بين النقشبنديِّين الأتراك منذ القديم، وقد أسفرتْ عن رُكامٍ من كُتُبِ الكرامات، وهي أكثر المؤلَّفاتِ انتشارًا على الساحة التركية تكتظُّ بها مكتباتُها.

يعتقد النقشبنديُّون بإمدادِ شيوخهم وأوليائهم (كما يُفْهَمُ بصراحةٍ من وثائقهم بالذات، وهي كثيرةٌ)، فيستغيثون بهم من دون الله عندما يتعرّضون لخطر، وهي من مظاهر الشرك الأكبر ولا شكَّ.. والمدد عندهم: أنَّ الشيخَ يعلمُ الغيبَ، ويراقبُ جميعَ مريدِيهِ، وهو مُطَّلعٌ على أحوالِهِمْ وتصرُّفَاتِهِمْ وعلى ما تُكِنُّ صدورُهُمْ، فمتى اصطدم أحدهم بحادثٍ يتوقع الهلاكَ فيه، كما لو عرض له عدوٌّ يوشك أن يفتك به، أو

[171] عبد المجيد الخاني، الأنوار القدسية في مناقب السادة النقشبندية، ص:**195**.

[172] راجع المصدر: موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام» (**8/ 194** بترقيم الشاملة آليا.

سَبُعٌ يصول عليه، أو حريق أحدقت به لِهابُهُ، فيقول: "المَدَدَ يا سيِّدِي فلان!" فإذا بشيخه قد حضر في لمحة البصرِ ليُنقِذَهُ ولو كان بينهما مسافاتٌ شاسِعةٌ، أو كان شَيْخُهُ قد مات..

هذا من أهم معتقداتهم، ولا أساسَ له من الصحةِ إطلاقًا، كما قد اصطدم كثيرٌ منهم بخيبة الأمل إذ لم يُسعِفهم أولياؤهم وهم يتشحطون في دمائهم بعد استمدادهم واستغاثتهم بالأموات. لأن الموتى لا يسمعون ولا يُجيبون ولا ينفعون ولا يضرون أبدًا، وفي ذلك دلائلَ قطعيةٍ من الكتابِ والسنة. قال تعالى: "وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ."[173] وقال تعالى: أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ.[174]

إنَّ الصوفيةَ مُفْتَتِنونَ بالقبورِ والموتى، ولهذا يكثُرُ وصْفُهُم بـ"القُبُورِيَّةِ"[175] و"عَبَدَةِ الجيفِ" على لسانِ المسلمين أهلِ التوحيدِ الخالصِ. أما النقشبنديّون، فإنهم أشدُّ فِرَقِ الصوفيةِ توغُّلاً وانشغالاً بالقبورِ والموتى. لا تكادُ مدينة من مُدُنِهِم ولا حتى قريةٌ من قُرَهِم إلاَّ وفيها أو بِقُربِها ضريحٌ يزورونه ويتضرّعون إليه، ويطلبون منه أن يقضيَ حوائجَهم، ويَشْفِيَ مرضاهم، ويُكثِرَ من أرزاقِهم، ويُنْقِذَهُمْ من المخاطرِ والأعداءِ... فقد وردتْ عبارةٌ خطيرةٍ تُرَكِّزُ على أهميةِ التوسُّلِ بالقبور في كتابٍ لأحَدِ شيوخِ النقشبنديةِ في تركيا يُدعَى (محمد زاهد كُوتْكُو)، أَلَّفَهُ باللغة التركية يقول فيه بالحرفِ الواحدِ: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلّمَ: إذا تَحَيَّرْتُمْ في الأمور، فاستعينوا بأهل القبور!"[176] لا شك في أنَّ هذه الكلماتِ الجريئةَ تُعَدُّ

---

[173] سورة الأحقاف: 5، 6

[174] سورة النمل:62.

[175] نُبذةٌ عن القبورية: ورد في موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام: (8/ 202 بترقيم الشاملة آليا: وللقبر شأن عظيم عند الصوفية عموما، فهو الوسيلة إلى الله، وهو موطن البركات وموضع قضاء الحاجات، والمتوجه إليه في الدعوات. فهذه عقيدة مصدرها ما قاله محمد أمين الكردي: "وكل شأن من شؤون العبادة وطلب العلوم والكشوفات مرتبط بالقبور، بل تلقي العلوم وفيضها والبيعة والتكليف واستمداد كل خير مرتبط بالقبر." فإنهم يعتقدون أن الروحانيات تجتمع في ذلك كاجتماعهم في المنام وبعد الممات، وهو عالم اللاهوت الخارج عن عالم الأجسام والأرواح والخلق. (الأنوار القدسية:ص7) وقد حصل للشيخ بهاء الدين نقشبند التكليف والولاية حينما اجتمع بسلسلة مشايخ النقشبندية الأموات في المقبرة. وأخذ طريقة الذكر الخفي من الغجدواني الميت في المقبرة (المواهب السرمدية ص:113). قال بعض المشايخ: إن الله يوكل بقبر الولي ملكا يقضي الحوائج وتارة يخرج الولي من قبره ويقضيها بنفسه. (تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب:ص410). هكذا جاء إسنادها موقوفا على المشايخ ولم يرفعوا السند إلى شيء من كتاب ولا سنة. بل يزعمون أن الولي يخرج من قبره وكأنه ما يزال حيا حياة دنيوية حقيقية. ولهذا صرحوا بأن المقصود من زيارة قبور الأنبياء والأولياء الزيارة والاستمداد وسؤال المغفرة وقضاء الحوائج من أرواح الأنبياء والأئمة والعبارة عن هذا الإمداد بالشفاعة (نور الهداية والعرفان في سر الرابطة والتوجه وختم الخواجكان، ص:38).ويناقض ذلك ما جاء في الفتاوى البزازية: أن من قال إن أرواح المشايخ حاضرة تعلم يكفر. وقال الشيخ فخر الدين أبو سعيد عثمان الجياني: ومن ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله واعتقد بذلك فقد كفر. (البحر الرائق3/94)

[176] المصدر: Mehmet Zahid Kotku, Tasavvufî Ahlâk, s. 2/272 Seha Neşriyat.

جنايةً عظيمةً على الدِّين الحنيف، وافتراءً وبُهتانًا على رسول الله صلى الله عليه وسلّمّ. وهذا يبرهن على أنَّ قَائِلَهُ كان زنديقًا ماكرًا لم يتورَّعْ عن الفريةِ على النبِيِّ، كما يبرهن على أنَّ آلافَ المنتسبين إليه (ومنهم رئيس الوزراء التُّركِيّ الأسبق، نجم الدين أربكان) كانوا منشقين عن الإسلام، معتنقين للديانة الْمُسْلُمَانيَّةِ والطريقة النقشبنديَّةِ.

ينبه الله سبحانه أنه هو المدعو عند الشدائد، المرجو عند النوازل، كما قال: وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا.[177] وقال تعالى: وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ.[178] وقوله: أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ، أي: هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه، ولا يكشف الغُمَّةَ عن الملهوفين سواه.

يتبيَّن من هذه الحقائق المستوحاةِ من كتاب الله العزيز أن الاستغاثةَ بغير الله تعالى، واستمدادَ الأمواتِ (ولو بطلب ما كانوا قادرين عليه وهم أحياء)، باطلٌ، بل سخافةٌ وضلالٌ، يحلُّ الصوفِيُّ ربقةَ الإسلام من عنقه بهذه الزندقةِ، فلا تُؤكَلُ ذبيحتُهُ ولا تُقْبَلُ شهادتُهُ.

وقد يَسْتَعْمِلُ الصوفيةُ (النقشبديُّون الأتراك والأكراد) كلمةَ "الْهِمَّةِ" بمعنى الْمَدَدِ وَالْغَوْثِ. وهذا يُذَكِّرُنَا بِكَلِمَاتٍ لِخَالِدِ البغدادِيِّ يعبّرُ فيها عن غضبِهِ على شخصٍ نافَسَهُ في كسب الشهرةِ، وردت في رسالةٍ له، يقول:

"فالآن أخبركم بأنِّي وجميعَ رجالِ السلسلةِ تبرّأنا من عبد الوهّاب. فهو مطرودٌ عن الطريقة. فكلُّ مَنْ تصادق معه لأجل الطريقةِ فليترُكْ مُصَادَقَتَهُ وَمُكَاتَبَتَهُ، وإلاّ فهو برئٌ من إمدادِ هذا الفقيرِ وإمدادِ الساداتِ الكرامِ. ولا أرضى أن يكاتبني؛ ولا أن يستمدَّ هِمَّتِي بعدَ وصولِ هذا المكتوب إليه. وأنت مأمورٌ

---

[177] الإسراء: 67

[178] النحل: 55

بإيصاله إلى كلِّ مُخلصٍ. فَمَنْ كَانَ مريدَ الطريقة فليُظهِرِ الْبَرَاءَةَ منه، ومن كان مريدَ نفسهِ فلا يلومنَّ إلاّ نفسَه إذا هلك مع الهالكين"[179]

هذه الكلمات التي صَبَّ فيها خَالِدُ البغدادِيُّ جامَ غضَبِهِ على منافسِهِ (عبد الوهاب السوسِي)، غنيةٌ عن أيِّ تعليقٍ، لِمَا تُفشِي أنَّ كاتِبَها ما كان يؤمن بكتاب اللهِ ولا بسنَّةِ رسوله على الإطلاق. وهذه نُبذة من براهينِ كفرِهِ الذي لا يترك الشكَّ في قلب أيِّ مؤمنٍ له علمٌ بضوابط الكتاب والسنَّةِ:

أوَّلاً: يقولُ البغداديُّ: "فالآن أُخبركم بأنّي وجميعَ رجالِ السلسلةِ تبرَّأنا من عبد الوهّاب. فهو مطرودٌ عن الطريقة". يزعم البغداديُّ "أنَّ جميعَ رجال السلسلةِ من لَدُنْ أبي بكر الصديق إلى عبد الله الدهلوي، وهم ثمانيةٌ وعشرون شخصًا، قد وافقوه على طردِ (عبدَ الوهابِ السوسِيّ) من الطريقة النقشبنديةِ، فتبرَّؤوا منه تأكيدًا على حُكمِهِ، مع أن جميعَهم قد ماتوا!

وأيُّ مؤمنٍ باللهِ واليومِ الآخرِ يصدِّقُ هذه الكلماتِ التي تُنبِؤُ عن كذِبٍ مُنْقَطِعِ النظيرِ، ويدلُّ على أنَّ البغداديَّ أطلقها بكلِّ جُرأةٍ ولم يبالِ بما اقترف اثمًا عظيمًا وكُفرًا صريحًا وهو يتفوَّه بهذه الألفاظِ الخطيرة؟! ذلك أنَّ الأشخاصَ الذين يَصِفُهمْ البغداديُّ "أنَّهم رجالُ السلسلةِ"، منهم مَنْ قد ماتوا قبل قرونٍ، كما لا يجوز عقلاً أن يكون البغداديُّ قد اتصل حتى بآخرهم (عبد الله الدهلوي) ولو كان الدهلويُّ لم يزلْ في تلك الأيام على قيد الحياةِ، للمسافة الشاسعة بين العراق والهند، فضلاً عمن سبقوه حسب السلسلة المزعومة.

إنّ هذه الرسالة الّتي لا يكاد الإنسان (المؤمن بالله واليوم الآخر) يفهم شيئًا منها، كأنّها قد كُتِبتْ بلغةٍ غريبةٍ على المسلمين. إلاّ أنّها في الحقيقة وثيقة رهيبة تتضمن ما يخفي على أهل العلم والبصيرة من شخصيّة خالد البغداديّ ومُعتقَداته وأسرار طريقته وتَعَامُلِهِ مع الناس.

لعلّ سائلاً يسأل عمّا يخالف الإسلام من مضمون هذه الرسالة وربما يقول:

---

[179] عبد المجيد بن محمّد بن محمّد الخانيّ، الحدائق الورديّة في حقائق أجلاء النقشبنديّة، ص/**232**؛ محمد أسعد صاحب، بغية الواجد، النسخة القديمة المطبوعة في دمشق، ص/**130**؛ فريد صلاح الهاشمي، الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها. ص:**263**.

– ما الّذي يستوجب هذا القدر من الاستغراب والتعجُّب؟

إنّ الإنسان المتمتّعَ بنعمة العلم والمعرفة بحقيقة الإسلام، لا ينبغي له أصلاً أن يلتفت إلى مثل هذه التساؤلات، ولكن – لإظهار الحقّ فحسب– نحن نتساءل عمّا إذا كان أدنى شيء يوافق روح الإسلام في هذه الرسالة الصادرة بقلم البغداديِّ

– ما الّذي ارتكب عبدُ الوهّابِ السوسيُّ من الإهانةِ بحق خالد، حتّى اضطرّ خالدٌ أنْ يفضحه أمام مريديه الّذين كان السوسيُّ قد اسطادهم في إسطنبول نيابةً عنه؟!! هل كان وراء كلّ هذه الجلبة والضوضاء العمياء أيّ مصلحة للمسلمين المغلوبين على أمرهم يومئذ أمام عالم الكفر، سوى التهارش على جيفة الدنيا وكسب الشهرة والسمعة؟ وإلاّ فما كانت علاقة المسلمين بالرّابطة الّتي هي من أهم طقوس اليوغية، سواء أكان السوسيّ أمرَ الناسَ بها لنفسه أم للبغداديِّ. يقول الشيخ قسيم الكُفْرَويّ في صدد هذه المشكلة:

"كان مولانا خالد قد أرسل في بداية أمره عبدَ الوهّاب السوسيّ إلى إسطنبول. ولكنّه تولّى كبره، ولقّن المريدين رابطةَ نفسِهِ؛ فعند ذلك بعث مولانا خالدٌ مِنْ خلفائه عبدَ الفتّاح العقريَّ للبحث عن أمره. وبعد طرده عبدَ الوهّاب السوسيَّ مِنْ طريقتهِ جزاءً بما ارتكب، ثمّ نصبُ الشيخ أحمد الأغريبوزي مكانه".[180]

هكذا اتّضحت الجريمة (!) الّتي ارتكبها عبد الوهّاب السوسيّ! حسب نظام هذا الدِّينِ وضوابطهِ. وهي أنّ السوسيّ كان قد لقّن المريدين رابطة نفسِهِ. ومعنى ذلك إنّه أمَرَهُمْ أنْ يُحضِروا صورتَهُ في خيالهم، بَدَلَ أنْ يأمرَهم برابطةِ مرشدِهِ خالد البغداديِّ. إذ أنّ الطريقةَ النقشبنديّةَ تُحَرِّمُ الرّابطةَ للنائب مادام شيخُهُ على قيد الحياة. فهل يجوز أن يتصوّر مؤمن بالله وبكتابه ورسوله أدنى صلةٍ بين هذه الهرطقةِ المجوسيةِ وبين الدين الإسلامي الحنيف؟!

180 وهذا النصّ الأصليُّ باللّغة التركيّة للعبارات المعرّبة والمنقولة من كلام الشخ قسيم الكفراوي:

Mevlânâ Halid, İstanbul'a evvelâ Abdulvahhab Al-Susî'yi göndermişti. Bu zatın kibir ve enaniyete kapılarak kendisini saliklere rabıta ettirmesi üzerine meselenin tahkiki için Abdulfettah Al-Akari'yi gönderdi. Bu hareketlerinden dolayı tarikattan tard adilen Al-Susi'nin yerine Al-Şeyh Ahmed Al-Agribuzî halife nasb edildi. Kasım Kufralı, Nakşibendiliğin Kuruluşu ve Yayılışı Pg. 185. Türkiyat Enstitüsü No. 337 İstanbul-1949

لقد سبق في عبارةِ خالدِ البغداديّ آنفًا قَوْلُهُ: "فكلُّ مَنْ تصادق معه (يقصد عبد الوهاب السوسي)، لأجل الطريقةِ فليترُكْ مُصَادَقَتَهُ وَمُكَاتَبَتَهُ، وإلاّ فهو بريءٌ من إمدادِ هذا الفقيرِ وإمدادِ الساداتِ الكرامِ. ولا أرضى أن يكاتبني؛ ولا أن يستمدَّ هِمَّتي بعدَ وصولِ هذا المكتوب إليه" بينما يقول البغداديّ نفسُهُ في رسالةٍ له إلى عبد الله باشا (والي عكّا): "أما بعد، فقد بلغني مَرْسُومُكُمْ الحاوي لشدّةِ الاعتقادِ والمبالغةِ في الاستمدادِ لطلبِ الذُّرِّيةِ لكم، (أما الدعاءُ فقد صدر منّي مرارًا)، (وأمَّا الهِمَّةُ) فلستُ من أهلِها..."[181]

أليست هذا الكلماتُ المتناقضةُ دالَّةً على كذبٍ محضٍ وتلوُّنٍ بحسب المواقف، واحتقارٍ لعقول الناسِ، وقلّةِ حياءٍ، حيث لم يبالي البغداديُّ أنَّ أحدًا من أهل العلم والبحث والمعرفةِ قد يعثر يومًا مَّا على هذه العباراتِ ويفطن لهذه الأكاذيبِ والكُفرِيَّات الخطيرةِ!

لكن الحقيقةَ لا ينبغي للإنسانِ المؤمن أن يستغربَ هذا الإلحادَ من خالد البغدادي، إذا عرف أنَّ عقيدتَه كانت تتمثّلُ في عبارةٍ لابن أخيه أسعد الصاحب الذي كتب بقلمه بالحرف الواحد في كتابه (بُغْيَةِ الواجدِ)، وهذه كلماتُه:

" ما ثَمَّ وجودَانِ: ممكن وواجب. ولا يُفَرِّقونَ (أي الصوفيةُ النقشبنديُّون) بينَ كونِ وجودِ المخلوقاتِ باللهِ وبين كونِ وجودِها هو عينُ وجوده. وليس عندهم فرقٌ بين الْعَالَمِينَ وربِّ الْعَالَمِينَ، ويجعلون الأمرَ والنهيَ للمحجوبين عن شهودِهم وفنائِهم. المحجوبُ عندَهم: مَنْ يشهدُ أفعالَهُ طاعاتٍ أو معاصِيَ، لأنه في مقام الفرقِ، فإذا ارْتَفَعَتْ درجتُهُ عندهم فلا طاعةَ ولا معصِيَةَ، بل ارتفعت الطاعاتُ والمعاصي لأنها تَسْتَلْزِمُ اثنينيةً وتعدُّدًا، وَتَسْتَلْزِمُ مُطِيعًا وَمُطَاعًا، وعاصِيًا ومعصِيًا. وهذا عندهم محض الشرك."[182]

نرجو من القارئ الكريم أنْ يُغْضِيَ عن تكرارنا لهذا المقطع الرهيب من معتقدات شيوخِ الطائفة النقشبندية، لما فيها من إفشاءِ أسرارِهم، ومدى خطرهم على الإسلام والمسلمين، لكي يفتضحوا بما ورد على لسانهم بالذات وهي مذكورةٌ في طيات كتبهم، يستطيع كلُّ مهتمٍّ بهم أنْ يحصل عليها ويقرأها بأمّ رأسِهِ متى شاء...

***

[181] محمد أسعد صاحب زاده، بغية الواجد في مكتوبات مولانا خالد، ص:86. مطبعة الترقي دمشق–1334هـ. طُبع على نفقة دار الدعوةِ لصاحبها محمد أكينجي، قزلتبه–ماردين.

[182] محمد أسعد صاحب زاده، بغية الواجد في مكتوبات مولانا خالد، ص:27، 28. مطبعة الترقي دمشق–1334هـ. طُبع على نفقة دار الدعوةِ لصاحبها محمد أكينجي، قزلتبه–ماردين.

ثانيًا: إنَّ الطريقةَ النقشبنديَّةَ ديانةٌ مُختَلَقَةٌ لا علاقة لها بالإسلامِ على الإطلاقِ. وهي إحدى الدياناتِ البِدعِيَّةِ كالدُّرزيةِ، والنصيريةِ، والْمُسْلُمَانيَّةِ، واليزيدية، والقاديانيةِ، والبهائيةِ، وغيرِها، فلا عبرةَ بما اقتبسه النقشبنديُّون من تعاليم الإسلام كالصلاةِ والصومِ وبعض المناسك والنوافل. ذلك أنَّ الدروزَ، والنُصيريّين، والْمُسْلُمَانِيّين، والقاديانيّين، والبهائِيّين وغيرِهم من الكفار المنشقّين عن الإسلامِ أيضًا يُصَلُّونَ وَيَصُومُونَ وَيَتَنَسَّكُونَ كالمسلمين. فإنَّ مؤاخذتَهم بأي ذنبٍ أو بدعةٍ لغوٌ، لأنَّ عبادتَهم قبلَ أن يُسْلِموا لا تنفعُهُم.

***

ثَالِثًا: تُنبِئُ كلماتُ البغداديِّ عن حيلةٍ له يمتزج فيها الكبرياءُ والتواضُعُ فيتداخلانِ بشكلٍ تحتار فيها العقول إذ يقول: "فكلُّ مَنْ تصادق معه لأجل الطريقةِ فليترُكْ مُصَادَقَتَهُ وَمُكَاتَبَتَهُ، وإلاّ فهو بريءٌ من إمدادِ هذا الفقيرِ وإمدادِ الساداتِ الكرامِ.".

يتبين من مضمون هذه المخادعة أنه قد فرضَ نَفسَهُ على جمهورٍ من مختلفِ طبقاتِ الناسِ كأنه إلهٌ يُغيثُ الملهوفين، وَيَمُدُّ المضطرين، ويُسْعِفُ المستغيثين بإمداداتِهِ وَهِمَّتِهِ، ويُنزِلُ لَعْنَتَهُ على مَنْ يتمرَّدُ في وجهه، أو يخرج عن طاعته ويخالِفُ أمرًا من أوامره وتعليماته. هذا من جانب، ومن جانب آخرَ يُظهرُ التواضُعَ في غايةٍ من المكرِ والتضليل حين يقول: "وإلاّ فهو بريءٌ من إمدادِ هذا الفقيرِ"! فقد استطاع البغدادِيُّ بهذا الأسلوب السحرِيّ أنْ يتسلَّطَ على ضمائر الناسِ ويتحكَّمَ في لاَوَعْيِهِمْ بطريق التهديد والتخويفِ تارةً، وبالتملُّقِ واستغلال العواطف تارةً أخرى.

هَدَّدَ البغدادِيُّ شخصًا آخرَ مِنْ أتباعِهِ يُدعَى (الشيخ إسماعيل الشيرواني)، وهذه كلماتُهُ في رسالته التي بعث بها إليه، يقول:

"بسم الله الرحمن الرحيم، من العبد الذليل، الأقل من القليل، إلى خادمِ بابِهِ وقدوةِ أحبابِهِ الشيخ إسماعيل، عصمه الله عما وصمه، وصانه عمّا شانه، آمين.

أمّا بعد فقد قال كثير من نجوم الاهتداء ومصابيح الاقتداء بأنّ الكفران هو نسيان المنعم بسبب الاشتغال بنعمته. وصَرَّحَ محقّقو طريقتِنا بأنّ رابطةَ مَنْ لم يَفْنَ عن وجوده لا يُورِثُ الفناءَ للسالك، بل قد تُوَرِّطُهُ في المهالك.

وأنتم ما كان المأمول منكم أن تقطعوا عنَّا السلامَ والكلامَ، بل كمالُ المروءةِ والوفاءِ كان مقتضيًا أن تواجهونا أحيانًا بأنفسكم، وإلاّ فتراجعونا في النقير والقطمير، وتذكرونا دائمًا بالتحرير مع السفير. ومِنْ خُدَّامِنَا مَنْ هو أبعدُ شقةً منكم، وأقدم صحبةً، وأكثر خدمةً لا يتحرّك بدون إشاراتنا. ولا تَقِسْ هذه الطريقة بخزعبلات متشيِّخي العصر، وتُرّهات أرباب الخداع والمكر. فالشيخ المحقِق واسطةٌ بين المريد وربّه. والإعراض عنه إعراضٌ عنه.

فلا تُعْلِّمُوا رابطةَ صورتِكم لأحدٍ، ولو ظهرت له، فإنّه من تلبيس إبليس. ولا تستخلفوا أحدًا منهم إلاّ بأمري، فضلاً عن مزاحمتهم لخلفاء الأطراف من نحو (أرْزِنْجَانَ) و (بَدْلِيسَ).

ولئن تماديتم في هذا التغافل الّذي تستعملونه لنعرضنّ عنكم بالكليّة، وخرط القتاد دونه. ومن أُنذِر فقد أُعذِر، والسلام".[183]

لقد كان مشايخ بقية الطرُقِ الصوفية المقيمين في المناطق الواقعة تحت هيمنة البغداديِّ، كذلك علماءُ عصره، كانوا قابعين في مساكنهم خائفين من سطوته، يَحْذَرُونَ بَطْشَهُ.. ومن راودتْهُ نفسُهُ على معارضَتِهِ أو نُصحِهِ، لابد وأنه وقع في خطرٍ عظيمٍ لم ينجُ منه إلاَّ إذا افتدى بكرامةِ نفسِه، فتملَّقَ وتودَّدَ إليه، كشيخِ الطريقةِ القادريةِ معروفِ البرزنجيّ النُّودَهِي الذي طعن في البغداديِّ، فوقع ضحيةَ غضبِهِ وتعرض لهجمات بِطَانَتِهِ، فاضطرَّ أنْ يعتذرَ ويُظهرَ الندامةَ، ويفتديَ بكرامته، فيتملَّقَ إلى البغدادِيِّ حفاظًا على مصالحه.

---

[183] * خالد البغدادي، رسالتُهُ هذه إلى إسماعيل الشيرواني، وردت في المصادر التالية:

* محمد بن عبد الله الخاني، البهجة السنية في آداب الطريقة النقشبندية، مكتبة الحقيقة ص.44، إسطنبول–1996م.

* محمد أسعد الصاحب، بغية الواجد ص:174. مطبعة الترقي، دمشق–1334هـ. طُبع على نفقة دار الدعوةِ لصاحبها محمد أكينجي، قزلتبه–ماردين.
* عبد الكريم البياري المدرس، تذكار الرجال ص:64، 65

كان البرزنجي من الشخصيات البارزةِ في المنطق الكردية بالعراق، لكونه من الأشرافِ وبصفته شيخا للفرقة القادريةِ.. فلما عادَ البغداديّ من الهند وبدأ يبث عقيدةَ الديانةِ النقشبنديَّةِ في العراقِ، وكانت فكرةً غريبةً بِتَعَالِيمِهَا وطقوسِهَا، حيث لم يعهدها المجتمعُ العثمانيُّ، فتصدَّى البرزنجيُّ للردِّ على البغداديّ، لكنه ما لبث حتى تعرض للإهانةِ والسحق كما ورد في كلمات عبد المجيد بن محمد الخاني وهو يحطُّ من شأنهِ ويذكره في صيغةٍ من التحقيرِ والإذلالِ إذ يقول:

"فألَّفَ أحدُ المعروفِين من المنكرين الذي تولى البهتانَ كبرًا وغرورًا، رسالةً مُلِئَتْ منكرًا من القولِ وزورًا، وأرسلها مع سُعَاةِ الفسادِ إلى سعيد باشا والي بغداد مُتَّخِذِينَ الجرأة فيها على تكفيرِهِ لِتَنْفِيرِهِ منه سببًا، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقوقون إلا كذبًا..."[184]

دامت مهاجمات الصوفيةِ فيما بينهم على هذا النمط من المطاعنَةِ وتبادل التأثيم والتشنيع، فاتسعتْ نطاقُ الخصومةِ والعراكِ في بيئة خالد البغداديّ وانتشرت الغِيبَةُ والنميمةُ والبغضُ والعداوةُ في أنحاءِ منطقة الأكرادِ، وانتقلت أخبارُها إلى العاصمةِ إسطنبولَ، مما اضطرَّ الولاةُ والأمراءُ إلى التباحُثِ والمداخلةِ وإجراءِ التحقيقاتِ فيما حدثَ من المشاحنات بين أطراف النزاع، أسفر ذلك عن قلق السلطان محمود الثاني، فتذمَّرَ من الأوضاعِ، فأرسل من حاشيته (حَالَتْ أفندي) إلى بغداد، ليتحقَّق من أمر خالد البغداديّ.

على رغم ما أخبر حَالَتْ أفندي بعد عودته إلى إسطنبول: "أنَّ نشاطاتِ خالدِ البغداديّ قد تتحول إلى فتنةٍ"، إلاَّ أنَّ المفتي مصطفي عاصم أخبر السلطانَ بعكس ذلك، فطمأنه: "بأنَّ البغداديَّ رجل صالح يرشد الرعيةَ إلى طاعة أولي الأمر فيساعدُ بتلقيناته على انتشار الهدوءِ في ربوع المملكةِ، فكان ذلك مما يأمل السلطانُ ويرغب في تحقيقه دون أن يلتفتَ إلى موافقة تعاليم البغدادي لضوابط الإسلام. فأمر بفتحِ المجالِ أمامهُ يتصرّفُ كيف يشاءُ. خاصّةً وأنَّ خالدًا البغداديَّ كان شديدَ العداوةِ للوهابيّين[185] مما زاد من

[184] عبد المجيد الخاني، الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية، ص:**231**، دار الطباعة العامرة سنة **1308**هـ.

[185] مما يدلُّ على بُغض خالد البغداديّ للوهابيّين رِسَالَتَاهُ اللَّتان بعث بهما إلى مريده عبد القادر الحيدري الكردي الماوراني، وهذه كلماته في رسالته الأولى: "وبعد؛ فقد وصلت ألوكتُكُم الكريمةُ مخبرةً عن صحَّةِ ذاتِكم السليمةِ، وحاكيةً عن اضمحلالِ الفرقة الوهابيةِ..." (المصدر: محمّد أسعد الصاحب، بغية الواجد ص/**172**: الرقعة الثالثة والأربعون من مكتوبات خالد البغداديّ؛ كتبها إلى خليفته عبد القادر الحيدريّ.)

اهتمام السلطان محمود به وبالفرقة النقشبنديَّةِ، فخصَّصَ لهم جميعَ تكايا البكتاشيّين وثكناتهم وممتلكاتهم بعد مصادرتها والقضاءِ على الجيش الإنكشاريِّ، كما أمر بإعدام حَالَتْ أفندي!

* خالدُ البغداديُّ ومُغَامَرَاتُهُ.

حقَّقَ خالدُ البغداديُّ أولَّ نجاحٍ له فورَ عودتِهِ من الديار الهندية بِفَرضِ نَفْسِهِ على جماعةٍ من ملالي الأكرادِ بأسلوبٍ فريدٍ استعرضَ عَبْرَها مهارَتَهُ الفائقةَ، فتمكَّنَ من تَسْحِيرِ عقولِهِمْ، والتحكُّمِ في ضمائرِهِمْ، والنفوذِ إلى أعماقِ نفوسهم حتى أعلنوا عُبُودِيَّتَهُمْ له، ولَوَّوْا بين يديه رقابَهم، فأصبحوا رَهْنَ إشارتِهِ للافتداءِ بأرواحِهِمْ في سبيله! يدلُّ على هذه الحقيقةِ أسلوبُ خطابِهِ لهم واسْتِجَابَتُهُمْ له في مراسلاتِهِمْ التي جَمَعَهَا ابنُ أخيه (أسعد الصاحب) في كتابٍ سماه "بغية الواجد".

أذِنَ البغداديُّ بالخِلافَةِ لمعظم هؤلاء الملالي فأدخل في قلوبهم سعادةً غابوا في غمرِها عن الإحساسِ بأيِّ شيءٍ من ملذات هذه الدنيا، ثمَّ حفر في ضمائرهم عقيدةَ "وحدةِ الوجودِ" و"الفناءِ في اللهِ"، فجرّدَهم من العقيدة الحنيفة التي تدعو إلى توحيد اللهِ وحده، وترفض الإشراكَ به تعالى.

ثمَّ وَظَّفَ البغداديُّ هؤلاء الملالي في الدعاية له والدفاع عنه ضد المعارضين. فقاموا بوصفِ "مكانته الرفيعة التي لا قدرةَ لأحدٍ أن ينالَ مثلها"، وأسهبوا في ذكر عظمتِهِ وجلالِةِ قدرِهِ، فحارت لها العقول، وسكت العلماءُ والمعارضون عن الكلام فيه خوفًا على حياتهم، واضطرَّ أمراءُ الكُردِ إلى تعظيمِهِ ومعاقبةِ مخالفيه للحفاظِ على مراكزهم، لأنّ مَنْ تعرَّضَ منهم لغضبِ البغداديّ تخاذل عنه العامةُ فخسر منصبَهُ. لذلك أصدر سعيد باشا (والي بغداد) الأمرَ إلى الملالي بالردِّ على الشيخ معروف البرزنجي النودهي الذي اتهم البغداديَّ بالكفرِ والزندقةِ والَّفَ كتابًا في مثالبِهِ، سمّاهُ: "تحرير الخطاب في الرَّدِّ على خالد الكَذَّاب"، فانبرى للدفاع عن البغداديِّ فريقٌ من الملالي، منهم محمد أمين بن محمد صالح الطبقجلي، ألّفَ رسالةً ردَّ فيها

ويقول في رسالته الثانية: "ثمّ بشّرتُمْ فيها دَاعِيَكُمْ ببعض الأخبار السارّة من جهة الحرمين الشريفين وغلبة عساكر الإسلام وانتظام أمرهم، وذلّة الفرقة المخذولة الوهّابيّة وقربهم على الدمار والبوار، ووقوفهم على شفا جرف هار..." (المصدر: محمّد أسعد الصاحب، بغية الواجد ص/**183**: الرقعة الحادية والخمسون في الصفحة: **183**) طُبع على نفقة دار الدعوةِ لصاحبها محمد أكينجي، قزلتبه–ماردين.

على النودهِيِّ، سمَّاها:"القول الصواب بِرَدِّ ما سُمِيَّ بتَحْرِير الخِطَاب"، ومن جانب آخر تصدّى الشيخ عثمان الجليلي الموصلي للرد على البغداديِّ، فكتب رسالةً سماها: "دين الله الغالب على كلِّ مُنْكِرٍ مُبتدعٍ كاذِب"، فقام مفتي العراق محمد أمين السويدي بالردِّ عليه، فألّفَ كتابًا سماه: "السهم الصائب في مَنْ سَمَّى الصالحَ بالمبتدع الكاذب". ثم أجمع هؤلاءِ الملالي على أنْ يُدَوَّنَ صكٌّ في الردِّ على الشيخ معروف النودهي، وتكذيبه والحطِّ من شأنه، فتم ذلك بعباراتٍ مسجّعةٍ مزَخرفةٍ، استعرضوا عَبْرَهَا مَهَارَاتِهِمْ البلاغيةَ وصادقوا على الصكِّ بتوقيعاتهم.[186]

هكذا تَهارشَ الصوفِيَّةُ وتجاذبوا بصورةٍ مخزيةٍ طوال سنواتٍ وتركوا ورائهم سُمعةً سيئةً وتاريخًا أسودَ، لقلّةِ حيائهم من الله، ولبُعدِهم عن نورِ الإسلامِ وهديِهِ، وسقوطِهِمْ في مستنقع الكفر والإلحادِ. ولا تزالُ طائفةٌ من أبناءِ الجهل والحماقة، يناقشون اليوم هذه الجلبة والضوضاءَ في مؤتمراتهم الجوفاءَ، ومحافلهم الدهماء، في الحين الذي يتحكّم الكفار في رقابهم؛ يذبحهم في فلسطين وسوريا، والعراق، والبوسنا، وأفغانستان، والصومال، والسودان وغيرها من أنحاءِ ديارهم..

***

استطاعَ خالدُ البغداديُّ في النهاية أن يتغلّبَ على كلِّ مَنْ اعترضَ سبيلهُ فازداد تحكّمًا واستكبارًا في معاملته، ولعب بعقول الملالي فأخضعهم بسحره فتصاغروا بين يديه وافتدوا بكرامتهم فانقادوا له وعظَّموه تعظيمَ إلَهٍ، فأطاعتْهُ العامةُ والخاصّةُ بما فيهم الأمراءُ الكرد للحفاظِ على مناصبهم ومصالحهم...

أسفرتْ مغامراتُ خالدِ البغداديِّ عن كوارثَ خطيرةٍ حلّت بالشعب الكردِيِّ فَعَرْقَلَتْهُمْ عن وحدة الصفوفِ، وعن التقدُّمِ في سباق التحضُّرِ، وتنمية قدراتهم الاقتصاديَّةِ ومستوياتهم العلمية والثقافِيَّةِ،

---

[186] جاءَت ملاحظةٌ عن هذا الصك في هامش الصفحة (**213**) من كتاب "بغية الواجد"، وهذه سطور منها، نذكرها عبرةً لأولي الأباب: "وبعد، فقد رأينا الرسالةَ الزلّفَةَ المُزَخرَفَةَ الباطلةَ لعاطلةَ التي افتراها بعضُ العلماءِ على وجه الحسدِ والعناد، الناشئةِ عن محض التهم والإسادِ، المُرْسَلَةِ إلى مدينة السلام بغداد، مع ردِّها الذي أبدعهُ العالِمُ الفاضلُ والنحرير الكاملُ الحائز لشرف الحسبِ والنسَبِ، مولانا محمد أمين أفندي الشهيرِ بمُفتي الحلّةِ، المُدرّس بالمدرسة العلية، أفاض الله عليه شآبيبَ نعمِهِ الوفيةِ. فوجدْناه قد أصابَ في كُلِّ ما أجابَ، وقمع مادّةَ الشُّبَهِ بلا شكٍّ وارتياب، وأتى في إبطالِ مكائدِ المفترين بالعجبِ العجاب، جزاه الله عن الفقراءِ خيرَ الدارينِ وأثابه بما أجابَ به حيث ما خلى في الجواب الخلل والشين... وعلى هذا النمطِ تمتدُّ العبارات حيث يضيق المقامُ عن ذكرِ نَصِّ الصكِّ المعهودِ بِكَامِلِهِ." المصدر: محمّد أسعد الصاحب، بغية الواجد ص/**214**؛ نصُّ الصك المدوَّنِ في الردِّ على الشيخ معروف النودهي، مطبعة الترقي دمشق-**1334**هـ. نسخة دار الكتب العلمية ص:**218** (الهامش) بيروت-لبنان

فَخَيَّمَتْ عليهم ظُلُمَاتُ الجهلِ والتخلُّفِ خاصّةً بعد سقوط الإمارات الكردية[187] التي كانت دعاماتٍ يعتمد عليها الوجودُ السياسيّ للأكراد.

ربما يزعم البعضُ أنَّ الدولةَ العثمانيةَ إنما كانت تتبَنَّى توحيدَ شرائح الأمةِ الإسلاميةِ تحتَ رايةٍ واحدةٍ، فاقتضت سياستُهَا التوحيديةُ إلغاءَ الإمارات الكرديةِ. إلاَّ أنَّ السلطةَ العثمانيةَ مع احترامها للإسلام لم يكن هدفُهَا الأساسِيُّ من ذلك إلاَّ القضاءَ على الفوضى السائد في المنطقة الكرديةِ، لما كان الأكراد يعانون من شتات الشملِ واختلافِ الصفوفِ تبعًا للنزاع السجاليّ بين الأمراء الكردِ من حينٍ لآخر. كانت هذه المعاداةُ والفوضى الناشئةُ منها عقبةً تمنعُ الدولةَ العثمانيةَ من فرصةِ مقاومةِ العدوانِ الخارجيّ وتبِعَاتها، فألغت الإمارات الكرديةَ فحل محلها شيوخ النقشبندية.

من اللافت أنَّ زوالَ الإمارات الكرديةِ لم تُسفِرْ عن اتحاد الأكرادِ واجتماعِ كلمتهم كما كان متوَقّعًا، بل تركَ دوامةً خطيرةً اندلعت على مدارِها فِتَنٌ بينهم، استغلَّها الشيوخُ فورًا فأصبحوا مرجعيّاتٍ مقدسةً يلجأ إليها الناسُ لحلِّ مشاكلهم من جانبٍ، وللتبرُّكِ بهم من جانبٍ آخر، كانوا يعتقدون أنهم سينالون التوفيقَ بذلك في أعمالِهم والفوزَ بالجنة يوم القيامة! فاضطرَّ كلُّ عشيرةٍ أنْ يتمسَّكَ بأذيال شيخٍ من الشيوخِ الخالديّين، وهكذا حلّت بهم الطامَّةُ وخيّم عليهم الشتاتُ أشدَّ مما قبل زوال الإماراتِ.

سادتْ سلطةُ الشيوخِ في المنطقةِ فأصبح كل واحدٍ منهم شبهَ أميرٍ يَتَّسِمُ بصفةٍ روحانيةٍ وسياسيةٍ لا يُسألُ عما يفعل! يتبعه عددٌ من العشائر الكرديةِ، فجاءت هذه السلطةُ بسلبياتٍ ذاق الأكرادُ ولا تزالُ مرارتها إلى اليومِ. ولسوءِ حظهم أنهم لم يفطنوا إلى هذا الخطر العظيم الذي يحدق بهم ويزيد من معاناتهم.

من هذه السلبيات: أنَّ مدارسَهم الشعبيةَ (الدينيةَ) أُلغيتْ مِنْ مُقَرَّرَاتِهَا العلومُ العقليةُ منذ عهدِ خالدِ البغداديِّ، فلم يكن الطالِبُ يتلقَّى في هذه المدارس شيئًا من عِلْمِ التاريخِ، والجغرافيا، والصحةِ، والحياةِ الاجتماعية، والزراعةِ، والاقتصادِ، والحسابِ، والهندسةِ، والرسمِ، والتخطيطِ وغيرِهَا... بل المقرراتُ كانت

[187] الإمارات الكردية التي أُلْغِيَتْ لإدخال المنطقة تحت الإدارة المركزية: أردالان، وبهدينان، وبابان، وبيتليس، وبوهتان (أو بوطان)، وبرادوست، وديملي، وهكاري، ومنطقة حسن كيف، وكيليس، ومكريان، وبازوكي، وسوران. حل محل الأمراء الكرد مشايخ الديانة الخالدية، في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وكان أشهرُهُمْ الشيخ عبيد الله بن الشيخ طه النهريِّ الشمزيناني الهكارِيّ.

مقصورةٌ على تحفيظِ قواعدِ اللغةِ العربيةِ (الصرفِ والنحوِ)، والعلومِ الشرعيةِ (العقيدةِ، والفقهِ، والحديثِ، وتفسيرِ القرآنِ الكريمِ)، وتعاليم الديانة الْمُسُلْمَانِيَّةِ. لم تختلفْ ولم تَتَغَيَّرْ أسماءُ الكُتُبِ التي تُدَرَّسُ في هذه المدارسِ منذ عهدِ خالدِ البغدادِيّ إلى اليوم.[188]

كان ولا يزال الطالبُ يتخرج من إحدى هذه المدارسِ وهو غريب على العالم المتحضر، لأنه قضى كلَّ أيامِ طفولته وشبابه في حفظ قواعد اللغة العربية، فأصبح شبه فهرسٍ أو قائمةٍ صامتةٍ، وهو غيرُ قادرٍ على النطقِ والكتابةِ بلغة الضاد. كما فَاتَتْهُ الفرصةُ أنْ يحظى شيئًا من الثقافةِ ومعارفِ العصرِ، أو يكسبَ مهارةً في إحدى الْمِهَنِ ما عسى أن يحصلَ بها على قوتٍ يعيشُ عليه، ولا أَمَلَ له فيما ينتابُهُ من خيالاتٍ لعلَّ يُحَالِفَهُ الحظُّ فَيُعَيَّنَ إمامًا لأحد المساجد..

هكذا فعل الزنادقةُ الخالديون بالشبابِ، كَسَرُوا عزيمَتَهُمْ، وَحَطَّمُوا آمَالَهُمْ، وحرَّمُوهم عن حياةٍ سعيدةٍ وعيشٍ كريمٍ.. هكذا هلكت أجيالٌ وقعوا في مخالبهم طوال قرنين إلى يومنا، ولا يزالونَ يُهدِّدون مستقبَلَ الشعبِ الكردِيّ ويمنعونهم من جمعِ كلمتِهم وتوحيدِ صفوفِهم، كما يقفون أمامهم عقبَةً بطقوسِهم البوذِيَّةِ حتى داخلَ المساجدِ، وقد حوَّلوها إلى (مساجد ضرارٍ). يسحرون عقولَ الناسِ بِصَلَوَاتِهِمْ وصيامِهِمْ ومناسكِهِمْ ليزيّنوا للناسِ بذلك أنهم مسلمون!. إنما يغترُّ بهم قعطانُ الرعاعِ الهمجِ وحسبُ، فلا يكادُ يدخلُ هذه المساجدَ أحدٌ من المسلمين (من أهل التوحيد).

ومن سلبيات الطريقة النقشبندِيَّةِ؛ أنَّها حوَّلَت معظمَ الشعبِ الكُرْدِيّ والتُّرْكِيّ إلى مجتمعٍ صوفِيٍّ فاقدِ الوَعْيِ غافلين عن حقائق الكونِ والحياةِ. يعيشون منذ قرنين في عالَمٍ مَوْهُومٍ. يحلفُ الأكرادُ الخالدِيُّونَ خاصَّةً بِهاماتِ شيوخِهم، فيتّخذونهم أندادًا من دون الله؛ ليس من القليل منهم مَنْ يُقْسِمُ برأسِ شَيْخِهِ الذي ينتسب إليه (برابطة الطريقةِ)، كقول بعضِهم (باللغة الكُردِيَّةِ): "بِسَرِ غَوثْ"، أي أُقْسِمُ برأسِ (الشيخ

[188] وهذه أسما الكتب المدرسيةِ التي كانت ولا تزال تُدَرَّسُ في المدارس الشعبية الدينية في المنطقةِ الكردية:

الأمثلةُ (في تصريف الأفعال)، المقصود (في علم التصريف)، العوامل (في علم النحو)، الظروف (في علم النحو)، التركيب (في علم النحو)، سعد الله الصغير (في علم النحو)، شرح المغني (في علم النحو)، تدريج الأداني إلى قراءة شرح السعد على تصريف الزنجاني (في علم التصريف)، حلُّ معاقد القواعد (في علم النحو)، حدائق الدقائق (في علم النحو)، نتائج الأفكار في شرح إظهار الأسرار (في علم النحو)، البهجة المرضيّة في شرح الألفية (في علم النحو)، الفوائد الضيائية (في علم النحو)، إيساغوجي (في علم المنطق)، قول أحمد (في علم المنطق)، مغني الطلاب (في علم المنطق)، منظومةُ السلم المنورق (في علم المنطق)، حسام الكاتي، شرح إيساغوجي (في علم المنطق)، المطلع، شرح إيساغوجي (في علم المنطق)، الرسالة العضدية (في علم الوضع)، الرسالة الولدية في البحث والمناظرة، مختصر المعاني (في علم البلاغة)، شرح العقائد (في علم العقيدة)، جمع الجوامع (في علم أصول الدين)...

صبغة الله الحيزانِي)، و"بِسَرِ سَيْدَا"، أي أُقْسِمُ برأسِ (الشيخ عبد الرحمن التاغي)، و"بِسَرِ حَضْرَتْ"، أي أُقْسِمُ برأسِ (الشيخ ضياء الدِّين النُّورْشِينِي). هكذا يُشركون أصنامهم مع اللهِ بصريح القسَمِ بهم.

***

اهتمَّ عددٌ كبيرٌ من مَلاَلِي الأكرادِ وَخُوَاجَوَات الأتراك بِسِيرة خالدِ البغداديِّ اهتمامًا بالغًا، وتنافسوا في كتابَةِ مناقِبِه،[189] ولهذا الاهتمام من الطرفين سببٌ هامٌّ جِدًّا. ذلك أنَّ الطريقةَ النقشبندية التي قامَ ببثِّها خالدُ البغداديُّ في ربوعِ المجتمع العثماني قبل قرنين من الزمن هي من القواسم المشتركة بين الأكرادِ والأتراك. هذه الطريقةُ هي تيّارٌ صوفِيٌّ ظهر على أيدي دراويشَ من الأتراك في بُخَارَى حوالى **1200** الميلادِيّ يأتي على رأسِهم عبد الخالق الغُجدَوانيُّ وأحمد اليسوي.

ولما كانَ خالدُ البغداديُّ كُرْدِيَّ الأصلِ، مع ذلك قامَ بنشر هذه الطريقة التركيةِ بين الأكرادِ، وأدّتْ جهودُهُ إلى توطيد الصلةِ بين الطرفين، وأحكمتْ الطاعةَ المطلقةَ في نفوسِ الأكرادِ للحكومة العثمانيةِ (منذ عهد السلطان محمود الثاني إلى قيام الجمهورية التركية)، أثارَ ذلكَ محبةً بالغةً للبغداديِّ في نفوس الأتراكِ، فعظموه إلى مرتبة الألوهية، ولقّبوه بـ"ذي الجناحين" بمعنى أنه جمع المجتمع الكردِيَّ والتُّركِيَّ تحت جناحيهِ فجعل منهم أمةً واحدةً.

تدعو المناسبةُ هنا إلى التَّأمُّلِ بُرْهَةً في تأثير الطريقة النقشبندِيَّةِ على الحياة الاجتماعية في المنطقة الكرديةِ. ولا بدّ أن نتناول مَسِيرَتَهَا التاريخيةَ على مرحلتين: فالمرحلةُ الأولى بدأتْ فَوْرَ عودةِ خالد البغدادِيِّ من الدِّيَارِ الهنديةِ وانتهتْ بانْدلاعِ الحربِ العالميةِ الأولى. غير أنَّ رحلةَ البغداديّ هذه (إلى الهند) فيها سرٌّ يكادُ جميعُ الباحثين قد تجنّبوا عن ذكره! وهو: أنَّ البغداديَّ لم يسافر وحدهُ (كما يظنّه معظمُ أهل البحث والدراسة)، بل أخذ معه رفيقين، أحدُهُمَا عبدُ الله الهكاريُّ (عمُّ طه النهري)، وثانيهما عبدُ الوهابِ السوسيُّ.. وصل الرفاقُ الثلاثةُ إلى دَهْلِي عاصمةِ الهند عام **1810**م. وزاروا عبد اللهَ الدَّهلَوِيَ (شيخَ الطريقةِ النقشبنديةِ)، وسلكوا تعاليمَهَا تحت إشرافِهِ قرابةَ عامٍ، فأذِنَ لِكُلٍّ منهم بالخلافةِ ولم يُفَضِّلْ أحدَهُمْ على الآخَرِ. لكنهم بعد أنْ عادوا إلى العراقِ لم يلبث خالدُ البغدادِيُّ أنْ اتَّخَذَ موقفًا صارمًا من صاحِبَيْهِ

189 خاصّةً أحد عشر زنديقًا منهم شمَّرُوا عن ساعدِ الجِدِّ، فألّفوا كُتُبًا ومقالاتٍ في الدعايةِ إلى الطريقة النقشبندية، وسيرةِ خالدِ البغداديِّ، وقد تواروا بسمة "الأكاديمية" لكسب ثقة الناسِ بهم، وهم: "الأستاذ الدكتور" نحدت طوسون، و"الأستاذ الدكتور" عبد الجبار قاواق، و"الدكتور" عادل بور، ومحمود أسعد أركايا، ودكتور آزاد سعيد سمو. و"الأستاذ الدكتور" قادر أوزكوسه، وم. لطيف باكيش، وعبد الرحمن مميش، وناظم جينار، والدكتور جنيد كوكجه، زينب أرجتين ياغوز.

فغالبهما، وحاول إرغامهما لتوجيهاته، فانْصَاعَ له عبدُ اللهِ الهكّارِيُّ حفاظًا على سلامته، وعاد إلى قريته (شمذينان) وظلّ هنالك قابعًا على نفسِهِ حتى مات بعد عامَيْنِ كَمَدًا وكَبْتًا. أمَّا عبدُ الوهاب السوسِيُّ، فإنه لم يسكتْ، بل رفض أن يفتدِيَّ بِكَرَامَتِهِ فيتذلَّلَ بين يدي البغدادِيِّ، ثم أعلن استقلالَهُ بأنه مأذونٌ لقبول رابطةِ المريدين لنفسِهِ، فامتعض البغداديُّ واغتاظَ، فاندلعت حربٌ ضارية بينهما دامت إلى أنْ هَلَكَا.. والقصةُ طويلةٌ وردت قسطٌ منها في كُتُبِ أتباعِ البغدادِيِّ، لكن دون أدنى إشارةٍ إلى أسرارِ هذه الحرب التي أشغلتْ عقولَ الخالديّين إلى اليوم، يتبادلونها فيما بينهم ليشفوا غليلهم بتشنيعِ السوسِيِ ولَعْنِهِ انتقامًا منه لمولاهم خالد البغداديّ. وهذا يدلُّ دلالةً واضحةً على مدى حرمانهم من الفضائلِ، وعلى عقليتِهم المتخلِّفَةِ والعداوةِ التي تملأُ صدورَهم وتلتهب في أعماق نفوسِهم...

ثم تطوَّرَتْ العلاقاتُ الاجتماعيةُ بين الأكرادِ والأتراكِ في عهد رئيس الوزراء التركي الأسبق (عدنان مندريس)، فازداد الزواج والمشاركاتُ التجاريةُ والتضامن في مجالاتٍ مختلفةٍ بين الطرفين، وزادَ عددُ الموظفين الأكرادِ في المؤسساتِ الحكوميةِ، وانتقلت جماهيرُ غفيرةٌ من العائلات الكرديةِ إلى منطقة غرب أناضول التي يقطنها الأتراك، فانصهروا في بوتقةِ الثقافةِ التركيةِ مما أسفر عن تدهوُرِ اللغة الكردِيَّةِ واختفاء كثيرٍ من تقاليد الأكرادِ وعاداتهم

تبرز أهميةُ الطريقةِ النقشبنديةِ أساسًا من خلالِ ارتباطِها بدورِ خالدِ البغداديّ الذي نقلها من الديار الهندية إلى العراق، في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي. ثمَّ تطوَّرتْ واتسمت بـ"الخالدية" خاصة في مرحلتها الأخيرةِ، وبالتحديد بعد قفزها إلى الساحة التركية. ظهرت لهذا التيار الصوفِيّ آثارٌ متعددة الجوانب على الحياة الاجتماعية والأحداث السياسيةِ في المجتمعين الكردي والتركي على السواء.

من أبرزِ تَدَاعِيَاتِهَا: أنها خَلَقَتْ عقليةً رجعيةً متخلفةً في المُجْتَمَعَيْنِ (الكُردِيّ والتُّرْكِيّ)، عرقلت الأتراك والأكرادَ عن مواكبةِ المسيرة الحضاريةِ وتركتهم في دوامة الخرافات والأساطير والعنصرية؛ فانهمكوا في نَشْرِ كُتُبٍ مُفْعَمَةٍ بقصصِ كراماتِ الأولياءِ، والحديثِ عنها في مجالسهم ومحافلهم ومساجدهم ومدارسهم بل وحتى في جامعاتهم[190] وأفراحهم وفي ليالي عزائهم...

---

[190] تأتي على رأسها جامعةُ بِينْگُول. تقوم هذه الجامعةُ بإقامة مؤتمراتٍ وندوات بين حينٍ وآخر حول حياة خالد البغداديّ وتعاليمهِ، وتواصلُ الدعايةَ له، وتبذلُ جهودًا بالغة في نشر "الديانة الخالدية" وهي من أهم دعامات "الديانة المُسْلُمَنِيَّةِ **Müslümanlik**" التي يعتنقها معظم الأتراك وقد يظنها كثيرٌ منهم أنها الإسلام، وذلك غيرُ صحيح.

ومن تَدَاعِيَاتِهَا أيضًا: أنها أثارتْ النزعةَ الْعُنْصُرِيَّةَ في المجتمعين، فنشأت عن الاعتزاز بخالد البغدادي مواقفُ غريبةٌ؛ ذلك أنَّ الأكرادَ إنما تَفَانَوْا فيه وافتتنوا به "لأنه (على حَدِّ اعتقادهم) مَثَّلَ شخصيةً إلهيةً عملاقةً نَفَخَ الرُّوحَ في كيان الإنسان الكردِيّ فأيْقَظَهُ من سباته لِيُشَيِّدَ صرحَ تاريخِهِ العظيمِ من جديد!" بهذا الحُلْمِ الباطلِ غَفَلَ الأكرادُ عن كلِّ ما أسفرَ عن مُغامراتِ البغدادِيّ ونَزَوَاتِهِ النفسِيَّةِ، وشهوتِهِ إلى الظهور والاشتهار، وأطْمَاعِهِ في الرياسةِ، وتوجيهاته الإلْحَادِيَّةِ من خلال تعاليم البوذيَّةِ... فتعرّضَ الأكرادُ من جَرَّائِها لِمِحَنٍ شديدةٍ من التهميشِ والإهانةِ والسحقِ والحرمانِ والمآسِي طوال قرنين إلى اليوم.

أما الأتراك، فإنَّ اعتزازهم بخالد البغداديّ إنما نشأ من كونه رمزًا إلهيًّا ظهر فَأَحْيَى تُرَاثَ (الأمةِ التركيةِ) المقدَّسَ الذي كان عُرْضَةً للإهمال والغيابِ طوال قرون، فجدّدَ الدَّعَامَةَ الأساسيَّةَ لِلْمُسْلُمَانِيَّةِ (Müslümanlik)، وهي دين الأتراك الذي يتمايزون به عن العرب في التديُّنِ والتعبُّدِ. فجاءَ بالنقشبندية من الهند وألبسها خرقةَ "الخالديةِ" وأودعها في ذمتهم لتكون رمزَ استقلالهم الدِّينِيّ يهتفون بها إلى قيام الساعةِ. إضافةً إلى كلِّ ذلك؛ غدتْ الطريقةُ النقشبنديةُ سدًّا مانعًا أمامَ نشاطات الوهابِيَّةِ، فلم تستطعِ القفزَ إلى الساحةِ التركِيَّةِ.

كان لِجُهُودِ البغداديّ أثرٌ عظيمٌ في خدمةِ الطريقة النقشبندية التركيةِ، إذْ مهَّدت السبيلَ لِانتشارِها ودَوَامِهَا قوِيَّةً، كما أثارت مشاعرَ الأتراك للاعتزاز بقوميتهم، فتطوَّرت نزعتُهم إلى العنصرية في أيَّامنا، حملهم ذلك على تعظيمِ خالد البغداديّ وتقديسه بل وتأليهه منذ قرنين.. يبرهن على ذلك أنَّ الإنسانَ النقشبندِيَّ التركِيَّ حين يتصوَّرُ عظمةَ خالدِ البغدادِيّ في ذهنه يقشعرُّ جلدُهُ خشوعًا، فلا يكادُ يشعر بعظمة الله في تلك اللحظةِ. "وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ."[191]

إنما يجهلُ حتى عَمَالِقَةُ الباحثين هذا الثورانَ الروحِيَّ (الذي يحيط بكيان العنصر النقشبندِيّ التركِيّ)، لأن مُعظَمَ الباحثين يجهلون الواجهةَ المستورةَ لحياةِ خالدِ البغداديّ ومغامراتِهِ ومهاراتِهِ في الصعود عبر مدارجِ

[191] سورة الزمر:45

الشهرةِ، وكيف وصل إلى قِمَّتِهَا. وفي إعدامِ حَالَتْ أفندي (مستشار السلطان محمود الثاني) عبرةٌ لأيّ باحثٍ تُوَسْوِسُ له نفسُهُ أن يتورّطَ في البحثِ عن هذه الواجهةِ المستورةِ!!!

لهذا أحجم حتى الوهابيون عن القول بأدنى شيءٍ من مثالب خالد البغداديّ منذ قرنين، رغم الفجوة السحيقة بين الطرفين. لا نجد حتى كلمةً واحدةً ضمن مقالات علماء الوهابيين فيها انكارٌ على شيءٍ من تشنيعات البغداديّ لهم، وهذه كلماته التي بعث بها إلى مريده عبد القادر الحيدري، في رسالتين له يقول في الأُولَى:

"وبعد؛ فقد وصلت ألوكتُكُم الكريمةُ مخبرةً عن صحَّةِ ذاتِكم السليمةِ، وحاكيةً عن اضمحلالِ الفرقة الوهابيةِ..."[192]

ويقول في رسالته الثانية: "ثمّ بشّرتُمْ فيها دَاعِيَكُمْ ببعض الأخبار السارّة من جهة الحرمين الشريفين وغلبة عساكر الإسلام وانتظام أمرهم، وذلّة الفرقة المخذولة الوهّابيّة وقربهم على الدمار والبوار، ووقوفهم على شفا جرف هار، بشّركم الله بالجنة مكافأةً لتلك البُشرى..."[193]

كما يتجاهل الوهابيون حادثةَ إعدامِ الإمام عبد الله الأول بن سعود الكبير بن عبد العزيز بن محمد بن سعود عام 1818م. بموجبِ فرمانٍ أصْدَرَهُ السلطان محمود الثاني.. تجاهل عبدُ الرحمن الدمشقيةُ هذه الحقائقَ وهو الباحثُ الوهابِيُّ الوحيدُ الذي جرَّبَ حظَّهُ في البحث عن النقشبنديةِ ولم يُفْلِحْ، كما تجاهلها مشاهيرُ علماء الوهابية كصالح بن فوزان الفوزان، ومحمد بن صالح العثيمين، وعبد الله بن عبد الرحمن البسام، وعبد العزيز بن عبد الله بن باز، ومحمد بن علي الحركان، وإبراهيم بن محمد آل الشيخ، وصالح بن علي بن فهد بن غصون، وراشد بن صالح بن خنين، وعبد الله بن عبد الرحمن الغديان، ومحمد بن جبير، وعبد الله بن سليمان المنيع، وصالح بن لحيدان، وعبد الله بن عبد المحسن التركي... لم ينبس ببنت

[192] **المصدر: محمّد أسعد الصاحب، بغية الواجد ص/172 ؛ الرقعة الثالثة والأربعون، مطبعة الترقي دمشق-1334هـ. نسخة دار الكتب العلمية ص:177 بيروت-لبنان**

[193] **المصدر: محمّد أسعد الصاحب، بغية الواجد ص/182: الرقعة الخمسون، مطبعة الترقي دمشق-1334هـ. نسخة دار الكتب العلمية ص:187 بيروت-لبنان**

شفةٍ أحدٌ من هؤلاء ولا غيرهم عن أدنى شيءٍ من ألفاظِ خالد البغداديِ رغم ما ورد على لسانه وكتب في رسائله ومقالاته ممَّا ينقض الإيمان.

وعلى سبيل المثال، يقول البغدادِيُّ في رسالةٍ له بعث بها إلى بعض بطانته في إسطنبول، وهو في بداية أمرِهِ، يقول في مستهلّها:

"السلام التام والتحية والإكرام، أمَّا بعد: فقد وردت مكاتيبكم الدالّةُ على صحة ذواتكم فأورثتْ المسرَّةَ المشيرةَ إلى ثُباتِكم على الطريقة السُّنّيَّةِ السَّنِيَّةِ مع كثرةِ مزاحمةِ المنكرين، فحمدتُ اللهَ على ذلِك، المرّةَ بعد المرَّةِ، وقرع سمعَ هذا المسكين أن بعض الغافلين عن أسرار حقّ اليقين يَعُدُّون الرَّابطَةَ بدعةً في الطريقةِ، ويزعمون أنها شيءٌ ليس لها أصلٌ ولا حقيقةٌ. كلاَّ إنها أصلٌ عظيمٌ من أصول طريقتنا العلِيَّةِ النقشَبَنديَّةِ. بل هي أعظم أسباب الوصولِ بعد التمسُّكِ التامِّ بالكتاب العزيز وسُنَّةِ الرسول. ومن جملةِ ساداتِنا مَنْ كان يقتصرُ في السلوكِ والتسليك عليها، ومنهم مَن كان يأمرُ بغيرِها أيضًا مع تنصيصهِ على أنها أقربُ الطُّرُقِ إلى الفناءِ في الشيخِ الذي هو مقدّمةُ الفناءِ في الله تعالى. ومنهم مَن أثبتَها بنصِّ قوله تعالى: " يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ."[194]

هذه الرسالةُ تُعَدُّ من أهمِّ وثائق النقشبندِيَّةِ ومن أقدسِها وأجلِّها، مما يستحيلُ على أحدٍ منهم أنْ يكتمَ هذه الحقيقةَ، أو يدَّعِيَّ أنها مفتراةٌ على خالد البغداديِّ، أو مدسوسةٌ عليه. ومما لا شكَّ فيه أنَّ المسؤولِيَّةَ عن كل كلمةٍ وردت فيها إنما تقعُ على قائِلِها لا محالةَ، وفيها مسائلُ خطيرةٌ لابد من تحليلها وعرضِا على الكتاب والسنَّةِ، وإفشاءِ مساويها لِما فيها من خبطٍ، ومراوغةٍ وتحريفٍ وتدليسٍ وتهديدٍ وخلطٍ بين الحقِّ والباطِلِ يَرْتَبِكُ حيالَهَا مَنْ لا حظَّ له من علم أصول الدين، ولا من تاريخ الأديان والمذاهب.

أوَّل عبارةٍ فيها إشكالٌ، قوله: "فقد وردت مكاتيبُكم الدالّةُ على صحةِ ذواتِكم فأورثتْ المسرَّةَ المشيرةَ إلى ثُباتِكم على الطريقة السُّنّيَّةِ السَّنِيَّةِ مع كثرةِ مزاحمةِ المنكرين."

---

[194] المصدر: محمد أسعد صاحب، "بغية الواجد"، ص:73، الرقعة الرابعة، مطبعة الترقي دمشق-1334هـ. نسخة دار الكتب العلمية ص:77، 78 بيروت-لبنان قد جمع المؤلف في هذا الكتاب 106 رسائلَ لِعَمّهِ خالد البغدادي، من منشورات دار الكتب العلمية، طُبِعَ سنة: 2012م. في بيروت-لبنان. استدلَّ البغداديُّ للرابطةِ بالآية:119 من سورة التوبة.

يعبِّرُ البغدادِيُّ في هذه الكلمات عن فرحِهِ لثباتِ مريديه على الطريقة، وهي "الطريقةُ النقشبندِيَّةُ" التي مَدَحَهَا وَوَصَفَهَا بـ"السُّنِّيَّةِ السَّنِيَّةِ"، وهي في الواقعِ لا تمتُّ بأدنى صلةٍ إلى شيءٍ من سنةِ رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم، ولا هِيَ في شيءٍ من الإسلامِ على الإطلاقِ، فيكون قد افترى على الله وعلى رسولهِ افتراءً مكشوفًا بهذه الكلمات الجريئةِ، وقد دخل بذلك تحت طائلةِ قوله تعالى: "وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ."[195] كما لا أحدَ على وجه البسيطةِ كائنًا من كان يستطيعُ أنْ يبرهن على اثبات لفظ "النقشبندِيَّةِ" في نَصٍّ من نصوص الكتابِ والسّنةِ، أو في كلامٍ لأحدٍ من السلف الصالحين.

العبارة الثانية التي فيها إشكالٌ، قوله: "مع كثرةِ مزاحمةِ المنكرين."

يُعبِّرُ البغدادِيُّ عن غضبِهِ على معارضيه مع كثرتهم الذين يُنكرون على ثبات منتسبيه في استسلامهم له. وهذا يدل على أنَّ كثيرًا من المسلمين في تلك المرحلةِ كانوا على علمٍ بظهورِ زندقةٍ جديدةٍ اسمها "النقشبنديةُ"، فثاروا يومئذٍ على معتنقيها دفاعًا عن العقيدة الحنيفةِ. ثمَّ سكت العلماءُ طوال قرنين إلى اليوم، وتجاهلوا ما جاءَ في رسائل البغداديّ ومقولاته من موبقات الإيمان، كما لم يتحدَّثْ أحدٌ عن سبب هذا الصمتِ المخزي، ويدل ذلك بما لا يدع مجالا للشك على أنَّ العلماءَ شركاءُ في الجريمة!..

العبارة الثالثة التي فيها إشكالٌ، قوله: "فحمدتُ اللهَ على ذلِك، المرّةَ بعد المرَّةِ."

يُعبِّرُ البغدادِيُّ عن حمدهِ للهِ على زندقةٍ جاء بها من الهند، وبدأ يبثها بين رعايا الدولة العثمانية، ولا حاجةَ لدحضِ هذه الغطرسةِ السافرةِ لفضوحها.

العبارة الرابعةُ التي فيها إشكالٌ، قوله: "وقرع سمعَ هذا المسكين أن بعض الغافلين عن أسرار حقِّ اليقين يَعُدُّون الرَّابطَةَ بدعةً في الطريقةِ، ويزعمون أنها شيءٌ ليس لها أصلٌ ولا حقيقةٌ."

---

[195] سورة الأنعام: 21

يتحامل البغدادِيُّ بِصَرْفِ هذه الكلمات على كلِّ مَنْ لا يُقِرُّ بـ"الرابطةِ النَّقْشَبَنْدِيَةِ" وَيَعُدُّهَا بدعةً. لكنَّه تَحَايَلَ فقال عَمْدًا: "يَعُدُّون الرَّابطَةَ بِدْعةً في الطريقةِ"، بينما لم يقل أحدٌ "أنَّ الرابطةَ ليست من الطريقةِ في شيءٍ"، بل كُلُّ مَنْ عدَّ الرابطةَ بدعَةً إنما أرادَ أنَّها لا تَمُتُّ بصلةٍ إلى الإسلامِ. لأنَّ الطريقةَ النقشبنديةِ ديانةٌ مستقلّةٌ من امتداد الديانة البوذية لها تَعَالِيمُ ومصطلحاتٌ وطقوسٌ خاصَّةٌ، بينها وبين الإسلام فجوةٌ سحيقة.. أما الإسلامُ فهو دينُ اللهِ الذي بعث به جميعَ الأنبياءِ والمرسلين مِنْ أوَّلِهم إلى آخرهم، فهو دينُ التوحيدِ الخالصِ، مُنْسَجِمٌ مع الفطرةِ السليمةِ، خالٍ من كلِّ باطلٍ، قَوَانِينُهُ عَالَمِيَّةٌ شاملةٌ لتنظيمِ حياةِ البشرِ بخلافِ جميعِ الدِّيَانَاتِ الْمُحَرَّفَةِ، كاليهودية، والنصرانية؛ والدِّيَانَاتِ الْمُخْتَلَقَةِ، كالبوذِية، والمانوية والمزدكيةِ؛ والدِّيَانَاتِ الْتَّوْفِيقِيَّةِ الْمُرَكَّبَةِ[196]، كالنُّصَيْرِيَّةِ، والدُّرْزِيّةِ، واليزيديةِ، والقاديانيةِ والبهائية؛ والدِّيَانَاتِ الفلسفية والصوفِيَّةِ، كالنَّقْشَبَنْدِيَةِ، والْبَكْتَاشِيَّةِ، والدِّيُوبَنْدِيَّةِ...

كذلك يغضبُ البغدادِيُّ على كُلِّ مَنْ يَعُدُّ الرَّابطَةَ بِدْعةً عبر الكلمات نفسها حين يقول: "إنَّ بعض الغافلين عن أسرارِ حقِّ اليقين يَعُدُّون الرَّابطَةَ بدعةً في الطريقةِ."، يَتَّهِمُهُمْ البغدادِيُّ بالغفلةِ عن "أسرارِ حقِّ اليقين"، وذلك مراوغةٌ ومخادعةٌ وضربٌ من عجائب الحِيَلِ. لأنَّ تعبيرَ "حقّ اليقين"، إنما هِيَ تسميةٌ للمرتبة الثالثة من مراتب العلم في الإسلام، ولا علاقةَ لها بالطريقةَ النقشبنديةِ ولا بمفهومِ الرابطةِ إطلاقًا.[197]

***

لم يتصدَّ أحدٌ من علماءِ الإسلام، للإنكارِ على الطريقةِ النقشبنديةِ أو على "الرابطةِ" التي هي من أهم أركانها، بل لم يتجرّأ أحد منهم على تفنيد النقشبنديّين إلاَّ ثلاثُ شخصيّاتٍ فيما أعلم، وعددٌ من شيوخ الصوفية. وسأذكر سبب هذا التحفظِ والتخوُّفِ منهم عند المناسبة فيما يلي إن شاء الله تعالى..

---

196 الْتَّوْفِيقِيَّةُ الْمُرَكَّبَةُ: هي عكسُ التَّوْقِفِيَّةِ المحدَّدَةِ بنصوص الكتاب والسنَّةِ

197 أما هذه المراتب الثلاث، فهي: علم اليقين، وعين اليقين، وحقّ اليقين. فالأول: مثلُ مَنْ أُخْبِرَ أنَّ هناك عَسَلاً، وَصَدَّقَ الْمُخْبِرَ، أو رأى آثارَ العسلِ فاستدلَّ على وجوده. والثاني: مثلُ مَنْ رأى العسلَ وشَاهَدَهُ وعَايَنَهُ، وهذا أعلى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم "ليس المخبرُ كالْمُعَايِنِ". والثالث: مثلُ مَنْ ذَاقَ العسلَ، وَوَجَدَ طَعْمَهُ وَحَلاَوَتَهُ، فمعلومٌ أنَّ هَذَا أَعْلَى مِمَّا قَبْلَهُ. ومصداق هذه التفاصيل قوله تعالى: إِنَّ هُٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (الواقعة/95) ؛ وقوله تعالى: كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ. (التكاثر/5–8)

أما العلماءُ الذين خاطروا بأنفسهم فردوا على الطريقةَ النقشبندية، فأوَّلُهُمْ محمد رشيد رضا (**1865–1935**م.). سأله بعض قراء مجلةٍ علميةٍ كانت تصدر يومئذ في سنغافورة، فقد أجاب عن رأيه في الرابطة، وهذه كلماته:

"لو قلت: إني من أجدر الناس وأحقهم ببيان الحق في هذه المسألة لرجوت أن أكون صادقًا، وإذا بَيَّنْتُ السببَ في ذلك رجوت أن يُذعنَ له كلُّ عاقلٍ منصفٍ، ذلك بأنني قد سلكتُ الطريقةَ النقشبنديةَ، وعرفتُ الخفيَّ والأخفي من لطائفِها وأسرارِهَا، وخُضْتُ بحرَ التصوفِ ورأيت ما استقرَّ في باطنهِ من الدُّرَرِ، وما تقذف أمواجُهُ من الجيف، ثم انتهيتُ في الدين، إلى مذهب السلف الصالحين، وعلمت أن كل ما خالفه فهو ضلال مبين."[198]

لكن رشيد رضا لم يسلم من غضب النَّقْشَبَنْدِيِّينَ، بل ناصبوه بالعداءِ، وإنما نجا من السحقِ تحت أقدامهم لِبُعدِهِ عن بيئتهم، لأنه قضى فترةً من حياته في قريته (قلمون) بلبنان، وطاف مناطقها، ثم استقر في مصرَ وتُوُفِّيَ بها. أما النقشبنديون، فإنهم كانوا مُبَعْثَرِينَ في شمال العراق وبلاد الأكرادِ وأناضول ومنطقةِ القوقاز.

***

والرجل الثاني من العلماء الذين تصدَّوا لِلرّدِ على الطريقةِ النقشبنديةِ و"الرابطةِ"، هو الأستاذ الدكتور سعيد رمضان البوطي، فقد طرق للمسألة وردَّ على الرابطةِ بصراحةٍ، إلاَّ أنه حوَّلَ مسارَ كلامِهِ في مراوغةٍ عَبْرَ حديثِهِ، وهذه كلماتُهُ:

"معنى الرابطة فيما يُقرِّرُهُ ويحرص عليه كثيرٌ من مشايخ الطريقةِ النقشبنديةِ هو أن يبدأ المريد في أوَّل توجُّههِ إلى ذكر الله عزَّ وجلَّ، ويوصي هؤلاء الشيوخُ مريديهم بهذا العمل على أنّهُ ضرورةٌ لا بدّ منها، ووجه ضرورته في نظرهم أنّ المريد لا يستطيع أن يستلهم ذكر الله عزّ وجلّ إلّا إذا تصوّر الشّيخ أولًا، إذ أنّه هو الذي يمكِّنه من دخول الحضرة الإلهيّة ذاكرًا ومراقبًا.

---

[198] مجلة المنار: **11**/ **504** بترقيم الشاملة آليا.

هذه الرابطة، بهذا المعنى، كان أبي رحمه الله شديد الإنكار لها، وشديد الإنكار على من يَدْعُونَ إليها من الشيوخ أو من يمارسونها من المريدين.

ولقد دعت المناسبة ذات يوم فتحدثتُ عن هذه الرابطة في أحد دروسي العامةِ، وأوضحتُ حرمةَ هذا التوجيه وهذا السلوك، وبراءةَ التصوفِ من هذه البدعة التي أُقْحِمَتْ فيه.

وكان أن بلغ كلامي هذا، سمعَ أحدِ شيوخِ الطريقةِ النقشبندية في الجزيرة، فزار أبي ليشكوني إليه، ظانا – نظرة إلى شدة تمسكه بالتصوف ودفاعه عنه – أنه يقول بهذه الرابطة المنكرة ويدافع عنها.. جلس الشيخ يروي لأبي ما بلغه من حديثي عن الرابطة وإنكاري لها، وكنتُ أسمعُ، وكان من عادتي أن أجنحَ إلى الصمتِ في مجلس والدي إلا إن طلب مني الكلام أو اقتضى الأمر ذلك.

ولما أنهى الشيخ حديثه، قال له أبي رحمه الله: إن هذا الذي قاله سعيد صحيح !.. ثم قال له: إن المسلم إذا جلس يذكر الله، يجب ألاَّ يستحضرَ حتى صورة رسول الله في ذهنه، فكيف بصورة الشيخ ؟

ثم فصل له القول في أصل هذه الرابطة فقال: إن الرابطة عند قدماء شيوخ الطريقة النقشبندية لم تكن تعني أكثر من حب المريد للشيخ، وهو حق لا اعتراض عليه، لأن علاقة الشيخ بالمريد، هي علاقة تربية وتسليك، ولن ينصاع المريد لِتربيةِ الشيخ إلا إن أحبه ووثق به. غير أن هذا الحب ما ينبغي أن يمحضه المريد إلا للشيخ الذي جمع بين العلم والسلوك واستقام على الرشد والخلق الإسلامي الحميد، وكان مثال الزهد والورع والتقوى."[199]

نجد في هذه العبارات ما يصعب وصفه من لبسٍ، وخلطٍ، وتعميةٍ، ومداورةٍ يندهش منها العقل. نعم يردُّ البوطِيُّ على الرابطة النقشبنديةِ، ولا يكتم أنَّها بدعةٌ حين يقول: "كان أبي رحمه الله شديد الإنكار لها، وشديد الإنكار على من يَدْعُونَ إليها من الشيوخ أو من يمارسونها من المريدين." لكنه بعد ذلك يقول: "ولقد دعت المناسبة ذات يوم فتحدثتُ عن هذه الرابطة في أحد دروسي العامةِ، وأوضحتُ حرمةَ هذا التوجيه وهذا السلوك، وبراءةَ التصوفِ من هذه البدعة التي أُقْحِمَتْ فيه."

[199] الأستاذ الدكتور سعيد مضان البوطي، "هذا والدي" ص:101-102، دار الفكر المعاصر، دمشق -1995م.

لقد وقع البوطيُّ هنا في مستنقع التناقض لأنه حاول برأئَةَ التصوفِ متجاهلاً: أنَّ هذا المصطلحَ الغريبَ إنما هو مُختَزَلٌ أصلاً من كلمةِ (ثِيوزوفي Theosophy)[200] الإغريقية، ولا تمتُّ بصلةٍ إلى الإسلام إطلاقًا. وقد زاد البوطِيُّ في خبطِهِ وخلطِهِ حين نقل عن والده أنه قال: "إن الرابطة عند قدماء شيوخ الطريقة النقشبندية لم تكن تعني أكثر من حب المريد للشيخ، وهو حق لا اعتراض عليه." فيكون البوطيُّ قد أقرَّ بمشروعية التصوفِ والرابطةِ بطريقةٍ غيرِ مباشرةٍ من خلال روايته عن أبيه كأنه زعم أن التصوُّفَ وجهُ آخر من وجوه الإسلام. وذلك باطل بيّن البُطلان لا محالةَ.

***

أما الرجل الثالث فهو العلاَّمةُ الجليل الشيخ فريد صلاح الهاشمي الذي لم تأخذه لومةُ لائمٍ ولا خشيةُ ظالمٍ في الإقرارِ بالحق الذي لا مرية فيه، فأخذ على عاتقه بكل عزمٍ واستعدادٍ وافتداءٍ أنْ يقومَ بإفشاءِ مؤامراتٍ قام بها أفرادٌ وعصاباتٌ من الزنادقةِ منذ قرون لضربِ الإسلامِ وتحريفِ قِيَمِهِ الساميةِ، وتفسير نصوص الكتاب والسنةِ في صِيَغٍ ماكرةٍ.

حصلتُ على عددٍ من مُؤَلَّفَاتِهِ، فقد تناول الشيخ فيها نوعينِ من الزندقةِ خاصَّةً، وقام بإفشاءِ ما فيهما من مقاصد هدَّامَةٍ، ودحضَ ما تَبَنَّاهُ الزنادقةُ من الخداعِ والتضليلِ بنشرهما بين الرعاعِ السُّذَّجِ. وقد أحسن الشيخ في بيان حِجَجِهِ وإثباتِها بدلائِلَ من الكتابِ والسنّةِ، وتوطيدِها بوثائقَ منقولةٍ من مؤلفات العلماء والباحثين.

تتمثلُ إحدى تِلْكُمَا الزندقتين في الطريقة النقشبندِيَّةِ، وثانِيَتُهُمَا في الدِّيَانَةِ المسلمانِيَّةِ (Müslümanlik). لقد شرح المؤلِّفُ كلاًّ منهما بشمولٍ من التفصيل والتحليل وفقًا لمبادئِ النقد العلميّ، والإشارةِ إلى أسبابِ ظهورهما، وبيان الأهداف التي تَبَنَّاهَا الذين قاموا باختلاقهما ونشرهما في المجتمع التركي وغير ذلك من دقائق خفاياهما.. وأفادَ لي الشيخ فريد الدين بالذات (في أثناءِ زيارتي له) أنه نجح في الحصولِ على معظم المصادر والوثائق الخاصةِ بهاتين الزَّنْدَقَتَيْنِ، وأنه لم يغادر مسألةً مما يتعلق بهما إلاَّ وقد ذكرهما.

---

[200] الثيوزوفية فكرةٌ باطنيةٌ تعبِّرُ عن فهم طبيعة الألوهية والتنوير الروحي. وهي مشتقةٌ من اليونانية القديمة، ويمكن إرجاع جذورها إلى التقاليد القبالية والفلسفات الباطنية الغربية.

أمَّا شيوخ الصوفية الذين تصدَّوْا للرَّدِّ على خالد البغدادي، فكانوا مختلفين في مقاصدهم وفي الاحتجاجِ عليه، كما سيتبين ذلك في قصةِ النزاعِ بين كلٍّ منهم وبين البغداديِّ.

فأوَّلُ مَنْ تصدَّى للرَّدِّ عليه، هو الشيخ معروف النُّودَهِيُّ البرزنجِيُّ (1753–1838م.)، وهو من شخصيات القرن الثاني عشر الهجري، معاصرٌ لِخالدِ البغداديّ، كان من أبرز شيوخ الطريقة القادرية، فلما سمع بالتطورات التي حدثت كنتيجةٍ لنشاطات خالد البغداديّ، عقبَ رجوعه من الهند وأنه قام ببث عقيدة غريبة لم يعهدها المجتمع العثمانيُّ، كتبَ رسالةً بعنوان "تحرير الخطاب في الردّ على خالد الكذّاب."[201] بعث بها إلى والي بغداد سعيد باشا. قال فيها بعد أنْ طعن في البغداديِّ فرماه بالكفر والزندقة، وهذه بعض كلماته:

"إنّ الأكراد كلّهم قد اتبعوه. وملأ ببدعته الآفاق، وإنّه يدّعي التصرّفَ في الكائنات، ويدّعي علمَ الغيبِ، وإنّه ذهب إلى الهند فتعلّم من السحرةِ الجُوكِيّةِ ومن نصارى الإنجليز دينًا ظهر عندهم".[202]

كان هذا الكتاب جزءًا من صراعٍ فكريٍّ وعقدي حدث بين النودهي الذي كان شيخَ الطريقةِ القادريةِ في المنطقة الكردية، وبين خالد البغدادي الذي جاءَ بتعاليم الطريقة النقشبندية من الهند عام 1811م.. هذا الصراع بين قطبي الطريقتين كان له أبعاد دينية وسياسية، حيث كان النودهي مفتي السليمانية في ذلك الوقت وله مكانةٌ وجاهٌ، بينما كان نفوذ النقشبندية في تزايد. وقد ذكرت بعض المصادر أن النزاع بدأ بعد أن شعر النودهي باستياء من تزايد نفوذ البغداديّ وعلاقته بالسلطات، مما دفعه إلى تأليف كتابِهِ الشهيرِ (تحرير الخطاب)، إلاَّ أنَّ طائفةً من ملالي المنطقةِ تصدَّوْا للدفاع عن خالد البغداديِّ فكتبوا ردودًا على رسالة الشيخ معروف النودهي البرزنجي منهم محمد أمين السويدي الذي كتب ردًّا عليه، وأطلق على رسالتِهِ ثلاثة أسماء مختلفة، وهذا عنوان كتابه: " السهم الصائب لمن سَمَّى الصالح بالمبتدع الكاذب، أو دفع الظلوم في عرض هذا المظلوم، أو القول الصواب في رد ما يسمى بتحرير الخطاب ".

---

[201] عباس العزّاويّ، مولانا خالد النقشبنديّ (مجلة المجمع العلمي الكرديّ العدد الأول ص/ 704.) بغداد–1973م. هذا الكتاب مخطوط ولم يتم طباعته ونشره، مما يجعل العثور عليه أمرًا صعبًا. وقد وردت في بعض المنتديات والمواقع طلبات من باحثين ومحققين للعثور على نسخة من هذا المخطوط، مما يدل على أنه غير متاح للجميع بسهولة

[202] * محمّد أمين السويدي، دفع الظلوم عن الوقوع في عرض هذا المظلوم (ديباجة)؛ مكتبة السليمانية، خزانة أسعد افندي رقم/1404. إسطنبول.
* محمّد مطيع الحافظ – نزار أباظه، علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري 1/304.

ومن جهة أخرى انضمَّت إلى جبهة النودهيِّ جماعةٌ معظمهم كانوا من أهل مدينة الموصل، وعلى رأسهم عثمان بك بن سليمان باشا[203] الحيائي الجليلي (**1773 – 1829**م.)،[204] الذي تناول رسالةَ الشيخ النودهي وشرحها تحت عنوان: "دين الله الغالب على المنكر المبتدع الكاذب"، كما ألّفَ الشيخ محمودُ الموصليُّ الجليليُّ كتابًا سماه: "البُدُورُ الجلية في الردِّ على النقشبندية".. هكذا شنَّ علماءُ الموصل حربًا على خالد البغدادي وأتباعِهِ، لكن العصابات الخالدية قَاوَمَتْهُمْ وأنزلت بهم النكالَ، وجمعتْ كُتُبَهُمْ ومَقَالاتِهِم ونَقَلَتْهَا إلى أماكنَ خاليةٍ فأحرقتْهَا كلَّها، وهي مفقودةٌ، لم يحصل عليها الباحثون وأهل الدراسةِ إلى اليوم!.[205] ولعلَّ نُسَخًا نادرةً منها ظلتْ في مكتباتٍ خاصّةٍ بحوزة بعض العلماءِ تنتظرُ يدًا تَنْقُلُهَا يومًا مَّا إلى مكتباتٍ عامَّةٍ للمخطوطاتِ متى يشاءُ الله تعالى.

إنّ الذين يرون معارضةَ النودهيّ ناشئًا من مجرَّدِ حَسَدِهِ لخالد البغداديّ يقعون في خطأٍ فاحشٍ، لأنهم يَتجاهلون المعرفةَ الواسعَةَ التي كان الشيخ معروف النودهي يتميز بها في علوم الكتاب والسنةِ خاصةً في أصول الدين، مما أخذته الغيرةُ فانتفض في وجه خالد البغدادي عندما وجد في تعاليمه آثارَ الديانة البوذيةِ وأنه وجوديّ العقيدةِ لا يفرّقُ بين الخالق والمخلوقِ. هذا، ومن الغريب أن معظم الباحثين قد تجاهلوا هذا الجانب الهامَّ في الصراع الذي اندلع بين الطرفين، ماعدا باحثٍ كرديٍّ معروفٍ يُدْعَى (الدكتور هَلْكَوْت حكيم)، فقد خاطر بنفسِهِ أن أشارَ بكلماتٍ وجيزةٍ إلى عقيدةِ خالدِ البغدادِيّ في بحثٍ له يقول: "فهناك تَعَلَّمَ أصولَ طريقةٍ صوفيَّةٍ فيها لَمَسَاتُ الثقافةِ والرياضاتِ الروحيةِ الهنديةِ والاسيويةِ، أو بتعبيرٍ أخرَ، شيءٌ من التُّرَاثِ الْبُوذِيِّ."[206]

***

[203] سليمان باشا ابن أمين بن حسين الجليلي الموصلي (**1740 – 1796** م): هو أحد ولاة بني عبد الجليل في الموصل. ولي الموصل سنة **1186** هـ ونقل إلى كركوك ثم إلى ولاية سيواس ثم إلى قبرص، وأعيد بعدها إلى الموصل. استقال فيها ولزم بيته إلى أن توفي.

[204] عثمان بك الحيائي الجليلي (**1773 – 1829** م) هو أديب من أهل الموصل. ولد في مدينة الموصل ودرس على يد علماءها، تعلم اللغتين الفارسية والتركية وتلقى علم التجويد عن محمد أمين البصري الموصلي. أنشأ المدرسة العثمانية داخل جامع الخاتون.

[205] راجع: راجع: محمّد أسعد الصاحب، بغية الواجد ص/**211–213**؛ الرقعة الثالثة والأربعون، مطبعة الترقي دمشق–**1334**هـ. نسخة دار الكتب العلمية ص:**214–217** (الهوامش) بيروت–لبنان

[206] الرابط الألكتروني للمصدر: **https://www.almodon.com/culture/2024/12/20/**

لقد شرح الشيخ فريد الهاشمي (Feriduddin AYDIN) قصةَ هذا النزاع الذي انْدَلَعَ بين خالد البغداديِ ومعارضيه بتفصيل دقيق مع ذكر الوثائق المتعلّقةِ بها في كتابه "الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها"، ولا يخفي أنَّ المقامَ يضيق عن نقلِ أقلِّ جزءٍ منها! لذا، أيُّ باحثٍ يطلب المعرفةَ الصحيحةَ والشاملةَ فيما يتعلّقُ بالطريقة النقشبندية، يكفيه اقتناءُ نسخةٍ بصياغة PDF من هذا الكتابِ، فإنه يُغنيه عن كلِّ المصادر التي كُتِبَت حول الطريقة النقشبندية[207]، يشهد على هذه الحقيقةِ كاتبٌ كُوَيْتِيٌّ اسمه: محمد أحمد العباد، يقول في تعليقٍ له على "رسائل السنة والشيعة" لمحمد رشيد رضا، وهذه كلماته:

"لقد طُبعت دراسات مُفردة حول الطريقة النقشبندية، ومن أهمها وأنفعها ما كتبه الشيخ فريد الدين آيدن الذي بذل جهدًا بالغًا في دراسته التي احتوتْ معلوماتٍ تفصيليةً موثَّقةً مع الاتِّصال بصناديد تلك الطريقة حتى أتمَّها بعد ثلاثة وعشرين عامًا، ووقف في أثناء ذلك على مسائلَ كثيرةٍ تفوق بكثيرٍ ما أشارَ إليهِ السيد رشيد رضا رحمه الله، فَلْتُرَاجَعْ ..."[208] كما قد جاءَ مدحُ هذا الكتاب القَيِّمِ في تقريرٍ بقلم العلامة الفاضل الشيخ لطف الله بن عبد العظيم خوجه، (أستاذ قسم العقيدة بجامعة أم القُرى)، وذلك بناءً على أمرٍ صادر من رئيس جامعة. وهذه نبذة مُقتَبَسَةٌ من عباراته:

"هذا الكتاب وثيقة مهمّة في بيان حقيقة النقشبنديّة من الداخل، حيث أن مؤلّفه من أسرة نقشبنديّة بحسب ما أفاد به في أول الكتاب ص3 حيث قال:"ولدت ونشأت في أسرة ذات شهرة واسعة النطاق، تتمتع بالزعامة لقطاع كبير من هذه الطائفة الصوفية".

وانتسابه لهذه الطائفة ولزعامتها، مكّنه من معرفة خفايا لا يطّلع عليها من هم خارجها، كما أفاد في الموضع نفسه من الكتاب. فكان هذا الحال سببًا في رفع قيمة الكتاب، حيث شهد شاهد من أهلها.

ويرفعُ قيمتَهُ كذلك عنايته البالغة به، حيث أمضى فيه بحسب ما ذكر في خاتمته ثلث سني عمره (23) عامًا (ص5، 427). وتصديق ما ذكر ظاهر في ثنايا الكتاب، ومعلوماته، وما أورده من أخبار، وما عدّده

---

[207] وهذا رابط الموقع الذي يتوفر فيه الكتاب المذكورَ للتنزيل على الشبكة العنكبوتية: (DOC) الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها

[208] محمد رشيد رضا، رسائل السنة والشيعة المجلد الأول ص:25، 26. دار المنار، القاهرة–1947م.

من كتب لهذه الطائفة، وما عرضه من تاريخها، وشخصيّاتها، ومعرفته لكلّ ذلك بإسهاب ودقّة.. فمثل هذا الكمّ من المعلومات لا يتيسّر جمعها في مدّة وجيزة بل تحتاج إلى سنوات من الجهد الحثيث، والعمل الدائم.

ومما يرفع قيمة الكتاب: أن مؤلّفه تكلّف تأليفه برغبةٍ، وَتَوَجُّهِ نَفْسٍ، فقد استحوذ الموضوع عقله ووقته، حتى صار شغله، وهمّه، وديدنه، وأيّ مؤلّف يكتب بهذا الدافع فلابد أن يمتاز ويبرز."[209] كانت هذه سطورٌ وجيزةٌ من التقرير.

وتتأكّدُ الإشارةُ بالمناسبة إلى أنَّ هذا الكتابَ غيرُ مطبوعٍ منذ فَرَغَ مؤلِّفُهُ من تحريره قبل ثلاثين عامًا، ذلك أن أصحابَ دورِ النشر يرفضون طباعته خوفًا من أن يقعوا ضحايا لبطش النقشبنديّين والوهابيّين، والله تعالى المستعان! ورغم أهميةِ هذا الكتابِ وقيمتهِ العلميةِ في الرَّدِّ على كثيرٍ من بِدَعِ الصوفيةِ، ودفاعهِ عن عقيدةِ التوحيدِ والقِيَمِ السَّامِيَةِ للدِّينِ الحنيفِ، سَكَتَ الوهابيُّون عن ذكرهِ في مؤلَّفاتهم، ولم يُدرِجوُا هذا الكتابَ الفريدَ في المكتبة الشاملةِ حقدًا على مؤلِّفِهِ الشيخ فريد الهاشمي، لأنه كذلك فضح الوهابيّين وكشف عن إفراطِهم في تأويلاتهم لصفات الله سبحانه، بخلافِ ما يزعمون "أنَّهم يدافعون عن توحيدِ اللهِ ويحاربون الكلاميةَ والإشراكَ.." بينما سَلَكَ الوهابيُّون بالذات أسلوبَ الكلاميّين نَفْسَهُ في مناقشاتهم ومبالغاتِهم في ردودهم على الفِرَقِ الضالَّةِ وأسرفوا في العِرَاكِ معهم دون جدوى.

***

قد يتساءل مُتسائلٌ: لماذا لا نجد أحدًا من العلماءِ منذ قرنين من الزمان يقومُ أحدهم بالدفاعِ عن الإسلام في مواجهةِ تحديات النقشبنديّينَ ونشاطاتهم الهدامَةِ لِقِيَمِ الدّين الحنيفِ يا تُرى؟! وهل عثرتم على كتابٍ لأحدٍ من أهل العلم والاختصاصِ يتناول مقولاتِ البغداديّ في إطار نقدٍ علميّ يُفشِي ما فيها من ألوان الخبطِ والخلطِ بين أمورٍ متناقضةٍ أرادَ بها البغداديُّ التعميةَ والتحريف للحقائق القرآنيةِ؟

على سبيل المثال: يحاول البغداديُّ تعليمَ عقيدةِ التوحيدِ بنقل حديثٍ رواه البخاريُّ ومسلمٌ، في كتابٍ له، وَهذا نص الحديث: "الإسلام أنْ تشهد أن لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمّدًا رسول الله..."[210] نَفْسُهُ يأتي بتعريفٍ

---

[209] فريد صلاح الهاشمي، الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها، (الكتاب غير مطبوعٍ) له نُسَخٌ مصوَّرَةٌ في بعض المكتبات الرئيسة، منها مكتبة جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

[210] ورد هذا التعليم في كتاب "الإيمان والإسلام" الذي يُعزَى إلى خالد البغداديِّ، الصدر من مكتبة الحقيقةِ، ص:**17**، إسطنبول–**2005**م.

للرابطَةِ، وهي من أركان الطريقة النقشبندية، فيقول في الرقعة الرابعةِ من رسائله: "إذ هي في الطريقة عبارةٌ عن استمداد المريد من روحانية شيخه الكامل الفاني في الله تعالى وكثرة رعاية صورته ليتأدَّبَ ويستفيضَ منه في الغيبةِ كالحضورِ، ويتمَّ له باستحضارها الحضورُ والنور، وينزجِرَ بسَبَبِها عن سفاسفِ الأمورِ. وهو أمرٌ لا يُتصوّرُ جُحودُهُ إلاَّ مِمَّن كتبَ اللهُ سبحانه على جبهتِهِ الخُسْرَانَ، واتَّسَمَ والعياذُ باللهِ تعالى بالمقتِ والحرمَانِ..."[211]

يحكم البغداديُّ على كُلِّ مَنْ يجحدُ "الرابطَةَ"، يعني: "مَنْ يعتقدُ أنَّها لا تمتُّ بصِلَةٍ إلى الإسلامِ"، يحكم عليه بالشقاوة الأبديةِ، ويشتدُّ على هذا الإنسانِ "أنه " مِمَّن كتبَ اللهُ على جبهتِهِ الخُسران، واتَّسَمَ بالمقتِ والحرمَانِ..."

والغريب أنَّ البغداديَّ هذا الذي يُعَلِّمُ عقيدةَ التوحيدِ بنقل حديثٍ صحيحٍ (رواه البخاريُّ ومسلمٌ)، هو نفسُهُ يدافع عن شكلٍ من أشكالِ مناسك مجوسِ الهندِ، ويغضبُ غضبًا شديدًا على كلِّ مَنْ لا يعتقدُ بهذه البدعةِ المؤدِّيَةِ إلى الكفر. هكذا كان البغداديُّ في كُلِّ حياتِهِ متردِّدًا بين الحق والباطل في أقواله ومواقفه، ومتلوِّنًا في خطابه.. وأغربُ من ذلكَ سكوت العلماءِ على تمرُّدِهِ الخطير في وجه الدين الحنيف، وإلى التناقض الفاحشِ بين مَواقِفِهِ، وعلى صياغة عباراته التي فيها الحق والباطل جنبًا إلى جنب. لكننا لا نجد أحدًا من العلماءِ تجرّأَ بالرّدِّ عليه، وقام بتفنيدِ أباطيله، ولماذا؟..

إن الإجابةَ على هذا السؤالِ تَكْمُنُ في قصةٍ طويلةٍ لحياة البغداديّ ومغامراته التي بذل عبرها جهودًا بالغةً لتحقيق أحلامه في كسب الشهرةِ التي ظفر بها في النهايةِ بطريقِ توظيفهِ لِعِصَابَتَيْنِ؛ كَلَّفَ إحداهما بالدِّعايةِ له، وثانيتَهما بتهديدِ المعارضين وإنزالِ الرُّعْبِ في قلوبهم. وسيأتي التفصيل عن هاتين العصابتين فيما يلي إن شاء الله تعالى..

---

[211] المصدر: محمّد أسعد الصاحب، بغية الواجد ص/**73** ؛ الرقعة الرابعة، مطبعة الترقي دمشق–**1334**هـ. نسخة دار الكتب العلمية ص:**77** بيروت–لبنان

لقد كان البغداديُّ ذا طموحٍ وعزيمةٍ لا حدود لهما منذ عنفوان شبابه، يتشوَّقُ أنْ يَسْمُوَ بمكانةٍ لم يَسْبِقْ لأحدٍ ظفر بها قبله. يبرهن على هذه الحقيقةِ خطوتُهُ الأُولى في قصتهِ عن نفسهِ أثناءَ رحلته للحج، أيام إقامته في المدينة المنورةِ، يقول:

"وكنتُ أفتِّشُ على أحدٍ من الصالحين، لِأَتَبَرَّكَ ببعضِ نصائِحِهِ لَعَلِّي أعملُ بها كُلَّ حينٍ، فلقيتُ شيخاً يَمَنِيًّا مُتَرَيِّضًا، عالماً عاملاً صاحبَ استقامةٍ وارتضاءٍ، فاستنصحتُهُ استنصاحَ الجاهلِ المقصِّرِ، من العالم المستبصِّرِ، فنصحنِي بأمورٍ، منها: لا تبادر بالإنكارِ في مكة على ما تُرى ظاهِرَهُ يخالفُ الشريعةَ، فلمَّا وصلتُ إلى الحرم المكيِّ الشريفِ وأنا مُصَمِّمٌ على العملِ بتلك النصيحةِ البديعةِ، بَكَّرْتُ يوم الجمعة إلى الحرم، لأكونَ كمن قَدَّمَ بدنةً من النعم، فجلستُ إلى الكعبة الشريفة أقرأ الدلائلَ، إذ رأيتُ رجلاً ذا لحية سوداء عليه زيُّ العوام قد أسند ظهره إلى الشاذروان ووجهه إليَّ من غير حائل، فحدَّثَتْنِي نفسي أن هذا الرجل لا يتأدَّبُ مع الكعبة، ولم أُظهِرْ عَيْبَهُ، فقال لي يا هذا أما عرفتَ أنَّ حرمةَ المؤمنِ عند الله أعظمُ من حرمةِ الكعبة، فلماذا تعترضُ على استدباري الكعبة وَتَوَجُّهِي إليك، أما سمعتَ نصيحةَ مَنْ في المدينة وأكَّدَ عليك؟! فلم أشك في أنه من أكابر الأولياء، وقد تَسَتَّرَ بأمثال هذه الأطوار عن الخلق، فانكببتُ على يديه وسألتُهُ العفوَ وأن يأمرني بدلالته على الحق، فقال لي فُتُوحُكَ لا يكون في هذه الديار، وأشار بيده إلى الديار الهندية، وقال تأتيك إشارةٌ مِنْ هُنَاكَ فيكون فتوحُكَ في هاتيك الأقطار، فأيستُ من تحصيل شيخ في الحرمين يُرشِدني إلى المرام، ورجعتُ بعد قضاء المناسك إلى الشام،"[212]

إنَّ هذه القصَّةَ قد يكونُ أولُ مقطعٍ منها مطابِقًا للحقيقةِ حين يقول: "وكنتُ أفتِّشُ على أحدٍ من الصالحين، لِأَتَبَرَّكَ ببعضِ نصائِحِهِ لَعَلِّي أعملُ بها كُلَّ حينٍ..." لكنَّ حِكَايَتَهُ التي تبدأ بقوله: "إذ رأيت رجلاً ذا لحيةٍ سوداءَ عليه زيُّ العوام، إلى قوله: فأيستُ من تحصيل شيخ في الحرمين يُرشِدني إلى المرام..." كلُّها كذِبٌ، وَوَضْعٌ، واختلاقٌ، لا أساسَ لها من الحقيقةِ. تقومُ البراهين العقليةُ والنقليةُ على أنها قصةٌ خرافِيَّةٌ تخيَّلَها خالدُ البغدادِيُّ في ذهنه ليبنيَ عليها قصّةً أخرى وردت بقلم عبد المجيد الخانيّ، وهذه كلماته:

[212] عبد المجيد الخاني، الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية، ص:**225**، دار الطباعة العامرة سنة **1308**هـ.؛ محمد بن عبد الله الخاني، البهجة السنية في آداب الطريقة النقشبندية، مكتبة الحقيقة ص.**84** إسطنبول–**1996**م.

"وكان متشوّقًا بعد رجوعه من الشام إلى مرشدٍ من فحول الرجال حتّى جاء إلى السليمانية رجلٌ هنديٌّ يسمى "مِيرْزَا رحيم الله بِكْ" المعروف بمحمد درويش العظيم آبادي.[213] أحد خلفاء الشيخ الدهلويّ، فاجتمع به وعرض عليه مطلبه. فقال له: "إنّ لي شيخًا كاملاً مرشدًا عالمًا عارفًا بمنازل السائرين إلى ملك الملوك، خبيرًا بدقائق الإرشاد والسلوك، نقشبنديّ الطريقة، محمديّ الأخلاق، علمًا في علم الحقيقة. فَسِرْ معي حتّى نرحل إلى خدمته في جِهَانْ آبَادْ، وقد سمعتُ منه إشارةً بوصول مثلك ثم إلى المراد"[214]

هذه السطورُ المنقولةُ من مدوَّناتِ خالدِ البغدَادِيّ وما أضافَ إليها بطانتُهُ من ملاحظاتٍ وتعليقَاتٍ تنمُّ عن مجرَّدِ وساوسَ وهواجسَ لا معالِمَ لها إطلاقًا، معظمها وهمٌ مُخْتَلَقٌ لا أساس له... وهي قصّةٌ أكثرها خياليةٌ مزخرفةٌ يستحيل أن يكون قد جَرَى أقلُّ جزءٍ منها في واقع الأمر، يتعجب منها كلُّ مَنْ أكرمه الله بنعمة العقلِ وله حظٌّ من علوم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. فلا يخفي على متابعِ هذه القصةِ ما يَتَسَلْسَلُ عبر سياقها من ألوانِ الخبطِ والخلطِ والتلبيسِ والتحريفِ والتزييفِ وَمَزْجِ الحقِّ بالباطلِ ما يثيرُ الحيرةَ في كلِّ من يَتَمَتَّعُ بِمَلَكَةِ التمييزِ بين الحق والباطل..

قال الشاعر:

إذا مزجتَ الحقَّ بالباطلِ * جَوَّزْتَ ما شئتَ على الغافلِ
وفيهما فرقٌ صحيحٌ له * علامةٌ تبدو إلى العاقلِ
كالتِّبْرِ إنْ تَمْزُجْ به فِضَّةً * جازتْ على كلِّ فتًى جاهلِ
وإنْ تصادف صائغًا ماهرًا * مَيَّزَ بين المحضِ والحائلِ

***

يبدو من سياقِ هذه القصةِ أنَّ خالدًا البغدادِيَّ كان قد نذر نفسَهُ في كُلِّ حياتِهِ لتحقيق أمنيَّتينِ، أولاهما: أنْ يأتِيَ بِدَجَليَّاتٍ غريبةٍ تجزبُ قلوبَ الملايين من مرضى النفوسِ إليهِ ليرفعوه إلى أعلى مكانةٍ من الوجاهة

---

[213] هذه القصَّةَ نقلها عدةُ رجالٍ من النقشبنديّين الّذين تصدّوا لترجمة خالد البغداديّ، منهم قسيم الكُفْرَويّ في تركيا. سجل هذه الحكاية في الصفحة الثالثة بعد المائة من كتابه: **Nakşibendiliğin Kuruluşu ve Yayılışı**.حصل المؤلّف بهذا الكتاب على شهادة الدكتوراه من جامعة إسطنبول–كلية الآداب عام **1949**م. وهذا الكتاب المدوَّن باللّغة التركيّة، أعدّه المؤلّفُ على الآلة الكاتبة. وهي نسخة واحدة لا ثانية لها حتّى الآن، مودعة في خزانة معهد التركيات بمدينة إسطنبول، ومسجّلة تحت رقم/**337**.

[214] عبد المجيد بن محمّد بن محمّد الخانيّ، الحدائق الورديّة في حقائق أجلاء النقشبنديّة ص/**226**.

والقداسة؛ والثانيةُ: أنْ يحظى بذلك شهرةً لم يَنَلْهَا أحدٌ من عباد اللهِ في العالمين لا قبله ولا بعده. ومِنْ حدّةِ ذكائِهِ أنه أدركَ أنَّ أكثرَ الناسِ عاطفيون جهلةٌ ينساقونَ وراءَ كلِّ نُبَاحٍ ونهيقٍ، تبرهن على هذه الحقيقةِ كثيرٌ من الآياتِ تصف أحوال أكثر الناس بوصف قبيح؛ كقوله تعالى: فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل، كان أكثرهم مشركين.[215] وقوله تعالى: ولكن أكثر الناس لا يعلمون.[216] وقوله تعالى: ولكن أكثر الناس لا يشكرون.[217] وقوله تعالى: فأبى أكثر الناس إلا كفورا.[218] وقوله تعالى: قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون.[219] وقد تكررتْ هذه الأوصاف بحسب مقتضيات الموضوع.

نعم أدرك خالدٌ البغداديُّ هذه الحقيقةَ منذ أيام شبابه فأفرغَ قصارى جهودِهِ لاصطيادِ العقول وتشويشها، والنفوذِ إلى قرارةِ النفوسِ، ونجح في ذلك بحكم مراوغاته وَمَكْرِهِ وَحِيَلِهِ في ترويج علم الغيب للإنسان. كما جاءَ في قوله عن صاحب اللحية السوداءِ: "أما سمعتَ نصيحةَ مَنْ في المدينة وأكَّدَ عليك؟! فلم أشك في أنه من أكابر الأولياء، وقد تَسَتَّرَ بأمثال هذه الأطوار عن الخلق، فانكببتُ على يديه وسألتُهُ العفوَ وأن يأمرني بدلالته على الحق، فقال لي فُتُوحُكَ لا يكون في هذه الديار، وأشار بيده إلى الديار الهندية، وقال تأتيك إشارةٌ مِنْ هُنَاكَ فيكون فتوحُكَ في هاتيك الأقطار..."

يجب أن نعودَ فَنُؤَكِّدَ على أنَّ هذه الكلمات من نسج الخيالِ ولا حقيقة لها في الواقع! وإنما وضعها البغداديُّ لِيُمَهِّدَ السبيلَ إلى قصةٍ أخرى جاءَ فيها: "أنَّ عبد الله الدهلوي أرسل سفيرَهُ إليه يدعوه إلى الهند." وهل يجوز أن يكون عبد الله الدهلوي قد عرفه وهو في العاصمة الهنديةِ والبغدادِيُّ رجل من سكان السليمانية لا يزال شبه مجهولٍ من أوساطِ الناسِ، لكنه يبحث عن ذريعةٍ يستغلها في مسيرة الظهور والاشتهار، فاختلق شخصيةً خياليةً باسم "مِيرْزَا رحيم الله بِكْ"، فأوجد بذلك ذريعةً لرحلةٍ يقوم بها إلى الديار الهنديةِ، ليغيبَ عن الأنظار فيتمكنَ بذلك من حياكةِ قصةٍ يسحر بها أدمغةَ قطعان الرعاعِ والهمج

---

[215] سورة الروم: 42

[216] سورة الأعراف: 187

[217] سورة البقرة: 243

[218] سورة الفرقان: 50

[219] سورة العنكبوت: 63

فيستوليَّ على ضمائرهم. وفعلاً نجح في خطَّتِهِ بعد أن سافر إلى الهند عام 1810م. وعاد بعد سنةٍ، وجاءَ بعقيدةِ مجوسِ الهند ومزجها بطائفةٍ من مصطلحات الإسلامِ، فاختزل من الديانة النقشبتديةِ فرعًا جديدًا سمَّاه بـ"الخالديةِ"، فأصبحت مذهَبًا من مذاهب الديانة الْمُسْلُمانيَّةِ (Müslümanlik)، وهي ديانةُ الأتراكِ والأقلِّيَّا التابعة لهم، والخالديةُ قد انتشرت في أنحاءِ تركيا بجهودِ أشخاصٍ وعصاباتٍ عديدةٍ كـ"جماعةِ محمد زاهد كوتكو" في إسطنبول، و"جماعة محمود أسطى عثمان أوغلو" في إسطنبول أيضًا، وجماعةِ "شيوخِ الْمَنْزِلِ" في مدينة آديمان وغيرِها. وقد انبرت جَامِعَةُ بِينْگُول لِمُهِمَّةِ الدعايةِ إلى الديانة الخالدية ونشرِهَا إلى أنحاء العالم عن طريق ما يُسَمَّى "مؤتمرات وندوات علمية و"أعمال أكاديمية"، والحقيقةُ أنَّ مثلَ تلك الاجتماعاتِ والأعمالِ الدعائيةِ جهودٌ زائفةٌ ليست من العلمية والأكاديمية في شيءٍ، وإنما هيَ محاولاتٌ تبشيريةٌ وأيديولوجيةٌ ضد الإسلامِ خوفًا من أنْ ينتشر في تركيا خاصةً بعد أن تنامت الحركة السلفيةُ والصحوةُ الحنيفةُ في هذا البلد منذ بضعة أعوام..

كان خالدُ البغداديُّ رجلاً جريئًا صفيقًا ذا طبيعةٍ شرسةٍ مُستكبِرًا، لم يكن يعبأ بأحدٍ، ولم يغادر أحدًا مِمَّنْ لقيهُ إلاَّ سلك معه مَسلكَ الحِذْقِ لِيُلْقِيَ عليه هيبتَهُ ويطوِّعَهُ في لحظات، فيتحولُ محاطبُهُ إلى صُعلوكٍ مسكينٍ يجد نفسَهُ دنيئًا حقيرًا بين يديهِ مهما كانَ عالمًا أو وجيهًا ذا مكانةٍ اجتماعيةٍ.. وهذا مَكَّنَ البغدادِيَّ من التحزلُقِ في خطابِه وإظهارِ البطشِ والسطوة على كلِّ مَنْ زاره، أو كلَّمَهُ، عالمًا كان أو جاهلاً، شريفًا كان أو وضيعًا. يدلُّ على ذلكَ ما جاءَ في مستهلّ رسالةٍ له بعث بها إلى رئيسِ بطانته في إسطنبولي، يهدد فيها مُخَاطَبَهُ، وهذه كلماته:

"فالآن أخبركم بأنّي وجميعَ رجالِ السلسلةِ تبرَّأنا من عبد الوهّاب. فهو مطرودٌ عن الطريقة. فكلُّ مَنْ تصادق معه لأجل الطريقةِ فليترُكْ مُصَادَقَتَهُ وَمُكَاتَبَتَهُ، وإلاّ فهو بريءٌ من إمدادِ هذا الفقيرِ وإمدادِ الساداتِ الكرامِ. ولا أرضى أن يكاتبني؛ ولا أن يستمدَّ هِمَّتِي بعدَ وصولِ هذا المكتوب إليه. وأنت مأمورٌ بإيصاله إلى كلِّ مُخلصٍ. فَمَنْ كَانَ مريدَ الطريقة فليُظهِرِ الْبَرَاءَةَ منه، ومن كان مريدَ نفسهِ فلا يلومنَّ إلاّ نفسَه إذا هلك مع الهالكين"[220]

---

[220] عبد المجيد بن محمّد بن محمّد الخانيّ، الحدائق الورديّة في حقائق أجلاء النقشبنديّة، ص/232؛ محمد أسعد صاحب، بغية الواجد، النسخة القديمة المطبوعة في دمشق، ص/130؛ فريد صلاح الهاشمي، الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها. ص:263.

وهذا مثال آخر من تهديداته التي وجَّهَهَا إلى خليفته الشيخ إسماعيل الشيرواني:

"فلا تُعْلِّمُوا رابطةَ صورتِكم لأحدٍ، ولو ظهرت له، فإنّه من تلبيس إبليس. ولا تستخلفوا أحدًا منهم إلاّ بأمري، فضلاً عن مزاحمتهم لخلفاء الأطراف من نحو (أرْزِنْجَانَ) و (بَدْلِيسَ).

ولئن تماديتم في هذا التغافل الّذي تستعملونه لَنُعْرِضَنَّ عنكم بالكليّة، وخرط القتاد دونه. ومن أنذر فقد أُعذِر، والسلام".[221]

ومن تهديداته إلى الشيخ معروف البرزنجي النودهي، قوله:

"فإنْ صحّ ما بلغني عنكم، فعليكم بالإعراض عن الكلمات المؤدّية إلى الشكّ والوسواس. فانّ أحوال أهل الفقر وراء العقل، والعلم يدرَك بالقياس. وبعد اللُّتَيَّا والّتي، يَضْمَنُ لك هذا المسكين – إن ثبت قدمك، وما طغى قلمك بعد اليوم – أن ترى نتائج لا يحمل أكثرها السفير، وتزيد على حوصلة التقرير والتحرير."[222]

ومن أمثلةِ بطشِهِ على الناسِ: أنَّ عصابةً من خدمه قبضت على رجلٍ في دمشق وهو قادم من المدينة المنورة، كان يحملُ رسالةً لعبد الوهاب السوسي المحكوم عليه بالإقامة الجبرية في مدينة الرسول، يذكر فيها مثالب خالد البغداديّ يريد أن يفضحه، كان قد بعث بها ليوصلَ إلى أنصاره في إسطنبول. وهذه قصتُهُ على لسان عبد المجيد بن محمد الخاني:

---

[221] * خالد البغدادي، رسالتُهُ هذه إلى إسماعيل الشيرواني، وردت في المصادر التالية:

* محمد بن عبد الله الخاني، البهجة السنية في آداب الطريقة النقشبندية، مكتبة الحقيقة ص.**44**، إسطنبول–**1996**م.

* محمد أسعد الصاحب، بغية الواجد ص:**174**. طُبِع على نفقة دار الدعوةِ لصاحبها محمد أكينجي، قزلتبه–ماردين.

* عبد الكريم البياري المدرس، تذكار الرجال ص:**64**، **65**

[222] عبد المجيد بن محمّد بن محمّد الخانيّ، الحدائق الورديّة في حقائق أجلاء النقشبنديّة ص/**231–232**.

"ولفّقوا من قول الزور والبهتان رسالةً بتكفيره لما زعموا من أنّه يدّعي رؤية الجانّ، وأرسلوها إلى دمشق مع أحد هوامّ الأكراد العوامّ يقال له إسماعيل الزلزلومي. فلمّا وصل إليها توسّل بعض خدم الشيخ بكلّ وسيلة جميلة، واستحضرها لحضرته الجليلة ليظهر عليها. فطار خبرها إلى والي الشام، فأمر بتشهيره في البلدة وتعزيره، فمرّوا به وهو كذلك من تحت قصر الشيخ (...)، فحانت منه إلى الطريق نظرةٌ، فأمر بتحويله إلى رحابه، وتطهيره وتخويله حلةً من ثيابه، وأدناه منه، فقبّل الرجُلُ رِجْلَهُ، فعفاه."[223]

كان خالدُ البغداديُّ – مع ما به من الغلظةِ والفظاظةِ والطبيعة القاسيةِ – نراهُ متواضعًا لَيِنَ الجانبِ في بدايةِ خِطَابَاتِه، كقوله في مستهل رسالَتِهِ إلى خلفائه في إسطنبول، يقول: "وقرع سمعَ هذا المسكين أن بعض الغافلين عن أسرار حقِّ اليقين يَعُدُّون الرَّابطَةَ بدعةً في الطريقةِ..." يصف نفسَه بـ"المسكين"، بينما يعودُ فورَ ذلِكَ يُظهِرُ غلظتَه مستكبرًا بقوله: "إن بعض الغافلين عن أسرار حقِّ اليقين يَعُدُّون الرَّابطَةَ بدعةً في الطريقةِ..."

يبدو من عبارات البغدادي أنه مهما تكيَّسَ وأظهر اللِّين والرِّفْقَ في بداية خطابه فإنه سرعان ما يتحوَّلُ عن أسلوبه الهادِئ فيتجبَّرُ وينتفخ غضبًا لِيُحْبطَ ما قد يجول في صدر مخاطَبِهِ مِن أدنى هواجس الاعتراضِ أو الشكِّ أو التساؤلِ، فلا يقوم الرجلُ من مقامه إلاَّ وقد ذَلَّتْ رَقَبَتُهُ بين يدي البغدادِيّ، واستسلم له، وانبهر بعظمتِهِ، واطمأنَّ بكل ما يقول ويأمر به، ولو كان باطلاً بَيِّنَ البطلانِ، بل ومُوبِقًا للإيمان!

هكذا فرض البغدادِيُّ نفسَهُ على ملايين الناسِ بطريقته الخاصّةِ فتألّهَ في عصرِهِ، وطارَ صِيتُهُ في الآفاقِ، فافتدى آلافٌ من الأوباشِ ومرضى النفوسِ ليدافعوا عنه ويسحقوا أيَّ إنسانٍ ينتقده أو يُفشي أقلَّ شيءٍ من مثالبه، فالتزم العلماءُ جانب الصمت خوفًا على حياتهم إلى يومنا هذا، فانتشرت الديانة الخالديةُ انتشار النار في الهشيم فطغت على العقيدة الحنيفة في معظم مناطق الشرق الأوسطِ فهجرها الإسلامُ وحلت محله الديانةُ "الْمُسْلُمَانِيَّةُ **Müslümanlik**" التي تُغَذِّيها الخالديةُ، والله المستعان.

***

[223] المصدر السابق ص/**233**.

خلَّفَ البغداديُّ طائفَةً من الزنادقةِ ليبثُّوا عَقِيدَتَهُ بعد هلاكِه، وهذه أسماءُ مشاهيرهم الذين يُعَدُّنَ من الطبقة الأولى في الديانة الخالدية:

محمد البغدادي، عبد الله الهكاري الشمزيناني، عبد الرحمن العقري، عبد الفتاح العقري، ملاَّ مصطفي الگُلْعَنْبَرِي، عبد الله الجلي، ملاَّ عباس الكركوكي، عبد القادر البرزنجي، ملاَّ هداية الله الأربلي، اسماعيل البرزنجي، ملاَّ أبوبكر البغدادي، طاهر العقري، معروف التكريتي، أحمد القسطموني، محمد بن سليمان، محمد عاشق، موسى الجبوري، عبد الغفور الكركوكي، أحمد الخطيب الأربلي، عثمان الطويلي، عبد الله الأزنجاني، خالد الكردي المدني، إسماعيل الشيرواني، أحمد الأغْرِبُوزِي، أحمد البرزنجي السرجلوي، عبيد الله الحيدري، عبد الغفور المشاهدي، محمد الجديد البغدادي، محمد الناصح، حسن القوزاني الخطاط، محمد المجذوب العمادي، خالد الجزيري، طه الهكاري، إسماعيل البصري، محمد الفراقي، ملاَّ خالد الكردي، عبد الله الفردي، إسماعيل الأناراني، عبد الله الهروي، محمد الخاني، ملاَّ يحيى المزوري. هؤلاءِ هم رجال الطبقة الأولى بعد البغداديِّ الذين لوّوا رقابهم أمامه، وتصاغروا بين يديه، ومثّلوه بإخلاصٍ وافتداءٍ، واستسلموا لإرادتِهِ، وأطلقوا ألسنتهم بالثناء عليه، وبَالَغُوا في إعزازِهِ وتوقيرِهِ وتقديسهِ، وتبركوا بلقائه ورغبوا في دعائه وبركته... من الغريب أنِّي لم أعثر على اسم أحمد بن سليمان الأروادِي الطرابلسي في هذه القائمةِ، وقد ذُكِرَ في بعض الْمُدَوَّنَاتِ أنه كان من خلفاءِ خالد البغداديِّ، وممن سلك على يده أحمد ضياء الدين الگُمُوشْخَانَوِي (1813-1894م.).[224] لعلّهُ لم يشارك شيوخَ النقشبندية في بعض كفرِياتهم، ولم يوافق على معتقداتهم الإلحادِيَّةِ، فأهملوا اسمَهُ ولم يذكروه في تراجمهم.

***

إنَّ أكثر مَنْ اعتنق الخالديةَ هم الأتراك، لأنها فرعٌ من النقشبنديةِ، وهي ديانةٌ تركيةٌ تمَّ تأسيسها منذ قرونٍ في مدينة بُخارى من بلاد الترك. وأشهر الشخصيات الذين تحمَّلوا مهمَّةَ نشر الخالدية في تركيا بعد خالد البغداديِّ هو طه الهكاريُّ النهرِيُّ، الذي يُعدُّ من الطبقة الأولى. انتسب إليه رجلانِ من شيوخ الأكرادِ، وهما: صبغةُ الله الأرواسيّ، ومحمدُ الكُفْرَوِيّ، كانا يقيمانِ في مدينة (بَدْلِيس)، لكنهما بدئا يتنافسان في

[224] أحمد ضياء الدين الگُمُوشْخَانَوِي بن مصطفي بن عبد الرحمن الكُمُشْخَانَوي (**1813-1894**م). صوفي تُركي عثماني من أهل القرن التاسع عشر الميلادي، انخرط في سلك الخالديين، أجازه أحمد بن سليمان الأروادي بالخلافةِ، والگُمُوشْخَانَوِيُ من الطبقة الثانية بعد خالد البغدادي. تعلّم اللغةَ العربيَّةَ وأتقنها، أقام ثلاث سنين في مصر، درس العلوم الشرعيةَ لكنها لم تمنعه من اعتناق الديانة الخالدية. كان ملمًّا بالتأليف وجَمْعِ الكُتُبِ، من أشهر مؤلّفاته: جامع الأصول في الأولياء وأنواعهم، راموز الأحاديث، روح العارفين ورشاد الطالبين، العابر في الأنصاري والمهاجر، لوامع العقول (شرح راموز الأحاديث، في خمسة مجلدات). نجاة الغافلين وتحفة الطالبين...

ازدياد المريدين وتوسيع نطاق الشهرةِ، فوقع بين الأسرتين تنافرٌ شديد وعداوةٌ دامت قرابةَ قرنين من الزمن إلى أن اندرست ألأسرةُ الكُفْرَوِيَّةُ واندحرت من الساحة، فَتَهَيَّأَتْ الفرصةُ للأسرةِ الأرواسِيَّةِ وهي من الطبقة الثانية، ثمَّ انتسبت إلى الأرواسيّين أسرةُ عبد الرحمن التاغي المتوطّنةِ بضواحي مدينة (بَدْلِيس) وهي من الطبقة الثالِثَة، فَتَحَمَّلَت المهمةَ في نشر الخالدية، ثمَّ انتسب إلى التاغيّين رجل كردِيٌّ من قرية (تل معروف) قرب قامشلي بشما سوريا، يُدعى أحمد الخزنوي،[225] وهو من الطبقة الرابعة، ثم انتسب إلى أحمد الخزنوي رجل كردِيٌّ اسمه عبد الحكيم الْبَلْوَانِسِيّ وهو من الطبقة الخامسة.

ظهر زنديقٌ ماكرٌ في إسطنبول يُدعى (حسين حِلْمِي إيشِكْ)، انتسب إلى عبد الحكيم الأرواسيّ الذي يُعدُّ من الطبقة الثالثةِ بعد خالد البغداديّ، وقام بطباعة معظم كتب النقشبنديّين ونشرِها منذ قرنٍ، فأشبع المكتباتِ والأضرحةَ بهذه الكتبِ في أنحاءِ تركيا. تُمَوّلُ هذه المهمةَ شركةٌ قابضةٌ بعنوان: **İhlas Holding**، وتُوَزَّعُ هذه الكتبُ مجانًا عن طريقِ (دار الحقيقة للنشر والتوزيع) في إسطنبول.

لم تقتصر شهرةُ خالد البغداديِّ على ذُيُوعِ صيتِهِ بين جماهير العوامّ فحسب، بل نالَ من الاحترام والتوقير لدى نُخبةِ المجتمعِ وأُمراءِ الدولةِ العثمانيةِ ما لا مزيد عليه. وهذا يُذَكِّرُنَا بحيلةٍ استعملها البغدادِيُّ بلباقةٍ مشوبةٍ بالنفاقِ. ذلك أن البغداديَّ لما حَالَفَهُ الطَّالِعُ فنال من القبول لدى السلطان محمود الثاني بدأ يراسلُ الوزراءَ والأمراءَ ومفتي الديار، ويَلْقَى منهم الثناءَ، فيتضرعون إليه ويطلبون منه الدعاءَ، يقينًا منهم: "أنه رَجُلٌ من كبارِ الصالحين مُسْتَجَابُ الدَّعْوَةِ". لكنَّ من الغريبِ أنَّ البغداديَّ على رغمِ انْهِمَاكِهِ في مخالطةِ السياسيّين ومخاطبتهم، كان يحذِّرُ بِطَانَتَهُ من التقرُّبِ إلى الأمراءِ ورجالِ الدولةِ، يدل على هذه الحقيقةِ بعضُ رسائله التي بعث بها إلى أشخاصٍ من المقرَّبِين إليه، وهذه أمثلةٌ منها:

فيما يلي نَصُّ رسالةٍ لِخالد البغداديّ وجّهَهَا إلى ثلاثةٍ من خُلَفَائِهِ. سيجد القارئُ فيها صُوَرًا مُذْهِلَةً مِنْ ألوانِ الخبطِ والخلطِ والرياءِ والاستغلالِ والتشويش والتضليل والتهديد والتناقُضِ والتلاعُبِ بمفاهيم الدين

---

[225] راجع الكتاب: (الخزنوية خداع وتضليل)، للمؤلّف: بقلم عبدالله بن عبد الرحمن الجزيري، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض– محرم **1426**م.
(رواط المصدر: **https://dawa.center/file/334**؛ **264– الطريقة الخزنوية خداع وتضليل : e7saan.com : Free Download, Borrow, and Streaming : Internet Archive**)

الحنيفِ.. ينهاهم البغداديُّ في مستهلِّهَا عن التقرُّبِ إلى الأمراءِ والملوكِ ورجال الدولةِ، على عكس ما كان هو يسلك من مخالطتهم ومراسلتهم. وهذه كلماته:

"بسم الله الرحمن الرحيم"

"الحمد لله وكفي، وسلامٌ على عباده الذين اصطفي[226]، من العبد الساعي في هلاكِ نفسِهِ الملتهي بشغل يومِهِ عن جزاءِ غدِهِ وذنوبِ أمسِهِ خالد إلى مخاديمه السيد عبد الغفور، والشيخ محمد الجديد، وموسى الجبوري، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.[227] أما بعد: فأوصيكم وآمركم بالتأكيد الأكيدِ، بشدة التمسُّكِ بالسنّة السنيةِ والإعراض عن الرسوم الجاهلية والبِدَع الردِيّة، وعدم الاغترار بالشطحات الصوفية،[228]

---

[226] باشر خالد البغداديُّ رسالتَهُ هذه بالحمد والصلوات على النبي صلى الله عليه وسلّم على أسلوب علماء المسلمين، وكان ذلك عادتُه في مراسلاتِهِ بينما كانَ هو معتنقًا لمعتقدات الهنادكِ وإنْ لم يعترف بذلكِ، لأنه لو أفشى كُلَّ ما في باطنه مجرّدًا عن تكييفِهِ لمصطلحات البوذِيَّةِ بمفاهيمَ الإسلاميةِ لافتضح، لكنه تلوَّنَ بمظاهر علماء المسلمين فلم يفطن إلى حقِيقَتهِ إلاَّ قليلٌ من أهل العلم، غير أنهم سكتوا ولا يزال المعاصرون منهم على صمتهم حتى اليوم لأسبابٍ غنية عن الذكر، ومما يبرهن على هذا الواقع أنَّ باحثًا عراقيًّا كردِيَّ الأصلِ يُدعى (خالد عثمان حمدامين) تناولَ حياةَ الشيخ معروف النودهي في رسالةٍ له بصورة دقيقةٍ، وذكر جميعَ مؤلّفاتِهِ ما عدا كتابِهِ "تَحْرِيرُ الْخِطَاب فِي الرَّدِّ عَلَى خَالِدِ الْكذّاب"، فتجاهله تمامًا، إمّا لِحُسْنِ ظَنِّهِ بالبغداديِّ واحترامِهِ له، نظرًا إلى أنَّ البغداديَّ كان كردِيُّ الأصل، أو خوفًا على مُسْتَقْبَلِهِ، لِعِلْمِهِ بعصابةٍ إرهابيةٍ تتربَّصِ الإنقضاضَ على أيِّ إنسانٍ تجرّأَ بالطعن في خالد البغدادي

لقد كان الشيخ معروف النُّودهي ألّف كتابًا بعنوان: "تَحْرِيرُ الْخِطَاب فِي الرَّدِّ عَلَى خَالِدِ الْكذّاب"، اتهم فيه خالدًا البغداديَّ بقوله: "إنّ الأكراد كلّهم قد اتَّبَعُوه. وملأ ببدعتِهِ الآفاقَ، وإنّه يدّعي التصرّف في الكائنات، ويدّعي عِلْمَ الغيبِ، وإنّه ذهب إلى الهند فتعلّم من السحرة الجُوكِيّةِ ومن نصارى الإنجليز دينًا ظهر عندهم«." فتعرضَ النودهيُ بعدَ ذلك للإهانةِ والسحقِ، كما اختفي كتابُه، وهو مفقودٌ لا أثر له في المكتبات. ويغلب الظن أنَّ عصابةَ الدفاعِ عن البغدادي قد جمعت نُسَخَ هذا الكتابِ وأتلفتها بعد معاقبة سليمان باشا للشيخ النودهِيّ.

[227] لا يخفي على أهل العلم أن تواضع المنافق يختلف تماما عن تواضع الإنسان المخلصِ. المنافقُ يَتَكَلَّفُ التواضعَ في التعبير عن نفسه، لأنه يريد أن يبدو لطيفًا كيّسًا في بداية خطابه ليسحر مخاطَبَهُ فَيُطَوِّعَهُ، وهو مُتَكَبِّرٌ في نفسِهِ أصلاً، يقول عن نفسِهِ مثلا: "العبد الفقير"، لكنه غيرُ مُعْتَقِدٍ بما يقول، كما جاءَ في كلمات البغداديّ: "مِنَ العبد الساعي في هلاكِ نفسِهِ الملتهي بِشُغْلِ يومِهِ عن جزاءِ غدِهِ وذنوبِ أمسِهِ خالد..."، لكنَّ تعليماتِهِ وتهديداتِهِ التي يعصف بها لخلفائه الثلاثةِ فور هذه الكلمات الرنانةِ تكشف عن باطنه الذي يغلي فيه بركان الكبر والغطرسة. وهذه مقطع من خطابه لهم كأنه يصرخ:

"لا تَتَدَاخَلُوا مع الملوك والأُمراءِ والآغَوَاتِ وأعوانهم، فإنكم لستم ممن له قوّةُ إصلاحِ هؤلاء، ولا تغتابوهم ولا تسبُّوهم بطرًا وغرورًا..." لكنَّ سلوكَ البغداديّ يكذِّبُهُ بحسب ما ورد بقلم كاتب كردي يُدْعَى حسين جمو، ينقل عن المستشرق كلاوديوس ريج، وقائع هروب خالد من السليمانية في أيام زيارته للأمير محمود باشا. ويسجل الحدث يوم **25** تشرين الأول/ أكتوبر **1920**: "لقد وضعه الأكرادُ قبل بضعةِ أيامٍ في منزلةٍ تَرْتَفِعُ على منزلة عبدالقادر الجيلاني. وقد اعتاد الباشا أنْ يقفَ أمامَهُ ليملأ الغليون له". ومعروفٌ أن خالداً كان مُدَخِّنًا للغليونِ ولم يتوقف عن تدخينه إلا بعد خروجه من كردستان. لكن أنْ يقفَ حاكمُ إمارةِ بَابَان محمود باشا ويملأ له الغليون مظهرٌ كافٍ لإثارةِ جنون الشيخ معروفِ النودهي البرزنجي."

(رابط المصدر: النقشبندية الكردية.. من مولانا خالد إلى كنعان أفرين (**1–3**) | المركز الكردي للدراسات)

[228] من توصيات البغداديّ في الرسالةِ نفسِها التي وجّهها إلى خلفائِهِ الثلاثة، قوله: "أما بعد: فأوصيكم وآمركم بالتأكيد الأكيدِ، بشدة التمسُّكِ بالسنّة السنيةِ والإعراض عن الرسوم الجاهلية والبِدَع الردِيّة، وعدم الإغترار بالشطحات الصوفية..." من الغريب أن تصدرَ هذه الوصيةُ عن شخصٍ يعتنق عقيدةَ وحدة الوجودِ، ويجمع بين آداب اليوغيةِ والمفاهيم الإسلامية في تعبُّدِهِ! وقد يتسائل البعضُ عمال إذا كان خالدُ البغداديُّ وجودِيًّا، فعليه أنْ يقرأَ السطورَ التاليةَ لابن أخيه (أسعد الصاحب)، يشرح فيها عقيدة شيوخ النقشبندية (وعمُّهُ خالدُ البغداديُّ من أكابرهم)، وهذا تعريفُهُ لعقيدةِ وحدةِ الوجودِ:

"وفناءُ هذه الطائفَةِ في شهود الموجودِ كلِّهِ، وهو الواجب بنفسِهِ، ما ثَمَّ وجودَانِ ممكن وواجب. ولا يُفَرِّقونَ بينَ كونِ وجودِ المخلوقاتِ بالله وبين كونِ وجودِها هو عينُ وجوده. وليس عندهم فرقٌ بين الْعَالَمِينَ وربِّ الْعَالَمِينَ، ويجعلون الأمرَ والنهيَ للمحجوبين عن شهودِهم وفنائِهم. المحجوبُ عندَهم: مَنْ يشهدُ أفعالَهُ طاعاتٍ أو معاصِيَ، لأنه في مقام الفرقِ، فإذا ارْتَفَعَتْ درجتُهُ

وترك تصحُّب العوامّ المعَمِّين (...) بالترجّي لهم عند وزيرٍ وأميرٍ أو باشا، لأنه ينجرُّ إلى اتّهامِكم بما يشين، وإذا تعارضَت المفسدتان فارتكابُ أهونِها لازمٌ، والسعيدُ مَنْ اتّعظ بغيرِه، فلا يُوهِمَنَّكم أنَّ قضاءَ حاجةِ الإخوان من أعظم العبادات، لأنه مخصوصٌ بما إذا لم يتولّدْ منه ما هو أكبر، ولا تَتَدَاخَلُوا مع الملوك والأُمراءِ والآغَوَاتِ وأعوانهم، فإنكم لستم ممن له قوّةُ إصلاحِ هؤلاء، ولا تغتابوهم ولا تسبُّوهم بطرًا وغرورًا بزعمِ أنهم ظَلَمَةٌ وأنتم صُلَحَاءُ، فإنّه عُجْبٌ وجهلٌ، إذ ما مِنَّا أحدٌ ليس بظالمٍ، بل عليكم بالدعاء لوليِّ الأمر وأعوانه بالتوفيقِ والإصلاحِ. فقد روى الطبرانيُّ في معجَمِيهِ الكبيرِ والأوسِطِ بإسناده أنه صلى الله عليه وسلّم قال: لا تسبّوا الأئمّةَ وادعوا لهم بالصلاحِ فإن صلاحهم صلاحٌ لكم.

ولا تُدْخِلُوا الطريقةَ بعدَ هذا اليومِ أحدًا منهم، ولا مِنْ أعوانهم، ولا مِنَ التجار المتفكّهين بالدنيا المنهمكين بالشهواتِ، ولا مِنَ العلماءِ وطلبةِ العلمِ الذين جعلوا العلمَ وسيلةَ الجاهِ عند الخلقِ وجمعِ الحطامِ، ولا مِنَ البطَّالين الذين يستندون إلى الطريقةِ بسببِ البطالةِ فيحملو أثقالَهم على رقاب الناس باسم الصلاح والإرادةِ، ولا مِنَ الذين إذا تيسّرَ لهم رتبةٌ من مناصبِ الدنيا وثبوا إليها وَثْبَةَ النَّمِرِ وقد كانوا يغضبون إذا تساوى بهم أحد من الخلفاءِ فضلاً عن غيرهم من المريدين، ولا مِنَ الذين يريدون الخلافةَ ليشتهروا لَمَّا رأوا أنَّ بعضَ الناسِ صارتْ لهم الشهرةُ وجمعُ الفلوسِ بسبب الخلافةِ.

واعلموا أنَّ أحبَّكم إليَّ أقلُّكم أتْباعًا وعلاقةً بأهل الدنيا، وأخفُّكم مؤنةً، وأشْغَلُكُمْ بالفقه والحديثِ.. وقد ورد في بعض الأحاديثِ (ما ازدادَ رجلٌ من السلطانِ قُربًا إلاَّ ازدادَ من اللهِ بُعدًا، ولا كثُرَتْ أتباعُهُ إلاَّ كثُرتْ شياطينُهُ، ولا كثُرَ مالُهُ إلاَّ اشتدَّ حسابُهُ..) وحينئذٍ لم يبقَ وجهٌ للميلِ إلى تكثير السوادِ بهؤلاءِ إلاَّ الطمع وحب الشهرةِ والجاهِ وأخذ الدنيا بالدِّين، وجميعُ هذه النيّاتِ وفسادُها غنيٌّ عن البيان. ولا يخدعكم

عندهم فلا طاعةَ ولا معصِيَةَ، بل ارتفعت الطاعاتُ والمعاصي لأنها تَسْتَلْزِمُ اثنينيةً وتعدُّدًا، وَتَسْتَلْزِمُ مُطِيعًا وَمُطَاعًا، وعاصِيًا ومعصِيًا. وهذا عندهم محض الشرك." (المصدر: محمد أسعد صاحب زاده، بغية الواجد في مكتوبات مولانا خالد، ص:**27**، **28**. مطبعة الترقِ دمشق–**1334**هـ. طُبع على نفقة دار الدعوةِ لصاحبها محمد أكينجي، قزلتبه–ماردين.)

إنَّ الوجوديّين لا يؤمنون بوجودِ ذات الله سبحانه وتعالى أصلاً، ولا بصفاتِهِ (كما مَرَّ في التعريف السابق)، لذلك يَتَجَنَّبُونَ عن العبادةِ وأداءِ الفرائض إذا اعتزلوا الناسَ في حُجُراتِهِم الخاصّةِ بهم، وانفرودا بأنفسهم. يدل على ذلك قول أحد شيوخهم وهو يصف آداب المشيخة، فيقول (في أدب الخامس عشر): أنْ يجعل له (خَلْوَةً) ينفردُ بها وحده، ولاَّ يُمَكِّنَ أحدًا من مريديه أن يدخُلها..." (المصدر: محمد أمين الكردي الأربلي، تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب ص: **585**، دار القلم العربي – حلب سوريا – **1991**م.؛ وص: **578** في نسخة دار الكتب العلمية – بيروت/**1995**م.)

أما نصائح شيوخ النقشبندية "بالتمسّك بالسنة السنية" وما أشبه، لمريديهم وخلفائهم الذين ما زالوا ممنوعين عن معرفة أسرار الطريقة حتى يتم تطويع ضمائرهم لاستقبالها، فإنه لمجرد منع الشكوك حول عقائدهم وسلوكياتهم التي يُبطنونها بكلِّ اهتمامٍ، وإلاَّ ظهرت مساويهم وافتضحوا، وانْفضَّ الناسُ من حولهم!

الشيطانُ بأنَّ فائدةَ الخلافةِ وقدرةَ إلقاءِ الجذباتِ إيصال النفع إلى الخلقِ، وبأنكم إذا ما كثرت أتباعُكم ما تيسّرت لكم الختوم كلَّ يومٍ لأني تركتُ لكم الطلابَ الصادقين الذين لا يتصفون بشيءٍ من الذمائم المارّة، وهم وإن كانوا نادرين لكن واحد منهم أحسن من ألوفٍ من الطالبين، وختم القرآن يكفيه نحو ثلاثين مريدًا مع أنه يمكن بالمخلصين من الجيران، وإن لم يتيسّرْ فلا يكلّف الله نفسًا إلاَّ وُسعَها. وليترك تردد النساءِ إلى بيت عبيد الله أفنديِ الحيدري للتوجُّهِ، فإنّهُ لخروجِهِ عن الطريقةِ ودخولِهِ فيما دخل بطوعِهِ وغرورِهِ صارَ له هبوطٌ عظيمٌ، وسادةُ هذه الطريقةِ لاَ يُتلاعَبُ بهم، وأمرُ عبيدِ اللهِ بسبب وقوعِ اسم الخلافةِ عليه وزعم كونه أقدم من غالب الخلفاءِ لا يُشبه أمر الذي دخل في الطريقةِ وهو من أهل الدنيا، ولا الذي لم يدخلْ فيها وهو من أهل الدنيا من المحبّين كأخيه المرحوم طاب ثراهُ. أئمة هذه الطريقة طردوا المريدين بأدنى انصرافٍ بعد الإرادةِ فضلاً عن الخلافةِ، فراجِعواُ الرشحات عند ردِّ إمام الطريقة بهاء الدين شاه نقشبند، وعبيد الله الأحرار، قدّس الله سرَّهما لبعض مَن استأذن للحجّ أو قَبِلَ التدريسَ في بعض المدارِسِ من المريدين، فإن خالفتم فلستم على عهدي، وأنتم تعلمون،[229] (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ)"[230]

***

كان خالد البغدادي على اتصالٍ مستمرٍّ مع رجال الدولة العثمانيةِ، بل الدولةُ كانت تستغلُّهُ لمصالحها، إذ كانت مُضْطَرَّةً للتعاون معه نظرًا للحشود التي التفّتْ حوله في الحين الذي أحدقت بها مخاطرُ من كلّ صوبٍ كادت أن تُدَمِّرَهَا وتجعلَها خاويةً على عروشِها، وهي في حاجةٍ إلى دعمِهِ.. فتهيّأتِ الفرصةُ للبغداديّ في تلك الحُقْبَةِ العصيبةِ، والدولةُ متواطئةٌ معه، فاستطاعَ أنْ يفرضَ نفسَه على ملايين الناسِ ويتحكَّمَ في رقابهم باستعمال تعاليم الطريقةِ النقشبندية التي انتشلها من المجوسية الهندية وترجمها إلى العربية والفارسيةِ وَكَيَّفَهَا بالمزج بينها وبين مصطلحاتٍ إسلاميةٍ..

كانت تلك الحشود قد تحوّلت إلى ركامٍ من الدُّمْيَاتِ في يده، يلعب بها في تحقيق أغراضِهِ، وتوطيد مركزه فيُحرّضُها ويُسَلّطُها على أيّ إنسانٍ يراه عقبةً أمام أطماعِهِ. بالإضافةِ إلى كلّ ذلك، استعمل البغداديُّ

---

[229] محمد أسعد صاحب، بغية الواجد، ص:111-116، الرقعة الثانية عشرة، مطبعة الترقي دمشق-**1334**هـ. نسخة دار الكتب العلمية ص:**115-119**. بيروت-لبنان

[230] سورة الشعراء:**227**

أسلوبًا خاصًّا في الخطابِ، فاستعرض به مهارةً لا نظير لها في تسحير المخاطَبِ وتطويعِهِ وإذلاله، فانبهر به وأطاعه كلُّ مَنْ بلغتْهُ سطورٌ وجيزةٌ صدرت بقلمه، وفيها ما يُحَيِّرُ العقولَ من تَرْكِيبَاتٍ جمعتْ بين الحقِّ والباطل، والدعوةِ إلى الكُفْرِ والإيمانِ جنبًا إلى جنبٍ، وهذه أمثلةٌ من رسائله إلى بعضِ رجال الدولة العثمانية:

كتب البغداديُّ إلى مفتي الديار مصطفي عاصم، وهذه كلماتُهُ بالضبط: "أمّا بعد: فقد ورد إلينا مكتوبُكم وأمالَ إليكم قلوبَ الفُقَراءِ بعضَ الإمالةِ، ووصلت إلينا شهرةُ اهتمامكم بترويجِ طريقتِنا التي هي لُبُّ الشريعةِ فزادكم عندنا مهابةً وجلالةً، جزاكم الله في الدارين خيرًا، وحفظكم من كلِّ ضيرٍ سِرًّا وجهرًا، واعلموا أنه ثبت بالكشف الصحيح والوجدان الصريحِ عند جهابذة الكشفِ والشهود وبَذَلَةِ الروحِ ونُفَاةِ الوجودِ: إنَّ أجلَّ السعادةِ وأفضل العباداتِ بعد تصحيح الاعتقادِ والتَّبَرِّي عن تُرَّهاتِ أهلِ الفسادِ، والقيامِ بالفرائِضِ على مذهب أحد الأربعة الأمجادِ (المواظبةُ على الذكر الخفِيِّ)، مع دوام العلم بأنه سبحانه وتعالى يراكَ وإن لم تكن تراه، ولا يغيب عنه مثقالُ ذرّةٍ، وحاضرٌ عندهُ مُتَقَلَّبُ عبدِهِ ومثواه، ولا أريد العلمَ التقليدِيَّ فإنه يكون في بعض الاحيانِ ويشترك فيه أهلُ البِدَعِ والإحسان، وأربابُ الكفرِ والإيمانِ..."[231]

يظهر من خلالِ هذه السطور المزخرفةِ أسلوبُ البغداديِّ الذي تَمَلَّقَ في بدايتها إلى المفتي، فوصف نَفْسَهُ من "الفقراءِ" مع ما يُضمر في قلبه من الغرورِ والاستكبار، ولم يلبث حتى أبدى تعاظُمَهُ بقوله: "وصلت إلينا شهرةُ اهتمامكم بترويجِ طريقتِنا"، فجعله في منزلةِ تلميذٍ يتلقى منه الدرسَ، لأنه أثارَ عاطفة المفتي أوَّلاً فتمكّنَ من تَسْحِيرِهِ بإظهار التواضع له في بداية كلامِهِ

ثُمَّ مزّجَ الحقَّ بالباطلِ عبر تركيباتِ كلامِهِ بمهارةٍ فائقةٍ كقوله: "وصلت إلينا شهرةُ اهتمامكم بترويجِ طريقتِنا التي هي لُبُّ الشريعةِ فزادكم عندنا مهابةً وجلالةً،"، بينما لا يشك عَالِمٌ بالكتاب والسنةِ وتاريخ الفلسفات والأديان والمذاهب: أنَّ الطريقةَ النقشبندية ديانةٌ من امتداد المجوسية الهندية. هكذا استطاع البغداديُّ أنْ يَسْطَادَ عقلَ مفتي الديار العثمانيةِ الذي لابد وأنه كان قد درسَ علوم القرآن والسنةِ فيما سبق حتى وصل

[231] راجع: محمّد أسعد الصاحب، بغية الواجد، ص:105، الرقعة العاشرة، مطبعة الترقي دمشق–1334هـ. نسخة دار الكتب العلمية ص:110 بيروت–لبنان

إلى هذا المنصب الرفيع. إلاَّ أنه كان قليل الثقافةِ ومن فقراء العلم، يجهل الديانات الهندية تمامًا على غرار علماء زمانه كابن عابدين الدمشقي وأمثاله...

وقول البغداديّ: "نُفَاة الوجود": لَغْزٌ مَاكِرٌ خطيرٌ، معناه: "نُفَاةُ وجودِ وحدةِ الكائناتِ" التي تمثل الخالقَ والمخلوقَ معًا، وذلك عقيدة "وحدة الوجودِ" بعينها. لكن المفتي لم يفطن إلى مضمون هذا اللغزِ لجهله بحقيقة ما قصده خالد البغداديُّ في كلماته المعقّدةِ.

وجملة القولِ في ضوءِ ما سبق من الأدلّةِ الدامغة والمعلومات الْمُوَثَّقَةِ المنقولة من مصادر النقشبنديّين بالذات: أنَّ خالدًا البغداديَّ كانَ زنديقًا خطيرًا من أشهر الزنادقةِ في تأريخ المسلمين، ورجلاً شجاعًا، وبلعامًا، وَمُشَعْوِذًا ماهرًا في اختلاقِ الحِيَلِ، ومراوِغًا فتّانًا حاذِقًا في استفزاز الملالي والخواجواتِ وإقناعِهم وتطويعهم، وتضليلِ العامةِ، وتسحير عقول السياسيّين... استطاعَ البغداديُّ أنْ يكسبَ شهرةً مُنْقَطِعَةَ النظيرِ، وهيبةً في نظر مآت الآلافِ من الناسِ الذين تهافتوا عليه وأحاطوا به وقاموا بالدعاية له متفانين فيه، وأصبحوا دروعًا واقيَةً حَوْلَهُ، وأسلحةً فَتَّاكَةً في يده، هدّدَ بهم كلَّ من عَارَضَهُ، فسحقوا في لحظتِهِ مَنْ تحدّاهُ كائنًا مَنْ كان، أو تجرَّأَ على مواجهتِهِ. مما تجنَّبَ العلماءُ من تكذيبه وإبطالِ حِجَجِهِ الواهيةِ وأسَالِيبِهِ الْمُلْتَوِيَةِ التي حاول من خلالِهَا الجمعَ بين البوذية والإسلام، فزاده ذلك غطرسةً واستكبارًا يهدِّد العلماءَ، ويتلاعب بالقِيَمِ السامية. ومن حظه أنَّ المَلَالِيَّ والخواجوات والمجازيب الذين الْتَفُّوا حولَهُ وأصبحوا رهن إشارتِهِ، كانوا جميعًا يجهلون عقائدَ الكفارِ والمشركين، لم يكن أحدٌ فيهم يعلم ما هي البوذيَّةُ، والبرهميةُ، والزرادشتيةُ، والمانويةُ، والمزدكِيَّةُ... فلم يَفْطَنْ أحدُهم إلى ما كان يعتنقُ البغدادِيُّ من عقيدة الفناءِ ووحدة الوجودِ، فانسحبوا ورائَهُ من غير وعيٍ بهذه الأمور، والطامةُ أنَّ بعضهم كانوا قد نذروا معظم حياتهم في دراسة كتب الفقه، مثل ابن عابدين وأمثالِهِ، كانوا غافلين عن عقائد أهل الشرك والكفر والإلحادِ. هذا هو السبب الأساسِيُّ لاغترارهم وانزلاقِ الذين تشبثوا بهم في التقليد والانتماءِ. فَمِمَّا يدلُّ على عدول ابن عابدين عن الصراط المستقيم بعد سقوطه في حبال النقشبندية قوله في حاشيته: "وفي البحر عن عدة الفتاوى: الكعبة إذا خرجت من أرضها لزيارة صاحب الكرامة، ففي تلك الحالِ جازت الصلاةُ إلى أرضِها."[232]

---

[232] محمد أمين بن عمر ابن عابدين (ت **1252** هـ) سجّل هذه الكلمات الخطيرة في حاشيته المعروفة بـ"رد المحتار على الدر المختار. **1/302** الطبعة الأميرية.

يقول الكاتب الكردي حسين جمو عن سلبيات مواقف البغداديِ والآثار الهدّامة للطريقة النقشبندية: "أنها لعبت أيضًا دورًا مُعَطِّلاً للتقدُّمِ العلميِّ. فالنقشبندية الخالديةُ تتحمل قسطاً كبيراً من مسؤولية زيادة ضحايا وباء الطاعون، وتحديدًا طاعون بغداد سنة **1831**م. الذي تسبب في هلاك ثلثي السكان من بغداد إلى البصرة، وقبلها سلسلة الأوبئة في دمشق وحلب بين **1823 – 1827**م. حيث كرس مولانا خالد النقشبندي الفتاوى السابقة لشيوخ القادرية بتحريم الهروب من الوباء وكذلك حرّم الحجر الصحي الذي كانت تعرضه القناصل الأجنبية، واعتبر ذلك هروبًا من "لقاء وجهه تعالى". وفيها قولته المشهورة أيام الطاعون في دمشق: "ما جئنا الشام إلا لنموت في هذه الأرض المقدّسة"، فمات بالطاعون هو وابنه وكثير من أفراد عائلته وآلاف مؤلّفة من الناس. في المجمل فإن النقشبندية ساهمت في عرقلة الإصلاحات العثمانية الكارثية على كردستان"[233] خاصة وأن البغداديَ كان يخلط بين الحقِّ والباطلِ، ويستشهد بالآيات والأحاديث لتحريفهما، فَدَامَ على بثِّ أباطيله إلى أن هلك سنة **1827**م.

***

[233] رابط المصدر: النقشبندية الكردية.. من مولانا خالد إلى كنعان أفرين (1–3) | المركز الكردي للدراسات

9) الفِرْقَةُ الحشاشيةُ:

الحشاشون: عصابةٌ إرهابيةٌ دمويَّةٌ، وفرقةٌ من الزنادقة الباطنيةِ. أسَّسَهَا ونظَّمَها الحسنُ بْنُ عليِّ بْنِ محمد الصباح الحُميرى (**1037–1124**م.)، تنظيمًا عسكريًّا، ووضع لِعَقَائِدِهَا وأُسلوبِ نَشَاطَاتِهَا مبادِئَ مقنَّنَةً، فجعل من أتباعه فِدَائِيِّينَ فَتَّاكِينَ أدخلوا الرُّعبَ في القلوبِ، وأذهبوا النومَ عن الجفونِ، وأَقَضُّوا مَضَاجِعَ الملوكِ والأمراءِ عصرًا من الزمن.

وُلِدَ الحسن الصباح في مدينةِ الرّيِّ الإيرانية، تلقَّى تعليمًا في شتى المعارف، فتميَّزَ بعلمٍ غزيرٍ وثقافةٍ واسعةٍ. ولَمَّا اشتدَّ ساعدُهُ، أخذ يجوبُ في البلادِ ويجمعُ معلوماتٍ حولَ أمورِ الناسِ وتصرُّفاتهم ويتجسَّسُ وراءَ النُّخبةِ من العلماءِ والوجهاءِ، وأهلِ الحلِّ والعقدِ. تسلّل إلى بلاطِ ملوك السلاجقةِ فترةً وتحسَّسَ بواطِنَ سِيَاسَتِهِمْ، وَتَدَابِيرِهِمْ، وتحرُّكاتِهِمْ، وتصرُّفاتِهِمْ، وعقائدهم... ثم تنصَّلَ من محيطهم ليواصلَ تباحُثَه. ذلك أنه كان مضطربَ التفكيرِ، قَلِقًا، شاكًّا، متردِّدًا... دَفَعَتْهُ أحلامُهُ وجُرْأَتُهُ إلى مغامرةٍ رهيبةٍ بعد أنْ تعرَّفَ على دُعاةِ الإسماعيليةِ وصَاحَبَهُمْ مدَّةً.

لكنَّه ما لبث حتى انشقَّ عن الإسماعيليّين واختلف معهم لما تولَّى الحُكْمَ أحمدُ الملقَّبُ بالمستعلي بالله (الفاطمي)، فدعا ابنُ الصباح إلى خلافةِ نِزَارِ بْنِ معد الذي اختلف مع أخيه (المستعلي) فقُتِلَ. أنشأ ابن الصباح لِجَيْشِهِ مُعَسْكَرًا فوقَ قِمَّةِ جبل شاهقٍ سُمِّيَ بـ"قَلْعَةِ الموت" فتحصنوا فيها سنين، وسيطر على عدد من القلاع والحصون المجاورة، فاستخدمها تارة لبث عقائد الإسماعيلية، وتارة أخرى لإجراءِ تدريبات عسكرية، ثم اتسع نطاق سيطرته فتحول إلى دولة مترامية الأطراف أُطلق عليها بلاد الإسماعيلية.

سُمِّيَ الحشَّاشون بأسماء أخرى كثيرةٍ، منها "الإسماعيلية" لتقارب مذهبهم الذي يدينون به مع طائفة الإسماعيلية، وسُمُّوا أيضا بالباطنية والنزارية، وذلك لتأييدهم الإمام الذي ينادون به وهو نزار ابن المستنصر الفاطمي. وقد جاءت تسميتُهُمْ في بعض مصادر التأريخ: بـ"الملاحدة" و"الحشيشية"، وهو الاسم الأشهر

لهم في كتب الأوائل، أمثال جمال الدين الحموي وشمس الدين الذهبي وعبد الرحمن بن خلدون الذي ذكر أنهم لُقّبوا أيضا بـ"الفدائية" لانتهاجهم أسلوب "عمليات الاغتيال" ضد خصومهم.

تلتقي معتقداتُهُمْ عمومًا مع معتقداتِ الإسماعيليّين، فيؤمنون بوجود إمامٍ معصومٍ ومنصوصٍ عليه، لكنَّها كانت تختلفُ باختلافِ تَوَجُّهَاتِ أئمتِهِمْ، فكان إمامُهم بالشام رشيدُ الدين سليمان يؤمن بالتناسخ، ويدَّعي علمَ الغيب. وأما إمامُهم الْمُلَقَّبُ بـ"الحسن الثاني" فزعم أنَّ الساعةَ قد حان قيامُهَا. وألغى الشريعةَ وأسقطَ التكاليفَ، وجاء ابنُهُ جلالُ الدين فنسف كلَّ مُعْتَقَدَاتِ آبائهِ، ثم جاء بعده ابنُهُ ونسف عمل أبِيهِ وعاد إلى الفكر الأصلي للجماعة.

كان أفرادُ هذه العصابةِ الفتاكةِ كلُّهم زنادقةً ملاحدةً وأعداءً أَلِدَّاءَ لأهل السنة والجماعةِ ولكل من خالفهم في العقيدة.. أعلنوا الحربَ على الفاطميّين والعباسيّين والسلاجقةِ... كانوا خارجين عن الملةِ، ووحوشًا ضاريةً لا يعرفون الرحمة، ارتكبوا جناياتٍ رهيبةً إلى أنْ أبادهم الله بسيوفِ حوشٍ من أمثالهم المغول سنة **1256**م.

مات الحسن الصباح حتف أنفه يوم الثاني عشر من شهر حزيران سنة **1124**م. فخلَّفَهُ بُزُرْك آميد الذي كان مندوبَه على قلعة (لامسار).

***

10) الفِرْقَةُ اليَزِيدِيَّةُ:

الفرقةُ اليزيديةُ أخَسُّ الفِرَقِ الكافرةِ وأحقرها وأكثرها دناءةً. تظهر هذه الحقيقةُ لكلِّ مَنْ يَطَّلِعُ على سُلوكيَّاتهم وتصرُّفاتهم وأفكارِهم وعقائدهم وطقوسهم... وهم من الأقلِّيَّات الضعيفةِ، يبلغ عددهم حوالي **120** ألف نسمة، منهم سبعون ألفًا في العراق والباقي في الأقطار الأخرى، وهم مرتبطون جميعاً برئاسة

البيت الأموي. يسكنون في المنطقة الكردية الموزّعة على شمال سوريا والعراق، وجنوبي شرق تركيا. يتحدّثون باللغة الكردية، إلاَّ أنَّ أغلبَ الأكرادِ (وهم من أدعياءَ السنة) يكرهون اليزيديِّين، وأهلُ المعرفةِ والمثقفون من الأكراد السنّيّين يعُدُّون اليزيديّين من الأنجاسِ ولا يأكلون ذبيحتَهم.

اختلف أهلُ البحثِ والدراسةِ في تاريخ هذه النحلةِ وَتَنَوَّعَتْ آراؤُهم حولَ أسبابِ ظهورِهَا وعلاقةِ اليزيديةِ بتاريخِ الدولةِ الأمويةِ. وممن اهتمَّ باليزيدية وتناولهم بحثًا في تاريخهم وعقائدِهم وحياتِهم الاجتماعيةِ كلٌّ من الشيخ غالب بن علي بن غالب عواجي، وسعيد الديوه جي، وعبد الرزاق الحسني، والدكتور سامي سعيد الأحمد، وعباس العزَّاوي، وأحمد تيمور، وصديق الدملوجي، وهاشم البناء، ومحمود الجندي، ويعقوب سركيس، والدكتور شاكر خصباك، وسليمان الصايغ، ومصطفي نوري، وجورج حبيب، وإسماعيل چول، والأستاذ الدكتور إحسان ثريَّا صِرما، وعدد من المستشرقين.

قيل إنهم من امتدادِ جيوش الأموية الذين انهزموا أمام القوات العباسية في معركة الزاب الكبرى شمال العراق يوم **25** يناير من عام **750**م. فهربوا وعلى رأسهم أَمِيرُهُمْ إبراهيم بن حرب بن خالد بن يزيد، وتحصَّنوا في سفوح جبال (زاغروس) بشمال العراق وتبعثرو بين صفوف الأكرادِ وانصهروا في بوتقتهم مع الزمان وهم منعزلون عن العالم الخارجي، فاسْتَكْرَدَتْ أجيالُهم، وتشوَّهتْ عقائدُهُمْ بعد أن طغت عليها عقائد السكان الأصليين من الزرادشتية، واختلطت بأساطيرهم وخرافاتهم.

يتوارى تاريخهم بعتمةٍ حالكةٍ حيث لم يُلفحْ عمالقةُ الباحثين في كشفِ حقيقتهِ بَعْدُ بوضوحٍ ناصعٍ يشرح صدورَ أهل العلم، فباتت جذورُ عقائدِهم في مجاهيل الغيب يجازف بها بعضُ المنتحلين ويتخبَّطُ فيها، فلا تكاد تظهر إلى العيان. أمَّا عقائدهم وطقوسهم اليوم معروفةٌ، فهي مشروحةٌ في كثيرٍ من البحوثِ برغم امتناع المعرفة بأسباب تحريفها وتشويهها عبر الزمان.

فقد وردت في بعض البحوثِ قصةُ عددٍ من الشخصيات الذين يُقَدِّسُهُمْ اليزيديون مثل: يزيد بن معاويةَ، وعدي بن مسافر، وصخر بن صخر بن مسافر، وعدي بن أبي البركات، وابْنَيْهِ فخر الدين وشمسِ الدين أبي محمد المعروف بالشيخ حسن... قيل انحرفت عقائدُ اليزيديّين في عهد هذا الرجل، ويبدو أنه كان

زنديقًا حُلُوليًّا، لأنّه كان يُقَدِّسَ إبليسَ، وله ثلاث كُتُبٍ: كتاب الجلوة لأصحاب الخلوة، وكتاب مِحَكِّ الإيمان، وكتاب هداية الأصحاب.

قد مَرَّتْ حركةُ اليزيديةِ بِعِدَّةِ مراحلَ، فكانت حركةً سياسيةً محضةً في مرحلتها الأولى، ثم انقلبت إلى حركةٍ صوفية، (باسم العدوية)، ثم تغيّرت شيئًا فشيئًا حتى حرَّموا القراءة والكتابةَ على أنفسهم فأخذت الحركةُ طابِعَهَا الدينيةَ الخرافيةَ في أيامنا، فأدى ذلك إلى انتشار الجهل والأمية بينهم مما زاد في انحرافهم ومغالاتهم وتوغُّلهم في ظلمات الكفر والإلحاد.

أما معتقداتهم؛ فقد ورد في بعض البحوثِ أنهم يقدسون إبليس لأنه لم يسجد لآدم، بل ثبت على التوحيد، ويسمونه طاووس الملائكة، ويتخذون تمثاله من النحاس على شكل ديك بحجم الكفِّ المضمومة وهم يطوفون بهذا التمثال على القرى لجمع الأموال. ويقدسون منطقةً بشمال العراق تُدعى (وادي لالش)، فيها ضريح عدي بن مسافر، لهم كتابٌ يسمونه "مصحف رش" أي (الكتاب الأسود)، فيه تعاليم الطائفة ومعتقداتها. وكلمة الشهادة عندهم: "أشهدُ واحد الله، سلطان يزيد حبيب الله." يصومون ثلاثة أيام من كل سنة في شهر كانون الأول وهي تصادف عيد ميلاد يزيد بن معاوية، ويصلُّون في ليلة منتصف شعبان، يزعمون أنها تُعَوِّضُهُمْ عن صلاة سنةٍ كاملة. تُجْمَعُ الزكاةُ بواسطة الطاووس، ويقوم بذلك القوَّالون، وتُجْبَى إلى رئاسة الطائفة. أمَّا الحج: فيقفون يوم العاشر من ذي الحجة من كل عام على جبل عرفاتٍ في "الْمَرْجَةِ النورانية" في لالش بالعراق. يؤمنون بالحشر والنشر بعد الموت: وسيكون ذلك في قرية "بَاطِطْ" على جبل سنجار، حيث توضع الموازين بين يدي الشيخ عدي الذي سيحاسب الناس، وسوف يأخذ جماعته ويدخلهم الجنة. يزورون الأضرحة على غرار الصوفية الْمُسلُمانِيّين، كضريح الشيخ عدي، والشيخ شمس الدين، والشيخ حسن والشيخ عبد القادر الجيلاني. يُبيحون الزواجَ من ست زوجات، والزواج يكون بطريق خطف العروس أولاً من قِبَلِ العريس، ثم يأتي الأهل لتسوية الأمر. يحرمون اللَّونَ الأزرق لأنه من أبرز ألوان الطاووس، ويحرمون أكلَ الخس والملفوف (الكرنب) والقرع والفاصوليا ولحوم الديكة، ولحم الطاووس، ولحوم الدجاج والسمك والغزلان ولحم الخنزير. يحرمون حلق الشارب، بل يرسلونه طويلاً وبشكل ملحوظ. إذا رُسِمَتْ دائرةٌ على الأرض حول الشخص اليزيديِّ فإنه لا يخرج من هذه الدائرة حتى تُمْحَى قسمًا منها.

كانت هذه معلومات متواترة في البحوث عن اليزيدية وأحوالهم ومعتقداتهم، لكن بقي أن نتساءل عما إذا كان لأحد أن يعاملهم بالسطو والبطش والقهر، بأن يغتصب حقوقهم ويستولي على أموالهم وممتلكاتهم بالقوةِ، ويستبيح محارمهم، ويحدد من حرياتهم؟ فلا شك في أنه يستحيل أن يتجرأ أحد بإعلان الجواز أو إصدار فتوى بذلك إلاَّ إرهابيٌّ ضالٌ يستغلُّ الاسلامَ، ويحرِّفُ مفهومَ الجهادِ، لِيُثِيرَ أعداءَ الإسلامِ على الأمَّة.

***

11) الفِرْقَةُ البكتاشيةُ (العلوية):

البكتاشيةُ طَرِيقَةٌ صوفيةٌ باطنيةٌ توفيقيةٌ (**syncretic**)، أي مُرَكَّبَةٌ من مُعْتَقَداتٍ وطقوسٍ مأخوذَةٍ من دياناتٍ مختلفةٍ. أمَّا علاقتها بشخصية (حاجي بكتاش ولي ت. **1271**م)، فلا تعتمد على أيِّ دليلٍ مُتَّفَقٍ عليه من قِبَلِ أهل الاختصاص. ارتبط اسم حاجي بكتاش ولي بثلاثة أحداثٍ بحسب روايات لا حقيقة لها كما نذكرها. وهي أولاً: أنه لم يتمتع بشهرة واسعة النطاق خلال حياته، ثانيًا: أنه لم يشترِكْ في حركة التمرُّدِ التي قادها بابا إلياس الخراساني (ت. **1240**م.)، زعيم الحركة البابائية في أناضول السلجوقية في القرن الثالث عشر، ثالثًا: أنه لم يكن على قيد الحياةِ أيَّامَ تأسيس الجيشِ الإنكشاريِّ في عهد السلطان مراد العثماني الأول (ت. **1389**م.)... إلاَّ أنَّ بعضَ الباحثين قد التبست عليهم حقيقةُ هذه الروايات فوقعوا في أخطاءٍ تطوّرت عنها مناقشاتٌ واختلافاتٌ ما زالت تجري عبرَ ندواتٍ أكاديمية تقامُ في تركيا.

من الجدير بالتنبيه: أن نسبةَ الطريقة البكتاشيةِ إلى حاجي بكتاش ولي، لا حقيقةَ لها تأريخِيًّا، وهي من وضع القصاصين الذين يبالغون في تفخيم الشخصيات وتقديسهم، وما أكثرهم في كل زمانٍ (خاصةً في تأريخ المسلمين)، منهم على سبيل المثال: أحمد سِرّي بابا (**1895–1963**م.) مؤلف (الرسالة الأحمدية) الذي تولَّى مشيخةَ البكتاشية في مصر. لقد انتحل أحمد سِرِّي بابا صفةَ مؤرِّخٍ وهو من غيرِ أهله، وسجّل ما تلقَّفه من هنا وهناك من معلوماتٍ ملفَّقَةٍ أصابَ في بعضها (كأسماءِ شيوخ البكتاشيةِ)، وأخطأَ في كثيرٍ من أخبارِهِ، وفي نسبة الطريقة البكتاشيةِ إلى حاجي بكتاش ولي.. ولا يخفي على أهل البحث والدراسةِ أنَّ

أمثالَهُ من كُتَّاب المناقبِ والكرامات كثير، قد حشدوا في بطون مجلداتٍ من مؤلَّفاتهم حكاياتٍ لا أساس لها من الصحة.

كلُّ ما يُعْرَفُ عن حياة حاجي بكتاش ولي، أنه كان واحدًا من أتباع بابا إلياس الخراساني، أمّا بابا إلياس هذا، فكان تركماني الأصل، زعيمًا لطائفةٍ من الزنادقةِ، نازعًا إلى العقيدة الإسماعيلية، أَطْلَقَ عليه أتباعُهُ لَقَبَ "بابا رسول الله". أعدَّ بابا إلياس جيشًا ضخمًا من أتباعه (البابائيّين) للانقضاض على دولة سلاجقة أناضول سنةَ **1240**م. في عهد السلطان غياث الدين كَيْخُسرَوْ الثاني. إلاَّ أنَّ المتمرّدين البابائيّين انهزموا أمامَ القوات السلجوقيةِ التي كان على رأسها القائد مُبَارِزُ الدِّين آرْمَغَانْ شَاهْ، وذلك قُرْبَ مدينة آمَاسْيَا، فقُبِضَ على إلياس بابا، وضُرِبَ عنقُهُ. ثمَّ ما لبث حتى هاجمَ خليفتُهُ (بابا إسحاق) على القوات السلجوقيةِ قُرْبَ مدينة قِيرْشَهِرْ، لكنه انهزم وقُتِلَ هو الآخر، فقُطِعَ دابرُهُم.

إلاَّ أنَّ كُفريّات بابا إلياس انتشرت بين المارقين من قبائل التركمان الذين كانوا حديثي العهد بالإسلام، ولم يتمكّنوا من التعرُّفِ على حقيقتِهِ بعدُ. وكان بابا إلياس قد وضع أُسُسَ أوَّلِ الحركاتِ الإلحاديةِ في المنطقة، فانتشرت ودامت إلى يومنا، يعتنقها آلافُ العلويين والبكتاشيين في مختلف أنحاءِ تركيا.

لم يكن حاجي بكتاش ولي يتبوّأ مكانةً مرموقةً في حياته، بل ظلَّ مجهولاً بحيثُ لا نجد شيئًا من ترجمته ضمن المصادر المدوّنَةِ في حياته. بل نُسِجَتْ مناقِبُهُ بعد وفاته بأقلامٍ لا تعرفُ الحدودَ في تفخيمه وتقديسهِ، بحيثُ جَعَلَتْهُ أعظمَ الأولياءِ القدّيسين في معتقد ملايين العلويّين والبكتاشيّين، والقطاعُ السنيُّ أيضًا في المجتمع التركِيّ يعدُّهُ من كبار العلماءِ والأولياء دون اعتمادٍ على أيِّ دليل يُثبت ذلك ويبرهن على نسبةِ الطريقة البكتاشيةِ إليه. بل نشأت البكتاشيةُ عبرَ الزمان كنتيجةٍ لتراكم الأقاويل والأساطير وقصص الكرامات المنسوجةِ حوله، عبر ثمانية قرون، لتكون حصيلةً خياليةً تُغَذّي الْمُسْلُمانِيَّةَ العلويَّةَ والبكتاشِيَّةَ.

من العسير دراسة سيرة حاجي بكتاش ولي إلا من خلال المصادر الثانوية التي كُتبتْ بعد عصره بوقتٍ طويل. أقدمُهَا هو التاريخ العائلي القصصي للصوفي الشاعر الشهير أَلْوَانْ تشلبي ابن عاشق باشا، أَلَّفَهُ في القرن الرابع عشر، وسمّاه بـ"المناقيب القدسية". يُقدّم رؤىً جوهريةً عن حاجي بكتاش ولي، على الرغم

من ذكره المقتضب له في عمله. هذا الشاعر الصوفي هو حفيد بابا إلياس الخراساني، شيخ الطريقة الوفائيةِ الذي أعلن الثورةَ على حكم السلاجقة وقُتِلَ في أثنائِها.

المصدر الثاني عن حاجي بكتاش ولي؛ هو العمل الفارسي الموسوم "مناقب العارفين"، الذي ألَّفَهُ شمس الدين أحمد الأفلاكي بناءً على طلب عارف تشلبي، حفيد مولانا جلال الدين الرومي، بعد وفاته بنحو قرن. يُعد هذا العمل بالغ الأهمية لتاريخ أناضول والطريقة المولوية في تلك الفترة، إذ يحتوي على فقرة قصيرة عن حاجي بكتاش ولي. تُعد هذه الفقرة ذات قيمة كبيرة لِكَوْنِ المؤلِفِ صوفِيًّا من المقرَّبين إلى أسرة جلال الدين الرومي.

قد ورد ذكر حاجي بكتاش ولي في عددٍ من الكتُبِ التي معظمها لم ينل القبولَ عند الباحثِينَ الْأَكْفَاءِ. وجاء وصف الرواة عن شخصيته مختلفًا في الغايةِ. منهم من وصفه أنه كان شيخًا لقبيلةٍ تركمانيةٍ متوسط الحال يقوم برعي مواشيهم.

وجاءَ في رواية أخرى: أنه كان عضوًا للفرقة القلندرية، ومن جملةِ الدراويش التركمانِ المعروفين في المجتمع التركي بـ"أولياء خراسان"، كانوا تابعين لمدرسة خراسان الْمَلاَمَتِيَّةَ. لذلك يُفتَرَضُ أنه قدِم إلى أناضول شيخًا، أو على الأرجح درويشًا حيدريًّا من نفس المدرسة برفقة قبيلة تركمانية تابعة له، وذلك خلال هجرات الدراويش التي حدثت في القرن الثالث عشر عقب غزو جنكيز خان.

يُفهم من شهادات المؤلِّفَيْنِ: ألوان تشلبي والأفلاكي أن شقيق حاجي بكتاش الذي اسمه (مَنْتَشْ) كان قد شارك في ثورة البابائيين، ضد الحكم السلجوقِيّ وقُتل في المعركة قربَ مدينة سيواس على عكس أخيه، فإنه امتنع عن المشاركة فيها لسبب أو أسبابٍ لا تُعرَفُ. فلا بد أنه اختفي عن الأنظار لفترة من الوقت لتجنب الملاحقة القضائية التي أعقبت الثورة. لعل هذه الاختلافات كلها أسفرت عن غياب المعلومات الصحيحة المتعلِّقة به.

تؤكد هذه المعطيات أنَّ الطريقة البكتاشية لا تمتُّ بصلةٍ مباشرةٍ إلى حاجي بكتاش ولي، وإنما تم تركيب تعاليمها بطريق الجمع بين أقاويل الدراويش وأساطير القصاصين وحكايات الصوفيةِ والاقتباس من عقائد

الزنادقة الإسماعيليين والرافضةِ، ومزجها بما عَلِقَتْ في نفوسهم من رسوبات الشامانية والبوذية كانو يعتنقونها قبل الإسلام. كما توحي هذه المعطيات أنَّ حاجي بكتاش ولي كانَ رجلاً عامِّيًّا يجهل الكتابةَ والقراءَةَ، ودرويشًا بسيطًا، ومجذوبًا فاقد الوعي بحقائق الكون والحياةِ...

حدث تطورٌ في ألبانيا لاحقًا بالنسبة للبكتاشِيّين، وهذا البلد يُعَدُّ مركزًا ومَعْقَلاً للحركة البكتاشية منذ قرون. البكتاشيون يمثلون اليوم نحو **15%** من المجتمع الألباني، أي حوالي **316** ألف نسمة، ويرأسهم زنديقٌ يُدْعَى (إدمون إبراهيماي) وهو معروفٌ بلقب:"بابا مَنْدِي".

أعلن رئيس وزراء ألبانيا (إيدي راما): "أنَّ بلادَهُ تُخَطِّطُ لإنشاءِ دولةٍ ذاتِ سيادةٍ للمسلمين البكتاشيين مثل الفاتيكان، سَتُقَامُ داخلَ العاصمةِ تيرانا.جاءَ إعلانه هذا خلال خطابِهِ أمامَ الجمعية العامة للأمم المتحدة في **23** سبتمبر/أيلول **2023**م.

وردت عبر الأنباءِ: "أن رئيس الوزراء الألباني يسعى من وراء هذا القرار لإنشاءِ مركزٍ بكتاشيٍّ عالميٍّ في تيرانا، وتحويله إلى دولةٍ ذاتِ سيادةٍ تُمَثِّلُ نموذجًا للاعتدال والتسامح والتعايش السلمي. وفي المقابل، رَحَّبَتِ الطائفةُ البكتاشيةُ في تيرانا بهذا الإعلان، وقالت في بيان صحفي: إنها ستحصل على سيادةٍ مماثلةٍ لسيادة الفاتيكان."[234]

من العادات الدعائية للزنادقة وأساليبهم في التزييفِ والتحريفِ، أنهم يتظاهرون دائمًا بالدفاعِ عن "التسامح والتعايش السلمي"، لكنهم لا يلجؤون إلى هذه الحيلةِ إلاَّ ليمهّدوا السبيل إلى التلاعب بِقِيَمِ الإسلامِ، وهدم أركانه ما أمكنهم، وإلاَّ فما علاقة البكتاشية بالإسلام! وإنما هيَّ حركةٌ إلحاديَّةٌ ظهرت في القرن الثالث عشر الميلادي وانتشرت بين قبائل الأتراك المارقة في منطقة أناضول. فلما انتبه أواخر سلاطين آل عثمان إلى حقيقة هذا التيار الإلحاديّ وخطره على الدولةِ وأثره الهدام على عقيدة المسلمين، بدئوا يعاقبون البكتاشيّين ويعطّلون نشاطاتهم. لكنهم وقعو في خطأٍ عظيم عندما فتحوا المجالَ بعد ذلك للحركة الخالدية، لأنَّ خطرها على الإسلام كان أشد منه تدميرًا من خطر البكتاشية.

---

[234] المصدر: دولة إسلامية للطائفة البكتاشية في ألبانيا تسمح بالخمر وتساند إسرائيل | سياسة | الجزيرة نت

***

12) الفِرْقَةُ الْيَسَوِيَّةُ:

اليَسَوِيَّةُ طريقةٌ صوفِيَّةٌ باطنِيَّةٌ أَسَّسَها رجلٌ من أهل بُخارى يُدعى (أحمد اليَسَوِي **1093-1166**م.). إلاَّ أنَّ الوثائق التي ورد فيها ذكره قليلةٌ جدًّا، كما لم يتَّفقْ الباحثون على صحَّة ما جاء فيها عن شخصيته التاريخية، مما يَصْعُبُ، بل يستحيلُ، الوصولُ إلى استنتاجِ أخبارٍ قاطعةٍ عنه. مع ذلك، فإن المعلومات المتناثرةَ فيها مستقاةٌ من قصصٍ ورواياتٍ وحكاياتٍ، ومن ديوانٍ يُنسَبُ إليه، يُسمّى "دِيوَانِ حِكْمَتْ"، يتكوّنُ من تسعةٍ وستّين فصلاً، نظمه اليسويُّ باللهجة الجَغَطَائِيَّةِ، وهي لهجةٌ من لهجات اللغة التركية.. على أي حالٍ فإن المصادر التاريخية التي تتضمَّن سِيرَتَهُ الذَّاتِيَّةَ وإن كانت قصصية، تُقَدِّمُ نظرةً قد تكون فيها قليلٌ من الأخبارِ الصحيحة عن حياته وشخصيته وعمله وتأثيره.

كانَ اليسوِيُّ شامانِيَّ النزعةِ مُتَرَهِّبًا وفق ما ورث من هذه الديانة، مع ذلك اقتبسَ كثيرًا من تعاليم الإسلام واستعملها في ديوانِهِ، فَظَنَّتْهُ العامَّةُ أنه من العلماءِ. بل لم يُعثَرْ على أيِّ دليل يُثبِتُ أنه كان درس العلوم الإسلاميةَ وتعلم اللغةَ العربيةَ. قيلَ أنه صَاحَبَ أبا يعقوب يوسف بن أيوب الهمداني (ت. **1140**م.) الذي كان له نصيبٌ من العلم، لكنَّ هذه الروايةَ لو صَحَّتْ لظهر عليه أثرُ صحبتِهِ مع الهمدانِيّ. بل تدلُّ روايةُ قصّةٍ عنه أنه كان رجلاً مشعوذًا يتهاون بالنبي صلى الله عليه وسلم، وبأصحابه رضوان الله عليهم. وهي قصة "بابا أرسلان".

قال اليسويُّ (بحسب ما نُقِلَ عنه): "أنَّ بابا أرْسْلاَن كانَ رجلاً أسودَ اللَّونِ، من أعظمِ أصحاب النبِيّ صلّى الله عليه وسلم، عاش أربعمائة أو سبعمائة عام. فاتّفق أنَّ رهطًا من الصحابَةِ جاءوا في غزوةٍ أو أنّهم كانوا مجتمعين في منزل بابا أرسلان. وفي تلك الأثناء، نزل جبريل عليه السلام من السماءِ ومعه طَبَقٌ من التمر، فسقطت تمرةٌ منها على الأرض، فقال جبريل للنبِيّ عليهما السلام: إنها نصيب أحدٍ من أمتكَ اسمه أحمد اليسوي، سوف تَنَالُهُ هذه التمرةُ في المستقبل. فسأل النبيُّ أصحابَهُ: "أيكم يريد أن يُسلِّمَ هذه التمرةَ إلى أحمد اليسوي؟" فتقدّمَ الصحابِيُّ (بابا أرسلان) وتسلَّمَ الأمانةَ من النبي عليه الصلاةُ والسلام

ليقومَ بأداءِ المهمّةِ، فوضع النبيُّ التمرةَ تحتَ لسانه، فخلق الله تعالى في تلك اللحظةِ غِشَاءً على التمرةِ، فظلّت في فمه قرونًا، ثمَّ قدّر الله أن وجد بابا أرسلان أحمدَ اليسويَّ، اليتيمَ البالغَ من العمر سبع سنوات، في مدينة (صَيْرَمْ) بتركستان، فدفع إليه الأمانةَ، كما ألبسه عباءةً كان قد أهداها له النبي. وأمره بتلاوة (وِرْدٍ خاصٍّ) يُرَدِّدُهُ ألفَ مرةٍ ومرّةً في اليوم الواحد، وأبلغه أنه (أي بابا أرسلان) سيموت قريبًا، وأمر أحمد اليسويَّ أن يصلِّيَ على جنازته. فما لبث حتى مات بابا أرسلان، فنزلت الحورُ العينُ لمساعدة اليسوِيِّ لتشييع شيخه، فَقُمْنَ بإعداد كَفَنٍ من الحريري لِبَابَا أرسلان، وأَخَذْنَهُ إلى الجنة. ثم سافر أحمد اليسوي إلى بخارى لمواصلة رحلته الروحية مع الشيخ يوسف الهمداني."

إنْ صحَّتْ هذه الحكايةُ عن أحمد اليسوِيِّ فلا نكون مبالغين أن نقولَ حقًّا أنه كانَ مشعوذًا زنديقًا لم يبالِ بما تفوَّهَ. يدل على هذه الحقيقةِ أنه ساهم في تأسيس "الطريقة الخْوَاجَكَانِيَّةِ" مع شخصٍ بوذيِّ النزعةِ يُدْعَى عبد الخالق الغجدوانيّ. كانت هذه الطريقةُ مقدِّمةً لظهورِ الطريقة النقشبندية، كما تُعَدُّ هي القاعدةَ الأساسيةَ للديانة الْمُسلمانِيَّةِ (**Müslümanlik**) التي يعتنقها مُعْظَمُ الأتراكِ بديلةً عن الإسلامِ. وما يُستَغرَبُ وينبغي التنبيهُ عليه: أنَّ اليسوِيَّ والغجدوانيَّ اتَّفقا على تأسيس "الطريقة الخْوَاجَكَانِيَّةِ" بالرغم من اختلافهما في العقيدةِ مما يوحي أنَّ هذه المحاولةَ منهما بالتعاون كانت مؤامرةً ضدَّ العقيدة الحنيفةِ.

اشتهر أحمدُ اليسويُّ خاصّةً بعد أن اهتم تيمولنك بقبره. جاءَ في بعض الأساطيرِ أنَّ اليسوِيَ ظهر في المنام لتيمورلنك (طاغيةِ الإمبراطورية التيمورية **1336–1405**م)، الذي عاش بعده طويلًا. بَشَّرَهُ اليسوِيُّ بالنصر. جاء تيمورلنك إلى مدينة (يَسِي) لزيارة ضريح أحمد اليسوي، الذي ذاع صِيتُهُ ونفوذُهُ في جميع أنحاء سهوب تُرْكِسْتَان وَقِيرْغِيزِسْتَان. فأمر ببناء ضريحٍ، يُعدّ من روائع العمارة في ذلك الوقت، فوق الضريح. في غضون سنوات قليلة، اكتمل البناء، وأصبح الضريحُ مُجَمَّعًا يضمُّ مسجدًا ونزلًا للدراويش. كان للدفن بالقُرْبِ من ضريحِ أحمد اليسوي أهميةٌ خاصةٌ لدى بَدْوِ السهوب. لهذا السبب، اشترى الكثيرون أراضٍ بالقُرْبِ من ضريحِهِ وهم ما زالوا على قيد الحياة، وأعدّوا قبورهم. في الواقع، كان مَنْ يموت في الشتاء يُلَفُّ باللَّبَّادِ، ويُعلَّق على شجرةٍ، ويُترَكُ حتى الربيعِ؛ وعندما يحلُّ الربيعُ، يُؤخذ جثمانُهُ ويُدفَنُ بالقُرْبِ من ضريح أحمد اليسوي. يُبرهنُ هذا التقليدُ بوضوحٍ على مدى تأثير أحمد اليسوي في توجيه الأتراك يومئذٍ المنتشرين في أنحاءِ منطقةِ (ما وراء النهر) بآسيا الوسطى. فلا شكَّ في أنَّ اعتناقَ معظم

الأتراك للديانة الْمُسْلُمانيَّةِ وتَشَبُّثَهُمْ بها منذ قرون، إنما نشأ عن تعلُّقِهِمْ وثِقَتِهِم واعْتِزَازِهِمْ بهذا الرجُلِ. وله شهرةٌ أيضًا في أوساطِ المجتمع التركِيّ الأناضوليّ حتى اليوم..

ظهر عددٌ من الطرق الصوفية فيما بعدَ اليسويةِ تحمل من تأثيرِها وتُعدُّ من امتدادِهَا، كالْحَيْدَرِيَّةَ، وَالْقَلَنْدَرِيَّةِ، وَالْبَابَاإِلْيَاسِيَّةِ، وَالْبَكْتَاشِيَّةِ، وَالْعَلَوِيَّةِ الأنَاضُولِيَّةِ المعاصرة.

***

13) الفِرْقَةُ الْقَلَنْدَرِيَّةُ:

الْقَلَنْدَرِيَّةُ كانت طريقةً صوفِيَّةً إلحادِيَّةً نشأت في القرن العاشر الميلادي في بلاد خرسان وما وراء النهر. قيل انبثقتْ من اليَسَوِيَّةِ واشتملتْ على عقائدَ كفريةٍ مختلطةٍ. وبحسب الدراسات التي أُجْرِيَتْ في البحث عن جذور هذا التيار، يُلاَحَظ أنه ربما ظهر تحت تأثير الحركات الصوفية الهندية والإيرانية القديمة إلى حد كبير. ويذهب بعض الباحثين إلى أن هناك علاقة وثيقة بين الْمَلاَمَتِيَّةِ والقلندرية.

إنَّ لفظَ (القَلَنْدَرِيّ) صفةٌ فارسيَّةٌ تُطلَقُ في مصطلحِ الصوفيةِ على الإنسان الذي يكره الْمِلْكِيَّةَ ويتجرَّدُ من المالِ والمتاعِ، ويمتنعُ عن الملذَّاتِ البشريةِ، ويعيشُ طُفَيْلِيًّا... قيل إنَّ مؤسِّسَ هذه الطريقة هو جمال الدين الساوي الذي كان درويشًا من العنصر الفارسي مات حوالي (1232م.)،

ظهرت القلندريةُ أولاً في مدينة حلب عقبَ حملات الصليبية على سواحل سوريا، فكانت هجماتهم وحشيّةً في الغايةِ ودامت صراعهم مع السلاجقةِ ما بين **1054-1113**م. أسفر عن خرابٍ ودمارٍ وتهجيرٍ للسكان ونهبٍ للأموالِ والثرواتِ فأثّرَ ذلك في نفوسِ طائفةٍ من الناسِ فَغَيَّرَ طبعهم، واستأصل فيهم مَيْلَ الكسبِ والطمعِ في اقتناءِ اللباسِ والمأوى، واعدادِ الطعامِ وما أشبه ذلك من الجهود الفطريةِ.

جاء في مقالةٍ نُشرت على صحيفة (وكالة أوقات شام الإخبارية): أنَّ "المعتنقين للديانة القلندرية كانوا يرفضون تمامًا التَّعَلُّقَ بالممتلكات أو الزينة، ويعيشون حياة غريبة بعيدةً عن الانتماء إلى أي أرضٍ أو وطن. كانت أفكارهم تقوم على رفض الْقِيَمِ الاجتماعيةِ التقليديةِ، مثل الزواج والأسرة، بسبب الخوف من القتالِ المستمر والحروب التي كانت تتهدد الجميع.

اتَّسَمَتْ حياة القلندريّين بتصرفاتٍ غير تقليدية نشأتْ من رفضهم للمجتمع السائد. كانوا يرتدون ملابس بسيطة للغاية، غالبًا ما كانت عبارة عن عباءات مصنوعة من خرق قديمة أو أقمشة خشنة، مثل الخيش أو الكتان. كان القلندريُّون يَعْمِدُونَ إلى حَلْقِ شَعرِهم وحواجبِهم وشواربِهم تمامًا، كإشارةٍ إلى عدم اكتراثهم بمظهرهم الخارجي ورفضِهم التعلُّقَ بالزينةِ والمظاهر. كما امتنعوا عن الزواج وعيش حياة الأسرة، وفضَّلوا التنقُّلَ من مكان إلى آخر، ينامون في العراء على الطرقات، لم تكن لهم ممتلكات لتَوَقُّعِهِمْ أنهم يخسرونها في أي لحظة.

كان القلندريُّون يحملون وعاءً خشبيًّا يسمى "الْكَشْكُول"، يضعون فيه طعامهم، ويكتفون بما يُنفق عليهم الناسُ من الطعام والمال دون أن يطلبوه، بل كانوا يرفضون التكفُّفَ. كان "الْكَشْكُول" يحتوي على مختلف الهبات التي يحصلون عليها، ما جعلها مصطلحًا يستخدم حتى اليوم للإشارة إلى وعاء مليء بمزيج من الأشياء المتنوعة.

وعندما ظهرت الدولة المملوكية في نهاية الحروب الصليبية، بدأ السلطان المملوكي بيبرس في التقرب من أتباع هذه الديانة لأسباب سياسية ودينية. وبمرور الوقت اندمجت القلندرية ضمن الطرق الصوفية، رغم أن طقوسهم كانت تبتعد عن الطقوس الدينية المعروفة. بَنَوْا لهم زوايا وتكايا في بلاد الشام، وتحديدًا في حلب ودمشق، حيث كانت تكيةُ "بابا بيرم" في حلب واحدةً من أبرز الأماكن التي يرتادها القلندريون.

ومع مرور الزمن، بدأ أتباع القلندرية يفقدون بريقهم وتقلصت شعبيتهم. وبحلول العصر المملوكي، وفي ظل حكم الملك الناصر محمد بن قلاوون، تم منع القلندريّين من الاستمرار في طقوسهم الخاصة كحلق لحاهم وشواربهم وحواجبهم. مع هذا، تراجع تأثير القلندرية تدريجيًا، وأصبحوا عرضة للنبذ الاجتماعي، خاصة بعد انتشار عادات غير محمودة مثل التَّسَوُّلِ، وتعاطي المخدّرات، وكتابة التعاويذ وممارسة السحر."

وكتب الأستاذ الدكتور فرست مرعي في مقال له عن القلندريّين بتفصيل كشف عن مساويهم وما كان مجهولاً لدى كثير من أهل العلم من سلوكياتهم المثيرة للاشمئزاز، وحياتهم الغريبةِ، رأيناه جديرًا بالنقل مع شيءٍ من التصرُّفِ، نُشِرَ تحت عنوان: "الفِرَقُ الباطنيةُ في التاريخ الاسلاميّ" وهذا نصه:

"القلندرية أو قَلَندَر"، بالفتح عبارة عن شخص تجرَّدَ عن نفسه وعن الاشكال البشرية والاشكال العادية والاعمال التي لا سعادة فيها حتى صار من أهل الصفاء وترقى إلى مرتبة الروحِ، وتخلَّصَ من القيود والتكليفات الرسمية والتعريفات الاسمية... والفرق بين القلندري والملامتي والصوفي هو أن القلندري قد وصل الى درجة الكمال في التفريد والتجريد. ويسعى في تخريب العادة. وأما الملامتي فيجتهد في إخفاء عبادته. وأما الصوفي: فهو لا يبالي قلبه بالحقائق أصلاً، يعيشُ في عالَمٍ موهومٍ."[235]

والقلندرُ نسبةٌ إلى "الجَوْلَقِ" الذي يلبسونه، أو إلى جلقهم (بالجيم) شعر رأسهم أي حلقهم إياه. وقد تُستخدَم لفظةُ "الجَوْلَقِيَّةِ" مرادفةً للقلندريةِ، كما فعل المؤرخ ابن الجزري (ت. **738**هـ/**1337**م) عندما وصف قبة القلندرية وزاويتها الواقعة بالباب الصغير في دمشق بقبة الجوالقية.

والقلندرُ: هو المتعبِّدُ الصوفي (الدرويش) الذي تحرَّرَ من القيود والعوائق والعلائق الدنيوية تحرُّرًا كاملاً، وصدف عنها وعن التفكير في المستقبل والمعاش والحياة، واتخذ التجرُّدَ والفقرَ والشحاذةَ والتسوُّلَ والملامةَ شعارًا له، وإمعانًا في جلب الملامة إليه، فقد يحلق شَعْرَهُ حينًا ولِحْيَتَهُ ويترك شاربَيْهِ، وحينًا يحلق كلَّ شَعْرِ رأسِهِ، ويتقمَّصُ كلَّ غريبٍ من الهيئاتِ ويَتَعَرَّى ويُظهرُ الاستخفافَ بالتكاليف الشرعية وبِعُرْفِ مجتمعه.

---

[235] فرست مرعي، الفرق الباطنية في التاريخ الإسلامي، مقالة نُشرت على الموقع الألكتروني: https://kitabat.com/

ليس للقلندريةِ في تاريخ التصوف أصلاً مُؤَسِّسٌ بعينه فيقال: أسَّسَها فلانٌ، لأنها عبارةٌ عن مفهومٍ لدى الصوفية ومشربٍ ينهل منه مَنْ تُسمّيهم المصادر بالفقراء، وهي مجموعُ تَرَاكُمَاتٍ بِدْعِيَّةٍ عبر القرون، أضافوا اليها مصطلحاتٍ مختلَقَةً كالأقطابِ، والأوتادِ، والأغواثِ، والاشياخِ ما عَنَّ لهم... ثم يتميَّزون بأمرٍ فيستقلُّون بطريقةٍ تُنسَبُ إليهم حينًا، وحينًا يُنْسَبُونَ الى المسلَكِ والمذهب والمشرب، فيقال: قلندريّ، وملاميّ..

والقلندرُ والقلاَّشُ: كلمتان يوصف بهما بعضُ رجالِ الصوفية المجرَّدين عن العلائق الدنيوية، وعند الصوفية؛ الرجل الذي هو من أهل التَّرْكِ والتَّجَرِيد، وقد تجاوز عن اللذائذ البشرية.

وتذكر الوقائعُ والوثائقُ العثمانيةُ لهذه الطائفة اسماءً عديدةً منها: (طورلاقة) و(ايشيق–الضوء) و(قلندر) و(حيدري) و(شمسي) و(حاجي). فقد كانت هذه الطائفة تعيش على هامش الحياة الصوفية في أيام سلاجقة الروم، ولكن مع قيام الامارة العثمانية أصبحوا خطرًا على نظام الحُكْمِ. لذلك لم تتهاون السلطةُ المركزيةُ العثمانيةُ في مراقبتهم وملاحقتهم، ولأنهم كانوا يتلبسون أحيانًا بالجنايات والاغتيالات لكبارِ رجالِ الحُكْمِ وعلى رأسهم السلاطين، ويشاركون في الثورات، فلم تكن نظرةُ السلطةِ العثمانيةِ إليهم نظرةَ ارتياح، كما أنَّ تحلُّلَهم من الاحكام والقواعد الدينية والاخلاقية كان يُسْفِرُ في كثير من الاحوال عن تصرفاتٍ غريبةٍ يتذمّرُ منها الاهالي.

ومهما يكن من أمرٍ فالقلندرية تيَّارٌ صوفي أصوله في المذهب الملامتي ظهر في إقليم خراسان شرقِ إيران، كان أول ظهوره في آسيا الوسطى في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. قيل أسَّسَها الصوفي الفارسِيُّ جمال الدين ساوي (ت. 632 هـ./1233م) وهو من ملامتية خراسان، وقد الْتَفَّ حَوْلَهُ مؤيّدون كثيرون؛ عُرِفُوا في الشرق الاوسط بأسماء منها: القلندرية، والجولاقية، وانتقل دراويش القلندرية الى أناضول (أسيا الصغرى) أفواجًا فرارًا من الغزو المغولي. وهذه الطائفة منقسمةٌ الى قسمين: القسم الاول، طائفة من الدراويش الهائمين على وجوههم في قرى ومدن أناضول؛ سواءً كانوا جماعات أو فُرَادَى، أما الطائفة الاخرى تنتسب الى المذهب الصوفي المتميز كمذهب أبي بكر نقساري، وشمس الدين التبريزي. قد عُرِفَتِ الطائفةُ الاولى منهم في المصادر التاريخية بـ(الطائفة الإباحية)، أو (طائفة الزنادقة)، أو (جوالقة القلندرية)، أو (طائفة الابدال). وأَعْرَفُ هذه التسميات التي أطلقتها القلندرية على أنفسهم هي (طائفة الابدال).

ولفظةُ "الابدالِ" لها مدلولها في التصوف، فقد أطلقت صوفيةُ الفُرسِ اسمَ الابدالِ على الدراويش الذين انحرفوا عن الدين، وذلك منذ القرن الثامن الهجري/الثاني عشر الميلادي. ثم تَسَمَّى بالأبدال دراويشُ القلندريةِ، والحيدريةِ على وجه الخصوص حتى نهاية الثامن الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وترتَّبَ على ذلك أن تَلَقَّبَ بها شيوخ القلندرية، والحيدرية المشاهير مثل: جمال الدين ساوي، وقطب الدين حيدر في القرن التاسع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.

وجاء في المصادر العثمانية أنَّ الطائفةَ الاولى للقلندرية؛ كانوا يهيمون شاردين في البلاد، وكان من عاداتهم أنهم أضربوا عن الزواج، واستخفّوا بأحكام الشريعة الإسلامية والأخلاقِ الحميدةِ، وأدمنوا على شرب الخمر، وتدخين التِّرياقِ، وكانوا يرتكبون المآثم والكبائر، ويصطحبون كلابهم الى المساجد. وقد ذُكِرَ أنَّ جلال الدين الرومي (شيخ الطريقة المولوية)؛ لَمَّا أحضر ابنَهُ (سلطان ولد) إلى الشيخ شمس التبريزي لكي ينتسبَ إليه قال له: "إن ابني لا يُدَخِّنُ التِّرْيَاقَ، ولا يمارس اللواط"، وهو في هذا من مقولته يقصد الاشارة إلى أن الطائفةَ القلندريةَ؛ كانت تعمل الفاحشة، ويَدَّعُونَ أنَّ صنيعَهم هذا جالبةٌ للوجد. ويضيف الكاتب أن هذه العادات كانت منتشرة في الاديان غير السماوية مثل: الشامانية، والزرادشتية، وأديان الهند في الازمنة السحيقة.

وفي هذا الكلام إشارة الى أن أتباعَ القلندرية تأثروا بدياناتٍ قديمةٍ، وكانت لهم عاداتٌ تخالف الشرائع السماوية. وتدلُّ على أنهم فريق من المتصوفة عُرِفُوا بِالْمَلاَمَتِيَّةِ، أو القلندرية، وشعارهم في مذهبهم أنهم يخالفون الشرعَ والعُرْفَ قولاً وفعلاً، كي يُلفتوا الانتباه إليهم، ويدفعوا المعصية عنهم. فهم يُقَبِّحُونَ، ويشوِّهون ظاهرهم، ولا يهتمون إلا بباطنهم ما داموا مخلصين لربهم؛ فلا يكترثون لرأي الناس فيهم.

وقد ذكر المصنفون القدماء الملامتية منذ أوائل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، فمنهم صاحب كتاب (البدء والتاريخ). وتكلم فيهم ابن الجوزي (ت.**597** هـ./**1201**م)، وقال إنهم قد اقتحموا الذنوب، وقالوا مقصودُنا أن نَسْقُطَ من أعين الناس فَنَسْلَمَ من الجاه، وهؤلاء قد أسقطوا جاههم عند الله لمخالفة الشرعِ، ثم بيَّنَ ابنُ الجوزي كيف أن الملامية بهذا المفهوم كانوا من أقبح الخلق.

كان أكثر القلندرية (الملامِيَّةِ) من الاعاجم. يقدّسُهُمْ كثيرٌ من كُتَّاب الأتراكِ وباحثيهم المعاصرين ويصفونهم بـ"الواصلين الخراسانِيّينَ" على سبيل التعظيم لهم. كانت منهم طائفة في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي اتخذت الاباحةَ ومخالفةَ الادبِ والحرمة عادةً لها، وسَمَّتْ ذلك "ملامة.

ويُفهم من كلام عبد الغني النابلسي (ت. 1143هـ./1633م) أن هناك ضربًا من الملامية في زمانه مغالين فيها، بيد أنه سكت فلم يسمّهِمْ لا بالملامية ولا بالقلندرية، وإنما أدخلهم تحت مظلة التصوف فقال: "إنهم يَنْسِبُونَ أنفسَهم الى مذهب التصوف، وعدَّ ما يرتكبونه من أنواع الفسق والفجور، كذا من أكل الحشيش وشرب الخمر والرقص بِنِيَّةِ العبادة، وأن في مجالسهم لوطيون وغير ذلك.

مما تقدم يثبت بأن القلندرية جماعات من الصوفية الباطنية انحرفوا عن الفطرة والشرع الاسلامي المطهر، وكانت الشنائع منتشرةً بين جموعهم (من حيدرية ويونسية وجولقية، وغيرهم)، فكان فريق منهم وجوديِّين (معتنقين لعقيدة وحدة الوجود)، وفريق منهم حلوليّين (معتنقين لعقيدة الحلول) وهم غارقون في الرذائل والموبقات، فكان تعاطي الحشيش (المخدِّرَاتِ) من أهونها.

وجاء في مجموع فتاوى لابن تيمية: "وسئل رحمه الله تعالى عن هؤلاء "القلندرية" الذين يحلقون ذقونهم: ما هم؟ ومن أي الطوائف يُحسَبون؟ وما قولكم في اعتقادهم: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعم شيخهم قلندر عِنَبًا وكلمه بلسان العجم؟

فأجاب: أما هؤلاء "القلندرية" المحلقي اللحى: فمن أهل الضلالة والجهالة وأكثرهم كافرون بالله ورسوله لا يرون وجوب الصلاة والصيام ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق؛ بل كثير منهم أكفر من اليهود والنصارى وهم ليسوا من أهل الملة؛ ولا من أهل الذمة.

وقد يكون فيهم من هو مسلم؛ لكن مبتدع ضال أو فاسق فاجر. ومن قال إن "قلندر" موجود في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فقد كذب وافترى؛ بل قد قيل: أصل هذا الصنف أنهم كانوا قوما من نساك الفرس يدورون على ما فيه راحة قلوبهم بعد أداء الفرائض واجتناب المحرمات.[236]

[236] عبد الحليم ابن تيمية، مجموع الفتاوى، الجزء:35، الصفحة:163.

وبالخلاصة؛ فإنَّ الْفِرَقَ الباطنيةَّ التي انتشرت في المناطق الآهلة بالأتراك بعد تعرُّفهم على الإسلام معظمها انبثقت من الطريقة اليسويةِ. تأتي على رأسِها: القلندريةُ والوَفَائيَّةُ التي أسَّسَها مصلح الدين مصطفي القونوي؛ والحيدريةُ التي أسَّسَها قطب الدين حيدر بالجمع بين معتقدات القلندرية واليسوية والأكبرية. والبكتاشِيَّةَ التي أسَّسَها خضر بالي؛ والباباإلياسِيَّة التي أسَّسَها بابا إلياس الخرساني. ثم اختلطتْ هذه التيارات في بعضها البعض وتداخلت، وتعرّضَت لاسْتِحَالاَتٍ وَتَغَيُّرَاتٍ عبر القرون، وظهرت أخيرًا في قالبِ "العلويةِ الأناضوليةِ" وهي مصدر الزندقةِ بمختلف ضروبها وأشكالها، كما هي من أهمِّ أسباب المشاكل السياسيةِ والاجتماعية في تركيَا، بينها وبين أدعياء السنة عداوةٌ منذ قرونٍ حيثُ ينشبُ النزاع بين الطرفين من حينٍ لآخر كالحال نفسِها في سوريا.

أمّا القطاعُ المعروفُ بأهل السنَّةِ والجماعةِ، فإنّ معظمهم صوفيَّةٌ زنادقةٌ خرافيون لا علاقةَ لهم بعقيدة أهلِ السنَّةِ والجماعةِ، وهم فِرَقٌ مختلفَةٌ ومتنازعةٌ فيما بينها، منهم طائفةٌ جهميّةٌ، وطائفةٌ مرجئةٌ، وطائفةٌ مارقةٌ (لا يفرّقون بين الحلال والحرامِ)، يدّعون أنهم على مذهب أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه في التعبُّدِ والأعمال الفقهيةِ، وذلك خلاف الواقعِ. لذا وَصَفَهُمْ الشيخ فريد صلاح الهاشمي بـ"الْحَنَفَانِيَّةِ"، يعني أنهم ليسوا حنفيّين أصلاً، كما وصفهم بـ"السُّنِّيَّانِيَّةِ"، وهم مختلفون في الآراءِ والاتجاهات السياسيةِ، لا تجتمع كلمتُهم إلاَّ إذا تعرض المجتمع التركي لإهانةٍ أو اعتداءٍ من الخارجِ، وفقًا لتعاليم الديانةِ المُسْلُمانِيَّةِ التي طَبَّعَتهُم على العنصرِيَّةِ التركِيَّةِ.

***

14) الفِرْقَةُ الْقَادِيَانِيَّةُ:

الْقَادِيَانِيَّةُ فرقةٌ مرتدَّةٌ خارجةٌ عن الملّةِ، أسَّسَها نظامُ الاحتلالِ الإنجليزيُّ في القارَّةِ الهندِيَّةِ في أواخر قرن التاسع عشر الميلادي. إنما عمد الحُكْمُ الإنجليزيُّ إلى تأسيسِ هذه الديانةِ لضرب الإسلامِ وتشويه تعاليمه، وإثارة الاضطرابِ والقلاقل والفتن بين المسلمين.

الْقَادِيَانِيَّةُ والأحمديةُ اسمان لهذه الفرقةِ ولِدِيَانَتِهَا التي انتشرتْ بجهودِ الحكومةِ الإنجليزيةِ بعد أن استغلَّتْ شخصًا هنديًّا اسمه ميرزا غلام أحمد بن ميرزا غلام مرتضى. وُلِدَ هذا الرجل عام **1835**م. في مدينة جورداسبور التابعة لإقليم بنجاب، كان على مستوىً متوسّطٍ من المعرفةِ باللغةِ العربيةِ والمنطقِ والفلسفةِ وشيءٍ من العلوم الإسلاميةِ، تلقاها في بيتهِ على الطريقة القديمة، غير أنه لم يكن مُتْقِنًا لأيّ فرعٍ من هذه العلوم، فلم يبلغ فيها إلى مستوى النَّضْجِ والنموّ، كما كان على شيءٍ من السفه والحماقةِ. يبدو أنه استفادَ من والده الذي كان طبيبًا يمتاز بثقافةٍ إسلاميةٍ. لكنه لا يخفي أن الدراسةَ إذا كانت محصورةً بجدران منزل الأسرةِ يستحيلُ أن تأتي بثمارها إذا قورنت بالدراسةِ في رحاب المدرسة مع الطلابِ المتسابقين في ارتقاءِ مدارج المعرفة والثقافة.

عندما عقد النظامُ الإنجليزيُّ العزمَ على تنفيذ هذا المشروعِ قام بتوظيفِ جواسيسه للعثور على عميلٍ يتحمَّلُ هذه المهمّةَ وفقًا لمطلوبه، فبدأ الرجال المكلّفون بالبحث، فوقع اختيارُهم على ميرزا غلام أحمد القادياني، لَمَّا وجدوا فيه من كلّ خصالٍ ردِيئةٍ وتصرُّفاتٍ خسيسةٍ من الفساد في الرأي والعقيدة، والسفهِ والحماقةِ، وسخافةِ العقلِ، والطمعِ في الظهورِ والاشتهار... فزاد ذلك من أملِ الحاكمِ البريطانيّ وحاشيتهِ أنْ يستعملوه في تحريف القِيَمِ الإسلامِيَّةِ وتشويه تعاليمه.

كانت الظروف في تلك المرحلة الزمنية مواتيةً لاستغلالِ هذا الرجلِ واستخدامِهِ في إعلان الحرب على الدين الحنيف لأسبابٍ؛ أولها: كان الجهل متفشّيًا بين عامةِ المسلمين من أهلِ الهندِ، والجيلُ الناشئُ على وجه الخصوص كان خِلْوًا من المعرفةِ بحقيقة الإسلام وتعاليمه. ثانيها: كانتِ الساحةُ الهنديةُ تعج بالديانات

السخيفةِ (كالبرهميةِ، والجاياناسِيَّةِ، والبوذِيَّةِ، والباربسيسية، والسيخيةِ، والدُّنْيَا إلهيةِ، والآغاخانِيَّةِ، والنيجريةِ) كانت هذه الديانات منتشرةً بين الهنود الكافرَةِ، أما المنتسبون إلى الإسلام، فكانت لهم أيضًا دياناتٌ كُفرِيَّةٌ كالجشتيةِ، والنقشبنديةِ، والقادريةِ، والقلندريةِ، والسهرورديةِ، والعيدروسيةِ، والفردوسِيّةِ، والمداريَّةِ، والشطارِيَّةِ، والدّيُوبَنْدِيَّةِ، وغيرِها..)، كما كانت هناك بإزاء هذه الدياناتِ تياراتٌ كُفرِيَّةٌ وبدعٌ منكَرَةٌ (كعبادة الهنادك للبقر، وتبرُّكِهِمْ بِبَوْلِهَا)، ومعتقداتٍ خرافيةٍ (كالاعتقادِ بالتناسخِ)، والأساطيرِ المضلِّلَةِ، وعاداتٍ وحشيةٍ مخالفةٍ للفطرةِ (كَحَرْقِ الزوجةِ مع زوجها الميّتِ)، إلى غير ذلك من أفكارٍ وسلوكياتٍ غريبةٍ هدَّامةٍ للقِيَمِ الإنسانيّةِ... وكان التصوفُ منتشرًا بين المنتسبين للإسلام، وهو مستنقعٌ يحوي ضروبًا من الكفر والابتذال والفضائح... كانت هذه المساوي والشناعاتُ ناجمةً عن جهودِ كثرةٍ من الرُّهْبان والخواجوات والملالي المتطرِّفِينَ، والسحرة والمشعوذين، والدراويش واليوغيّين، والمجازيب، والمتّجرين بالدين... كانوا يتسابقون في كل بقعةٍ من هذه البلاد الشاسعة، يحاولون تخديرَ المشاعرِ، واستغلالَ العواطفِ، وتسحيرَ العقولِ الساذجةِ، لانتشالِ ما في أيدي الناسِ من الحطامِ الخسيسةِ والحصول على المصالح التافهة.

لم يبدو ميرزا غلام أحمد عنصرًا متطرِّفًا إلى أيام الكهولةِ، بل كان شخصًا من أوساطِ الناسِ هادئًا، ذا شغفٍ بالقراءةِ نازعًا إلى التصوفِ المنتشر في أنحاء الهند، فأثارَ فيه شوقًا الى القراءةِ والبحثِ فتوغل في مسائلَ فلسفيةٍ وروحِيَّةٍ، بدأ يُناقش رهبان النصارى والآرية ويناظرهم، ويحاول إفحامهم. لكنه لم يكن ذا خلفية علمية قويةٍ، فعدل به الأمرُ إلى الشذوذِ عن الاستقامة والاعتدال، فاعتنق بعضَ المذاهبِ المنحرفةِ، فاعتقدَ بالحلولِ، والفيضِ، وعلمِ الغيبِ، ووحدةِ الوجودِ، والتناسُخِ...

كان يعمل كاتبًا في محكمة مدينة "سيالكوت"، ثم استقال من وظيفته. فكان أولُ ظهوره في بلدة قاديان، وهي إحدى قرى مقاطعة بنجاب الهندية وذلك عام **1889**م. وقد بلغ يومئذٍ أربعًا وخمسين سنةً من العمر. فلما تمكّن رجالُ مخابراتِ الإنجليز من التعرُّفِ على طبيعتهِ الْمُتَرَدِّدَةِ، وأفكاره المختلطة، وأنه مصابٌ باضطرابات نفسيةٍ خطيرةٍ تسمى بـ"الهِسْتِرْيا"، وتأكّدوا من أنه بهذه الصفاتِ أهلٌ للعمالة، أغْرَوْهُ بدعمهم وتأييدهم لِيُثِيرَ فتنةً يُزَعْزِعُ بها عقائدَ المسلمين ويُشَتِّتُ شملَهُمْ، وخاصةً أنَّ الحكمَ البريطانِيَّ كان يعاني من اضطراباتٍ وثوراتٍ، يقوم بها المسلمون، يطالبون بجلاء المستعمرين من بلادهم مما أفزعهم

وجعلهم يبحثون عن عملاءَ فيستعينوا بهم لإحباط الحركات الجهادية التي يشنُّها المسلمون. فما ليث حتى ظهر القادياني يدّعي أنه "مُجَدِّدٌ جاء على رأس القرن الرابع عشر الهجري لِيُعَدِّلَ الإسلامَ الذي قد أصابه فسادٌ وجمودٌ مع الزمان، لأنه يحتاج إلى أعمالٍ إصلاحية تُقيمه ليعود قادرًا على مواكبة الحضارةِ والتقدّم، وعلى توحيد كلمة المسلمين!"، استغل في زعمه هذا قولَ النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا." فوجد الحكمُ الإنجليزيُّ فيه ضالَّتَهُ التي طالما كان ينشدها.

ثم ازدادت ضلالاتُ القادياني عندما راح يزعم أنه المهديُّ الْمُنْتَظَرُ والمسيحُ الموعودُ، واحتجّ في ذلك ببعض النصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية، لكنه لم يقف عند هذا الحدِّ، بل تعدَّاه لما هو أطغى وأطم، عندما بلغت هذياناتُهُ إلى حدٍ خطيرٍ فأعلن أنه مُلهَمٌ يُوحىَ إليه، وأنه أفضل من الأنبياء! فطالب الناسَ بالانصياعِ لحكم الإنجليز وموالاته. فأثارَ ذلك حفيظةَ علماء المسلمين، فنهض عددٌ كبيرٌ منهم للردّ عليه، وتفنيد حججه الواهيةِ، ونُشِرَت مقالاتُهم ومؤلّفاتهم بغزارةٍ، لكن القاديانيَّ حَظِيَ بكثرة الأَتْبَاعِ، فاشتهر بين جموعٍ غفيرةٍ من الدهماءِ وأصحابِ العقول المتخلّفةِ المعتقدين بالخرافات والأساطير.. وذلك نتيجة الدعايات الكثيفة التي كانت تقوم بها الجبهةُ الموالية للحكم. ومن اللاَّفتِ والمستغرَبِ أنَّ عددًا من الشخصيات المعروفين أيضًا انسحبوا وراءه، مما جعل الغلبةَ عليه من المستحيل، فزاده ذلك غطرسةً وطغيانًا في حماية الحكم الإنجليزيّ. يأتي على رأسِ الرجال البارزين الذين انسحبوا وراء القادياني، الحكيم نور الدين البهيردي، وأَحَدُ أشقَّاء الشاعر محمد إقبال، وظفر الله خان الذي تولى وزارة الخارجية للدولة الباكستانيةِ أيَّامَ قيامها على الساحة الدولية.

وكان من أفاعيل الحكم الإنجليزي ومكره في هذه المرحلةِ؛ أنه شجَّع المبشّرين على تنصير المسلمين من جهةٍ، فقاموا بنشاطات كثيفةٍ في أوساطِ الطبقة الساذجةِ لتضليلهم وتشويش المجتمع الإسلامِيّ وخَلْقِ الفوضى.. ومن جهةٍ أخرى، قاموا بخدعةِ تحريض القاديانيّ على المبشّرين، فبدأ القاديانيُّ يناقشهم ويناظرهم ويردُّ عليهم، ليعتقدَ المسلمون أنه يدافع عن الإسلام فيغترّوا به وينضمّوا إلى جماعتِهِ.

وردتْ في الموقع الألكتروني المشهور بعنوان " https://www.islamweb.net/ar" مقالةٌ يشتمل على معتقدات القاديانيّين، وهذا نصّها:

"**1**. يعتقد القاديانية بتناسخ الأرواح: حيث زعم ميرزا أحمد القادياني أن إبراهيم عليه السلام ولد بعد ألفين وخمسين سنة في بيت عبد الله بن عبدالمطلب مُتَجَسِّدًا بالنبيّ محمدٍ صلّى الله عليه وسلم، ثم بُعث النبيُّ عليه الصلاة والسلام مرتين أُخْرَيَيْنِ أحدهما عندما حلت الحقيقة المحمدية في المتبع الكامل يعني نفسه.

2. يعتقدون "أن الله يصوم ويصلي وينام ويخطئ"، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا، يقول ميرزا: " قال لي اللهُ: إني أصلي وأصوم وأصحو وأنام." وقال: "قال الله: إني مع الرسول أجيب، أخطئُ وأصيب، إني مع الرسول محيط".

3. يعتقدون أنَّ النُّبُوَّةَ لم تُخْتَمْ بمحمد صلى الله عليه وسلم، بل هي جاريةٌ، وأنَّ اللهَ يُرسِلُ الرسولَ حسب الضرورة، وأنَّ غُلام أحمد هو أفضل الأنبياء جميعاً!! وأنَّ جبريل عليه السلام كان يُنزل على غلام أحمد بالوحي، وأنَّ إلهاماتِهِ كالقرآن.

4. يقولون: لا قرآن إلا الذي قَدَّمَهُ المسيحُ الموعودُ (الغُلام)، ولا حديث إلا ما يكون في ضوء تعليماته، ولا نبي إلا تحت سيادة "غلام أحمد"، ويعتقدون أن كتابهم مُنْزَلٌ واسمه الكتاب المبين، وهو غير القرآن الكريم !!

5. يعتقدون أنهم أصحابُ دينٍ جديدٍ مستقلٍّ، وشريعةٍ مستقلَّةٍ، وأنَّ رِفَاقَ الغلام كالصحابة، كما جاء في صحيفتهم "الفضل، عدد **92** ": "لم يكن فرق بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وتلاميذ الميرزا غلام أحمد، إن أولئك رجال البعثة الأولى وهؤلاء رجال البعثة الثانية."

6. يعتقدون أن الحجَّ الأكبرَ هو الحجُّ إلى "قاديان" وزيارةُ قبر القادياِنِيّ، ونصُّوا على أن الأماكنَ المقدسةَ ثلاثةٌ مكةُ والمدينةُ وقاديان.. فقد جاء في صحيفتهم:"أنَّ الحجَّ إلى مكةَ بغير الحجِّ إلى قاديان حجٌّ جافٌّ خشيبٌ، لأن الحج إلى مكة لا يؤدي رسالته ولا يفي بغرضه."

7. يبيحون الخمرَ والأفيونَ والمخدرات !!

8. كلُّ مسلمٍ عندهم كافرٌ حتى يدخل القاديانية: كما أن من تزوَّجَ أو زوَّج لغير القاديانيين فهو كافر!!.

9. ينادون بإلغاءِ الجهادِ، ووجوبِ الطاعةِ العمياءِ للحكومة الإنجليزية التي كانت تحتلُّ الهندَ آنذاك، لأنها – وفق زعمهم – ولي أمر المسلمين!!

10. يعتقد القادياني بأن إلهه إنجليزي لأنه يخاطبه بالإنجليزية!!

موقف علماء الإسلام من القاديانية :

لقد تصدَّى علماءُ الإسلام لهذه الحركة، وممن تصدَّى لهم الشيخ أبو الوفاء ثناءُ الله أمير جمعية أهل الحديث في عموم الهند، حيث ناظر "ميرزا غلام" وأفحمه بالحجة، وكشف خبث طويته، وكُفْر وانحراف نحلته. ولما لم يرجعْ غُلام أحمد إلى رُشْدِهِ بَاهَلَهُ الشيخ أبو الوفا على أن يموت الكاذب منهما في حياة الصادق، ولم تمر سوى أيام قلائل حتى هلك "الميرزا غلام أحمد القادياني" في عام **1908**م، مُخَلِّفًا أكثرَ من خمسين كتابًا ونشرةً ومقالاً، كلُّها تدعوا إلى ضلالاته وانحرافاته.

وقام مجلس الأمة في باكستان (البرلمان المركزي) بمناقشة أحد زعماء هذه الطائفة "ميرزا ناصر أحمد" والرد عليه من قبل الشيخ مفتي محمود رحمه الله. وقد استمرت هذه المناقشة قرابة الثلاثين ساعة عجز فيها "ناصر أحمد" عن الجواب وانكشف النقاب عن كفر هذه الطائفة، فأصدر المجلس قرارًا باعتبار القاديانية أقَلِّيَّةٌ غيرُ مُسْلِمَةٍ.

وفي شهر ربيع الأول عام **1394**هـ الموافق إبريل **1974**م انعقد مؤتمر برابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، وحضره ممثلون للمنظمات الإسلامية العالمية من جميع أنحاء العالم، وأعلن المؤتمر كفر هذه الطائفة وخروجها عن الإسلام، وطالب المسلمين بمقاومة خطرها وعدم التعامل معها، وعدم دفن موتاهم في قبور المسلمين.

وقد صدرت فتاوى مُتَعَدّدِةٌ من عَدَدٍ من المجامعِ والهيئاتِ الشرعيةِ في العالم الإسلامي، تقضي بكفر القاديانية، منها المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي، ومجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر

الإسلامي، وهيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، هذا عدا ما صدر من فتاوى علماء مصر والشام والمغرب والهند وغيرها"

***

15) الفِرْقَةُ الْبَهَائِيَّةُ:

الْبَهَائِيَّةُ فرقةٌ كافِرَةٌ، وفتنةٌ ظهرت في بيئة الرافضةِ بالمنطقة الفارسِيَّةِ، اُسْتُهْدِفَت بها الإسلامُ لتقويض أساسِهِ واستئصال شأفة المسلمين، وهي امتدادٌ للحركة "البابيةِ" التي ظهرت سنة **1844**م. وقادها زنديقٌ فارسيٌّ يُدعىَ (الميرزا علي محمد رضا الشيرازي **1819-1850**م.). كان هذا الرجل مجذوبًا مُشوَّشَ الذهنِ، مُضْطَرِبَ العاطفةِ طَائِشًا، عاشَ أيَّامَ طفولتهِ في أمواجٍ من الهلاوسِ، "كان يصعد على سطح البيت في حرِّ الظهيرةِ ويجلس عاريّ الرأسِ يُحَمْلِقُ في قرص الشمسِ، يُغَمْغِمُ بأورادِ الصوفيةِ، وَيُهَمْهِمُ بالحروفِ والطلاسمِ السُّريانية حتى يُغْشَى عليه، فإذا جاء الليلُ عكف على كُتُبِ التنجيمِ والسحر وتسخير روحانيات الكواكبِ."[237] حَدَّثَتْهُ نفسُهُ يومًا بأنه أحد المظاهر الإلهية، وأغوَاه الشيطان فكان من هذياناته أنه ادَّعَى بأنَّ اللهَ أوحى إليه وكلَّفه بالتمهيد لدعوةٍ جديدةٍ سيأتي مَنْ يتحمَّلُهَا مِنْ بَعْدِهِ، فلقّبَ نفسَهُ بـ"البابِ"، قصد بذلك إلى كونه فاتحةً، وبشيرًا، وبابًا يدخلَ من خلالِهِ الموعودُ الْمُنْتَظَرُ، وألّف كتابًا شَرَّعَ فيه أحكامَهُ التي زخرفها بأفكارٍ جذَّابةٍ، كما ألّفَ كتابًا آخر سماه "البيان، يقدسه البابيّون ويعدونه تنزيلا سماويّا.

زعم البابُ أنَّ الوحيَ الذي تلقّاه سوف يكون مصدرًا فيَّاضًا تتفجّرُ من خلاله ينابيعُ الحكمةِ وصنوفُ العلومِ والمعارفِ. وجاء في بعض الروايات: "أنَّ الجاسوسَ الروسيَّ (كينازد الغوركي) الْمُدَّعِي الإسلامَ باسم (عيسى النكراني)، حَدَثَ لقاءٌ بينه وبين الشيرازي فبدأ يُلقِي في روعه: "أنه هو المهديُّ الْمُنْتَظَرُ والبابُ

[237] مصطفي محمود، حقيقة البهائية، دار المعارف (الطبعة الثانية) ص:**12**. **1992**م.

الْمُوصِلُ إلى الحقيقة الإلهية والذي سيظهر بعد وفاة الرشتيّ"، وذلك لما وجده مؤهلاً لتحقيق خطته في تمزيق وحدة المسلمين.

كان هذا الشابُّ البسيط الذي مارس التجارةَ فترةً، لم يكن له حظوةٌ من العلوم المتعارفةِ أصلاً، بل اشتغل برهةً بدراسةِ كُتُبِ الصوفيةِ والرياضةِ الروحانيةِ، وخاصةً كُتُبِ الحروفيّين، وممارسةِ الأعمال الباطنية، فادّى ذلك إلى اضطرابٍ في تفكيرِهِ ومُعْتَقَدَاتِهِ.. لكنّهُ تميَّزَ بالخطابِ البليغ والكلام الفصيح بالفارسية على سليقةٍ، جذب حديثُهُ الذي هيّأ له فرصَةَ التأثير على المخاطَبِ، فاستحوذ بقدرتِهِ الخطابيةِ على كلّ من استمع إليه. زعم أنَّ الموعودَ الْمُنْتَظَرَ سوف يأتي بنظامٍ فريدٍ يَتَمَتَّعُ في ظِلِّهِ المؤمنون بحياةٍ كُلُّهَا السلامُ والوئامُ والمحبةُ والتسامحُ والتعاون، تنتشرُ الفضائلُ والأخلاقُ النبيلَةُ والرفاهيةُ بفضله...

آمن به لأوَّلِ مرةٍ شخصٌ من طلبة العلم اسمه حسين بشروئي، كان قد درس على أحمد الأحسائي، وكاظم الرشتي، وهما رمزان من رموز الحركة الشيخيةِ، وهي تيَّارٌ من دعاوي الرافضةِ، تتمثل في الاعتقادِ بظهور المهدي المنتظَرِ الذي كان أحمدُ الأحسائيُّ، وكاظمُ الرشتيُّ يتوقعانِ ظهورَهُ قريبًا جدًّا، لكنه لم يكن لأحدٍ منهما دورٌ في ظهور البابية والبهائية. فأثارت دعوةُ الميرزا علي محمد الشيرازي في نفس حسين بشروئي حيث دفعته للقيامِ بالدعايةِ لهذا الدين الجديد، فأمن بعده سبعة عشر رجلاً بينهم امرأةٌ واحدةٌ لُقِّبَ بالطاهرة أو قرة العين و"زَرِّينْ تاج". فاستسلموا جميعًا للْمُتَنَبِّي الميرزا علي محمد الشيرازي الذي لقّبَ نفسَهُ بـ"الباب" أي بابِ معرفةِ الله، ولَقَّبَ حسين بشروئي بلقب "بابِ الباب".

فلما شاعَت دعوةُ البابِيَّةِ وكثُرَ أتباعُ الميرزا علي محمد الشيرازي الملقّب بـ"البابِ"، تعرّضَ البابيّون للاضطهادِ والتعذيبِ، من قِبَلِ السلطات التابعةِ لحكم الأسرةِ القاجاريَّةِ التركمانية، فقُبِضَ على "الباب" سنة **1847**م. وأُلقِيَ فِي السجنِ، لكنَّ البابِيّين أصرّوا في نشاطاتهم، ولم يمتنعوا من إعلانِ إيمانهم برسالة "الباب" وتعاليمه، فأدّى ذلك إلى اشتداد السلطة عليهم وتضييق خناقهم، فانتهي الأمرُ بهم إلى نفيِ البابِ أوّلاً وَحَبْسِهِ في قلعةِ ماكو، بأذربيجان ثم إلى قلعة جهريق لعدّة سنواتٍ إلى أن صدر حكمُ الإعدام

بحقِّهِ مع أحد أتباعِهِ، ونُفِّذَت فيهما العقوبةُ سنة 1850م. رميًا بالرصاص على رؤوس الأشهادِ في مدينة تبريز.[238]

لا شَكَّ في أنَّ البهائيَّةَ مرتبطةٌ بالحركة البابِيَّةِ ارتباطًا وثيقًا، لأنَّ البابيةَ هي التي مهّدت السبيلَ لظهور البهائيَّةِ، يبرهن على ذلك أنَّ الميرزا حسين عليّ النّوري الملقّب بِ"بهاءِ الله"، والذي أسَّسَ الدّيانةَ البهائيّةَ، كان في بدايَة الأمر من أتباع الباب وأنصارِهِ، ومن قادة البابيّين بعد إعدامه، آمن به عام 1844م. وعمره يومئذٍ سبعة عشر عامًا، ثمّ أعلنَ دَعْوَتَهُ باسم "البهائيّة" عام 1863م. أي بعد 19 عاما من بداية دعوة الباب. ومن الدلائل على العلاقة الوثيقةِ بين البابِ وبين بهاء الله، أن الباب كلّفَ أتباعه الأوَّلين ببثِّ دعوتِهِ وَأَرْسَلَهُمْ إلى مناطقَ مختلفةٍ من بلادِ فَارِسَ والعراقِ والهندَ، وكلّفَ منهم الْمُلاَّ حسين بشروئي بحمل لوحٍ له خاصّةً أنْ يُسَلّمَه إلى بهاء الله.

كان الميرزا حسين عليّ النّوري من أسرةٍ معروفةٍ في طهران، وكانت عائلتُهُ تملك أراضٍ واسعةً وعقاراتٍ متعددةً في إقليم مازندران، وكانت تتمتع بمكانةٍ مرموقةٍ في المجتمع الفارسي في تلك الحقبة. فلما أعلن دَعْوَتَهُ وادَّعى النبوّةَ تعرَّضَ للملاحقةِ وقُبِضَ عليه سنة 1852م. وَزُجَّ به في سجن (سياه جال) بعد محاولةٍ فاشلةٍ لاغتيالِ ناصر الدين شاه (1848–1896م.) التي اتُّهِمَ الميرزا حسين عليّ النّوري بالضلوعِ فيها. ظلَّ معتَقَلاً مُدَّةَ أربعةِ أشهرٍ، ثُمَّ شَفَعَ له بعضُ وُجَهَاءِ القومِ عند الشاه، وقيل طلبت الحكومة الروسيةُ من الشاه أن يعفو عنه، فاستجاب لها فنجا الميرزا حسين من الإعدام.

وهو فارسي الأصل من سُكَّانِ منطقةِ "مازندران". لم يَتَلَقَّ تعليمًا نِظَامِيًّا في مدرسةٍ أو معهدٍ، وإنما عهد به أبوه إلى مَنْ يُعَلِّمُهُ في المنزلِ، ولَمَّا نال قسطًا من التعليم بذل جهدَهُ لتطوير مستواهُ بالمطالعةِ والقراءةِ، فقرأ كُتُبَ الصوفيةِ والشيعةِ، وشغف بقراءة كُتُبِ فرقةِ الإسماعيليةِ، وَكُتُبَ الفلاسفةِ القدماءِ، وتأثَّرَ بأفكارِ بعضِ الأديان الوضعية كالبرهميةِ، والبوذيةِ، والزرادشتيةِ.. واشتهر بالقدرة على المناظرة والجدل. كان أبوه (عبّاس بُزُرك بن رضا قُلي) مُوَظَّفًا كبيرًا في وزارة المالية، وأخوه الأكبر كان كاتبًا في السفارة الروسية، وزوجُ أُخْتِهِ (الميرزا مجيد) كان يعمل سكرتيرًا للسفير الروسي في طهران.

---

[238] تمّ نقل رفات "الباب" ودُفِنَتْ في جبل الكرمل في مدينة حيفا الفلسطينيّة يوم **21** آذار **1909**، بناء على إيعاز سابق من بهاء الله لأتباعه. وقد كان عبد البهاء، (عباس أفندي) ابنُ بهاء الله، هو الذي أشرف على بناء ضريح الباب، وعندما توفيّ هو نفسه في **28** تشرين الثاني (نوفمبر) من عام **1921** دُفِنَ في الغرفة المجاورة لضريح الباب في نفس المبنى.

بدأت مغامراتُهُ بعد أن التحق بالمتنبي (الميرزا علي محمد رضا الشيرازي)، فقام بنشر دعوته، وخاصةً خلال "مؤتمر بدشت"[239] الذي يُعَدُّ نقطة تحولٍ هامةٍ في تاريخ البابية، لأنه من خلالها تم الإعلان عن استقلال الشريعة البابية عن الإسلام باعتبارها شريعةً مستقلةً بأحكامها ومبادئها. واتخذ الميرزا حسين عليّ النّوري لنفسه خلال هذا المؤتمر لقب "بهاء الله."

نُفِيَ "بهاءُ الله." فغادر طهران متوجهًا إلى العراق في 12 يناير 1853م مع أسرته التي بلغت 70 شخصًا، بمرافقة رجال الأمن من الحكومة الإيرانية.. كانت العراق تحت حكم العثمانيين يومئذٍ في عهد السلطان عبد العزيز. مكثَ بهاءُ الله في بغداد تسع سنين، بين أعوام 1853-1863م، حيث أعلن نبوته ودام يدعو إلى دينه.

في واقع الأمر أنَّ الميرزا حسين عليّ النّوري الذي اتخذ لقبَ "بهاء الله"، رغم أنه نشأ في بيتٍ معروفٍ إلاَّ أنه لم يكن من أهل العلم والمعرفةِ والأدبِ، كما لم يكن صاحبَ مهنةٍ أو حرفةٍ، بل كانَ رمزًا في الجهلِ؛ سفيهَ الرأيِ، سخيف العقلِ، مُضْطَرِبَ التفكيرِ، قليلَ الحياءِ، سَيّءَ الخلق، غريب الأطوارِ، شتَّامًا، مسرفًا في القول وتحريف الحقائقِ، طائشًا في تصرفاته، دنيئًا لئيمًا لم يُرزَقْ شيئًا من الفضيلةِ... هذه الطبائع هي التي دفعته إلى مستنقع الكفر والزندقةِ، فتجرّأ على الله بحماقاتٍ سجلها التأريخ عليه لتكون وبالاً في عنقه يفتضح بها يوم القيامة على رؤوس الأشهاد.

فلما أخذ عددُ أتباعِهِ في الازديادِ، إيَّامَ إقامته في بغداد، واغترَّ بأباطيله كثيرٌ من الدهماءِ ومُفلِسِي الإيمانِ دبّ القلقُ في مشاعر رجال الدولةِ العثمانيةِ والإيرانيةِ على السواء. فصدر الفرمانُ السلطانيُّ بإجلائِهم من بغداد، وتم ترحيله مع أتباعه إلى إسطنبول. في21 أبريل 1863م. لكن البهاءَ لم يكن ليتّعظ لِقلَّة أدبه ولِحرصه على الظهور والاشتهار. إذ بدأت السلطة العثمانية تشعر بخطورة نشاطات الرجل، فصدر الفرمانُ للمرة الثانية بترحيله مع أتباعه إلى أدرنه، دامت إقامتُهُ الجبريةِ في هذه المدينة قرابة خمس سنين، لكنَّ

---

[239] وهو مؤتمر البابيّين، أُقِيمَ برئاسة قرة العين (1230-1269هـ) في صحراء "بدشت". وقرة العين هي امرأة منحرفة السلوك فرّت من زوجها وراحت تبحث عن المتعة، وأعلنت في مؤتمر بدشت عن نسخ الشريعة الإسلامية, وقد أعدمها الشاه في نفس العام. وفي هذا المؤتمر الخليط من الرجال والنساء لا تسأل عما جرى فيه من الإباحية والخمر والفرح والمرح والأفعال القبيحة والتي أقلها إباحة الزنى وجميع ما يشتهيه الشخص...

أفاعيله أثارت الغضب في السلطة العثمانيةِ عندما بلغتها أنَّ هناكَ منافسةٌ شديدةٌ نشبت بين الميرزا حسين عليّ النّوري (البهاء) وأخيه الميرزا يحيى الذي اتخذ لنفسه لقب "صُبْحِ أَزَل"، وأسّسَ "الديانةَ البابيةَ الأزليةَ".. كانا يتنافسان على زعامة البابيّين، فتطوّر الخلاف بين الأخوين وأوشك أن يتحوّل إلى فتنةٍ، فصدر الفرمانُ للمرة الثالثة بترحيل البهاءِ مع أتباعه إلى مدينة عكّا بفلسطين. أُدْخِلَ (البهاءُ) وأتباعُهُ سجن مدينة عكا في **31** أغسطس **1868**م. ونُفِيَ صبح أزل مع أتباعه إلى جزيرة قبرص.

اندلعتْ حربٌ ضاريةٌ بين الأخوين: (الميرزا حسين (البهاء)، والميرزا يحيى (صبح أزل)، إذ هما في أدرنة. كان صبح ازل قد دَسَّ السمَّ في طعام (بها)، لكنه نجا من الهلاك، ثم حاول (البهاء) قتل أخيه "صبح أزل"، وكان على علاقة مع اليهود في أدرنة، ولم يلبث حتى أرسل (بهاء) أمره إلى البهائيّين في عكّا وحرَّضهم على الأزليّين، فهجموا على أتباع أخيه"صبح أزل" على حين غرّةٍ منهم، وقتلوا منهم الكثير! وهذا يدل على أنَّ الميرزا حسين الزنديق الماكر الذي كان في الحقيقة ممتلئًا بالحقد والضغينة بعكس ما يدعيه البهائيون من أنه كان يحب الهدوء والسلام والوئام، وينصح بالامتناع عن استعمال العنف والإيذاء، وإساءة المعاملة الجسدية أو النفسية وغيرها... كل ذلك كذبٌ ومبالغةٌ لا أساس له من الصحة، بل كان الرجلُ دجّالاً خطيرًا وشيطانًا مريدًا أفسد أدمغةَ ملايين الناسِ بأكاذيبه وأباطيله، فدحرهم عن ساحة الاعتدالِ، تبعثروا في انحاء العالم يحثون الناسَ على محاربة الله وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ...

من الدلائل الواضحة على سخافة عقل هذا الزنديقِ العجميّ: هَذَيَانَاتُهُ التي تَأْنَفُهَا الطِّبَاعُ، وتَمُجُّهَا الأسماعُ، وتنبو عنها كما تنبو عن سماع الأصوات المنكرة، وهذه نبذة من عباراته الركيكة الضعيفة التي خاطب بها الملا حسين البشروئي، يقول حرفًا بحرفٍ كما جاءَ في "حقيقة البهائية" للمؤلّف مصطفي محمود:

"ولا يقولوا كيفَ يُكلّمُ عن اللهِ من كان في السنّ خمسة وعشرون، فورب السماء والأرضِ إنِّي عبد الله آتاني البيناتِ من عند بقية الله المنتظر أمامكم، هذا كتابي قد كان عند الله مسطورًا في أم الكتاب بالحق على الحق مسطورًا، قد جعلني الله مباركًا أينما كنت، وأوصاني بالصلاةِ والصبر ما دمت فيكم على الأرض حيًّا، وإن الله قد أنزل له بصورة من عنده، والناس لا يقدرون بحرف على المثل دون المثل تشبيرًا"[240]

[240] مصطفي محمود، حقيقة البهائية، دار المعارف (الطبعة الثانية) ص:**33**. **1992**م.

مصطفي محمود يعبّرُ عن دهشته واستغرابه حيال هذه العبارات المتهالكة والمليئة بالعيوب اللغوية والإنشائية وما يعتريها من سوء التأليف، فيقول: "فأيُّ عبارةٍ هذه وأيّ تركيب وأيّ بناءٍ لغويّ!!!" حقًّا؛ أنَّ هذا الرجلَ الأعجميَّ الطائِشَ قد فضح نفسهُ أمام عالم المعرفةِ وأثارَ العلماءَ والمثقفين ليلعنوه إلى يوم القيامةِ.

يَتَبَيَّنُ من خلالِ ما سَبَقَ من المعلوماتِ الْمُوَثَّقَةِ؛ أنَّ للبهائيّين تأثيرًا خطيرًا على القِيَمِ السامِيَةِ ومحاولاتٍ هدّامةً على الأخلاقِ والفضائل. هكذا انضمُّوا إلى قافلةِ الجماعاتِ المنحرفةِ الأخرى، يَعِيثُونَ الفسادَ ويعملون على إثارةِ الفوضى في الأرض...

***

16) الفِرْقَةُ الأَتَاتُرْكِيَّةُ (الكَمَالِيُّون Kamalists)

قد جاء التعريفُ بمصطلحِ "الكماليةِ" في بعض مقالاتِ السياسيّين: "إنها الأيديولوجيةُ التأسيسيةُ للجمهوريةِ التركيةِ، المبنيةِ على مَبَادِئِ أتاتورك." أي أنَّها عقيدةٌ سياسيةٌ أُقِيمَتْ على سلسلةٍ من مقولاتِ مصطفي كمال. ومعناها: أنَّ الكماليةَ هي مجموعُ قراراتِ مصطفي كمال، وهي في الوقتِ ذاتهِ منهلُ جميعِ الأفكارِ والسياساتِ والاتجاهاتِ الفلسفيةِ والدينيةِ والاجتماعيةِ ومصدر تشريع القوانين في تركيا، تَبَنّتْهَا الدولةُ التركيةُ منذ قيامها إلى اليوم.

وبتعريفٍ أكثر تفصيلاً؛ يزعم الأَتَاتُرْكِيُّون أنَّ الكماليّةَ هي: "كما طَبَّقَهَا مصطفي كمال أتاتورك، إصلاحاتٌ سياسيةٌ واجتماعيةٌ واقتصاديةٌ وثقافيةٌ ودينيةٌ شاملةٌ تَتَبَنَّى تأسيسَ جمهوريةٍ وطنيةٍ موحَّدةٍ قائمةٍ على العلمانيةِ والديمقراطيةِ الغربيةِ، والمساواة بين المواطنين أمام القانون؛ كما تهدف إلى الاهتمامِ بالتنميةِ الاقتصاديةِ والتصنيعِ، ودعمِ الدولةِ للتعليمِ العالِي والأنشطةِ العلمية، وتَشْجِيعِ الرياضةِ والفنونِ، والتعليمِ المجانِيّ والإلزامي..." وكان القصدُ من هذه الإصلاحاتِ، على حدِّ تعبيرِ أتاتورك، هو "مواكبةُ الحضارة الأوربية المعاصرة، وَتَبَنِّي أسلوبَ حياةٍ عصريَّةٍ على أساس الفصل بين الدين والدولة."

"الكماليةُ" موضوعُ جدلٍ حادٍّ في أوساطِ المجتمعِ التركِيِّ منذ عصر كامل. وهي عند المتديّنين (بكلِّ فصائلهم) عنوان الارتداد عن الدين.. أمَّا مفهومَي "الدِّينِ" و"التديُّنِ" ، فتفسيرُهما مختلفٌ بحسبِ كلِّ جماعةٍ معتنقةٍ لشكل من أشكالِ العقائد المنتشرةِ في تركيا؛ فالصوفِيَّةُ، والتَّقْلِيدِيُّونَ (الذين تجمعهم الْمُسْلُمانِيَّةُ Müslümanlik)، وهي ديانةٌ مستقلّةٌ عن الإسلام، معظمهم يكرهون مصطفي كمال والنظامَ الكماليةَ. ولا شكَّ أنَّ الصوفِيَّةَ، والتَّقْلِيدِيّينَ، والكماليّين بأجمعهم زنادقةٌ؛ أمّا السَّلَفِيُّونَ، وَالْوَسَطِيُّونَ (الذين يجمعهم الإسلامُ)، فموقف جميعهم أيضًا سلبِيٌّ من الكماليةَ والكماليّين، كذلكَ الكماليون يعادون هذه الفئاتِ الدينيةَ بالمقابل، ويرمونَهم "بالتعصبِ الأعمى والرجعيةِ والجمودِ الراسخِ في كيانِهِمْ جَرَّاءَ العقلية المتخلفةِ والمنطق السقيم!."

أما أسبابُ كراهيةِ معظم الأتراك لشخصِ مصطفي كمال بسبب إجراءاته، فَعَدَّدَها مُثَقَّفٌ تركِيٌّ أثناءَ حِوَارِي معه وأنا أستمع إليه في دهشةٍ، وهذه كلماتُهُ:

– لا نحبه لأنه ألغى في 3 مارس 1924م. مؤسّسةَ الخلافةِ التي كانت لها قداسةٌ في نفوس المسلمين وهي تحتضن يومئذٍ الأمة بأجمعها وعلى مدى قرونٍ. كما أنَّ منظمةَ "الناتو" أو "الاتحاد الأوروبي" مظلةٌ تجمع العَالَمَ المسحيَّ اليوم.

– لا نحبه لأنه خان الدولةَ العثمانيةَ التي نشأ وتربى هو في كنفها، وارتقى في المناصب بفضل إحساناتها، لكنه تَنَكَّرَ لها فَشَوَّهَ سُمعةَ سلاطينها الذين كانوا يحترمون المقدساتِ الإسلاميةَ ويحافظون عليها.

– لا نحبه لأنه منع الأذان المحمديةَ قسرًا في عام 1932م. ودام الحظر من رفعه على مآذن البلاد ثمانية عشر عامًا رغم مطالبات الشعب.

– لا نحبه لأنه أباح الخمورَ والتبرُّجَ والسفورَ، وأباح زواجَ الأخ والأخت من الرضاعِ، وسنّ قانون بيوت الدعارة عام 1930م. فجعل النساء يُصْبِحْنَ ضحايا للنزوات الجنسيةِ.

– لا نحبه لأنه حوّل مسجدَ آيا صوفيا إلى متحفٍ، وقد كان المغفور له السلطان محمد الفاتح حوّله إلى مسجدٍ رمزًا لنصر المسلمين يوم فَتَحَ القسطنطنيةَ.

– لا نحبه لأنه ألغى الشريعةَ الإسلامِيَّةَ واقتبس من حياةِ وقوانينِ الصليبيّين الذين حاربونا قرونًا.

– لا نحبه لأنه أهان نَبِيَّنَا محمدًا صلى الله عليه وسلم، ووصف القرآنَ الكريمَ بِ"خُزَعْبَلاَتِ وَلَدِ الْعَرَبِ" في مذكراته التي دوّنها بخط يده وطُبِعَ أخيرًا تحت عنوان "Beyaz Kitap"[241]

– لا نحبه لأنه ألغى الأبجدية العربية، فحرَّمَ ثلاثة أجيال من قراءة وفهم التراث الإسلامي وتاريخ إنجازات المسلمين. وهل هناك بلد في العالم غير تركيا يدخل أحدٌ من أبنائِهِ إلى مكتبةٍ من مكتباتِهِ المكتظةِ بمصادرِ آبائِهِ ويجهل قراءتها!؟.. وهناك عشراتٌ من أسبابٍ أخرى يضيق المقامُ عن ذكرِهَا.

***

لقد دخل مصطفي كما في سجلِّ التاريخ بما له وما عليه، وقد طُوِيَت صفحتُهُ، لكنه ينبغي أنْ يُفصَحَ أنّه كانَ زنديقًا متلوّنًا، لا نقول هذا لإظهارِ مثالبه، بل توضيحًا لحقيقةٍ التزامًا بالأمانة التاريخية، إذ ورد أنه صعد المنبر في مسجد زاغنوس باشا بمدينة "بالي كثير" يوم 07 شباط/فبراير 1923م. وكان يوم الأربعاءِ، فخاطب الجماعةَ مستهلاً بتعظيم جناب الله عزّ وجلّ والإشادة بمكانة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثمَّ

[241] المصدر: **Şemseddin Güler, Beyaz Kitap, İstanbul-1999**. مكان الطباعة مجهول، طُبِعَ هذا الكتابُ ونُشِرَ، ثم اختفت نُسَخُهُ!. وقد وردَ في الصفحة: **63** من هذا الكتاب كلماتٌ سجلها مصطفي كمال بخط يده، يقول فيها بالحرف الواحد ردًّا على سؤالٍ وَجَّهَهُ إليه الجنرال كاظم قَرَابَكْر: "نعم يا قَرَابَكْر، سَأُصْدِرُ الأمرَ بترجمة القرآن لكي يفهم أبناء التركِ معاني خزعبلات وَلَدِ العرب!" وهذه نص كلماته باللغة التركية:

«**Evet Karabekir, Arap oğlunun yavelerini Türk oğullarına öğretmek için Kur'an'ı Türkçeye çevirttireceğim**».

نصح الحاضرين بالمحافظةِ على نتائج الانتصارات والمكتسبات التي حَقَّقَهَا الشعبُ في مواجهة الأعداءِ أيامَ حرب الاستقلال، ونحو ذلك.

***

نَشِبَتْ انتفاضاتٌ ضِدَّ حكومةِ مصطفي كمال في أنحاءِ تركِيَا، فكانت حركةُ الشيخ سعيد الْبَالَوِي أشدَّهَا وطأةً، كان هذا الشيخ كُردِيَّ الأصلِ ومن أبرز مشايخ النقشبندِيَّةِ يسكن في منطقةٍ قريبةٍ من مدينة (أرض الروم)، يتبعه جماهيرُ غفيرةٌ من الأكرادِ. وكان مصطفي كمال يراه عقبَةً على طريقهِ، يخافُ أن يُعَرْقِلَهُ عن جهودهِ التي يبذلها لإنشاءِ الدولة الفتية. أراد أن يُدَبِّرَ مؤامرةً يُثيرُ الشيخَ فيتمرّد على النظام الجديد، فيكون ذلك ذريعةٍ لإنزال العقوبة عليه.

كان مصطفي كمال يكره النقشبنديّين خاصّةً، والأكرادَ في الوقتِ ذاتِهِ، فيُخَطِّطُ لهم "ليسطادَ عصفورين بطلقةٍ واحدةٍ" كما في المثال التركِيِّ. فلما عزم على تحقيق خطته، كَلَّفَ رجلاً من عُمَلاَئِهِ يُدعَى (قاسم آتاج)، وكان هذا من عشيرةِ الشيخ سعيد الْبَالَوِي ومن أقارُبِهِ، رجلاً لَئيمًا، أنانِيًّا، انتهازيًّا، عديمَ الحميَّةِ والكرامةِ... لم يلبث طويلاً حتى الْتَقَى بالشيخ سعيد فغرّهُ وشجَّعهُ على القيام بثورةٍ على حُكْمِ مصطفي كمال بأنه "عدوٌ للإسلام، يريد هَدْمَهُ، وإحلال نظامٍ كافر محلّهُ" ونحو ذلك...

انصاع الشيخ سعيد لهذا الجاسوس الذي اسْتَفَزَّهُ، فاغترَّ بما أملى عليه، لأنه كانَ صوفِيًّا، خرافيًّا، فقيرَ العلم كسائر شيوخ النقشبندية، لا يُدرِكُ وجهَ الصوابِ، يجهل السياسةَ وفنون القتال، كما لم يفطن إلى أنَّ عقيدته مزيجةٌ من بعض تعاليم الإسلام وأباطيل البوذيةِ. لذلك أثارت تصرفاتُ الحكومة حفيظتَهُ لما اتخذت موقفًا سلبيًا من تعاليم الإسلام. فنهض الشيخ سعيد الْبَالَوِي على رأس آلافٍ من مُرِيدِيهِ وغيرِهِمْ استجابةً لنصائح عديله (قاسم آتاج)، وأعلن الحربَ على نظام الدولة التركيةِ، فكان ذلك مُبَرِّرًا للمقابلة بالمثل، فأرسلت الحكومةُ عليه جيشًا عارمًا وقُبِضَ عليه يوم **25** أبريل سنة **1925**م. قُرْبَ مدينة (وَارْطو)، كما قُبِضَ على جماعةٍ من مشايخ الأكرادِ النقشبندِيّينَ في مختلف أنحاء المنطقة الكردية، كانوا من المؤيدين له. ثم حُكِمَ على الشيخ سعيد وعلى عدد من أنصاره بالإعدامِ، ونُفِّذَ فيهم الحكمُ يوم **29** يونيو **1925**م، في مدينة (دياربكر)، وألقِيَتْ جُثَثُهُم في حُفرَةٍ بثيابهم، (دون مراعاةٍ لأيِّ عملٍ من آداب الجنائز من غسلٍ، وتكفينٍ، ودفنِ كلٍّ منهم في مقبرةٍ)، بل هِيلَ عليم الترابُ ورُدِمَت الحفرةُ وسُوِّيَت، وبقي المكان مجهولاً إلى

اليوم. ثم أُقِيمتْ مذابحُ رهيبةٌ في المنطقةِ، لأن الحكومةَ أباحت للجيش أن يتصرّف في القتل بدون مبرّرٍ ومن غير حدودٍ. قيل: أُزْهِقَ في هذه المذابح ما يقرب من مائةٍ وسبعين ألفًا من الأرواحِ.

لم يشفِ مصطفي كمال غَلِيلَهُ من التنكيل بالنقشبنديّين الأكراد، فعاد ليسحق الأتراك منهم في المنطقة الغربية.. كان الهدفُ في هذه الخطةِ الشيخ أسعد الأربلي الكردي الذي كان يقيم في إسطنبول. ولأجل القضاءِ عليه وعلى أتباعه، تمَّ حياكة المؤامرةِ في مدينة (مَنَامَنْ) من ضواحي مدينة إزمير. قام عملاءُ مصطفي كمال بتوجيه ثلاثة أشخاصٍ من مُدْمِنِي المخدِّراتِ مقابل مبلغ من المال، فَأَمْلَوْا عليهم أن يدخلوا المسجدَ الرئيسَ للمدينةِ كأنهم يريدون أداء صلاة الفجرِ، ثمَّ ينشروا رايةً خضراءَ عليها كلمة التوحيد، وينادوا: أنهم يطالبون الحكومةَ بإلغاء النظام العلماني وتطبيق الشريعة الإسلامِيَّةِ. فارتفعت الأصواتُ وحدث ضجيج في المسجد ثم خرج المصلون في ازدحامٍ وَتدَافُعٍ، فهاجَت الفوضى في ساحة المسجد، والبلطجيةُ الثلاثةُ مازالو بين الحشد يواصلون الهتافَ، وإذا بفريقٍ من الجنودِ وعلى رأسهم ملازمٌ أحاطوا بالمتظاهرين يريدون قمعَهم والقبضَ على المتمرِّدين الثلاثةِ، لكن البلطجيةَ انْقَضُّوا على الملازم فأضجعوه على الأرض وقطعوا رأسه بالساطور، كما لو كانوا يذبحون شاةً.

هكذا تحقّق المبرِّرُ بحسب خطة الحكومةِ، ثم بدأ الحصادُ بالإعداماتِ والقمعِ والتنكيلِ، بعد محاكماتٍ شكليَّةٍ أصدرتْها محكمةٌ عسكريَّةٌ أُعِدَّتْ مُسْبَقًا. وأيقن مصطفي كمال أنَّه قضى على عقبةٍ كبيرةٍ كانت تُثَبِّطُهُ عن تحقيق مشروعه. فلما مات عام **1938**م. سرعان ما حلَّت مَكَانَهُ طائفةٌ متماسكةٌ عُرِفَت بالكماليّين، فأخذوا بزمام الدولة التركيةِ بيدٍ من الحديد، واستولوا على جميع مؤسّساتها ملتزمين بمبادئ زعيمهم. دام حكمُهُم إلى نهاية القرن العشرين. وفي هذه المدةِ التي تَرْبُو على سبعين عامًا مارسوا أشكالاً وأساليبَ مختلفةً من إهانة الفصائل المتدينّةِ للشعبِ دون تفريقٍ بين الصوفية المتطرّفين والمعتدلين من أهل التوحيد. لم يتسامحوا مع النقشبنديّين رغم كون الطرفين من الزنادقةِ؛ بل اقتفوا أثرهم، وبثّوا العيونَ بين صفوفهم، وتربّصوا بهم، فداهموهم في أثناءِ طقوسهم التي كانت ممنوعةً. وزادوا اشتدادًا على الصوفيةِ إلى حدودٍ تُستَغرَبُ؛ كإثارَتِهِمْ بعضَ المجاذيبِ للاعتداءِ على تماثيل مصطفي كمال، فيدمّرونها، ثمَّ يتَّهمُ جهازُ

القضاءِ جماعةً من النقشبنديّين بـ"أنهم وراءَ الجريمة!" فَيُحْكَمُ عليهم بالسجن لدخولهم تحت طائلة القانون رقم: 5816.[242]

دامت كذلك إهَانَتُهُمْ للدِّين الإسلامِيِّ وقِيَمِهِ السَّامِيَةِ بكلِّ وسيلةٍ، كما جاء في أبياتٍ للشاعر كمال الدين كامو، يقول:

لا عنكبوت ولا طحلب،
ولا معجزة ولا سحر،
فَلْتَكُنْ الكعبةُ للعرب،
يَكْفِينَا قَصْرُ شَانْكَايَا.[243]

***

ومن جانبٍ آخر، دبَّ الوعيُ في مشاعر النقشبنديّين شيئًا فشيئًا، بعد أن خفّتْ آلامُهُم واستفاقوا من سباتهم، واستخلصوا العبرة من الكارثة التي حلت بهم، فبدئوا يستعدُّون لأخذ الثأرِ، لكنهم التزموا الحذرَ والحيطةَ والصبر الطويل، فتعاونوا فيما بينهم طوال قرنٍ كاملٍ وهم يسعون إلى تطوير مستواهم في كل مجالات الحياةِ؛ قاموا بإنشاءِ مؤسَّسَاتٍ وأوقافٍ وجمعياتٍ وشركاتٍ عملاقةٍ، وربّوا أجيالهم بأعلى مستويات التعليم، فبدئوا يتسللون إلى مؤسسات الدولةِ والكماليون في غفلةٍ عن نَوَايَاهُمْ.

استطاع النقشبنديُّون في نهاية المطافِ أنْ يقفزوا على السلطةِ ويقبضوا على زمام الحكم بشكلٍ مطلقٍ عقبَ فوز حزبهم (حزب العدالة والتنمية) في انتخابات عام 2002م. ولا يزالون يَتَحَكَّمُونَ في رقابِ الشعبِ إلى اليوم، ويبذلون قصارى جهودِهم لطرد الكمالِيّين من ساحة السياسةِ في هذه الأيّام. كما يراقبون عُلَمَاءَ المسلمين ودعاةَ السلفيةِ، ويضيّقون الخناقَ عليهم، فاعتُقِلَ عددٌ منهم قضوا سنين في السجونِ منذ انقضاض النقشبنديّين على سُدَّةِ الحُكْمِ، ولا يزالون مضطهَدِين ممنوعين من التدريس

[242] هذه المادةُ من قانون العقوبات ينصُّ بالسجن المشدد من سنة إلى خمس سنوات على كل من يقوم بإتلاف أو كسر أو إفساد أو تدنيس التماثيل أو التماثيل النصفية أو المعالم الأثرية التي تمثل أتاتورك أو قبر أتاتورك.

[243] المصدر: **Dr. Mehmet Doğan, Batılılaşma İhaneti, Dergâh Yayınları, S.26. İstanbul-1975**
لم يكن قد أُنشِئَ ضريحُ مصطفي كمال في أيام الشاعر كمال الدين كامو، لذلك ذكر في شعره قصر شانكايا (في أنقره)، الذي كانَ مَقَرًّا لإقامة مصطفي كمال، وبعد موته تمَّ تخصيصُهُ لإقامة رؤساء الجمهورية إلى أيام حكم النقشبنديّين حيث أُقيم قصرٌ ضخم آخرُ (بحي بَشْتَبَهْ) فيه أكثر من ألف غرفةٍ يسكن فيه رئيس الجمهورية رجب طيب أردوغان.

والإرشادِ وإلقاءِ المحاضراتِ وإقامةِ ندواتٍ علمية.. يعانون من مراقبةِ الجواسيس المكَلَّفِينَ من النقشبنديّين الذين يتسلّلون إلى مجالسهم بين الزوّارِ.

***

17) الفرقةُ الرَّافِضِيَّةُ:

اختلف العلماءُ في الحكم على الرافضةِ، لأنهم فِرَقٌ كثيرةٌ، منهم طوائفُ مبتدعةٌ، لكنهم ملتزمون بأصول الدين كالزيديةِ وأمثالهم، فهؤلاءِ أقرب فِرَقِ الشيعةِ لأهل السنة والجماعةِ، فلا يجوز تكفيرهم ولا تأثيمهم بالزندقةِ. بل تُؤكل ذبيحتهم، ولا يُمنع زواجُ أهل السنة منهم.

أمَّا الإسماعيليةُ والنصيريةُ والباطنية بأجمعهم فزنادقةٌ كفارٌ خارجون عن الملةِ. وأما الشيعةُ الإماميةُ فقد كفَّرَهم بعضُ رموز الوهّابِيَّةِ على الإطلاقِ، ولكنَّ كثِيرًا من العلماءُ قد احتاطوا في تكفيرهم ورميهم بالزندقةِ. فمن كان على معتقد الشيخ المفيد على سبيل المثال (وهو من أشهر علمائهم)، الذي قال: "اتَّفقَتِ الإماميَّةُ على أنَّ مَن أنكرَ إمامةَ أحَدٍ مِنَ الأئِمَّةِ، وجَحَدَ ما أوجَبَه اللهُ تعالى مِن فرضِ الطَّاعةِ لهم، فهو كافِرٌ ضالٌّ، مُستَحِقٌّ للخُلودِ في النَّارِ"؛[244] وقد ورد من أمثال هذه المقولةِ الفاسدةِ في مؤلفات بعض علماء الشيعةِ. لذلك يختلف الحكم عليهم من شخصٍ إلى آخرَ، فيجب الحذر من التعميم، والله أعلم.

***

[244] المصدر: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة: (1/ 317)، المكتبة الشاملة.

18) الْفِرقَةُ الْبُنطُسِيةُ:

هذه الفرقةُ عصابةٌ خطيرةٌ، أكثرُ أفرادِها من قبيلةِ "بُنطُسْ" التي كانت لها دولةٌ في سواحل البحر الأسودِ قبل قرونٍ، وعاصمتُها مدينة طَرَابْزُون، فتحها السلطان محمد الفاتح العثماني عام **1461**م. كانوا أروامًا مسيحيين قبل الفتحِ، اعتنق مُعْظَمُهُمْ الدِّينَ الْمُسْلُمانِيَّ **Müslümanlik** (وليس الإسلامَ!) تبعًا للمجتمع العثمانيّ، ثمَّ بعد قرونٍ اعتنقوا الطريقةَ النقشبندية الخالدية. اشتهروا بِتَطَرُّفِهِمْ وبنزعتهم إلى استعمال العنفِ في السنين الأخيرةِ فتحوَّلوا إلى شبه عصابةٍ إرهابيةٍ متواريةٍ بالتَّدَيُّنِ والتَّنَسُّكِ. تُعْرَفُ هذه الفرقةُ باسم: "جماعةِ إسماعيل آغا"، نسبةً لمسجد إسماعيل آغا الواقعة في حيّ الفاتح بمدينة إسطنبول (تْشَرْشَمْبَا). اتخذ البُنطُسِيُّون هذا المسجدَ مقرًّا لبثِّ الديانة الخالدِيَّةِ. ينتسبُون إلى رجلٍ يُدعى "محمود أفنْدي" الذي هلك يوم **23** حزيران/يونيو **2022**م. كان له حضورٌ ومكانةٌ عند السياسيّين. فكان زعماءُ الأحزاب السياسيةِ يَتَزَلَّفُوَن إليه لينالوا دَعْمَهُ أيَّام الانتخابات. وهذا قد زاد من نفوذِ البُنطُسيِّين، وشهرتِهم حتى غدا شيخُهم شِبْهَ مَلِكٍ على عرشِهِ، لم يكدْ يصلُ إليه أحدٌ إلاَّ بعد مَوْعِدٍ يُحَدِّدُهُ الحاجب.

هذه الفرقةُ اشتهرت بِتَزَمُّتِهَا وأزيائِها الخاصَّةِ، فجذبت بهذا الأسلوب أنظارَ المجتمع التركي وأثارت عواطفها، ذلك أنَّ الإنْسَانَ الْمُسْلُمَانِيَّ التُّركِيَّ نازعٌ إلى التعصُّبِ في الدِّينِ، لا يقنع بالوسطية والاعتدالِ، ينساقُ وراءَ كلِّ دجّالٍ ومُشَعوذٍ وما أكثرهم في تركيا. انْبَهَرَ ملايينُ الناسِ بأزياءِ النقشبنديّين (البُنْطُسِيّين)، كذلك بعضُ اللاَّجئين السوريّين الغافلين عن عقائدهم، طمعوا في مساعدتهم، أما الأتراك، فإنهم أُعِجبوا بما يرتدون من عمائمَ وعباءاتٍ وسراويلَ فضفَاضةٍ، فانحشروا في صفوفهم. فأثار ذلك انتباهَ الحكومة التركيةِ وهي قد صرفت كلَّ قواها في دعم المنظمات النقشبنديَّةِ وترسيخ الديانة الْمُسْلُمَانِيَّةِ ردعًا لأيِّ نشاطٍ إسلامي قد يتسرَّبُ إلى الساحةِ التركِيَّةِ لأنه "دِينُ العرب" في مفهوم الْمُسْلُمَانِيِّين!

يدلُّ على خطورةِ هذه الفرقة أنهم أشْغَلُوا جهازَ الأمنِ والقضاءِ في تركيا بما أثاروا من الفتن، وارتكبوا جناياتٍ، حدثَ بعضُها داخلَ مساجدهم؛ فقُبِضَ على شيخِهم (محمود أسطا عثمان أوغلو) عام **1982**م.، مع أحدِ زملائه يُدْعَى (إمْدَادْ كَايَا)، بِتُهْمَةِ ضُلُوعِهِمَا في قتل المفتي (حسن على أونال) يوم

06 يوليو 1994م.، كان المفتي قد أعلن الحربَ على الصوفيَّةِ والمُتَّجِرِينَ بالدين، إلاَّ أن القضاءَ حكم على براءةِ الْمُتَّهَمَيْنِ بأمرٍ سريٍّ أصدره رئيسُ الجمهوريةِ كتعان أفرين (لقاء تعاونهما مع جهاز الاستخبارات التركيةِ في بعض مهامِّهِ)..

قام شابٌّ ذو لحية شقراء من بين صفوف المصلِّين، عليه عباءة خضراء وعلى رأسِهِ عمامةٌ بيضاء، فقصد نحو إمامِ مسجدِ (جُكُورْ بُسْتَانْ) يُدعى (خضر علي مراد أوغلو)، فاقترب الشابُّ منه في هدوءٍ لم يشكَّ أحدٌ فيه، فأخرج من داخل عبائه مُسَدَّسًا ورشَّ عليه ستَّ طلقاتٍ فأرداه قتيلاً، وذلك يوم 17 مايو 1998م.

ظهر من بين زنادقةِ هذه الفرقة ثلاثةُ أشخاصٍ عُرِفُوا بِفَظَاظَتِهِمْ وَشَرَاسَتِهِمْ، وتَفَحُّشِهِمْ، ونَزْعَتِهِمْ إلى الْعُنْفِ، وجُرْأَتِهِمْ على الله.. أحوالُهُمْ وبَذَاءَةُ أَلْسِنَتِهِمْ تُذَكِّرُنَا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ وَدَعَهُ أَوْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ"[245]

أوَّلُهم: أحمد محمود أونلو، المعروف بلقب (جُبَّلي أحمد). هو من الخواجوات الْمُتَحَزْلِقِينَ، تركيٌّ الأصلِ، لكنَّ رغباتِهِ النفسيةَ وغِلْظَةَ طبعِهِ، وتلاعُبَهُ بقِيَمِ الدِّينِ الحنيفِ، ومُيُولَهُ إلى تزويرِ المفاهيمِ الساميةِ سَحَبَتْهُ وراءَ البُنطُسِيّين فانخرطَ في صفوفهم، واشتهر بمراوغاتِهِ ومبالغاتِهِ ومغالطاتِهِ، وإثارتِهِ للفتن. له كتابٌ وَرَدَ في الصفحةِ (42. 43) منه: "أنَّ مَنْ اشتكَى من العجز الجنسي، عليه أنْ يقرأ آيات الشفاءِ على ذكره"، فتمَّ رفعُ دعوى قضائيةٍ ضِدَّهُ تطالب بسجنه لمدةٍ تتراوح بين ستة أشهر وسنة، واتُّهِمَ فيه بالشعوذةِ. ثُمَّ أُتُّهِمَ بتجارة الفاحشةِ أيام حُكْمِ الفتوشيّين، فحُكِمَ عليه بالسجن فترةً من الزمن. زعم في إحدى ملاقاته الصحفِيَّةِ: "أنَّ السلفيّين يستعدون لثورةٍ مسلحةٍ على النظامِ" فاعتُقلَت منهم جماعةٌ.

برغم كلِّ هذه المغامرات يعيشُ الرجلُ حياةَ الملوكِ ويُشبعُ شَهْوتَهُ وهو يتقلَّبُ في أَلْوَانٍ من النِّعَمِ في ظلِّ النظام النقشبندِيِّ. يدلُّ على ذلكَ أنه اشترى لزوجتهِ ساعةَ مِعْصَمٍ فَاخِرَةٍ (ماركة: chopard) قيمتها: ستة عشر ألف دولار أميركي!

---

[245] روى البخاري (6131) ومسلم (2591) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وثاني هؤلاء الزنادقةِ: رجلٌ من خواجوات البُنطُسِيّينَ يُدعى (بَيْرَمْ علي أوزتورك)، كان يُلقِي محاضراتٍ على منصّةِ الوعظِ في مسجد إسماعيل آغا، بينما هو يحاضر يوم الثالث من شهر سبتمبر عام **2006**م. قام رجلٌ من بين المستمعين له، وقصد نحوه، فلم يشكَّ أحدٌ فيه، بل ظنوا أنه يريد أنْ يستشيره في مسألةٍ دينيةٍ وإذا به يطعن الخواجه بِسِكّينٍ أخرجه من تحتِ عبائِه فقتله. فوثبت جماعةٌ من الحاضرين على القاتل فَدَاسوهُ بأقدامهم حتى قتلوه، ثم كَتَبَتْ الشرطةُ في المحضر "أنه انتحر"! ثمَّ أُغلِقَ الملفُّ نهائيًّا..

أما الخواجه بَيْرَمْ علي أوزتورك (المقتول)، فإنه كان زنديقًا خَدَّاعًا مُتلوِّنًا، كان يتناولُ مكتوبات السرهندِيِّ في محاضراتِهِ وَيَشْرَحُهَا بتأويلاتٍ ماكرةٍ يُخفي ما تتضمَّنُ من كفرِيَّاتِهِ وما أكثرها. قال في إحدى محاضراته: "إنَّ محمدًا صلى الله عليه وسلم يساوي اللهَ في قَدْرِهِ وعظمتِهِ". فلمَّا أنّبَهُ بعضُ أهل العلم، وعنّفَهُ المُوَحِّدُون وأنكروا عليه قولَتَهُ الشنيعةَ هذه، اعتذر بقولِهِ: "إنما أردتُ: أنَّ اللهَ سبحانه كما ليس كمثله شَيْءٌ، فإنَّ محمدًا أيضًا ليس كمثله أحدٌ؛ وقد قال الإمام الربَّانِيُّ: "إنَّ محمدًا المصطفي مساوٍ لله تمامًا، إنما يختلف عن الله بوصفه أنه لحم وعظام..." كانت هذه معذرته على لسانه، وربَّ عُذرٍ أقبح من ذنبٍ، كما في المثل..

أما ثالث هؤلاء الزنادقةِ: فهو رجلٌ صوفِي، مشهورٌ بلقبِ "الْعَاوِي الأُوفِي"، (نسبةً إلى مدينة أوفْ)، وَصَمَهُ السلفيُّون وعامَّةُ أهلِ التوحيدِ بهذا اللقبِ جزاءً بما أطال لسانَهُ على العلماءِ. عثرتُ على خَرْبَشَةٍ له، بعنوان: "الغاوي"، فحشد في طَيَّاتِهِ رُكَامًا من النهيقِ والعُواءِ، فنَبَحَ فيهِ قِمَّةً شامخةً، وتطاولَ على عِملاقٍ من عمالقةِ العلومِ والمعارفِ؛ ألا وهو العلاَّمَةُ العبقريُّ الجليل، فضيلة الشيخ فريد صلاح الهاشمي المعروف باسمه المحلِّيِّ: **Feriduddin AYDIN**.

أخبرتُ الشيخَ الهاشميَّ عن وقاحةِ هذا الرجلِ أثناءَ زيارتي الأخيرة لمنزله، فقلتُ: إنَّ صِيَاغَتَهُ بالغةٌ في التفاهةِ، وخاليةٌ من النقد العلميّ تمامًا. فانتظرتُ ما عسى أنْ يُسمِعَنِي بما يبدو له من الردِّ عليه، فتأمّل لحظةً ثم الْتَفَتَ إليَّ في وقارٍ وقد أدْرَكَتْهُ رزانةُ العلماءِ، فقال: "إنَّهُ عَرَفَنَا فَشَتَمَنَا، أمّا نحنُ فلا نَعْرِفُهُ فَنَرُدَّ عليه." كانت هذه الإجابةُ الوجيزة النادرة دالَّةً على كمال الحلم لجِنَابِ الشيخ فريد الهاشمي، وبرهانًا على جلالةِ قدره وموقفه الرفيع من الأمور العابرة، وشاهدًا على مقولة الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله: "لا تجادل الجاهلَ، فإنَّهُ يجرُّكَ إلى القعر!" ولا شكَّ في أنَّ التاريخَ قد سَجَّلَ هذه الحقائقَ لتشهد على أنَّ

فضيلةَ الشيخ فريد صلاح الهاشمي قد أخذ مكانه اللائقَ به بين صفوف علماء الأمة في عصرنا، فلن تضرَّهُ نمائِمُ الفَسَقَةِ، ولا هذيانات المشعوذين..

إنَّ الصوفيةَ البُنطُسِيّينَ لهم أنواعٌ من الحِيَلِ يلجئون إليها بدساسةٍ لتحقيقِ أغراضِهِمْ من تشويشِ الناسِ في عقائدِهم، وتضليلِ الغافلين ليرتدّوا عن الإسلام فيعتنقوا الْمُسْلُمانيَّةَ والعقيدة الخالدِيَّةَ، كما يسعون إلى تشويه سُمعة العلماءِ... فمن هذه الحِيَلِ: أَنَّهُمْ يُرسِلُونَ دفعاتٍ من طلبتِهِم إلى جامعات الوهابية مع أنَّ بينهم وبين الوهّابِيّين عداوةٌ شديدةٌ. ومقصودهم من ذلك: أنْ يَتَجَسَّسُوا فيطَّلعوا على تقلُّبات الوهّابِيّين وعقائدهم وتدابيرهم وما يتربصون بالصوفية... كما يريدون أن يتعلَّمَ طُلاَّبُهم اللغةَ العربيةَ ليستعينوا بها في بثِّ عقائدهم بين العربِ، وليتباهوا بمستوياتهم العلمية في منافسة أهلَ التوحيد من بَنِي جِلْدَتِهِمْ، لأنَّ الأتراكَ (حتى الْمُوَحِّدِينَ منهم) يجهلون اللغةَ العربيةَ ويعانون عجزًا شديدًا في فهم كتب التراثِ المؤلَّفَةِ باللغة العربيةِ. يبذُلُ الصوفيةُ البُنطُسِيُّون جهودَهم بذلك لِيتغلَّبوا على المسلمين فيُحْبِطُوا نشاطاتِهِمْ في نشرِ الدِّينِ الحنيفِ على الساحة التركيةِ.

ومن حِيَلِهم أيضًا: أنهم يحتكّون بالطلابِ العربِ الذين يدرسون في مختلف جامعات تركيا، فإذا تمكّنوا من كسب ثقتهم، يقدّمون لهم مساعدات، ويزوجونهم من بناتهم، فيقع الطالبُ بذلك في حبالهم، وقد يغترُّ بهم لِمَا يرى فيهم من التديُّنِ والتعبُّدِ وعليهم أزياءُ المتنسّكين، فيعتنق عَقِيدَتَهُمْ إذا كان غافلاً عن حقيقةِ الإسلامِ، فيخدمهم في نشر ضلالاتهم إذا رجع إلى بلده. وكم من الطلاَّبِ العربِ انسحبوا وراءَ دعايات الصوفيةِ في تركيا، فوقعوا ضحيةً لتضليلاتهم.

ومن أشكال تعميتهم لإرباك الناسِ، ولإلباس هويتهم على المجتمع التركي على أنهم أتراك، قد يوَرِّطُ أحدُهم نفسَهُ في ارتكاب جنايةٍ كما فعل شابٌّ غرير منهم يدعى (أوجون ساماست)، فاغْتَال الصحفيَّ البارزَ الأرمنيَّ (هرانت دينك) في إسطنبول في 19 يناير عام 2007م. بينما كان المقتولُ رجلاً مسالمًا معروفًا بجهوده من أجل المصالحة بين الأتراك والأرمن ودفاعه عن حقوق الإنسان والأقليات في تركيا. ثم أُطلقَ سراح القاتل في 15 نوفمبر 2023م.

كذلك اعتدى شابٌّ آخر من البُنْطُسِيّين على راهبٍ يُدعى أندريا سانتورو، قتله في كنيسةٍ للكاثوليك بمدينة طربزون يوم 05 فبراير 2006م.، فما لبث حتى أُطلِقَ سراحُ القاتل (أوغوز خان آكدين) في 24 آب 2016م.

ومن فِتَنِ هذه الفرقةِ؛ أنهم يقومون بين الفينة والأخرى بإثارةِ الحكومة على الجماعات السلفيةِ، فيُداهَمُ كثيرٌ من الشخصيات البارزة منهم وهم يُلقون دروسَ العقيدة أو يفسرون آياتٍ من القرآنِ الكريم لجماعةٍ من الطلبة والمستمعين.

***

19) العصابةُ الْفَتُّوشِيَّةُ:

الْفَتُّوشِيَّةُ، هي الفرقة التي تتبع الدجال التُّركِيِّ فَتْح الله گُولَن (1941-2024م.) الذي اشتهر بحِيَلِهِ وتصرُّفاته الغريبة وتفحُّشِهِ، وأشغل الرأيَ العامَّ المحليَّ والعالميَّ بمغامراته، ودخل في الصراع السياسِيّ مع حكومة النقشبنديّين (حزب العدالة والتنمية)، وقام بانقلابٍ عسكريّ فَشِلَ فيه، فاعتُقِلَ آلافٌ من أتباعة...

جديرٌ بكلِّ باحثٍ يريدُ المعرفةَ بالحياةِ السياسيةِ والاجتماعية والدينيةِ في تركيا أنْ يَتَعَرَّفَ على هذا الشخصِ الماكر، وما عمل طوال أربين عامًا من تسحير العقولِ وتسخير الأثرياءِ والأموال الطائلةِ لتشويه قِيَمِ الدين الحنيفِ، وتكييف الديانةِ الْمُسْلُمَانِيَّةِ التركِيَّةِ (Müslümanlik)، وإقامةِ سدٍّ منيعٍ بين هذه الديانةِ وبين الإسلام الذي هو "دين العربِ" على حدِّ اعتقاده..

لقد تناول العلامةُ الشيخ فريد صلاح الهاشمي موضوعَ "العصابةِ الْفَتُّوشِيَّةِ"، وسيرةَ هذا الرجلِ بإسهابٍ، في كتابه القيّمِ الموسوم (تذكرة السلفيين..)، فقد كفانا الأستاذُ مؤنةَ الخوضِ في ذكر هذه العصابةِ وإفشاءِ أسرارها، والكتاب، وإن كان غير مطبوعٍ، لكنه متوفرٌ ومنشور على عدّةِ مواقع عبر الشبكة العنكبوتية،

فلا يصعب على القارئ الكريم أن يحصلَ على نسخةٍ ألكترونية منه، والاطلاعَ على مُحْتَوَيَاتِهِ الْمُتَنَوِّعَةِ التي لا غِنَىً عنها، وهي نافذةٌ علميّةٌ وثقافِيَّةٌ تضمُّ معلوماتٍ نافعةً في الغايةِ، تساعد المُثَقَّفَ في الإطلال من خلالها على ظروفِ الدولة التركية وطبيعة الشعب التركِيّ، وحقائق عصرنا من أحداثٍ، وأيديولوجياتٍ، وحركاتٍ سياسيةٍ ودينيةٍ. وقد كشف الأستاذ فيه خاصَّةً أسرار الدجاجلة والزنادقة والمشعوذين...

***

20) الْمُجَسِّمَةُ وَالْمُشَبِّهَةُ:

التجسيم (في اللُّغةِ:) مصدرٌ من: (جَسَّمَ–يُجَسِّمُ). معناه: تمثيلُ الشيءِ وتجسيدُهُ حَتَّى يَغْدُوَ مَحْسُوسًا يمكن لمسُهُ وإِبْصَارُهُ بالعين على الحقيقةِ. وفي الاصطلاحِ: هو تشبيهُ ذاتِ اللهِ سبحانه بالإنسان، أي إسباغُ الصفات والمشاعر والنوايا البشرية عليه، وهي من إحدى النزعات المتأصلة في النفس البشرية.

والتشبيه (في اللُّغةِ:) مصدرٌ من: (شَبَّهَ–يُشَبِّهُ). وهو عقدُ المقارنةِ بين شيئينِ يشتركانِ في صفةٍ واحدةٍ باستخدامِ أداةٍ للتَّشْبِيهِ أو بطريقِ الاستعارة. وهو موضوعُ علمِ البلاغةِ في اللُّغةِ العربية. وأمَّا في الاصطلاحِ: فهو الاعتقادُ "بأنَّ اللَّهَ جسمٌ وجُثَّةٌ على صورةِ الإنسانِ له جَوَارِحُ وأعضاءٌ، وهو مع هذا لا يُشْبِهُ غيرَهُ." وهو مُعتَقَدُ المقاتليةِ أصحابِ مقاتلِ بنِ سليمان[246]. ذكر ذلك عنهم أبو الحسن الأشعرِيُّ (**873**–**936**م.) رحمه الله في مقالات الإسلاميين.

[246] هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي (**702**–**767**م.)، من أعلام المفسرين صاحب التفسير المسمى "تفسير مقاتل". أصله من بلخ في خراسان، انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدَّث بها، لكن كان مَتْرُوكَ الحديث. التقى بالمفسرين والمحدثين مجاهد بن جبر وعكرمة البربري وكلاهما توفي قبل **105** هـ. وفيه يقول أبو يعلى الخليلي: "محله عند أهل التفسير محل كبير، وهو واسع، لكن الحفاظ ضعَّفوه في الرواية، وهو قديم معمر"، له مؤلَّفاتٌ عِدَّةٌ، كان يُدَرِّسُ كتابَه التفسير في المسجد الجامع، وكان من العلماء المقدمين لدى والي خرسان نصر بن سيار الكناني.

التجسيم والتشبيه بدعتان قبيحتان منكرتانِ، تورّطَ فيهما بالقول والاعتقادِ أشخاصٌ وفِرَقٌ. انتقدهم العلماءُ، ورماهم بعضُ أهل الاختصاص بالزندقة والكفرِ. لأنه لم يرد عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، ولا عن واحدٍ من الصحابةِ رضي الله عنهم أنهم نطقوا بهاتين الكلمتين، بل كانوا يُثبتون من الأسماءِ والصفاتِ ما أَثْبَتَهُ الله جلَّ سُلطانُهُ لنفسه وأَثْبَتَهُ له رسولُهُ صلى الله عليه وسلم من غيرِ تأويلٍ ولا تعطيل، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيل.. ثم أُستُحدِثَ النطقُ بِهِمَا ودارَت المناقشاتُ فيهما بعد عصرهم.

وردت ضمن هذه المناقشات: أنَّ ابنَ تيميةَ مُجُسِّمٌ وَمُشَبِّهٌ. اتَّهَمَهُ تقيُّ الدين أبو بكر الحصني الدمشقي (752م.)، وتطوَّرَ الأمرُ فَنَشِبَتْ فتنةٌ جَرَّائَهَا. وقال ابن حجر الهيتمي مُتَحَدِّثًا عن موقفِ ابنِ تيميةَ: "نَسَبَ إليه (أي إلى اللهِ) العظائمَ والكبائرَ، وخَرَقَ سِيَاجَ عظمتِهِ، وكبرياءِ جلالتِهِ بما أظهر للعامة على المنابر من دعوى الجهة والتجسيم."[247] لكن ابن حجر هذا كان هو أيضًا نازعًا إلى الزندقةِ، يدل على ذلك هَفَوَاتُهُ التي صرفها في فتاواه، وهو يمدح فيها الطريقةَ النقشبندية.[248] كما يَعْتَمِدُ في اتّهامِهِ لابن تيميةَ على قولِ ابنِ بطوطة، وهو غير معوَّلٍ عليه، ولا يجوز الاستدلالُ ولا الاحتجاج بأقوالِهِ.

طالما أُتُّهِمَ الحنابلةُ بالتجسيم. نعم، أكثرُهُمْ مجسِّمةٌ، لكنَّ التعميمَ في هذه الوجهةِ فيه إثمٌ ووبالٌ على صاحبِهِ. والأصح أنَّ المجسِّمَةَ ليسوا جماعةً معروفةً لها قائد وزعيم. بل إنهم متفرّقون ومختلفون في بيان صفات الله، بعضهم أقربُ منهم إلى التَّنْزِيهِ من البقية. والطامة الكبرى؛ أنَّ الاختلافَ في مسائل العقائدِ قائم منذ قرون بين أهل السنة وأدعياء السنةِ، والصراعُ شديد بين الطرفين خاصةً في التعريف بصفات الله تبارك وتعالى، وَثَمَّ لغطٌ بين أطرافِ النزاعِ يُشَنّعُ بعضُهم بعضًا من غير هوادةٍ ولا احترام. وقد يدوم هذا الفوضى الكلاميُّ واتِّسَابٌ إلى يوم القيامة، نسأل اللهَ العافيةَ!

---

[247] ابن حجر الهيتمي، الجوهر المنظم، ص:**31** مكتبة مدبولي، القاهرة–**1999**م.

[248] ورد في فتاوي ابن حجر الهيتميّ، يقول: "الطريقة العلية السالمة من كدورات جهلة الصوفيّة، وهي الطريقة النقشبنديّة." وقَوْلُهُ هذا ينمُّ عن جَهْلِهِ بتاريخ الأديان والمذاهب، على رغم ما كان صاحبَ باعٍ طويلٍ في الفقه الإسلاميّ، لكنه كان قليل الثقافةِ، كذلك الفقيه الدمشقي المعروف بابن عابدين، كان هو الآخر جاهلاً بعلم تاريخ الأديان والحياة الاجتماعية للملل والنحل، فلم يكن عندهما أدنى معلوماتٍ حوال البوذية والبرهميةِ والشامانية ولا عن الطرق والمذاهب الإلحادية، والأديان المختلقةِ، مثل القرمطية، والإسماعيليةِ، والحشاشية، واليسوية، والبكتاشيةِ، والقلندريةِ، والبابا إلياسيةِ، والنقشبندية، والجشتية، والشطارية، والقادرية، والرفاعيةِ، والديانة الْمُسْلُمَانِيَّةِ، والدرزيةِ، والنصيرية... إلخ. كان ابنُ حجر وابنُ عابدين وأمثالُهم من علماءِ عصورِ الظَّلامِ ومرحلةِ انهيارِ الأمةِ وسقوطِها في الحضيض. هذه الطائفةُ من العلماءِ كانوا خلوًا من الثقافةِ ومن التمييز بين العصر الإسلامي ومرحلة الجاهلية الثاني التي بدأت بعد انتهاء الخلافة الراشدة، فضلّوا وأضلّوا كثيرًا من الناس.

إنَّ المجسِّمَةَ والمشبهةَ يتَّهمونَ أهلَ التفويضِ (من مخالفيهم) بالتأويل والتعطيل، وهما من البدعة عندهم، يقولون: "فما أثْبَتَهُ الله لنفسهِ يجب إثْبَاتُهُ." كما جاءَ على لسان ابن تيمية يقول في تفسير الحديث: "ضَحْكُهُ (أي ضَحْكُ اللهِ) إلى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ كِلاَهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ؛ وضَحْكُهُ إِلَى الَّذِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ آخِرَ النَّاسِ وَيَقُولُ أَتَسْخَرُ بِي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؛ فَيَقُولُ: لاَ وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ، وَكُلُّ هَذَا فِي "الصَّحِيحِ."[249]

نعم، يجبُ إثباتُ ما أثْبَتَهُ الله لنفسهِ حَتْمًا، لكن من غيرِ تجسيدِ ذاتِ الله سبحانه وتعالى في صورة بشرٍ، بخلاف المجسمةِ الذين لا يَتَوَرَّعُونَ عن الوقوعِ في هذه الزندقةِ، يراوغون بأساليبَ ملتويةٍ، كقولهم: "إن الله يضحك ليس كَضَحْكِنَا، ولكنّه ضَحْكٌ بَلاَ كَيْفٍ أوْ يَلِيقُ بِجَلاَلِهِ."، وهذا كلامٌ مزخرفٌ بتعبير الباحث سامح عسكر، يقول: " فالضحكُ يجري في الواقع بالابتسام والقهقهة وبصوتٍ وشكلٍ محسوسين، فعندما تقول إن اللهَ يضحكُ فيكون المعنى العربيُّ: أنَّ اللهَ يَبْتَسِمُ وَيُقَهْقِهُ بصوتٍ وشكلٍ محسوسٍ، وهذا تجسيم صريح وعملٌ بُدَائِيٌّ مما قبل العقل، ونوع من الوثنية موروث من الأسلاف."[250]

المجسمة ليس كلهم على اعتقادٍ معيَّنٍ في صفات اللهِ، بل بعضهم مُصِرُّونَ على التجسيم، وبعضهم متردّدون بين التنزيه والتجسيم، كما جاءَ في كلام ابن تيمية يقول: في سياق حديث الجارية المعروف: "أين الله؟ قالت: في السماء"، لكن ليس معنى ذلك أن الله في جوف السماء وأن السموات تحصره وتحويه فإن هذا لم يقله أحد من سلف الأمة وأئمتها؛ بل هم متفقون على أن الله فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه؛ ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته."[251] إنَّ ابن تيمية لا يجري كلامُهُ على نسقٍ وتناسُبٍ في كلِّ عباراته، بل فيه تضارُبٌ وتناقضٌ في مواطنَ كثيرةٍ من مؤلَّفَاتِهِ، يُصيبُ تارةً ثم يقول بخلاف ما قال.

---

[249] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع فتاوى، الجزء:7، ص:439.

[250] سامح عسكر، (كاتب مصري وباحث تاريخي وفلسفي. ومؤلف 17 كتاب بين التاريخ والأدب والفلسفة ونقد التراث الديني. عضو منظمة التنوير العربية التابعة للأمم المتحدة)، مقالة بعنوان: "أضواء على المجسمة في التاريخ الإسلامي." المصدر: موقع مواطن ألكتروني: أضواء على المجسمة في التاريخ الإسلامي

[251] ابن تيمية أحمد تقي الدين، مجموع الفتاوى» (5/ 258):

ذكر الجلال الدواني في شرحه على العضدية ما نصه "ولابن تيمية أبي العباس أحمد وأصحابه ميل عظيم إلى إثبات الجهة ومبالغة في القدح في نفيها ورأيت في بعض تصانيفه أنه لا فرق عند بديهة العقل بين أن يقال هو معدوم أو يقال طلبته في جميع الأمكنة فلم أجده ونسب النافين إلى التعطيل"[252]

وجملة القول؛ أنَّ هذه الْمُعطَيَات والمعلومات الموثّقةُ تدل على أنَّ المجسمةَ والمشبهةَ نازعون إلى الزندقة، يُثبتون الجهة لله تعالى عن ذلك علوًّا كبيرا. وقد اشتهر واتُّهِمَ بهذا الاعتقاد الفاسد ابن تيمية، وتلاميذُهُ، والذين اتَّبَعُوهُ كالوهابية، والْمُرْتَزَقَةِ المعاصرين الذين نشئوا في أحضانِهِمْ وأثاروا عَالَمَ الكُفرِ على الأمة المحمدية يفتك بها ويحاول استئصال تعاليم الدين الحنيف دون رحمة.

***

21) زنادقة الإرهاب

قد ورد الكلامُ عن الإرهاب في القرآن الكريم، إلاّ أنَّ مفهومَ "الإرهاب" في كتاب الله يختلف بشكل جوهري عن المعنى الاصطلاحي والسياسي المتداول في العصر الحديث. فبينما يُقصد بالإرهاب اليوم قتلُ المدنيّين وترويعُ الآمنين (وهو ما يُسميه القرآنُ "الفسادَ في الأرض")، فإن مادة "رَهَبَ" في الآية الكريمة تأتي بسياقات تربوية وعسكرية محدَّدَةٍ. وهذا تفصيله بإيجاز:

الإرهاب ضربان:

الأوّلُ: هو الإرهاب المعنوي؛ بمعنى الخشية والتقوى والرهبة من الله، وهي منزلةٌ إيمانيَّةٌ تعني الخوفَ المقترنَ بالتعظيمِ والتبجيلِ، كما في قولهِ تعالى: "وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ."[253] فالإرهابُ بهذا المعنى: دعوةٌ للخشيةِ من اللهِ تبارك وتعالى، والالتزامِ بعهدهِ، وهو أمرٌ يتعلَّقُ بقلبِ المؤمنِ وسلوكِهِ الأخلاقي.

---

[252] الجلال الدواني، لوامع الأنوار البهية (1/ 209)

[253] البقرة: 40

والضربُ الثاني للإرهاب: هو القيامُ الدفاعيُّ (بمعنى الرَّدْعِ العسكريِّ). والآيةُ التي يُستَشْهَدُ بها كثيرًا في هذا السياق هي قوله تعالى: "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ."[254] وهو "الردع" فحسب. أمَّا الهدفُ منه: فليس القتلَ أو الهجومَ والاعتداءَ. بل هو إظهار القوَّةِ والْمِنْعَةِ، للإيحاءِ بالوعيد، لِئَلاَّ يتفكر العدوُّ في الاعتداء على الدولة المسلمة. وبذلك تُحقَنُ الدماءُ ويتحقق السلام.

أمَّا الإرهاب الذي تُمَارِسُهُ العصابات المسلّحةُ تحت غطاء "الجهادِ" في أيّامِنا، فإنه ليس من الإسلام في شيءٍ، بل هو مرفوض ومُدانٌ من قِبل العلماء. لماذا؟

لأن الجهاد الشرعي في الإسلام له ضوابط صارمة: لا يُمارَسُ إلا بشروطٍ معينةٍ ومذكورةٍ في مصادر الفقه الإسلامِيِّ. وهذه خلاصةٌ منها:

* أنْ تكون الدولةُ الإسلامِيةُ قائمةً مستقلَّةً ذاتَ سيادةٍ على المسرح الدوليّ.
* أنْ يكون نظامُها راشِديًّا، يرأسها إمامٌ مُنتَخَبٌ قد بايعهُ أكثرُ المسلمين.
* أنْ تكون قويَّةً مزوّدةً بأرقى أسلحة العصرِ والعتاد، قادرةً على حرب العدوِّ
* أنْ يُعلَنَ الجهادُ بقرار مجلس الخلافةِ وموافقة إمام المسلمين، للدفاع عن النفس أو رفع الظلم، وليس لتحقيق مصالح شخصية أو سياسية.

إنَّ العصابات المسلحةَ التي ظهرت في السنوات الأخيرةِ وانتشرت خاصّةً في أفغانستان، والشيشان، والعراق، وسوريا، وليبيا، والجزائر، والسودان، والصومال وغيرها إنما هي تجمّعاتٌ من المرتزقة والصعاليك والطُّفَيليِّين والأوباشِ... كلّهم يُعَدّون من الزنادقةِ! لأسباب تتلخّص فيما يأتي ذكره:

يكاد جميعهم يجهلون معنى الجهادِ الشرعيّ وأصولِهِ وشروطِهِ. لإنّهم لو علموا وأيقنوا أن المسلمين لا دولةَ لهم، بل هم في أسرِ حكوماتٍ ضعيفةٍ كافرةٍ، مستسلمةٍ لسياسةِ الحلف الصهيوني–الصليبي، لَتَفَطَّنُوا إلى أنَّ أوَّلَ ما يجبُ عليهم أنْ يتعاونوا فيما بينهم على إقامةِ دولةٍ إسلامِيَّةٍ على مثال دولةِ الخلافة الراشدة.

---

[254] الأنفال/60

وهذا يتوقف على أمور ووقتٍ وجهودٍ وتخطيط مرحليٍّ يستحيل بدونها إقامةُ دولةٍ كهذهِ. وهذه الأمور الهامّةُ قد فصّلها العلاَّمةُ الشيخ فريد صلاح الهاشمي في مقالةٍ له، وركَّزَ على أنَّها أربع خطواتٍ:

"الخطوةُ الأولى: يُهَيِّئُ فيها الْمَرْءُ الْمُؤْمِنُ باطِنَهُ بالاحتسابِ أجرَهُ عندَ الله؛ يبدأ بتربية نفسِهِ أوَّلاً، (وهو فرضُ عينٍ). وهذا النوعُ من الجهادِ يشتمل على ما يجبُ تحقيقُهُ في النِّيَّةِ وتنفيذُ (بَعْضِهَا) على الجوارِحِ؛ يتمثَّلُ في ترويضِ النفسِ على الفضائِلِ، وهي كثيرةٌ، كالصبرِ، والأناةِ، والحلمِ، والقناعةِ، والجودِ، والتضحية، والعفَّةِ، والوَقارِ، والإخلاصِ، والزُّهدِ، والتقوى، والتواضُعِ، وصفاءِ السريرةِ، وحُسْنِ الظنِّ، والصفحِ عن عثراتِ الناسِ وزلاَّتهم، وتوقيرِ العالمِ وذِي الشيب، واحترامِ القِيَمِ السامِيَةِ، والرحمةِ بالعاجِزِ، والتزامِ الأدبِ في المجالِسِ، ومراعاةِ آدابِ المعاشرةِ، والاهتمامِ بالطهارة الظاهرة والباطنة، وبذلِ الجهدِ في دراسةِ وتدريس العلومِ، والحُظْوَةِ بأوفَى نصيبٍ من ثقافةِ العصرِ، وأداءِ الفرائضِ في أوقاتها وفي حدودِ شروطها، واجتنابِ المناهي والبدعِ، والحذرِ من الوقوعِ في حبالِ الصوفيةِ خاصَّةً، لأنهم أضرُّ العناصرِ بالجهادِ ومن ألدِّ أعداءِ المجاهدين!. "

"والخطوة الثانيةُ في عملِ الجِهادِ: هو الإرشادُ والتهذِيبُ والإصلاح... يتوجَّهُ ذلك على أهلِ العلْمِ والخبرةِ. ولا يجوز لأحدٍ منهم التغافلُ أو التكاسُلُ عن هذه المهمّةِ. وقد ورد الأمرُ في الكتابِ العزيز بدعوةِ الناسِ إلى الصراطِ السويّ في قوله تعالى: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ."، وقال تعالى: "فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ."، تتمثل هذه الخطوةُ من عملِ الجهادِ في تهذيبِ المسلمين، وتوحيدِ صفوفِهم، وتصحيح ما فَسَدَ من عقائدِهم، وتنقيَتِها من كُفْرِيَّاتِ الْمَلاَحِدَةِ، وشِرْكِيَّاتِ الزنادقةِ، وَخُرَافِيَّاتِ القبورية، وهَرْطُوقِيَّاتِ الْمُعْتَزِلَةِ، ومُغَالَطَاتِ الفلاسفةِ، وَتهافُتِ الْجَهْمِيَّةِ، وَسَقَطَاتِ الْمُرْجِئَةِ، وَحَمَاقَاتِ الْمُجَسِّمَةِ وَالْمُشَبِّهَةِ، وَنِفَاقِ الرَّافِضَةِ، وَتضليلات الصُّوفِيَّةِ وَدَجَلِيَّاتِهِمْ... كما يجبُ أن يكون من أهدافِ هذه المرحلةِ الجهاديةِ: محاربةُ العُجْمَةِ في الدِّينِ واللُّغَةِ وإحباطُ الْمُسْلُمَانِيَّةِ (Müslümanlık)، وهي ديانةٌ وثنيةٌ خطيرةٌ اخْتَلَقَهَا أعاجِمُ الْفُرْسِ وَالتُّرْكِ انتقامًا من الإسلامِ للزرادشتية والشامانية والبوذيةِ!."

"والخطوة الثالثة: هي المرحلةُ التكميليَّةُ قبلَ النفير، من ميِّزاتِها: أن تكونَ قد تحققتْ قَبْلَهَا ثورةٌ عِلْمِيَّةٌ وثقافِيَّةٌ على مستوى الأمّةِ، وازدهرَ الوطنُ الإسلامِيُّ في المجالاتِ الصناعِيّةِ والتقنيَّةِ والاقتصادِيّةِ، وأن يكونَ لاَ أقلَّ ثُلُثُ الأُمَّةِ يحظَى من العلمِ والمعرفةِ على المستوى الجامعِيّ؛ يهجُرُ الناسُ الفواحِشَ، وَيتَّصِفون بالرَّزَانَةِ في سلوكهم، ويلتزمون جانبَ الفضائلِ في تعاملهم، تجري علاقاتُهم على أساسِ الاحترامِ المتبادِل... يجب على الدعاةِ في مثل هذه المرحلة أن يُكَوِّنوا مجلسًا استشارِيًّا (في غايةٍ من السِّرِّيَّةِ!)، ويختاروا شخصًا من بينهم رئيسًا للمجلِسِ. ويجب أن تتوفَّرَ في هذا المجلسِ شروطٌ، أهمُّها: أنْ يكونَ جميعُ الأعضاءِ حامِلِي مؤهَّلاتٍ علميَّةٍ في تخصُّصاتٍ متنوّعةٍ تُمكِّنُهُم من تقديمِ آراءٍ، ومناقشةِ قضايا، وإصدارِ قراراتٍ يتمُّ بها تسييرُ أعمالِ الدِّفاعِ، وإعلانُ الاستقلالِ."

"والخطوة الرابعة: هي مرحلةُ الانطلاقِ الفعلِي؛ يُفتَرَضُ أنَّ أكثرَ من نصفِ الأمةِ يمتازُ في هذه المرحلةِ بالعقيدةِ الصحيحةِ، والسلوكِ الرفيعِ، والوعي والبصيرة بضرورةِ الخلاصِ من نير أُمَّةِ الكفر. عند ذلك يجب على أهلِ الحلِّ والعقدِ (أعضاءِ المجلس الإسلامِيّ السِّرِّيِّ) أنَّ يُعلِنُوا أنَّ أُمَّةَ التوحيدِ قد أصبحَتْ مستعدّةً لتملِكَ استقلالَها. إلاَّ أنَّ عملاءَ الكفارِ في الداخِلِ سيبرزون إلى الساحةِ عاجلاً، وسيستنكرون هذا الإعلانَ بـ"أنه خروجٌ على النظامِ وأنه جنون وغطرسةٌ، لأنَّ في ذلك خطرٌ على المجتمعِ، وذريعة لانقضاضِ السلطةِ الحاكمة عليه وفتكه..."، وقد يتجرَّأُ هؤلاءِ العملاءُ على تنديدِ المسئولين عن الإعلانِ بـ"أنَّهم رِجْعِيُّونَ، أعداءُ العلمِ والحضارةِ، متخلِّفون، يتحاكمون إلى الدِّينِ وقد مَضَى عَصْرُهُ..." إلى غير ذلك من اتهامات أهل الكفر. علمًا بأنَّ هذه الفئةَ لا يزالُ لها وجودٌ وحضورٌ وغلبةٌ في المجتمعات الشرق–أوسطية وهي تتحكم في رقاب هذه الشعوبِ، ومن أبرزها وأقواها (الأتاتوركيون)، والعلمانيّون، و(السبطائيون المعروفون بـ"اليهود الدونما") والبعثيون، والوهّابِيُّون، وخواجواتُ الملوك، ورجالُ الدِّينِ المشعوذون، والصوفيةُ الذين هم من ألد أعداء النظام الراشديّ في تركيا على وجه الخصوص!"[255]

الإرهابُ الجهاديُّ ظاهرةٌ مُعَقَّدَةٌ أفْرَزَتْهُ أسبابٌ متضافرةٌ أوَّلُها وأهمُّها: الجهلُ بالعلومِ الشرعيةِ وضوابطِ الجهادِ على وجه الخصوص. والسبب الثاني، انتباهُ الحلف الصليبي– الصهيوني إلى هذه الحقيقة حيث

---

[255] الشيخ فريد صلاح الهاشمي، مقالة له بعنوان: "مَفْهُومُ الْجِهَادِ فِي الإِسْلاَمِ وشُرُوطُهُ وَنَوَاقِضُهُ". المصدر: https://www.linkedin.com/in/feriduddin-aydin-26aaa95b/recent-activity/all/

عَلِمَتْ بالتأكيد أنَّ ملايين من شباب المسلمين يجهلون دينهم، وينساقون وراءَ المشعوذين والدجاجلة ورموز الوهَّابيِّين، الذين يستغلونهم ويغسلون أدمغتهم بأفكارٍ متطرِّفَةٍ، مفادها بإيجاز: "أنَّ مِلَّةَ الكفرِ قد أذَلَّتْ أمَّةَ الإسلامِ تتحكّم فيها، وتنشرُ الفسادَ والرذائلَ بين صفوفها، فلابد من حملِ السلاحِ، وقتلِ عُملائِهم في الداخل عن بكرة أبيهم أوَّلاً، ثم الانقضاضِ على الكُفَّارِ وإلحاقِ الهزيمةِ بهم وذَبْحِهِمْ، وإرغام أنوفِ البقيةِ منهم!.."،

عُقَّالُهُم يبرّرون ذلك بـ"مؤامرة 11 سبتمبرَ 2001م." التي ارْتَكَبَتْهَا أميركا بالذات وباستخدامِ أجهزتها الاستخباراتيةِ والعسكرية لِتُبَرِّرَ بها تخطيطها المستقبلية وتحقِّقَ سيطرتَها على الشرق الأوسطِ بالتعاون مع إسرائيل. ثم ألقتْ بمسؤوليةِ المؤامرةِ على تنظيم "القاعدةِ" وهي بريئةٌ من هذه الجناية العظيمة على الإطلاقِ. ولا شكَّ أنَّ القيامَ بمثل هذه المؤامرةِ كان مستحيلاً على عصابةٍ من الأوباشِ الذين كانوا قد تحصنوا في الكهوفِ والجبال بأفغانستان، بَلْهَ أنهم كانوا عاجزين عن صنع أتفه سلاحٍ، فضلاً عن الهجومِ على مؤسَّسَاتِ دولةٍ عملاقةٍ (كالدولة الأميركية) التي تحسبُ لها الدُّوَلُ ألفَ حساب!

كما يحتجُّ أولئك العُقلاءُ بـ"المذابح والجنايات والمظالم وانتهاكات الحرمات التي ترتكبها العصابة العبرية في فلسطين، وتدعمهما الدول الأوروبية، وتسكت عليها الحكومات المرتدَّةُ الكافرةُ". هكذا بتعميم.. وهذه الحماقةُ في الواقع أفظع من جنايات الحلف الصليبي- الصهيوني. لأن هذه المغالطات والمهاترات التي استخدمها دجاجلة الوهابيّين واستفزُّوا بها الشبابَ، أنزلتْ المصائبَ على مآتِ آلآفٍ منهم، فتعرَّضوا للقتلِ والفتك في جبهات القتال، والبقية منهم تشرذموا، وتناحروا فيما بينهم، ولا يزالون منذ عشرين عامًا في حروبٍ أهليةٍ يذبح بعضُهم بعضًا، كما استهدفتهم القوى الأجنبيةُ من الخارجِ، وقد أُزهقت ملايين أرواحٍ بريئةٍ من المسلمين خلال هجمات القوى العولمية على معظم الوطن الإسلامي منذ ربع قرن.

***

وهذه أمثلة من فتاوى عددٍ من شيوخ الوهابية في الردِّ على التنظيمات الجهادية:

قال الشيخ عبد العزيز آل الشيخ: "هذه الجماعات الخارجية، لا تحسب على الإسلام ولا على أهله المتمسكين بهديه، بل هي امتداد للخوارج الذين هم أول فرقة مرقت من الدين بسبب تكفيرها المسلمين بالذنوب، فاستحلت دماءهم وأموالهم. كما هو مشاهد في جرائم ما يسمى «داعش» و«القاعدة» وما تفرع عنهما من جماعات.. "[256]

وقال الدكتور سليمان العتيبي: "أن من أهم الأمور التي تُؤخذ على الجماعات الجهادية كجماعة "داعش" أو ما يسمّى بالدولة الإسلامية هو الخلل في تكفير المسلمين دون دليل شرعي. لم تسلم الدول أو الأفراد من "داعش" وأصبحوا شوكة في نحور المسلمين وعونا لأعداء الإسلام والمسلمين الذين يتربصون بأهل الإسلام ليحتلوا بلادهم وينهبوا خيراتهم ويسيطروا عليهم."[257]

وقال الدكتور عبد الغني عماد في مقال له: "وأضافت المصادر أن رسائل العلميين المنشقين عن التنظيم وكذلك مراسلات وتعليقات غير المنشقين من اللجان العلمية يذكرون أن حلقاتهم ومدارساتهم تخلو من كتب أئمة الدعوة الإصلاحية، بل ثمة توجيه واضح بأن "يتخلصوا من تراث نجد والحجاز، وألا يربطوا الطلاب به"، وإقرار عقوبة لمن يقوم بنشر فتاوى أو رسائل الشيخين (عبدالعزيز بن باز ومحمد بن عثيمين) من المعاصرين، إذ تعد تهمة تسببت بسجن البعض منهم."[258]

أصدر مجمع الفقه الإسلامي الدولي قرارات تؤكد أن الإرهاب ليس من الجهاد، وأن قتل المدنيين وترويع الآمنين مخالف للشرع، وأن الجهاد يجب أن يكون تحت راية الأمة الجامعة.

وهذه تصريحات للأزهر، بصفته المؤسسة الدينية الرسمية الكبرى في العالم الإسلامي:

---

[256] المصدر: https://aawsat.com/home/article/163081

[257] المصدر: https://www.alnilin.com/1090831.htm#google_vignette

[258] https://www.alarabiya.net/arab-and-world/

"الجهاد في الإسلام ليس مرادفاً للقتل أو القتال الدائم، بل هو "دفع العدوان؛ الجهاد "القتالي" هو من اختصاص ولي الأمر (الدولة) فقط، وليس متاحاً للأفراد أو الجماعات لإعلان الحرب، لأن ذلك يؤدي إلى الفوضى ("الفتنة")؛ تعتمد الجماعات المتطرفة على تكفير الحكام والمجتمعات كذريعة لقتالهم."

والخلاصةُ: أنَّ الدولَ الغربيةَ تبنَّتْ خطةً سياسيةً ماكرةً استهدفت بها شباب المجتمعات الإسلاموية من العرب والترك والكرد وغيرهم، فوضعتهم في بؤرة يسهل سحقهم وإبادتهم، فكوّنت منهم تنظيمات ارهابيةً، ثم أنشبت الفتنة بينها، واتخذتها ورقة رابحة للسيطرة على منطقة الشرق الأوسط، وفتح المجال بذلك لإسرائيل تتصرف كما تشاء دون أن تجد أمامها عقبةً. فتحققتْ في النهاية أهدافُ الدولِ الغربيةِ وفي طليعتها أميركا. بذلك تمكّن الحلف الصليبي-الصهيوني أن يبسط سلطانه على المنطقةِ بكاملها، كما نجح في تشويه صورة الإسلام، وقد استسلمت لها دول المنطقةِ بعد المذابح الرهيبةِ التي ارتكبتها العصابة العبرية في غزة المحتلّة.

ظهرت خيانة الجهاديين في النهاية عندما أصبحوا دُمَى في يد الحلف الصهيوني- الصليبي يتلاعب بهم، إلى أن تصالحوا مع إسرائيل وتعاونوا معها بعد استيلائهم على سوريا بزعامة أحمد حسن الشرع (أبي محمد الجولاني)، الذي انضمَّ إلى تنظيم القاعدة في العراق في عام 2003 مع بداية الغزو الأمريكي للعراق، وشارك في التمرُّد المسلَّح على القوَّات الأمريكية والحكومة العراقية لمدَّة ثلاث سنوات. ثم عاد إلى سوريا عقب اندلاع الثورة السورية على نظام بشار الأسد، وأسس تنظيم "جبهة النصرة" بدعم من تنظيم القاعدة لتصبح من أبرز الفصائل المسلَّحة المشاركة في الحرب الأهلية السورية. ثم قطع عَلاقته بتنظيم القاعدة ودمج "جبهة النصرة" بتنظيمات أُخرى لتأسيس "هيئة تحرير الشام"،

أدرجته وزارة الخارجية الأميركية على قائمة «الإرهابيين الدَّوليين» في مايو (أيَّار) 2013، وأعلنت بعد أربع سنوات مكافأةً قدرُها 10 ملايين دولار لمن يُدلي بمعلومات تؤدِّي إلى القبض عليه. فما ليث حتى انسلخ الجولانيُّ عن مبادئه شيئًا فشيئًا إلى أن تأكد الحلف الصهيوني- الصليبي من نفاقه وتلوّنه وأنه صالح للعمالةِ، خاصة عندما أبطل الجهاد الذي طالما كان يستغله، وأعلن حلَّ الفصائل العسكرية ودمجها

بمؤسسات الدولة، وتزلف إلى إسرائيل وأميركا وانصاع إلى تعليمات الرئيس الأميركي (ترامب)، فأدرجته مجلة "تايم" كأحدٍ أكثر تأثيرًا في العالم من بين مئةِ شخصية.

هذه السطور الوجيزة التي تكشف اللثام عن مغامرات الإرهابيين تحت غطاء "الجهاد" تفضح نواياهم، ومبلغَهم من العلم والمعرفة، ومستوياتهم الأخلاقية. تناول فريق من المحللين السياسيّين مغامرةَ الجولاني وأتباعه، وتحولاتهم "براغماتيةً سياسيةً" تهدف للبقاء وتجنب الاستهداف الدولي، ويعدون هذا التحول التدريجيَّ "من الاستراتيجيات العسكرية والسياسية، وتطوراً منسجمًا مع الظروف وليس "تزييفًا للحقائق". فهذا الاستسلام الذي أبداه الجهاديون للحلف الصهيوني–الصليبي، في الحقيقة يُعدُّ خروجاً عن الثوابت، وهو يمثل صراعاً داخلياً عميقاً داخل التيارات الجهادية، وتبرهن عن حقائقَ خطيرةٍ، يأتي على رأسها فشل الأمة الإسلاموية، وأنها لم تعد تحمل صفة "الأمة المحمدية".

***

22) الزنادقة المتأخرون والمعاصرون

ظهر كثيرٌ من الزنادقةِ عبر التاريخ الإسلاميّ، ذكرنا (فيما سبق) مشَاهِيرَهُمْ الذين عاشوا منذ صدر الإسلام إلى الماضي القريب، ثم دعى مبدأُ الترتيبِ أنْ نذكر بقيّتهم من المتأخرين الذين أقحموا أنفسهم في غمار النشاطات الفكرية والدينية والروحية، كلٌّ بَذَلَ جهودَهُ لاستغلال الضمائرِ، وتسحير العقول، وتطويع جماعاتٍ من الناسِ وتسخيرهم في نشر مشربِهِ وكسب الشهرةِ والمصالح، وإفساد العقائد. بعضهم تعمّدوا ذلك، وبعضهم وقعوا في حبال الشيطان من غير قصد، والله وحده يعلم بما كان يجول في صدورهم. وقد أوردنا (قدر الإمكان فيما يلي) أسماءَ جماعةٍ منهم الذين ظهروا إثر انتشار الطريقة النقشبندية (الخالدية) في المملكة العثمانية، يأتي على رأسهم خلفاء خالد البغدادي الذين سبق إدراجُهُم في فصل (الفرقة النقشبندية)، ثم حان الوقتُ الآنَ لنذكرَ الذين يلونهم من الشيوخ المتعاقبين إلى يومنا مع إضافة بقيةٍ منهم من رموز الفساد. وهذه أسماؤهم مع نبذةٍ من سيرتهم ونشاطاتهم:

* طه النهري (الشَّمْدِينَانِي): كان طه النهري (**1792–1853**م.) من أبرز خلفاءِ البغدادِي من الطبقة الأولى بعده، أقام في قرية (نهري) الواقعة قربَ مدينة (هَكّاري) أو (حكّاري)، على تخوم الدولة الإيرانية. انتشرت شهرتُهُ خارج الدولة العثمانية، فنال احترامًا من شاه إيران (محمد خان القاجاري **1742–1797**م.)، وامتدت الصلة بينهما، فَخَصَّصَ له الشاهُ غلةَ ضِيَاعٍ قريبةٍ من الحدود الإيرانية العثمانية.

أذِنَ طه النهري لِعدَدٍ مِنَ الملالي التابعين له (بالخلافةِ) لِيَبُثُّوا عقيدتَهُ، وهم: أخوه صالح النهري، وزوجُ بِنْتِهِ عبدُ الأحد، وصبغةُ الله الأرواسي، وفهيمُ الأرواسي، ومحمدُ المجذوب، وطه الحريري، ومحمدُ الْكَفْرَوِي، وسليمانُ البَرَادُوسْتِي، ومحمدُ الْمُنْحَنِي، ورسولُ السِّيبْكِي، وعبدُ السلام البرزاني...

***

*** عبيد الله بن طه النهري (1828–1883م.): زعيمٌ كرديٌّ من الأسرة النهرية، نابَ عن والده (طه) في تقاليد الطريقة النقشبندية، وهو من الطبقة الثانية بعد خالد البغدادي، قام ببثِّ الديانة الخالديةِ المتفرعة عن الطريقة النقشبندية، خاض في مغامراتٍ خطيرةٍ، ثار على السلطة العثمانيَّةِ وعلى الحكم القاجاريِّ الفارسيِّ في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1842–1918م.).**

لم يكن طه النهري يهتم بالسياسةِ، بل كان قابعًا على نفسِهِ خاملاً مغمورًا في تأملاته الصوفيةِ وتركيزاته البوذية.. لكنَّ ابنَهُ عبيدَ الله لما وجد نفسَهُ مهيمنًا على منطقةٍ واسعةٍ يُقَدِّسُهُ مآت الآلافِ من الأكرادِ مستعدِّين للاقتداءِ بإشارةٍ منه، بدأ يتأملُ في جمعِ شملِهِمْ وتكوين دولةٍ مستقلَّةٍ لهم خاصّةً وأنَّ المنطقة الكرديةَ كانت تعاني من تدهورٍ رهيبٍ وحروبٍ بين العشائرِ، والطرقاتُ مهددةٌ بالحراميّين، لم يكن أحد يأمن على نفسه وماله حتى في رحلةٍ قصيرة الْمَدَى. فكان الشيخ عبيد الله يتقلّبُ في اضطرابٍ وقلقٍ ينتابُهُ أمامَ الظروف التي تسود المنطقة الكردِيَّةَ. كان على اتصالٍ مستمرٍّ بالسلطة العثمانية يطلب منها القيامَ بالإصلاحاتِ، وإعادةِ الأمورِ إلى نِصَابِهَا دون جدوى. لأنَّ الدولةَ العثمانيةَ كانت مُنْهَارَةً وأُلْعُوبَةً في يدِ عصابةٍ من العنصريّين الأتراك، وتتكالب عليها الدولُ الأوربيةُ والدولةُ الروسيةُ من الخارجِ في الوقتِ ذاته. فوجد الشيخ عبيدُ الله نفسَهُ مضطرًّا لطلب المدد من الخارج، فبعث بخطابٍ إلى المبشِّرِ الأميركيّ الدكتور جوزف كورخان (Joseph Cochran)[259] الذي كان يقيم في مدينة (أورمية) الإيرانية، يطلب منه الوساطة لمساعدته.[260]

[259] وُلِد **Joseph Cochran** عام **1855**م. في مدينة أورميا الإيرانية، عاش طفولة سعيدة مع أسرته وأصدقائه. تعلم لغات محلية كالسريانية، والأذربيجانية، والكردية، بالإضافة إلى الإنجليزية والفارسية.

كان **Joseph Cochran** من الجيل الأول للمبشرين الأمريكيين. استقرت أسرتُهُ في قرية سير قرب أورميا؛ هذه المنطقة هي موطن الثقافة الأورارتية القديمة وإحدى أقدم الكنائس المسيحية، كنيسة المشرق الآشورية. ذهب **Joseph Cochran** إلى نيويورك ودرس في كلية الطب، وتخرج منها بشهادة الدكتوراه عام **1876**م.. كرّست عائلتُهُ جهودَها التبشيريةَ لخدمةِ السُّكَّانِ المحليين، وكان الكثير منهم مسيحيين متديّنِين. عُيّن طبيبًا مبشرًا في إيران من قِبَلِ المجلس المشيخي للبعثات الأجنبية. أسَّسَ مستشفيً بسعة **100** سرير في أورميا، سُمّي مستشفي **Westminster**. اكتمل بناؤه عام **1882**م.. شغل منصب مدير كلية الطب التي أسسها لمدة **27** عامًا. كان على اتصال بزعماء المنطقةِ، يقوم بالوساطة بينهم وبين الدول الغربية. توفي **Joseph Cochran** بسبب حمى التيفوئيد في أورميا يوم **18** أغسطس **1905**، عن عمر يناهز الخمسين، في الطابق الثاني من منزله الخشبي في كلية الطب.

[260] وهذا نص كتابه المؤرِّخ: **05** أكتوبر **1880**م:" إن المجتمع الكرديَّ يتألف من **500** ألف عائلة، وهي أمةٌ مُتميزة. معتقداتهم مُختلفةٌ عن معتقدات الآخرين، وعاداتهم وتقاليدهم فريدة. ومع ذلك، يُعرَفونَ بين الأممِ الأخرى بأنهم "أشرارٌ وإرهابيون"، وهذا ما شُوِّهَت به صورةُ كردستان. إذا ارتكبَ أحدهم جريمةً، يُوصمُ بها آلافٌ من مُحِبي السلام، المُطيعين للقانون. أرجو أن تكونوا على يقينٍ بأن كلَّ هذه المفتريات ناشئةٌ من دعايةِ المسؤولين الأتراك والإيرانيين.. إنما تعاني منطقة كردستا من المشاكل بسبب ما يجري من العداوة بين هذين البلدين لأسبابٍ ومصالحٍ خاصة، لا يهتم أيتهما بظروف الشعب الكردي. ولا تُفَرِّق سلطةُ الدولتين بين المجرم والبريءِ في القضاء والمحاكمة.

لكن هذا الاتصال لم يأتِ بحل نهائيّ، لأنَّ الأوضاعَ السياسيةَ والاجتماعيةَ والاقتصاديةَ كانت سيِّئةً في الغايةِ على مستوى منطقة الشرق الأوسطِ، فتأهب عبيد الله للقيام بثورةٍ على الدولة العثمانية والسلطة الفارسيةِ بحملةٍ واحدةٍ، لِمَا كان يراهما في الحضيض، انطلق في نوفمبر سنة 1880م. على رأسِ كتائبَ من الأكراد الذين لم يكونوا مدَرَّبين على الأعمال الحربيةِ، توغلت قواتُهُ في الأراضي الإيرانيةِ بقيادة ابنه عبد القادر فاستولت على مدينة أرومية ومناطقَ أخرى عديدة. لكنه لم يلبث أن انهزم أمام القوات الإيرانية. لأنَّ القوات الكردية كانت غير نظامية، ولم تكن ذات خبرة في القتال، كما كانت تفتقر إلى الخيام والمؤن. فقامت الفلولُ الكرديةُ بنهب القرى، وخاصة القرى النسطورية، مما أدّتْ إلى الهزيمة في صفوفهم، فلاذوا بالفرارِ وتفرّقوا.

أثار الأمرُ الدولَ الأوروبيةَ، فطالبت السلطان عبد الحميد الثاني بوقف عبيد الله النهري. فأمر السلطان بجلبه إلى إسطنبول، واستقبله باحترام، وجهَّزَ له قصرًا. ثمَّ أدرك النهريُّ أنه تحت الإقامة الجبرية، فهرب وعاد إلى قرية نهري، لكنه لم يلبث طويلاً حتى قُبِضَ عليه وعلى ابنه عبد القادر، وتم نفيهما إلى مكة المكرمة حيث مات هناك عام 1883م.

***

*** محمدُ الْكَفْرَوِي (1775–1898م): كُردِيُّ الأصلِ، كان من الطبقة الثانية بعد البغداديّ، وَأَحَدَ أبْرَزِ خلفاءِ طه النهري. أقام في مدينة بدليس بالمنطقة الكردِيَّةِ. زاع صيتُهُ في أنحاء المنطقةِ وكثُرَ مريدُوهُ. كان له عددٌ من الخلفاءِ، أشهرُهُمْ: يوسف الكودي، وخواجه حسين أفندي الأرضرومي، ومحمد وهبي أفندي..**

وقد بلغكم أنَّ قبيلة (علي آغا الشكاكي)، التي ألحقت أفعالها الضرر والدمار بالطوائف المحلية والأجنبية، المسلمين وغيرهم. وقد سمعتْ كذلك بقيةُ الحكومات بأفعالهم المنكرة. سواءً بسبب الإهمال أو إرادة القوى الإيرانية، لن يتحضر هؤلاء الناس أبدًا وسيظلون متوحشين. كما أن جرائم قبيلة هركي، وهم رعايا أتراك، والحكومة مقصرة في تأديبها. ومثلها الحكومة الإيرانية، فإن الحكومة العثمانية إما تفتقر إلى ممارسة سياسةٍ إيجابيةٍ للنهوضِ بالمنطقة المجرمين، حيث تعرضت كردستان بسببهم للتشويه والإهانة.

يتفق قادة ومسؤولو كردستان، سواء كانوا رعايا أتراكًا أو إيرانيين، وكذلك كل فرد من شعب كردستان، على أن الأمور لا يمكن أن تستمر على هذا النحو، وأن هاتين الدولتين لا يمكنهما ضبط الأمور. ومع ذلك، يجب على القوى الأوروبية أن تتفهم الوضع، وأن لا تتدخل في شئوننا.

علاوة على ذلك، نحن أمة منقسمة. إنما تريد أنْ نتولى أمورنا بأنفسنا. يجب أن نكون أقوياء ومستقلين لمعاقبة المجرمين في مجتمعنا. ولتحقيق ذلك، يجب أن نتمتع بالحقوق نفسها التي تتمتع بها الأمم الأخرى. فنحن أيضًا مستعدون لتحمل المسؤولية في توفير الأمن والاستقرار على أن لا تتعرض أي أمة للأذى أو الضرر. والسلام."

حدثتْ منافسةٌ شديدةٌ بين محمدُ الْكُفْرَوِيّ وصِنوِهِ (صبغةِ الله الأرواسي الحيزاني) في الهيمنة على المنطقةِ. نُسِبَت إليه قداسةٌ بالغةٌ فعظُمَ في عيون الناسِ إلى حدٍّ لم يكن أحدٌ من العوامّ يتجرّأ على مقابلتِهِ، إلاَّ علِيَّةُ القومِ. لكنَّ هذه الفجوةَ السحيقةَ بينه وبين عوام الناسِ قطع صلةَ المريدين عنه مع الزمانِ، فتفرّقوا من حول أسرة الكفروية، وانضم أكثرهم إلى الأسرة الأرواسيةِ. فقدت الأسرةُ بعد ذلك محيطَ شهرتِهَا وأصبحت وحيدةً، ثم اختارتْ أسلوبَ حياةٍ عصرانيةٍ، أسفر ذلك عن هجرة الناسِ عنها في نهاية المطاف..

حدثت عادةٌ غريبةٌ بين أتباعِ الكُفرَوِيّين في مدينة (آغري) في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي؛ ظهر زنديق من بين مريديهم يُدعى (بَكُّو)، بدأ يَنْبَحُ ويحثُّ الناسَ على النُّبَاحِ، تذلُّلاً لعظمة الشيخ الكُفرَوِيّ.[261] فما لبث طويلاً حتى انتشرت أصوات النُّبَاحِ في المنطقةِ بصورةٍ مُرَوِّعَةٍ فدامت فترةً إلى أن اتخذت السلطاتُ إجراءاتٍ صارمةً لإيقافِ هذه الزندقةِ، فأدّت كل هذه التداعيات إلى انكماش شهرة الأسرةِ، وتحولت في النهاية إلى مجرد عائلةٍ ثريةٍ بعد أن انفضَّ الناسُ من حولها، ولم يبقَ فيهم من آثارِ الصفة الروحية إلاَّ ضريح الشيخ الكُفرَوِيِّ العملاق بحيّ (قِزِلْ مسجد) في مدينة بدليس.

كان الكُفرويُّون ينحازون إلى السلطةِ ويدافعون عنها في مواجهةِ ثورات الأكراد التي قادها شيوخ الأرواسيّين ضد الحكم العثماني سنة 1914م. أسفر ذلك عن تطوُّر المنافرةِ بين الأسرتين (الكفروية والأرواسِية.)

***

*** صبغةُ الله الأرواسيُّ الحيزانيُّ (ت. 1870م): أجَازَهُ طه الهكاري بالخلافةِ، إلاَّ أنَّ الكُفرويّين وصَمُوهُ بالانتحال والتطفُّلِ؛ زعموا: "أنَّ عبيدَ اللهِ النهريَّ (بنَ طه الهكاريِّ النهريّ)، قد طرده من الطريقةِ، وهو دعِيٌّ مُبْعَدٌ من باب اللهِ وبابِ رسوله!.." بِحَسَبِ ظَاهِرِ الاعتقادِ في الطريقةِ الخالديةِ. وكان الكفرويّونَ**

---

[261] أنّ هذا الرجلَ ظهر ينبح في الشوارعِ نُبَاحَ الكلاب. فزعم أنّ هذا الفعل يصدر منه تلقائيًّا وبغير إرادة، كما زعم أنّ ذلك جذبات إلهية تنتابه، فلا قدرةَ له على الامتناع عنها. بيد أنّه لم يقتصر بنفسه على ذلك؛ بل بدأ يدعو الناس أيضًا إلى النُباح بإصرار وقد يشتدّ عليهم أحيانًا إلى حدود الإجبار. فاغتر به كثير من البُسطاءِ، وأطاعه آخرون على كراهيةٍ منهم، مخافةَ أن يمسّهم بسوء. فلم يلبث أنْ تفاقمت البدعة وانتشرت الفتنة بين قبائل الأكراد الّذين كانوا ينتمون إلى الشيخ محمّد الكُفْرَويّ (ت. **1896**م.)، ويعتقدون أنّه أعظم أولياء الله على وجه البسيطة. فتطوّر الأمر وتصاعدت أصوات العواءِ على المنطقة بتمامها وبصورة مرعبة عجزت الإدارة المحلّيّةُ عن التحكّم فيها والحيلولة دونها؛ حتّى لجأت إلى طلب المدد من العاصمة إسطنبول. فتم القضاء على هذه البدعة باتّخاذ إجراءات أمنيّة صارمة. ثم بعد أن صدر الفرمان بتنفيذ العقوبة اللاّزمة ضد كبار الأسرة الكُفْرَوِيَّةِ، بصفتهم مسئولين عن حدوث هذه الفتنة، تمّ إبعاد الشيخ عبد الهادي والشيخ عبد الباقي (ابني الشيخ محمّد الكُفْرَويّ)؛ تمّ إبعادهما إلى برية فزان. وهي منطقة نائية عن البقاع المسكونة في قلب الصحراء بليبيا. وذلك في أوائل القرن العشرين الميلادي. (المصدر: فريد صلاح الهاشمي، الطريقة النقشبندية بين ما ضيها وحاضرها، ص: **280**. هذا الكتاب غير مطبوع، ومؤلّفُهُ مضطهدٌ محصورٌ في داره!)

يلعنون صبغةَ الله الأرواسيَّ وذُرِّيَتَهُ. فكان النزاعُ سجالاً بين الأسرتين (الكُفرويةِ والأرواسِيَّةِ) طوالَ قرنٍ كامل إلى أن اندحرت الأسرةُ الكُفرويةُ من ساحة المنافسةِ في منتصف القرن العشرين الميبلادِيّ.

على رغم ما يزعم أتباعُ الأرواسِيّين أنهم منحدرون من سلالة الحسين بن علي بن أبي طالِب، إلاَّ أنهم تَبَنَّوْا سياسة الدفاعِ عن الأكرادِ تبعًا لشيوخهم النهريّين، وبذلوا جهودَهم لأجل إقامةِ دولةٍ كُردِيَّةٍ في منطقة شرقي تركيا. نهض شهاب الدين بن صبغةَ الله الأرواسيَّ على رأسِ جماعةٍ مرتزقةٍ من مريديه، فهجموا على مدينةِ بدليس في أواخر العهد العثمانيّ، وبالتحديد يوم **12** أبريل سنة **1914**م. بدأت هذه الثورةُ أصلاً بتشجيعِ شخصٍ منتحلٍ صفةَ (عالِمٍ)، يُدعَى مُلاًّ سليم. لكن هذا الرجلَ كان زنديقًا فاسدَ العقيدةِ، غليظَ الطبيعةِ، مريض النفس، متطرِّفًا، مجبولاً على استعمال العنفِ. جاءَ من مدينة (بِينْگُول) والتحق بالأرواسيين ونال ثقتهم، فبدأ يثيرُ عاطفتهم على الأكرادِ بأنهم يتعرَّضون للإهانة والسحقِ من قِبَلِ السلطة العثمانية، فيجب إنقاذهم من ظلم الأتراكِ، لكنه فشل في محاولاته العفوية، لفساد تصرفاته، وغطرسته في التعامل مع السلطة.

من حماقة شيخه (شهاب الدين بن صبغةَ الله الأرواسيَّ) أنه اغترَّ بهذا الرجل المصابِ بالهلوسة والاضطرابات النفسية وهو لا يُدرك أنه لا يملك سوى ألفين من الأوباشِ، وقد أوقعه أحلامُهُ أمامَ قوةٍ عارمةٍ للدولة العثمانيةِ، فلم يلبث حتى انهزم وقُبِضَ على شيخه (شهاب الدين) وتم تنفيذ حكم الإعدامِ فيه شَنقًا، إلاَّ أنَّ مُلاًّ سليم هربَ ولجأ إلى القنصلية الروسِيةِ في مدينة بدليس، وظل محصورًا فيها (مدة عامين) إلى حين اندلا ع الحربِ بين روسيا القيصرية والدولة العثمانيةِ، فَسَلَّمَتْهُ القُنْصلِيَّةُ إلى السلطاتِ التركيةِ وأُعدِمَ شنقًا هو الآخر، قُبَيلَ دخول الجيش الروسِيّ إلى المدينة يوم **03** مارس **1916**م.

***

* محمدُ الفُرْسَافِيُّ الحزين (**1819–1890**م.): جدُّ العلامةِ الشيخ فريد صلاح الهاشمي، وهو عربي الأصلِ هاشميٌّ من الأشراف الحسنيّين، وُلد وتوفي في قرية فُرسَافَ بضواحي مدينة (أسْعِرْد Siirt)، الواقعة بجنوب شرقي تركيا. كان من الطبقة الثانية بعد البغداديّ، أخذ الخلافةَ من عثمان الطويلائي (أحدِ خلفاءِ البغدادي). درسَ جُلَّ العلومِ الشرعيةِ على العلامةِ الشهير المُلاَّ خليل الاسعِرِديّ، لكنَّه من سوءِ حظِّهِ انسحبَ وراءَ الزنادقةِ واعتنق الديانةَ الخالدِيَّةَ بحكم التقليد لَمَّا وجدَ لها رواجًا في جميع أنحاءِ المملكة

العثمانيةِ، فقام هو الآخر ببثّها في محيطه. اشتهر بين أهالي مدينة أسْعِرْد، وهم من أحفاد العربِ الأصليّين الذين ارتدّوا عن الإسلام في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه. طاردهم خالد بن الوليد فهربوا من الجزيرة العربية، ثم اعتنقوا المسحيَّةَ وأقاموا أخيرًا في هذه المنطقةِ قرونًا إلى سنة **1914**م.

فلما تعاون الأرمن مع حكومة روسيا القيصرية لاحتلال المنطقة الشرقية للدولة العثمانيةِ، وتعرّضوا لإبادة جماعية على يد القوات العثمانية، الْتَبَس في غضون ذلك سُكانُ مدينة (سِعِرْد) المسيحيُّون العرب، التبسوا على الأكرادِ بالأرمن (لجهلِهْمْ) فاعتنقوا الإسلامَ عام **1915**م فورًا وبصورةٍ جماعِيَّةٍ، ودمَّروا جميعَ كنائسهم خوفًا من أنْ يقعوا ضحايا مذبحةِ الأرمن على يد الأكراد. أمَّا إسلامُهم فكان نفاقًا، وهو متأصلٌ في نفوسِ أكثرهم إلى اليوم. كانوا ولا يزالون نازعين إلى الزندقةِ والإلحادِ والشعوذةِ والتصوُّفِ والنفاقِ... ولهذا وجدوا ضَالَّتَهم في الشيخ محمد الحزين، فتهافتوا عليه وَقَدَّسُوهُ وَبَنَوْا على ضريحه قُبّةً ضخمةً تزارُ إلى اليوم.

لم يترك محمد الحزين وراءَهُ كتابًا ولا مدوَّنةً تشهد على أنه كان من أهل التوحيد، بل له أبياتٌ توحي بأنه كان ممن يعتقد بـ"وحدة الوجود". قال في مناجاةٍ له: أن اللهَ خاطبني فقال:

يا حزينُ قد قرَّبْتُكَ إلىَّ بالوِصالِ * ورَفَعْتُ لَكَ النِّقابَ عن وجْهِ جمَالِي
فإنّي وهّاب مجيبٌ لم أرُدَّ السائلينَ * فانظُرْني وعانقني ولا تبالي

له شطحاتٌ منها قوله بصيغةٍ ركيكة:
فَإِنِّي لَمْ أُرِدْ مِنْكَ جِنَانًا * فَلاَ تَقُلْ لِي كَمُوسَى لَنْ تَرَانِي.

نشأ أولادُهُ وأحفادُهُ على شاكلتِهِ سوى العلاَّمةِ الشيخ فريد صلاح الهاشمي، أمّا غيرُهُ فكُلُّهُم جهلةٌ وقد انفضَّ المريدون من حولهم، فظلّوا عالةً على الناسِ. كان للشيخ محمد الحزين اثنا عشر ولدًا، اعتنقَ كلُّهُمْ عقيدتَهُ إلاَّ واحدًا منهم يُدعى (شرف الدين)، امتنع عن ممارسةِ "الرابطةِ"، و"الختمِ الْخَوَاجَگَانِيّ"، كما نهر نائب عمِّهِ (الشيخ سليمان الخالديَّ المخزومِيَّ) ونهاه عن إقامة طقوسِ النقشبندِيَّةِ، لكنَّ ابنَهُ محمد الكاظم دامَ على ممارستها حفاظًا على سمعته بين مريديه إلى أن هلك عام **1996**م.. فقد بُنِيَ عليه قبةٌ ضخمة في ناحية من مدينة أسعرد. ورَثَاهُ أحدُ أتباعِهِ في ابياتٍ تُفشي ما كان عليه من الزندقة، وهذه كلماته:

زُر ذا المقامِ ففيه شيخٌ كامل * مَنْ في الكروب لنا عليه معوّل
نجل الحزين الشيخ محمد كاظم * من فضله في الناسِ ليس يُجهَلُ
وتأدّبنْ بحضوره وتوسّلنْ * به فالتوسُّلُ عند ربه يُقبَلُ
يا ربنا غمده منك برحمةٍ * واجعل له الجنات فيها يرفلُ
فلنعم ما قد جاءَ في تاريخ قُبْ * بَّتِهِ الشريفة إذ تُزارُ فتكمل
واجعل مكانه ربنا الفردوس في * دار البقاءِ يأوي إليه ويجزل.

هذه الأبيات أنشدها رجل من أتباعه يُدعى (محمد ذكي أورَنْ). ومن الغريب أن الأكرادَ من مريديه يزورون هذه القبةَ باحترامٍ بالغٍ ويتضرّعون إلى صاحبها لقضاء حاجاتهم، ويجهلون أنه كان يكره الأكراد. فقد نُقِلَ عنه أنه أنشد الأبيات التالية التي تُفشي كراهيته للأكراد، (نقلها رجل يُدعى: مُلاًّ زاهد) وهذه كلمات كاظم الفرسافي:

على صحبة الأكرادِ لستُ براضِيًا * ووالله لا يرضى بصحبتهم قلبي
ولكني أصطادُ رزقي بأرضهم * فلابد للصياد من صحبة الكلب.

كان للشيخ محمد الحزين عددٌ من الخلفاءِ، أشهرهم: ابنه فخر الدين (الذي أجازَ الشيخ سليمان الخالديَّ المخزومي بالخلافةِ)، ومن العرب الشيخ خطَّاب، ودرويش الإسْقَمْبَوِي، ومن الأكراد: إبراهيم النُّوَيْنِي، وعبد الله الطابي، وعبد الله الزادوي... كلهم من الطبقة الرابعة بعد خالد البغداديّ.

***

ظهرت جماعةٌ من الشيوخ في المنطقة الكردِيّةِ في القرن التاسع عشر الميلادي من الطبقة الثانية والثالثة بعد البغداديّ، ثم امتدّت سلسلةٌ من خلفائِهم، استعرضوا فنونهم في نشر الديانة الخالديةِ، كانوا كلّهم مشعوذين بُسَطَاءَ في التفكيرِ والنظرِ، لم يفطنوا إلى كُنْهِ هذه الهرطقةِ المنبثقةِ من الديانة البوذِيَّةِ، لجهلهم بقعائد الكفارِ والمشركين.

كانت السلطة العثمانيةُ تستغلُّهم لتحقيق مصالحها من حين لآخر. كاستخدامهم في القبض على بدر خان بك أمير بوطان بحسب ما ورد في مقالةٍ للكاتب (تحسين ابراهيم الدوسكي)[262] "أنَّ والي أيالة دياربكر (محمد خير الدين باشا) (النقشبندي) كان معاديًا للأمير بدرخان بك". إلاَّ أنَّ هذا الخبر فيه اضطراب. لأنّ ولاة مدينة دياربكر في العهد العثماني (من البداية إلى النهاية) ليس بينهم أحد اسمه (محمد خير الدين باشا). يزعم الكاتب أنّ هذا الوالي "كان من أتباع الطريقة النقشبندية، وأن له إجازة في الطريقة أخذها من الشيخ الحاج محمد عارف أفندي النقشبندي الخالدي الطوسي، ومعلوم أنه كان من القادة العثمانيين الذين أدوا دورًا مهمًا في التصدي لحركة بدرخان بك ومؤيديه من الأمراء والأعيان الكرد، بحكم موقعه الحساس، وهو توليه حكم إيالة دياربكر، ويبدو لنا نشاطه المعادي لبدرخان من خلال رسالتين له محفوظتين لحد الآن ضمن الأرشيف العثماني"

لكنه من الغريب أنِيّ لم أعثر على مصدرٍ اقتبس منه الكاتبُ (تحسين ابراهيم الدوسكي) هذه السطورَ، وذلك مخالفٌ لمبادئِ البحث العلمي! وهذه أسماءُ عددٍ اشتهروا بسبب الْتِفَافِ قطعانٍ من الرعاعِ والجهلةِ حولهم، وليس لأنهم كانوا من أهل العلم والمعرفةِ، كلاَّ. ذلك أنَّ تدريسَ اللغةِ العربية في المدارس الدينيةَ في كِلْتَيْ المنطقتين التركية والكرديةِ مقصورة على تحفيظ قواعد الصرف والنحو فحسبُ، لذلك لا يستطيع الطالب في هذه المدارسِ أن يكتسب المهارةَ في استخدام لغةِ الضادِ، لا يكادُ أحد من ملالي الأكرادِ (المواطنين للدولة التركية) وخواجوات الأتراك يُتقِنُ العربيةَ نُطقًا وكتابَةً، بل يعانون عجزًا بالغًا فيهما، والعُجْمَةُ سائدةٌ على قرائحهم.

***

وهذه قائمةُ أسماءِ الشيوخ النقشبنديّين من خلفاءِ خالدِ البغداديِّ ومن تبعهم (من الطبقة الثانية والثالثة والرابعة والخامسة...) منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، معظمهم من الأكرادِ، وعدد قليل منهم من أصولٍ عربية.

منهم: الشيخ خالد الجزري (كان من خلفاء البغداديِّ)، والشيخ صالح السيبكي (من خلفاء خالد الجزري من الطبقة الثانية بعد البغداديّ)، والشيخ حامد المارديني (من خلفاء الشيخ خالد الجزري من الطبقة

[262] المصدر: الأمير بدرخان بك وشيوخ الطريقة النقشبندية وملاحظات أخرى ..

الثانية بعد البغداديِّ)، والشيخ خالد العلواني الزيباريّ من خلفاء الشيخ محمد العيني، والشيخ حسين الباسرني وابنه الشيخ إبراهيم حقّي، وأولاده وأحفاده، والشيخ عبد الرحمن التاغي (خليفة صبغة الله الحيزاني من الطبقة الثالثة بعد البغدادي)، والشيخ فتح الله الوَرْقَانِسِي (خليفة عبد الرحمن التاغي من الطبقة الرابعة بعد البغدادي)، والشيخ ضياء الدين النُورْشِينِي (خليفة فتح الله الوَرْقَانِسِي من الطبقة الخامسة بعد البغدادي)، والشيخ أحمد الخزنوي (خليفة ضياء الدين النُورْشِينِي من الطبقة السادسة بعد البغدادي)، والشيخ عبد الحكيم البلوانسي (خليفة أحمد الخزنوي من الطبقة السابع بعد البغدادي)...

كان ولا يزال لِمشايخ الأتراك أيضًا دورٌ كبيرٌ في نشر الديانة الخالديةِ على الساحةِ التركِيّةِ. منهم (على سبيل المثال): أحمد ضياء الدين الگُمُوشْخَانَوِي (خليفة أحمد بن سليمان الأروادي من الطبقة الثانية بعد البغداديّ)، وعلي حيد آخِسْقَوِي (وهو خليفة علي رضاء أفندِي، المأذون من خليل نور الله أفندي، المأذون من مصطفي عصمت يَانْيَاوِي، المأذون من عبد الله المكي، المأذون من خالد البغدادي)، ومحمد زاهد كوتكو الداغستاني (وهو خليفة عبد العزيز بَكِّينَة، المأذون من الحاج حسيب أفندي، المأذون من مصطفي فوزي، المأذون من عمر ضياء الدين الداغستاني، المأذون من إسماعيل نجاتي الصَّفْرَنْبُولي، المأذون من أحمد ضياء الدين الگُمُوشْخَانَوِي، المأذون من أحمد سليمان الأروادي، المأذون من خالد البغدادي)، محمود أُسطا عثمان أوغلو (خليفة علي حيد آخِسْقَوِي الذي مرَّ ذكرُ سلسلته في الطريقة). وأمَّا سليمان حلمي طُونَاخَانْ فهو الوحيد من مشايخ الأتراك الذي ليس خالدِيًّا...

***

ثَمَّةَ طائفةٌ أخرى غير (الخالديّين) الذين سبق ذكرهم. أمَّا هؤلاءِ، فقد تلبّس كلٌّ منهم بشكلٍ من الزندقةِ كما سياتي ذكرُ شيءٍ من سيرتهم، على سبيل المثال؛ يوسف بن إسماعيل النبهاني (**1849–1932**م.)، كان من أهل العلمِ مثقّفًا أديبًا شاعرًا، تولى القضاءَ، له مؤَلَّفاتٌ كثيرةٌ معظمها في المديح النبوِيِّ إلاَّ أنه أفرطَ فيها، وله كتابٌ سماه: "جامع كرامات الأولياء"، فيها ما يبرهن على معتقداته الخرافِيَّةِ، إذ أنه كان صوفِيًّا متطرّفًا، أخذ الطريقة النقشبندية وسلك بها على الشيخ محمد أبي النصر خلف الحمصي النقشبندي.

للنبهانيّ كتاب بعنوان (شواهد الحق) في الاستغاثة بالرسول صلى الله عليه وسلم، فقد انتقده العلماءُ لما فيه من أمورٍ مخالفةٍ لضوابط الكتاب والسنة، وكثير من أهل البِدَعِ يَعُدُّونَهُ مرجعًا، فَيَقَعُونَ في الضلالةِ، لأن الاستغاثة لا تجوز إلاَّ بالله تعالى.

***

ومن هذه الطائفةِ: الشيخ عبد القادر الجزائري.

على رغم ما ورد من مدحه وتعظيمه والثناءِ عليه في كثير من المصادر والمقالاتِ، بأنه "قاد الجيوشَ في جهاد الكفارِ ودافع عن أرض الإسلامِ وعن أعراض المسلمين، إلاَّ أنَّ كلماتِهِ الواردةَ في كِتَابَيْهِ: "ذكرى العاقل وتنبيه الغافل" و"المواقف"، تشهد بوضوح على أنه كان زنديقًا خارجًا عن الملَّةِ. وهذه أمثلةٌ من ضلالاته:

* يقول: "لو أصغى إليَّ المسلمون والنصارى، لرفعتُ الخلافَ بينهم، ولصاروا إخوانًا، ظاهرًا وباطنًا، ولكن لا يصغون إلي."[263] ولا شكَّ أنَّ هذه الكمات فيها مخالفة صريحة لقول الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء.

وله أبيات في كتابه (المواقف) يقول فيها:

فطورا تراني مسلما أي مسلم * زهودا نسوكا خاضعا طالبا مدا
وطورا تراني للكنائس مسرعا * وفي وسطي الزنار أحكمته شدا
وطورا بمدارس اليهود مدرسا * أقرر توراة وأبدي لهم رشدا[264]

---

[263] عبد القادر الجزائري، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل:ص/22.

[264] عبد القادر الجزائري، المواقف:م1/ص20

في هذه الكلمات أيضًا يبدو الكفرُ بصراحةٍ. إنما تجرَّأ الجزائريُّ على الله بهذه الألفاظ الخطيرةِ لأنه كان صوفِيًّا وجودِيًّا مقَلِّدًا محي الدين بن عربي، وجوديًّا مُعتنقًا لعقيدته. يشهد على ذلك قوله: "فمن الأقطاب مَنْ يكون على قدم عيسى، وموسى، ونوحٍ، وإبراهيمَ، وصالحٍ، وغيرِهم من الأنبياء، وليس في الأقطاب مَنْ هو على قدم محمد صلى الله عليه سلم، بأن يكون وارثًا له، وإنما يكون على قدمه بعضُ الأفراد، والشيخُ الأكبرُ محي الدين منهم، وهو خاتمهم، فليس بعده وارثٌ محمديٌّ."[265]

***

ومن هذه الطائفةِ: الشاعر التركي الشهير، أحمد عوني كونوك (**1868–1938**)، هو صوفي متعدد المواهب، وملحِّن، ورجل دولة، عاش في أواخر عهد الدولة العثمانية والسنوات الأولى بعد قيام الجمهورية التركية. جمع ضمن رصيده الثقافي بين الفكر الصوفي والعبقرية الموسيقية. يُعدُّ أحد أهم وأواخر الحلقات في العصر الحديث لِخَطِّ التصوف النظري ومدرسة "وحدة الوجود" التي مثلها شارحون كبار مثل ساري عبد الله، وإسماعيل الأنْقَرَوي، وإسماعيل حقي البروسوي. كان أحمد عوني كونوك مولوِيَّ المشربِ، متفانيًا في محي الدين بن عربي، وجلال الدين الرومي. انتسب عام **1904** إلى الشيخ محمد أسعد دده السلانيكي ونال الإجازة من مرشده بعد أن درس عليه الفارسية وكتاب (المثنوي). وفي تلك الفترة، حضر أيضاً مجالس أحمد آمش أفندي (حارس ضريح محمد الفاتح). أثرى الموسيقى التركية بمقامات جديدة ابتكرها وهي مقام "دِلْكَشِيدَه **Dilkeşîde**"، ومقام "بَنْدِ حِصَار" **(Bend-i Hisâr**"، وَلَحَنَ **3** طقوس مولوية، وصنّف قطعة كار ناطق **(Kâr-ı Nâtık)** التي تضم **119** مقاماً وتعدُّ من أوسع الأمثلة في تاريخ الموسيقى. له سيرةٌ ذاتيةٌ مطوّلةٌ في الموسوعات التركية.

***

[265] عبد القادر الجزائري، المواقف:م2/ص872

ومن هذه الطائفةِ: الشيخ زاهد الكوثري بن حسن بن علي (**1879–1952**م.). عالمٌ جركسي الأصلِ، تلقَّى مبادئَ العلومِ في إسطنبول وأكمل دراسته في مُجَمَّعَتِهَا العلميةِ، كان بارعًا في العلوم الشرعية، عُيِّنَ أستاذًا في جامعة إسطنبول، ثم وتولى رئاسة مجلس التدريس في أواخر الحكم العثمانيّ. ناصبتْهُ حكومةُ الإتحادِ والترقي بالعداءِ فأصدرت الأمرَ باعتقاله، لكنّه احتاطَ بالاستتار فهاجر خُفْيَةً إلى الإسكندرية، ودامَ مُتَنَقِّلاً بين دمشق والقاهرة حتى استقر في القاهرة.

كانَ الكوثريُّ نقشبندِيَّ العقيدة (مُعْتَنِقًا للديانةِ الخالديةِ والمذهبِ الحَنَفَانِيَّةِ وليس الحَنَفِيَّةِ)، زنديقًا قبوريًّا وجودِيًّا، وكان إلى جانبِ ذلك معادِيًا لكثير من أهل العلمِ، فتطاول عليهم، وطعن فيهم، وهاجمهم بلهجةٍ قاسِيَةٍ. صال على عبد المجيد سليم ومحمد مصطفي المراغي (وهما من مشايخ الأزهر). جرَّهُ تعصُّبُهُ إلى مناقشاتٍ عنيفةٍ. قال فيه الشيخ سليمان الصنيع: "والذي يظهرُ لي أنَّ الرجلَ يرتجلُ الكذبَ ويغالط."[266] للكوثريِّ سقطاتٌ في ذكره لرواة الحديث، ردَّ عليه ثلّةٌ من العلماءِ وأظهروا مَثَالِبَهُ، منهم؛ الشيخ أحمد رافع الطهطاوي نَبَّهَ على أغلاطِهِ وأخطائهِ في تعليقاتهِ على "ذيولِ التذكرة" في "التنبيه والإيقاظ". ومنهم محمد العربي التباني الجزائري مؤلف الكتاب الموسوم: "تنبيه الباحث السري إلى ما في رسائل وتعاليق الكوثري". ومنهم أحمد بن الغمّاري، وناصر الدين الألباني، كلهم قد ذكروا التعصب المذهبيَّ الذي تلبّسَ به الكوثريُّ وما ارتكبَ من الحَثِّ على البدع والخرافات والأباطيلِ، كقوله: "لا بد لأهل السلوك والرشاد من التوسل والاستغاثة والاستمداد بأرواح الأجلة، والسادة الأمجاد، إذ هم المالك لأزمة الأمور في نيل ذلك المراد."[267] ولا شكَّ في أنَّ هذه الكلماتِ الخطيرةَ تدلُّ دلالةً وَاضحةً على كفرٍ سافرٍ بواح...

* عثمان سراج الدين الثاني الطويلي (**1896–1997**م.) المعروف بـ"عثمان بياره" بن علاء الدين: هو صوفيٌّ نقشبنديٌّ من أكراد العراق (من أهالي محافظة حلبجة في كردستان العراق)، وهو من أحفادِ عثمان سراج الدّين الأوّل الطويلي من خلفاء خالد البغداديِّ. هاجر بعد انقلاب عبد الكريم قاسم وسقوط النظام الملكي في العراق عام **1988**م. هاجر إلى قرية (دروفه) التابعة لمدينة (مريوان) بكردستان إيران. كان رجلاً مشعوذًا، له كتابٌ بعنوان: "سراج القلب"، يشتمل على ألوانٍ من البدع والخرافات. تعرَّضَ

---

[266] الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي العتمي اليماني، التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، المجلد الأول ص: **27** (الهامش) المكتبة الشاملة.

[267] محمد زاهد الكوثري، إرغام المريد في شرح النظم العتيد لتوسل المريد برجال الطريقة النقشبندية...، ص:**5**

لملاحقة النظام الخميني بتهمة إثارة الرأي العامِّ ضدَّ النظام الإيراني بعد ثورة الخميني، فهربَ إلى تركيا سنة **1995**م. وتوفِي بها عام **1997**م.

* أحمد كفتارو بن محمد أمين (**1912–2004**م.): مفتي البعثيّين السوريّين. جاء في ترجمته أنه درس العلومَ الإسلاميةَ على نخبة من العلماءِ كالشيخ أبي الخير الميداني، والشيخ إبراهيم الغلاييني، والشيخ محمد سليم الحلواني، والشيخ محمد الملكاني، والشيخ محمد جزو، والشيخ المُلا عبد المجيد وغيرهم... فقد مدحته طائفةٌ وذمَّته طائفةٌ أخرى، لكنَّ الحقيقةَ التي تشهد على شخصيته ومعتقداته في حيادٍ ليست خافية على الباحثين، وهي تتلخَّصُ في أنه كان صوفِيًّا من أهمِّ رموز الطريقة النقشبندية وعلمانيَّ النزعةِ، متلوّنًا في مُجَارَاتِهِ للطاغية حافظ الأسد. فقد رسمه الكاتب السعودِيُّ سليمان بن صالح الخراشي (**1964–2022**م) رحمه الله تعالى في مقال له، وهذه نبذة من كلماته:

"وقد سألني أحدُ الإخوةِ من الأعضاءِ في اتصالٍ هاتفيٍّ عن الشيخ المتوفي بالأمس (أحمد كفتارو) مفتي سوريا، وأخبرني بأنَّ أحد المواقع الإسلامية قد ذكر ترجمتَهُ وجهودَهُ الدعوية!! وقد كان في غِنًى عن هذا كلِّهِ بأنْ يذكر الخبر مجرَّدًا.. ولكن! فأجبته بأن الرجلَ رأسٌ من رؤوسِ غُلاَةِ المتصوفة في زماننا، ووارثٌ أمينٌ لتراث الفرقة النقشبندية؛ التي تقول بوحدة الوجود، والفناء، والاستغاثة بالأموات، وتعظيم قبورهم... إلخ، مما تجده موضَّحًا بالأدلة من كتبهم".[268] وفي هذا القدر كفايةٌ للباحث الْكُفْءِ أن ينطلق منه فيتوغل في البحث عنه مُفصَّلاً.

***

لا تقتصرُ الزندقةُ على هؤلاء الذين سبق ذكرهم وحسبُ، بل هي ممتدَّةٌ ومنتشرةٌ في كلِّ أنحاءِ العالم الإسلامِيِّ، على رأسِها بلاد الشرق الأوسط، والديار الهندية، وتركيا بما فيها المنطقةُ الكرديةُ. ولما كان المقام يضيق عن البسطِ في سيرةِ كلٍّ منهم رأينا الاختصار بذكر أسماءِ طائفةٍ من مشاهيرِ زنادقةِ عصرِنَا، تحذِيرًا لأهل التوحيد والاستقامة من الاغترار بِكُتُبِ الذين قد ماتوا منهم، وبنشاطاتِ من لا يزالون منهم على قيد الحياةِ يواصلون تضليل الناسِ وهم كثيرون ولا حاجةَ لذكر تراجمهم، وهذه أسماؤهم:

---

[268] المصدر: حقيقة الصوفي .. (أحمد كفتارو) .. !

حسن حلمي القَسْطَموني، إسماعيل نجاتي الصَّفْرَنْبُولِي، قَاشِقْجِي علي رضا القونوي، الشيخ قدري الجزري، الشيخ سعيد سيدا الجزري، خليل الحامدي المارديني، تشلبي سليمان قايا، أبو رية، رجب ديب، عبد الفتاح أبو غدة، محمد مطيع الحافظ، عز الدين الخزنوي، طه حسين، نجيب محفوظ، محمد أركون، جابر عصفور، حسن حنفي (المصري)، مالك شبل، عادل شاهر، حبيب الجفري، أسامة الرفاعي، أحمد بدر الدين حسون (مفتي الطاغية بشار الأسد)؛ ومن زنادقة الأكرادِ والأتراك: كنعان رفاعي، شمس الدين يشيل، مظفر أوزاك، محمد كمال پلاو أوغلو، علاء الدين الأوخيني، معشوق بن معصوم النورشيني، عمر ضياء الدين الداغستاني، مصطفى فوزي التكيرداغلي، الحاج حسيب، عبد العزيز بكينه، محمد زاهد كوتكو، سليمان أرض الرومي، عبد الله الداغستاني، ناظم القبرصي، إسماعيل حقي إحرامجي زاده، صالح أكينجي، حسن دامار، كمال قاجار، حيدر باش، عبد العزيز بايندر، قدير مصر أوغلو، محمد شوكت أَيْجِي، نهاد خطيب أوغلو، مصطفي أوزْتورْك، ياشار نوري أوزْتورْك، زكريا بياض، أديب يؤُكْسَلْ، إسكندر أورانوس أوغلو، علي حيدر آخسقوي، محمود أسطى عثمان أوغلو البُنطُسي، بيرم علي البُنطُسي، جُبَّلِي أحمد البُنطُسي، أ. د. أحمد شمشيرگيل، أ. د. تحسين گورگون...

***

الكلمة الختامية

الحمد لله الذي وفّقني بفضلهِ لإتمامِ هذا الكتابِ، ويسّرَ لي بكرمهِ أسبَابَ تأليفهِ، في الحين الذي لم يَخْطُرْ على بالِي أنْ أقومَ بمثل هذا العمل الخطير. وإنما دَفَعَتْني أسبابٌ هامَّةٌ وأثارتْ حفيظتِي أنْ أتناولَ قلمِي للخوضِ في موضوعٍ قلّما يتجرّأ أنْ يُقْحِمَ باحثٌ نفسَهُ لدراستِهِ والبحثِ فيه.

إن السببَ الرئيسَ الذي جعلني أشعر بمسئوليةِ الأمر: كان الامتثالُ لقوله تعالى: "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ..."[269] ولقول النبيّ صلى الله عليه وسلم: "من رأى منكم منكرًا فليغيرْه بيدِه، فإن لم يستطعْ فبلسانِه، فإن لم يستطعْ فبقلبِه، وذلك أضعفُ الإيمانِ."[270]

إنّما وصف اللهُ تعالى الأمةَ المحمديةَ بِ"خَيْرِ أُمَّةٍ" لِدَعْوَتِهَا إلى الخيرِ، والْتِزَامِهَا الأَمْرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكر، وهي مأمورةٌ بمحاربة الباطل حَمَايَةً للقِيَمِ المُقَدَّسَةِ، وحفاظًا على الأمن والسلام العامّ. فيستوجبُ على أهل العلمِ بخاصَّةٍ أن يقوموا بالتفريق بين الحقّ والباطلِ في المقام الأول، ثمَّ بتنبيهِ العامَّةِ وإيقاظِهِمْ على خطورةِ أهلِ الفسادِ، والكشفِ عن نشاطاتِهم، وتحذيرِ الناسِ مَسَاوِيَهُمْ...

من المعلوم عند أهل الاختصاص أنَّ مكافحةَ المُنكَرِ لها ثلاثُ مَرَاتِبَ كما مرَّ في حديث أبي سعيد الخدرِيِّ آنفًا: التغييرُ باليدِ (أي باستعمال القوّةِ)، والتغييرُ باللِّسانِ (أي بالنصيحةِ والإرشادِ)، والتغييرُ بالقلبِ (أي بالكراهيةِ في النفسِ).

فوجدتُ نفسي مكلَّفًا بتغيير المنكر باللسانِ، وقد ينوبُ عنه القلمُ، فقُمتُ باستعماله لأداءِ ما وجب عليَّ، وذلك بالكشفِ عن عددٍ كبير من الزنادقة وأعمالهم الهدَّامةِ طوال قرونٍ، ولهم امتداد إلى اليوم. كما وجدتُ طائفةً من الزنادقة المعاصرين لا يزالون يواصلون نشاطاتهم بأساليب ماكرةٍ، فيغترُّ بهم كثيرٌ

---

[269] آل عمران/110

[270] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. رواه مسلم.

من الدهماءِ الذين يظنون أنهم من أهل الإرشاد والإصلاح، والحقيقةُ عكسُ ذلك، كما يبرهن المشهد عليها في أيامنا.

هذا، ولَمّا نَشِبَتْ فتنةٌ عظيمةٌ عَقِبَ قيامِ محمدِ البُوعَزِيزِي التونسيّ بإضرامِ النارِ بنفسهِ يومَ 17 ديسمبر/كانون الأول من عامِ 2010م. احتجاجًا على التصرفاتِ الظالمةِ للسلطاتِ التونسيةِ، وأسفر الحادثُ عن حروبٍ ضاريةٍ اجتاحت مُعْظَمَ مناطقِ الوطنِ الإسلاميّ، انتابني قلقٌ شديد، فدفعني في تأمُّلٍ عميقٍ حيالَ موقف المسلمين المتجاهلين من أسبابِ الفِتَنِ التي تطوّرتْ فيما بعدُ وانتشرتْ على ساحةِ الشرقِ الأوسَطِ، فأدّت إلى ارتكابِ مذابحَ رهيبةٍ في أنحاء المنطقة وفي فلسطين على وجه الخصوص. قادني هذا القلق إلى الكشف عن سببٍ رئيسٍ يكادُ جميعُ الفتنِ ينشأ عنه، ألاَ وهو التعصُّبُ الدِّينِيُّ الذي يدفع الإنسانَ إلى كراهيةِ كلِّ مَنْ يخالفُهُ في الدِّيَانَةِ وَالْمُعْتَقَدِ والتَّعَبُّدِ...

ومن يدرس تاريخ العالم البشريّ ويبحث عَبْرَهُ عن أسباب الصراعات والقتالِ والحروب والجرائم التي قد أدّتْ إلى إزهاقِ ما يستحيل إحصاؤه من الأرواحِ، وأسفرت عن دمار شاملٍ للحضارات الإنسانيةِ العريقة وخرابٍ للمدن العامرةِ، يجد التعصُّبَ الدِّينِيَّ في مقدمة كل الأسباب. إنَّ هذا المرضَ النفسِيَّ الخطيرَ هو الذي اعترَضَ سبيلَ الأنبياءِ والمرسلين وَوَرَثَتِهِمْ من العلماءِ والصالحين. ولم يُبعَث أحدٌ من الرُّسُلِ (صلوات الله وسلامه عليهم) إلاَّ وقد تعرَّضَ لإهانةِ عَبَدَةِ الأصنام واعتداءات المتعصِّبين لها. لذا لا أجد نفسي مبالغًا إذا زعمتُ أنَّ الهَاوِيَةَ التي قد سقطت الأمة المحمدية اليوم إلى قَعْرِهَا، إنما يعودُ أساسًا وقبل كلّ شيءٍ إلى انحرافاتِ جماعاتٍ من المتعصبين لأباطيلهم، وخروجِهم عن الصراط المستقيم، وأنَّ الحروبَ كلَّها قديمًا وحديثًا، وإن بدَتْ في الصورةِ أنها تنشأُ من دوافع سياسيةٍ أو منافساتٍ مصلحيةٍ، أو اختلافات عرقِيَّةٍ أو غيرِ ذلكَ، ولكن هناك سببٌ أساسِيٌّ يتعمّدُ أطرافُ النزاعِ إخفائَهُ مكرًا؛ ألاَ وهو التعصُّبُ الدينِيُّ لا محالة.

إنَّ أولئك المتعصّبين المنحرفين عن جادّة الحقِّ، قد دخلَ كُلٌّ منهم في سجّلَ التأريخ بصفةِ "زنديقٍ"، ولن تنفكَّ هذهِ الرذيلةُ عمن لم يتب منهم إلى يوم القيامة والعياذ بالله!. فلمَّا ظهر لي أنَّ المسلمين إنما سقطوا إلى الحضيض بدافع الزندقةِ التي أفسدتْ عقيدتَهم، وشتتتْ شملهم، وجعلتْهم لعبةً في أيدي أعدائهم، استوقفتْنِي وأشغلتْ بالي أيّامًا. فلمّا كتب الله لي أنْ عثرتُ على مؤلّفَات العلاَّمة العبقري الجليل الشيخ فريد الدين بن صلاح بن عبد الله بن محمد الهاشمي، زادني الشوقُ إلى تعميق البحث في هذا المرض الخطير

والمصابين به، فجمعتُ أسماءَ جمهورٍ من مشاهير الزنادقةِ مع نبذةٍ من تراجمِ كلٍّ منهم، لكي يتعرّفَ الباحثُ على طبائعهم، ومدى انحرافهم، وما ارتكبوا من الجنايات على الإسلام بالتحريف، والتبديل، والتغيير، والتزييفِ، والتعطيل، والخلطِ، والفريةِ، وإضافة الإسرائيليات، ومزج تعاليمه بفلسفة الإغريقِ ومعتقدات المشركين الهنودِ وغيرها...

ولا يفوتني أنْ أذكرَ الحظَّ الوافرَ الذي نِلْتُهُ من المعرفةِ عن الزندقةِ والزنادقةِ بفضلِ أعمالِ الشيخ الهاشميّ، الذي خاطر بنفسِهِ فنذرها في سبيل الدفاع عن الدين الحنيف وافتدى بشهرته ومصالحه بعد أن كان آلاف المريدين يعبدونه وهو متربعٌ على عرشِ المشيخة لجمهورٍ من النقشبنديّين. ثم أنقذه الله من مستنقع الكفر الهنديّ وهداه إلى الحقِّ، وأكرمه بمقام إرشاد العبادِ إلى صراطه الحميد. فعسى أن يدخلَ في عداد الذين وصفهم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بقوله: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الدِّينِ ظَاهِرِينَ، لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ[271]، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ."[272]

شكر الله تعالى سعيه، وقد نهلتُ من تآليفه ومقالاته، واقتبستُ الشيءَ الكثيرَ من محتوياتها القيمة الْمُوَثَّقَةِ بالدلائل. كما تمكَّنْتُ من الاطلاعِ على مُعُانُاتِهِ وما تَكَبَّدَ من التهميشِ والإهانةِ والاضطهادِ... فقد اعتزل المجتمعَ مُتَحَصِّنًا بِجُدْرَانِ حُجرتهِ منذ سنين صِيَانةً لِكَرَامتِهِ، واستغناءً عن غيره بِعِفَّتِهِ. فقد ضرب مثلاً منقطع النظير بجرأته على أعداءِ الحقِّ، والكشف عن مساويهم، والذبِّ عن الدين الحنيفِ، يتربص به الأعداء

---

[271] كلمة **"اللأواء "**في الحديث النبوي تعني **الشدة، والمشقة، وضيق المعيشة، والبلاء**[1] .

وتأتي غالباً بمعنى **الجوع**، **قلة الرزق**، **أو شدة المرض**.

أبرز الأمثلة في الحديث الشريف:

وردت هذه الكلمة في عدة أحاديث، منها:

1. **حديث المدينة المنورة:**

وهو قول النبي ﷺ :لا يَصْبِرُ على لأواءِ المدِينَةِ وشِدَّتِها أحَدٌ مِن أُمَّتي، إلَّا كُنْتُ له شَفِيعًا يومَ القِيامَةِ أوْ شَهِيدًا.

المعنى هنا: المشقة والتعب وضيق العيش الناتج عن ظروف الحياة في المدينة آنذاك.

2. **حديث تربية البنات:**

وهو قول النبي ﷺ: مَن كانَ له ثَلاثُ بَناتٍ، فَصَبَرَ على لَأْوائِهِنَّ ولَأْمتِهِنَّ... كُنَّ له حِجابًا مِنَ النَّار.

المعنى هنا :المشقة والتعب في الإنفاق عليهن وتربيتهن.

[272] **مسند أحمد:** (36/ 657 **ط الرسالة)**

من كل صوب، فقد يتعرض لصولة الصوفية الخرافيين والزنادقة البُنطُسِيّين في أي لحظة! جميعُ دور النشرِ رفضتْ طَبْعَ كُتُبِهِ، ولم يسانده إلاَّ قِلَّةٌ من أهل التوحيد، يرأسهم عالمٌ يُدْعَى الشيخ أبا حنظلةَ الدَّيْلَمِيَّ حفظه الله تعالى وأيده بنصره.

أسأل اللهَ جلَّ وعلا أنْ يجعلَ هذا العملَ وسيلةَ عَفْوِهِ عَنِّي ويأجرَنِي على ما تكبَّدْتُهُ لتحقيقِهِ، وهو سبحانه أعلم بذلك؛ كما أسأله تعالى أنْ يُلهِمَ الرُّشْدَ، والسَّيْرَ على الصراطِ المستقيم لكلِّ مَنْ يتناولُ هذا الكتابَ ويُطَالِعُهُ، وأنْ يُسَخِّرَ معشرًا من عباده لنشرِهِ، ويحفظَ المسلمين من شرّ الزنادقةِ الملحدين وشركائهم. والله تبارك وتعالى ولِيُّنا وحسبنا ونعم الوكيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.



قائمة المراجع

* فريد صلاح الهاشمي Feriduddin AYDIN، الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها، الكتاب غيرُ مطبوعٍ منذ فَرَغَ مؤلِّفُهُ من تحريره قبل ثلاثين عامًا، ذلك أن أصحابَ دورِ النشر يرفضون طباعته خوفًا من أن يقعوا ضحايا لبطش النقشبنديِّين والوهابيّين.

* فريد صلاح الهاشمي Feriduddin AYDIN، الكلمات القرآنيةُ المحرّفةُ في التفاسير التركية الحرفية، المقالة غيرُ مطبوعةٍ ذلك أن أصحابَ دورِ النشر يرفضون طباعتها خوفًا من أن يقعوا ضحايا لبطش النقشبنديِّين والوهابيّين.

* العلامة صالح بن مهدي المقبلي، العلم الشامخ، مطبعة السعادة، القاهرة –1910م.

* محمد بن عبد الله الخاني، البهجة السنية في آداب الطريقة النقشبندية، مكتبة الحقيقة إسطنبول– 1996م.

* محمد أسعد صاحب، بغية الواجد، (مكتوبات خالد البغدادي) مطبعة الترقي (في الطبعة التاريخية الأولى). دمشق – 1916م.

* محمد بن سليمان البغدادي النقشبندي، الحديقة الندية في آداب الطريقة النقشبندية، المطبعة العلمية، القاهرة – 1895م.

* عبد المجيد بن محمد بن محمد الخاني، المطبعة العلمية (لصاحبها محمد هاشم الكتبي). دمشق – 1308 هـ.

* محمد أسعد صاحب زاده النقشبندي الخالدي، نور الهداية والعرفان في سر الرابطة والتوجه وختم الخْوَاجَگَان، المطبعة الأدبية (في طبعته التاريخية الشهيرة). بيروت – 1893 م.

* أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري، الرسالة القشيرية القاهرة– 1959م.

* نور الدين عبد الرحمن بن أحمد "جامي" (المعروف بـ الملا جامي). نفحات الأنس من حضرات القدس، غلب عليه التحقيق والترجمة من الفارسية بواسطة الشيخ محمد أديب الجادر، دار الكتب العلمية. لبنان – 2003م.

* أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، دار الكتب العلمية – بيروت.

* جلال الدين الرومي، فيه ما فيه، ترجمة: د. عيسى العاكوب.

* أبو الفضل عياض بن موسى المعروف بـ(القاضي عياض)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس –ليبيا

* أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد ابن الجوزي، تلبيس إبليس، دار الكتاب العربي، بيروت–1985م.

* أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الغرب الإسلامي، بيروت–2002 م.

* تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة المنورة – السعودية–2004 م.

* أحمد الرفاعي، البرهان المؤيد، دار الحاوي للطباعة والنشر والتوزيع.بيروت – لبنان. 1998م.

* شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء مؤسسة الرسالة. بيروت، لبنان. 1981م.

* الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، دار ابن كثير بيروت–1997م.

* عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الدمشقي، المعروف بـ"ابن العماد"، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار ابن كثير، بيروت–1986م.

* عطا الله تدين (ترجمة عيسى علي العاكوب). دار الفكر المعاصر (بيروت) بالاشتراك مع دار الفكر (دمشق). لبنان / سوريا.– 2005م.

* خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان– 1979م.

* أبو الفضل محمد بن عبد الله القونوي (من علماء القرن التاسع الهجري)، المحقق الدكتور محمد بن عزير شمس، المكتبة الامدادية، مكة المكرمة، 2011م.

* علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين القاري الهروي، الرد على القائلين بوحدة الوجود، دار المأمون للتراث، دمشق– 1995م.

* اسم الكتاب الكامل: النظم المستطاب لِحُكْمِ القراءة في الصلاة خلف الإمام (ومعه: مناقشات مع الأستاذ محمد زاهد الكوثري).

* أبو الفضل محمد بن عبد الله القونوي، النظم المستطاب لِحكم القراءة في الصلاة خلف الإمام، دار ابن حزم، بيروت – 2003 م.

* شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأوغلي، المعروف بـ (سبط ابن الجوزي). دار الرسالة العالمية (بتحقيق مجموعة من الباحثين بإشراف د. كامل سلمان الجبوري وآخرين). لبنان–2013م.

* القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي، الشفا بتعريف حقوق المصطفي، دار الفيحاء (دمشق)، 2013م.

* الإمام أبو منصور الماتريدي (محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي)، تأويلات أهل السنة، دار الميزان، إسطنبول، تركيا–2004م.

* الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام، (المحقق: الدكتور بشار عواد)، دار الغرب الإسلامي. بيروت، لبنان– 2003م.

* الإمام عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، دار الكتب العلمية، بيروت – 1997م.

* د. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، موقف متقدمى الباطنية من تفسير القرآن الكريم. 178/2 مكتبة وهبة–القاهرة.

* جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة – 1972م.

* محمد أمين غالب الطويل. تاريخ العلويّين، دار الأندلس، اللاذقية، سوريا (للطبعة الأولى). 1924م.

* الإمام الشاه إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض – 1995م.

* الإمام سعود بن عبد العزيز، رسالة إلى والي بغداد سليمان باشا، الدرر السنية. 397/7

* محيي الدين بن عربي (المتوفى عام 638 هـ). فصوص الحكم. المحقق: الدكتور أبو العلا عفيفي. دار الكتاب العربي. بيروت – لبنان (وأصل التحقيق كان في القاهرة – 1946م.

* عبد المجيد بن محمد الخاني، السعادة الأبدية فيما جاء به النقشبندية Hakikat Kitabevi, İstanbul- 1992

* محمد أمين الكردي الأربلي، تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، دار القلم العربي – حلب سوريا – 1991م.
* محمد معصوم العمري، السبع الأسرارا في مدارج الأخيار، راغب باشا كتبخانسي رقم: 2230 إسطنبول.
* أحمد اليسوي (خواجة أحمد يسوي). منشورات رئاسة الشؤون الدينية التركية (Turkish Religious Affairs Foundation Publications). أنقرة، تركيا – 1991م.
* الأستاذ الدكتور محمد فؤاد كوبريلي، المتصوفون الأولون في الأدب التركيِّ، ص:78، 79. ترجمة من اللغة التركية: عبد الله محمد إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة –2002م.
* شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي، الفتاوى الحديثية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت – 1994م.
* محمد أمين الكردي الأربلي، الدرر المكنونات، القاهرة – 1913م.
* محي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي، المحقق الدكتور محمد عبد الرحمن الكردي. مطبعة السعادة القاهرة – 1968م.
* عبد المجيد بن محمد بن عبد الله الخاني، الأنوار القدسية في مناقب السادة النقشبندية، المطبعة العثمانية، القاهرة–1891م.
* عبد المجيد بن محمد بن عبد الله الخاني، الكواكب الدرية على الحدائق الوردية في أجلاء السادة النقشبندية، دار البيروتي، بيروت – 1997م.
* سعيد مضان البوطي، هذا والدي" دار الفكر المعاصر، دمشق –1995م.
* عباس العزّاويّ، مولانا خالد النقشبنديّ (مجلة المجمع العلمي الكرديّ العدد الأول ص/ 704.) بغداد–1973م.
* محمّد أمين السويدي، دفع الظلوم عن الوقوع في عرض هذا المظلوم (ديباجة)؛ مكتبة السليمانية، خزانة أسعد افندي رقم/1404. إسطنبول.
* محمّد مطيع الحافظ – نزار أباظه، علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري، دار الفكر، وبيروت –1991 م.
* محمد رشيد رضا، رسائل السنة والشيعة المجلد الأول دار المنار، القاهرة–1947م.

* **مصطفي محمود، حقيقة البهائية، دار المعارف (الطبعة الثانية)، القاهرة – 1992م.**

* **الأمير عبد القادر الجزائري. تحقيق وتقديم: ممدوح حقي، دار اليقظة العربية، بيروت – 1966م.**

* **عبد الرحمن بن يحيى المعلمي العتمي اليماني، التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، المجلد الأول ص: 27 (الهامش) المكتبة الشاملة.**

* **محمد زاهد الكوثري، إرغام المريد في شرح النظم العتيد لتوسل المريد، المكتبة الأزهرية للتراث (وهي الدار التي اعتنت بنشر تراثه)، القاهرة – 1994م.**

* **عبد الرحمن عبد الخالق، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، دار القلم، الكويت 1984م.**

* **عبد القادر بن حبيب الله السندي، التصوف، مكتبة أضواء السلف. الرياض – 1999م.**

* **محمد صديق حسن خان القِنَّوجي، التاج المكلّل، مكتبة دار السلام، الرياض – 1995م.**

* **سميح عاطف الزين، التصوف في نظر الإسلام، دار الكتاب اللبناني، بيروت – 1985م.**

____

المراجع الأجنبية

* Feriduddin AYDIN, Geçmişten Bugüne Nakşibendilik, (Unprinted)

* Feriduddin AYDIN, Tarikatta Rabıta Ve Nakşibendilik, ORCID ID: 0000-0002-6440 6734 – ISBN: 978-605-67724-1-2; Furkan Publishing, İstanbul-2000

* Feriduddin AYDIN, «**Kur'an'daki Din İslam Mı Müslümanlık Mı**», ORCID ID: 0000-0002-6440 6734 - ISBN: 978-605-68047-4-8. HMA Publishing, İstanbul-2022.

* Prof. Dr. Fuad Köprülü, Türk Edebiyatında ilk Mutasavvıflar. Publications of the Presidency of Religious Affairs, Ankara-1993.

* Prof. Dr. İsmet Kayaoğlu, Mevlana'nın Çağdaşı Derviş Tarikatları, Babalar, Kalenderiler ve Diğerleri. Ankara University Faculty of Theology Journal, Volume: XXXI. S.147

* Prof Dr. Necdet Tosun, Bahâeddîn Nakşbend, s:101, İnsan Publishing, Sixth edition. İstanbul- 2015

* Türkiye Gazetesi, İslâm Âlimleri Ansiklopedisi, 13/118. Undated -İstanbul.

* Mehmet Zahid Kotku, Seha Publishing, İstanbul- 1970

* Kasım Kufralı, Nakşibendiliğin Kuruluşu ve Yayılışı, Türkiyat Enstitüsü, No.337. İstanbul-1949

* Şemseddin Güler, Beyaz kitap, (Place of printing unknown), İstanbul-1999

* Dr. Mehmet Doğan, Batılılaşma İhaneti, Dergâh Publishing, İstanbul-1975

* A team headed by Mahmud Ustaosmanoğlu, Ahıska Publishing, İstanbul-1990

* Hasan Lütfü Şuşud, Menâkıb-ı Evliyâ, Akar Publishing, İstanbul – 1958

* Prof. Dr. Mikâil Bayram, Ahi Evren-Mavlânâ Mücadelesi, NKM Publishing, 3rd edition. Konya- 2012

* Prof. Dr. Ahmet T. Karamustafa, God's Unruly Friends – Dervish Groups in the Islamic Later Middle Period 1200–1550, Translation: Ruşen Sezer, Yapı Kredi Publishing, İstanbul – 2007

* Prof. Dr. Ahmet Yaşar Ocak, Türk Sufîliğine Bakışlar, İletişim Publishing, İstanbul – 1996

* Prof. Dr. Ahmet Yaşar Ocak, Türkler, Türkiye ve İslâm, İletişim Publishing, İstanbul – 1996

* Prof. Dr. Ahmet Yaşar Ocak, Türkiye Sosyal Tarihinde İslâm'ın Macerası, Timaş Publishing, İstanbul – 2015

* Süreyya Su, Hurafeler ve Mitler, İletişim Publishing, İstanbul – 2009

* Prof. Dr. Ahmet Yaşar Ocak, Osmanlı Toplumunda Zındıklar ve Mülhidler, Tarih Vakfı Yurt Publishing, İstanbul – 1998

* Namık Kemal Zeybek, TÜRK'ÜN İNANCI, Doğan Kitap Publishing, İstanbul – 2017